إدارة العمل الدعوي

إدارة العمل الدعوي

جمع وترتيب

شحاتة صقر

المجلد الثاني

دار الخلفاء الراشدين

دار الفتح الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع:

تم الصف في

مكتب البصيرة

للتحقيق العلمي والتجهيز الطباعي

ت/ ٠١١٢٧٧٣٦٥٦٦ ٠١٠٢٧٧٢٦٦٨١

basira1434@yahoo.com

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية - ٣ ش عمر - أبو سليمان

أمام مسجد الخلفاء الراشدين

٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦/ ٠١٠٠٥٠١٣١٥١

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية - مصطفي كامل

بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨/٠١٠٠٢٧٧١٠٦٠

الباب السابع

العمل التربوي

الباب السابع
العمل التربوي

إن انتقاء وتجميع العناصر المتميزة بالذكاء والشجاعة من الشباب ، ثم تربيتها تربية عميقة شاملة صلبة: ينبغي أن يكونا ركنين أساسين في خطة الحركة الإسلامية. فلا بد من إنتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويُدِيرُون دَفَّتَها ، ويربون الرجال ، ويملئون كل فراغ. وكل حركة أو دعوة أو مؤسسة مهما كانت قوية أو غنية في الرجال فإنها معرضة للخطر ، وإنها لا تلبث أن ينقرض رجالها واحدًا إثر آخر ، وتفلس في يوم من الأيام في الرجال.

وعلى الحركة الإسلامية أن تتفرس في نفسها: ولكن هذه التربية ليست اكتيال جزاف ، فإن أخص خصائصها أنها تلبي نداء الحاجات المرحلية ، وتعالج الواقع. وفي كل أدب أرشد إليه الإسلام خير ، ولكن طاقة ذي النية الصالحة محدودة ، فواجب إقرار المفاضلة بين أجزاء هذا الخير ، والبدء بما هو أفضل ، وبما يسد حاجة المرحلة من بعد تشخيص النقص.

ذلكم هو الذي يوجب من بعدُ أن تتفرس الحركة الإسلامية الحاضرة في نفسها فراسة خبرة ، في خلوة تأمل ، فتحدد نقصها ، وتحصي رصيدها ، ليأذن الله أن تصدق فراستها الأخرى في الناس ، وتحكم طريقها في هذا التصارع العنيف.

ولقد شهد التاريخ القريب لأجزاء الحركة بُعدًا عن الموازنة في أساليب التكوين والتربية ، وطغيانًا في جوانب على جوانب أخرى ، فترى منطقة غلبة الجانب التعبدي وتزكية النفس ، وفي أخرى ترفًا فكريًا ، وفي ثالثة ولعًا بالمشاركة في أحداث السياسة

اليومية ، فاختلفت الصياغات.

ومن حيثيات كثيرة يعرفها أهل المعاناة: بدأ يتضح الخط التربوي المتكامل الموزون ، المستدرِك للنقص ، وتحددت ملامحه في غرس معاني:

- تثبيت عقيدة التوحيد ، واتباع النبي ص.
- الحرص على العبادات وفي مقدمتها الصلاة في الجماعة.
- والالتزام بأدب الأخوة.
- والفرح بالبذل والتعب اليومي في نشر دين الله لأ.
- والشوق إلى الجهاد والاستشهاد ، من دون تهور.
- والانضباط بالطاعة.
- والتقلل من الدنيا وطلب الخِفّة.
- وترقب الموت ونسيان الأمل الدنيوي.
- وحب الله - ، في رجاء يضبطه خوف.
- ومفاصلة الذين كفروا والذين نافقوا.
- والصبر على المحن.

الفصل الأول

أهمية العمل التربوي
في الدعـــــوة إلى اللّه

يُعَدّ المجال التربوي من أهم مجالات العمل الدعوي المعاصر ، وقد حقق العمل الإسلامي منجزات مهمة في الميدان التربوي ، واستطاع أن يُخرِج جيلًا متميزًا من الشباب والفتيات ، تَمَثَّلَ التدينَ في نفسه ، وانطلق في الميدان العملي الدعوي.

ومهما كان من خلل في هذا الجهد التربوي فلا زال يستحق الإشادة والثناء.

لكن هل نقف من حيث بدأنا؟

إن ظروف النشأة والتكوين التي صاحبت العمل الإسلامي ، والمشكلات التي واجهها ، والإمكانات التي يملكها ربما تقودنا إلى قبول نتاج العقود الماضية ، ولكن!

ينبغي أن يحتوي العمل التربوي على رؤية واضحة شاملة ؛ وأن يكون مفهوم التربية محددًا غير عائم ، وألا ينحصر في إعطاء الأفراد قدرًا من المحتوى العلمي والسلوكي. وألا تنطلق الممارسات التربوية من السجية أوالعفوية ، أو وفق ما نسميه (تخطيطًا) وهو لا يعدو رسم خارطة سنوية أو فصلية لمحتوى البرامج التربوية.

إن انعدام الرؤية في العمل التربوي يقود إلى كثير من المشكلات التربوية ، منها:

١ - أنه يفتح مجالًا واسعًا للتباين والرؤى المختلفة والمتفاوتة ؛ والخلاف واتساع التجارب وتنوعها لا اعتراض عليه حين يكون صادرًا عن منهجية واقتناع ، أما حين يكون صادرًا عن غياب للرؤية وتخبط فلا.

٢ - أنه يؤدي بالمربي الواحد إلى تلوُّن أهدافه ورؤاه من وقت لآخر ، حسب ما يجري في الساحة ، وحسب ما يسبق إلى ذهنه.

٣- غياب التجانس في شخصية الفرد ؛ إذ هو نتاج رؤى وأفكار متناثرة لا رؤية متسقة.

٤ - غياب التجانس على مستوى الساحة الدعوية ؛ والتجانس المنتظر ليس أن يكون الناس على نمط واحد ونموذج واحد ، لكنْ ثمة حدٌّ أدنى لا يمكن بدونه أن يوجد تيار ينشئ أعمالًا ومشروعات جماعية منتجة.

٥ - وجود كثير من مظاهر الخلل التربوي التي لا تظهر إلا في الميدان ، وحين تظهر يعيش المربون جدلًا طويلًا حول فهمها وتفسيرها ، فضلًا عن التعامل معها. وحين نطالب برؤية تربوية فطبيعة الرؤية تقتضي أن تتسم بقدر من النظرة الكلية التي ترسم الأطر العامة لشخصية المنتج التربوي لا أن تغرق في التفاصيل المحددة التي ينبغي أن تتسع فيها مساحة التنوع والممارسة ، وتستوعب اختلاف البيئات والظروف.

كما أنها لا يسوغ أن تكون نتاج خواطر تجول في أذهان مُعِدِّيها ، أو فكرة طرأت في محاضَرة أو مناسَبة ، فلا بد أن تكون نتاج دراسة عميقة يتاح لها جهد يتلاءم مع أهميتها. وهي تتطلب أن تنطلق من مصادر تجمع بين المنهج الشرعي في بناء الفرد المسلم ، وظروف الواقع وتحدياته ، وطبيعة المهمة التي يُعَدُّ لها هذا الجيل ، وأن تنسجم مع الرؤى العامة للعمل الإسلامي وتسهم في تحقيق أهدافه.

وتتطلب اتساعًا لدائرة المعدِّين لها ؛ فلا تكون نتاج اجتهادات فردية ، ولا نتاج فئة أو أصحاب تخصص معين ؛ فالرؤية التربوية تتضمن جانبًا يتصل بمحتوى التربية الذي يسهم في بنائه العديد من المختصين في مجالات المعرفة ، وجانبًا يتصل بعمليات التربية الذي يسهم فيه العديد من المختصين في المجالات التربوية. كما أنه من الضروري أن تنسجم كافة أهداف وعمليات التربية مع هذه الرؤية وتسهم في تحقيقها.

إن الاقتناع بالحاجة لهذه الرؤية ، والاقتناع بتجاوز الممارسات التقليدية في بنائها يمكن أن يوجِد لدى العاملين في الساحة الإسلامية خيارات عدة في التنفيذ.

الفصل الثاني

التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هي مجموعة التصرفات العملية والقولية ، المأخوذة من الكتاب والسنة أو الاجتهاد في ضوئهما ، والتي يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر ، بهدف مساعدته في اكتمال جوانب نموه ، وتفتيح استعداداته ، وتوجيه قدراته ، وتنظيم طاقاته ، ليتمكن من ممارسة النشاطات ، وتحقيق الغايات التي يحددها الإسلام.

وهناك نتائج أساسية في فهم التربية:

١ - أن المربي الحق على الإطلاق ، هو الله الخالق.

٢ - أن عمل المربي تالٍ وتابع لخلق الله لأ وإيجاده ، كما أنه تابع لشرع الله ودينه.

٣ - أن التربية عملية هادفة ، لها أغراضها وأهدافها وغاياتها.

٤ - أن التربية تقتضي خططًا متدرجة ، تسير فيها الأعمال التربوية والتعليمية ، وفق ترتيب منظم صاعد ، ينتقل مع الناشئ من مرحلة إلى مرحلة.

أهداف التربية الإسلامية وغاياتها:

المقصد القريب هو الهدف ، والمقصد البعيد هو الغاية ، والباحثون يختلفون في ذكر الأهداف والغايات ، ويختلفون في تحديد الهدف الأساسي وما يتفرع عنه. والصواب أن غاية التربية هي العبودية الخالصة لله - وحده ، 7 8 (C D E F G H) (الذاريات: ٥٦).

والعبودية على مستويات ، كل يختلف عن الآخر ، بحسب ما قام في قلبه للخالق لأ. والعبودية المرضية لله - ، لها جناحان ، جناح عبادة لله وحده ، وجناح خدمة عباد الله لوجه الله. والأهداف للتربية ينبغي أن تتحقق في ضوء هذه الغاية. ولما كانت

الأهداف كثيرة ومتنوعة ، فسوف نقتصر على الأهداف العـامة والشاملة والدائمة ، وهي متدرجة ومترابطة ومتكاملة ومتناسقة مع الغاية المنشودة ، وتحت كل هدف عام يندرج تحته عدة أغراض تربوية جزئية ومرحلية ، وهي كالتالي:

الأول: بناء إنسان مسلم متكامل جوانب الشخصية.

الثاني: بناء خير أمة مؤمنة أخرجت للناس.

الثالث: بناء خير حضارة إنسانية إسلامية.

الرابع: البناء العلمي للأفراد والجماعات.

وبناء المسلم أساسًا لبناء تلك الأمة ، وبناء تلك الأمة أساسًا لبناء تلك الحضارة.

الهدف الأول: بناء إنسان مسلم متكامل جوانب الشخصية ، وهي جوانب النمو الأساسية مثل:

١ - تحقيق النمو الصحي ، التربية الصحية ، الوقاية ، صحة قوية.

٢ - تحقيق النمو العقلي ، التربية العقلية ، حماية العقل ، تنميته ، تكوين عقليته.

٣- تحقيق البناء الاعتقادي ، التربية الاعتقادية ، تكون إيمان صحيح ، تنميته ، دفاع عن العقيدة ، النظرة الصحيحة إلى الكون والحياة وما بعد الحياة.

٤ - تحقيق البناء الإيماني ، التربية الإيمانية ، الالتزام ، العبادة ، السعادة.

٥ - تحقيق البناء الأخلاقي الاجتماعي ، التربية الأخلاقية ، الفضائل والرذائل.

٦ - تحقيق النمو الإرادي ، تربية الإرادة لمواجهة الصعاب في الحياة.

٧- تحقيق النمو الإبداعي ، التربية الإبداعية.

الهدف الثاني: بناء خير أمّة أُخرِجت للناس:

بناء هذه الأمة هدف من بعثة الرسول ص ، وكان خير مثال في حياته ص العملية بناء هذه الأمة.

والصفات التي تميز الأمة عن غيرها هي التي يجب تكوينها فيما يلي:

١ - تكوين العقيدة الإسلامية الصحيحة ، الدافعة إلى السلوك بموجبها.

٢ - تكوين الروح الأخلاقية الإسلامية الخيّرة ، والتي تدفع الناس إلى التنافس.

٣- تكوين روح الأخوة الحقة ، وبها تزول الفوارق إلا لأهل التقوى.

٤ - تكوين الوعي الكامل بوحدة حياة الأمة ووحدة مصالحها العامة ، كالجسد.

٥ - تكوين روح الخضوع للنظام الإسلامي ، فهو نظام رباني فيه صلاة الأمة.

٦ - تكوين روح التعلق بالأمة الإسلامية ، ومعنى هذا إيثار مصلحة الأمة وترك كل ما من شأنه إظهار للفتن والفرقة التي تمزق الأمة ، والجماعة خير.

٧- تكوين روح العدالة الاجتماعية ، فهي تحقق المودة والشعور بالمساواة ، والظلم له أثر كبير في خراب العمران وسقوط الدول ، وعامة الاضطرابات والجرائم سببها الظلم.

٨ - تكوين روح التعاطف والتراحم ، حتى تكون الأمة كالجسد.

٩ - تكوين روح التعاون والتناصح والتواصي والأمر والنهي ، فهي كفيلة بالاستمرار.

١٠ - تكوين روح الجهاد والكفاح من أجل حماية الأمة ونشر الدعوة.

١١ - تكوين روح الإتقان والتقدم العلمي في جميع المجالات ، ومن ليست كذلك فهو محكوم عليها بالتأخر والتخلف.

الهدف الثالث: بناء خير حضارة إنسانية إسلامية:

والحضارة الإسلامية هي تقدم المجتمع الإسلامي وتفوّقه من الناحيتين المادية والمعنوية في جميع المجالات ، بروح خيّرة ، ونحوه غاية خيرة في ضوء المبادئ الإسلامية.

وكل تقدّم وتميّز بغير هذه الروح وبغير هذه الغاية لا يعتبر تقدمًا حضاريًا ولها أهمية بالغة من خلال ثلاثة أمور:

١ - حفظ الحضارة من الانهيار.

٢ - دفع عجلة التقدم الحضاري.

٣ - توجيه الحضارة نحو هدف أسمى وغاية خيّرة.

والإسلام يقتضي الحضارة ، فالله - دعا المسلمين إلى أن يكونوا أعلى من غيرهم بالإيمان والإعداد والعدة ، 7 8 (} | { ~ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(آل عمران: ١٣٩) ، و 7 8 (وَأَعِدُّواْ © مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ´ µ ¶ ¸ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)(الأنفال: ٦٠).

وهناك شروط تربوية لبناء الحضارة الإسلامية.

١ - يجب توضيح صورة تلك الحضارة وعناصرها وقيمها ووسائلها أمام الناشئين.

٢ - يجب إقناع الجيل بأهمية مثل هذه الحضارة وقيمتها وضرورتها وأنها خير وسيلة لبناء الأمة.

٣- يجب الإيضاح للناشئين أن إقامة هذه الحضارة تحتاج إلى جهود جبارة وكفاح.

٤ - يجب تنشئة الجيل على التضحية والبذل من أجل بناء هذه الحضارة.

٥- يجب تنشئة الجيل وتوجيهه للابتكار والتصنيع وإتقان المهارات حسب الاحتياج.

أسس الحضارة الإسلامية:

١ - الأسس الفكرية من خلال نظرة الإسلام إلى:

الإنسان: مخلوق مكرم ، قادر على التعلم ، خاضع لسنن الله ، مهمته الكبرى (العبادة).

الكون: مخلوق لله ، مسخر للإنسان ، خاضع لسنن الله.

الحياة: دار اختبار.

الأسس التعبدية: الصلاة - الصوم - الزكاة - الحج - سائر العبادات.

الأذكار - النسك - الشورى - العدل - العزة - التوبة.

* يجب التركيز على هدف الحضارة وأنه هدف إنساني نبيل ، وغايتها غاية دينية عليا ، تخدم الدين ، فهو خير طريق لانتشاره وسيادته.

خصائصها:

١ - أنها مرتبطة بنصوص القرآن والسنة ، والاجتهاد في ضوئهما.

٢ - طرفاها من البشر ، قد يكونان كبيرين ، أو كبير وصغير ، وهذا الأغلب.

٣- أنها مقصودة ومرتبة ، ولا يمنع أن تحدث عبر مواقف غير مقصودة.

٤ - أنها شاملة تتناول جميع جوانب النمو في الفرد العقلي والجسمي والنفسي والاجتماعي والصحي والإيماني والخلقي وجميع قدراته وطاقاته.

٥ - أنها مستمرة مع الإنسان في جميع مراحل نموه ، منذ تكوينه حتى وفاته.

٦ - أنها هادفة لتمكين الإنسان من القيام بالأنشطة والممارسات المحققة لغايات الإسلام وأهدافه في بناء الفرد والمجتمع والحضارة.

الأسس التشريعية:

فالشريعة الإسلامية أساس عظيم من أسس التربية وهي بيان للعقيدة والعبادة ونظم الحياة ، وهي ترسم للمسلم صورة منطقية متكاملة لكل شيء ، وتقدم له قواعد ونظمًا سلوكية وأحكام الشريعة لكل العصور والأزمان ، والشارع هو الله في كتابه ، ورسوله ص في سنته.

فالشريعة ضابط خلقي للفرد ، رقابة ذاتية ، بيع ، نظر ، سماع ، أكل.

وضابط اجتماعي ، فنظم الأمر والنهي والتعاون والتناصح والتواصي.

وضابط سياسي ، فنظم الدولة المسلمة ، وجعل لها سياستها ودستورها فتنفذ أحكام الشريعة من إقامة الحدود وإرساء الاحتساب والدعوة إلى الله لأ وإنشاء المحاضن التربوية.

مصادر التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية تختلف عن غيرها من الأنظمة التربوية في مصادرها التي تقوم عليها ، وهي ضربان:

١ - الوحي ، المتمثل في نصوص القرآن والسنة.

٢ - الاجتهاد والبحث العلمي ، في ضوء القرآن والسنة ، ومقاصد الشريعة ، ومنه الإجماع والقياس ويتعلق بالقرآن والسنة ، ومنه الاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف ، وهو مرتبط بتحقيق مصالح العباد.

فالأول نقل محض ، والثاني رأي محض.

والمراد بالاجتهاد هنا ، بذل العلماء المسلمين جهدهم وطاقتهم وقدراتهم في فهم نصوص القرآن والسنة المتعلقة بالمفاهيم أو التصورات ، أو القضايا المتعلقة بأساسيات التربية الإسلامية ، وأبعاد جوانب النظام التربوي لها.

والمراد بالبحث العلمي ، الدراسات العلمية أو التجارب العملية ، أو التطبيقات الميدانية ، مما له صلة بالعملية التربوية التعليمية ، ويسهم في تحقيق أهدافها المرجوة منها ، أو يسهم في رفع مستوى الأداء التعليمي والفعلي ، ويعتبر البحث العلمي من الاجتهاد في ضوء المصالح المرسلة: أحد مصادر التشريع الإسلامي وعامة ما يتوصل إليه من أحكام ونتائج ، لا تعتمد إذا كانت مخالفة لنصوص القرآن والسنة أو معارضة لمقاصد الشريعة وأغراضها ، ولذا لا يجوز باسم البحث العلمي قبول الأنظمة التربوية الوافدة إلى المجتمع الإسلامي ، والمخالفة للقرآن والسنة ومقاصد الشريعة.

أساليب التربية الإسلامية: هي كثيرة ومتنوعة ، ولعل أهمها وأبرزها ما يلي:

١ - أسلوب الحوار بطريقة السؤال والجواب.

٢ - التربية بالقصص القرآني والنبوي.

٣- التربية بضرب الأمثال.

٤ - التربية بالقدوة (نبينا محمد ص).

٥ - التربية بالممارسة والعمل.

٦ - التربية بالعبرة والموعظة ، وبينهما فرق فالعبرة حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى كالاعتبار بالقصص ، وبمخلوقات الله ونعمه ، وبالحوادث التاريخية ، والمقصود: أن يصل الإنسان إلى قناعة فكرية بأمر من أمور العقيدة ، وأن يخضع لشرع الله.

والموعظة هي التذكير بما يلين القلب كالنصح وبيان الحق ، والتذكير بالموت والمرض ويوم الحساب.

٧- التربية بالترغيب والترهيب: فالترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء ، مقابل فعل أو ترك. والترهيب وعيد بعقوبة ، مقابل فعل أو ترك.

وسائط التربية الإسلامية:

١- **المسجد:** وكان أول عمل قام به الرسول ص عندما قدم المدينة أنْ بَنَى مسجد قباء ثم مسجد المدينة ، فالمسجد هو الذي يضم شتات المسلمين ، ويتشاورون فيه لتحقيق أهدافهم ، وكان منطلقًا للجيوش ، ومحلًا لتعليم العلم وتعلمه ، وهكذا حين تعصف النكبات بالمسلمين ، فإنه ينطلقون من المساجد. وهو يعتبر من أعظم المؤثرات.

٢- **الأسرة المسلمة:** ونعني بذلك الزوج والزوجة ، وينبغي أن يكونا على دين وخلق وأن يهتما بالإنجاب وأن يقيما حدود الله في أسرتهما وأن يكونا على معرفة بالتربية الإسلامية. ثم الاهتمام البالغ بالطفل من الولادة وحتى الممات.

٣- **المدرسة:** وأول من بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، وانتقلت الفكرة تلك من خراسان والعراق إلى بلاد الشام ومصر ، ثم انتشرت.

٤- **المربِّي المسلم:** وإمام المربين هو نبينا محمد ص ، ووظيفته تزكية النفس ، وإبعادها عن الشر ، وتعليم المؤمنين.

٥- **المجتمع:** فيرجع إلى الله ويحكِّم شرعه في تنظيم المجتمع ، ويكون وسطًا صالحًا للنيل منه.

٦- **النشاط المدرسي.**

٧- **المنهج التربوي الإسلامي:** وهو خطة ترسم فيها أهداف التربية ليستفيد منها المدرسة والمدرس.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

معالم في البناء التربوي

إن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة في هذه الظروف الحرجة إلى إعداد ناشئة قوية سوية ترضع لبان الإيمان ، وتتضلع من العلم والعرفان ، وتتحلى بالحكمة والشجاعة معًا ، وتأخذ بأسباب القوة المعنوية والمادية ، وتتخلص من شوائب الفرقة والشذوذ ، وتجتمع على البر والتقوى ، وإقامة الدين ، ولزوم جماعة المسلمين.

وهذه المقاصد العظيمة والآمال العريضة لا تتحقق بمجرد الأماني ، وإنما تتم من خلال مشروع فردي ، وجماعي ، ينتظم مناشط الحياة المتنوعة ، ألا وهو: (التربية).

المعْلَم الأول: التربية دين وعبادة:

إن السعي نحو الكمال نزعة إنسانية تراود بعض النفوس القوية ، وتحدوهم لتحقيق الأمجاد الشخصية ، والعلو في الأرض. وفَصْلُ ما بين التربية الإسلامية والتفوق أنَّ الأُولى: دِين وقربة ، وجهاد ونية ، والثانية في أحسن أحوالها: قوة وعزيمة ، وشهامة ومروءة. الأُولى يترتب عليها الثواب ، وشرف الدنيا والآخرة ، والثانية لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب بحد ذاتها ، وهي شرف في الدنيا دون الآخرة.

ونحن لا نغمط أهل الفضل فضلهم ، ولا أصحاب المروءات والنجدات سابقتهم ، ولكن ندعوهم إلى احتساب ما جبلهم الله عليه من مَكْرُمَات ، أو ما حملوا أنفسهم عليه من مشقات ، دينًا يدينون الله به ، ويرجون غُنمه وبِرّه في الدار الآخرة. كما 7 8 (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣).

قد يُدْمِن الناشئ ، وربما طالب العلم ، القراءة في سير أعلام النبلاء ، والعلماء ، والفاتحين ، ويُصْغِي للمدائح والمناقب ، فتتشوَّف نفسه إلى الذكر والصيت ، ويفارقه

الإخلاص النقي. وقد يستنفر المربي همم تلاميذه بضرب الأمثال ، وتمجيد الذوات الفاضلة في غير سياق منضبط ، فيتمخض الجهد عن تنافس مشوب ، وحظوظ دخيلة.

إن على المربين ، كما هو على المتربين أن يتفطنوا لهذا المعنى ، ويحرروا أمر النية من كافة الأغراض الشخصية ، والدسائس النفسية التي تنافي إسلام الوجه لرب العالمين ، فإن عُجِّل لهم من الثناء والذكر الحسن ما يستروحون له ، دون أن يكون قصدهم الأصلي ، فذلك من عاجل بشرى المؤمن.

المعْلَم الثاني: التربية تأسٍّ ومتابعة:

7 8 ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١). لقد كان شَخْص رسول الله ص مثالًا واضحًا للاستقامة ، ومعيارًا دقيقًا تُقوّم به الأقوال والأفعال ، وتردُّ إليه الأمور عند التنازع.

فلا بد للمربي والمتربي من دراسة سيرته الشريفة ، وإدمان النظر في أحواله المختلفة ، والتبصر في دعوته وتربيته لأصحابه ، وأسلوب معالجته للأمور. إن قومًا يحتَفُون بذكر فلان وعلان من رجالات الشرق والغرب ، ويمجِّدون ذكرهم ، ويزهدون برواية أحواله ص ، ولا يرفعون بها رأسًا ، قد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. لقد حفلت حياته بألوان المواقف التربوية التي ترسم الطريق للمربين والمتربين على مر العصور ، فيستلهمون منها النَّفَس الشرعي ، والمزاج الإيماني الذي تواجَه به الأمور ، فيأتي بأفضل النتائج.

مثال: عَن أَبِى مَحْذُورَةَ ا قَالَ: « خَرَجْتُ فِي نَفَرٍ فَكُنَّا بِبَعْضِ طَرِيقِ حُنَيْنٍ مَقْفَلَ رَسُولِ الله ص مِنْ حُنَيْنٍ فَلَقِيَنَا رَسُولُ الله ص فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ رَسُولِ الله ص بِالصَّلَاةِ عِنْدَ رَسُولِ الله ص ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ الْـمُؤَذِّنِ وَنَحْنُ عَنْهُ مُتَنَكِّبُونَ ، فَظَلِلْنَا نَحْكِيهِ وَنَهْزَأُ بِهِ فَسَمِعَ رَسُولُ الله ص الصَّوْتَ فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا حَتَّى وَقَفْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ص: « **أَيُّكُمُ الذي سَمِعْتُ صَوْتَهُ قدِ ارْتَفَعَ** ».

فَأَشَارَ الْقَوْمُ إِلَيَّ وَصَدَقُوا فَأَرْسَلَهُمْ كُلَّهُمْ وَحَبَسَنِى فَقَالَ « **قُمْ فَأَذِّنْ بِالصَّلاَةِ** ». فَقُمْتُ فَأَلْقَى عَلَيَّ رَسُولُ الله ص التَّأْذِينَ هُوَ بِنَفْسِهِ ، قَالَ: « **قُلِ: اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** ». ثُمَّ قَالَ: « **ارْجِعْ فَامْدُدْ صَوْتَكَ** ». ثُمَّ قَالَ: « **قُلْ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ ، اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** ».

ثُمَّ دَعَانِى حِينَ قَضَيْتُ التَّأْذِينَ فَأَعْطَانِى صُرَّةً فِيهَا شَىْءٌ مِنْ فِضَّةٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مُرْنِى بِالتَّأْذِينِ بِمَكَّةَ. فَقَالَ « **قَدْ أَمَرْتُكَ بِهِ** ». فَقَدِمْتُ عَلَى عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ عَامِلِ رَسُولِ الله ص بِمَكَّةَ فَأَذَّنْتُ مَعَهُ بِالصَّلاَةِ عَنْ أَمْرِ رَسُولِ الله ص.

(رواه النسائي ، وصححه الألباني). (المتنكب: المعرض).

فمن الفوائد التربوية المستبطة من هذه الحادثة:

١ - طبيعة التجمعات الشبابية ، وتشابهها قديمًا وحديثًا.

٢ - عدم تجاوز المواقف السلوكية الشاذة.

٣ - التثبت والتبين ، وعدم أخذ البريء بجريرة المذنب.

٤ - الأدب الرفيع ، وعدم الإسفاف في الخطاب عند الإنكار.

٥ - تحويل الخطأ إلى صواب ، والانحراف إلى سداد.

٦ - تواضع المربي.

٧ - الإحسان إلى المتربي ، وسَلُّ سخيمة صدره.

٨ - منح الثقة ، واستغلال الموهبة.

إن السنة النبوية غنية بالكنوز التربوية التي ينبغي أن يُفَتّش عنها المربون ، ويستخلصوا منها الدروس والعبر ، بل يؤسسوا منها (عِلْمَ تربيةٍ) إسلاميًا أصيلًا ؛

ذلك أن علم التربية الحديث قائم على دراسات الغربيين ، واصطلاحاتهم ، وتقسيماتهم التي هي ناتج عقائدهم ، وثقافاتهم ، وممارساتهم المتراكمة بالإضافة إلى ما توصلوا إليه من تجارب إنسانية ، وملاحظات بشرية قد تكون صحيحة.

فلا بد لأهل الإسلام من تمييز ما هو من قَبِيل القضايا المشتركة بين بني آدم ، وما هو من قَبِيل التحليل والاستنتاج القابل للخطأ والتأثر بالمكونات العقدية ، والفكرية ، والتاريخية ، والاجتماعية لأمة ما ، وتكوين قواعد مستمدة من النصوص الشرعية ، والدراسات العلمية الصحيحة.

المَعْلَم الثالث: التربية القرآنية منهج وسبيل:

9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 /) 8 7 : ; > = <) (الإسراء: ٩). القرآن العظيم عمدة التربية الإسلامية ، لفظًا ، ومضمونًا ، وترتيبًا:

لفظًا: باعتماد الألفاظ والمصطلحات القرآنية ، وعدم الاستعاضة عنها بالمصطلحات الحادثة ، 7 8 (/ 0 1 2 3)(النساء: ٨٧) ، (3 4 5 6 7)(النساء: ١٢٢).

مضمونًا: باستيعاب مقاصد القرآن ومضامينه كلها ، وتجنب التبعيض والانتقاء والتجزئة التي توافق توجهًا خاصًا لجماعة أو طريقة أو مذهب ، وهجر خلافه.

وترتيبًا: بتقديم ما قدم الله ، وتأخير ما أخر ، وتعظيم ما عظم الله ، وتهوين ما هوَّن ، وزرع ذلك في قلوب المتربين بنفس الدرجة التي هي عليها في القرآن.

مثال: تعظيم أمر التوحيد ، وتشنيع الشرك ، كما في قوله 8 (~ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ © ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ´ µ ¶ ¸ ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾)(مريم: ٨٨ – ٩٥).

إن كثيرًا من المربين والمتربين يمرون بمثل هذه القضايا الإيمانية دون أن تُحْدِث في نفوسهم الأثر المطلوب ، والانفعال الإيماني المتناسب مع حجم هذه القضية التي تكاد السماوات أن تتفطر منها ، وتنشق الأرض ، وتَخِرُّ الجبال هدًّا!! فعلامَ يدل ذلك؟

لا بد للمربي والمتربي أن يتيقن هذه القضية يقينًا راسخًا ، وأن يعتمد التربية القرآنية في برامجه ووسائله التأثيرية ، وألا يجنح إلى إيثار مؤثرات أخرى ذات أثر وقتي سرعان ما تتقشَّع. ومن صور ذلك:

١- الاعتماد على العلاقات الشخصية ، والتجمعات الودية الخالية من المضمون.

٢- ممارسة المناشط الشكلية ، والبرامج الترفيهية ذات العائد الزهيد.

٣- الإغراق في الشعارات العاطفية التي تستهلك الحماس دون مردود.

لقد كان قرن الصحابة ي خير القرون ، ولم يكن بين أيديهم مَتْنٌ يتربون عليه سوى كتاب الله لأ ، يبينه رسول الله ص ، فَصَنع الله بهم ما صنع. إن التربية القرآنية القائمة على ترسيخ الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، منهج واضح ، وسبيل قاصد لا غِنَى للأمة في جميع أطوارها عن انتهاجه ، ولن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

المعْلَم الرابع: التربية تكامل وتوازن:

إن خطة البناء التربوي السليم لا بد أن تكون متضمنة لعموم مقاصد الدين ؛ بحيث يظهر هذا التكامل في حياة الأفراد بنسب متفاوتة ، كما يظهر في عموم الأمة ملبيًا كافة المطالب. وبيان ذلك: أن الفرد المسلم بحاجة إلى:

١ - **البناء الإيماني العقدي**: الذي تحصل به البينة القلبية ، والاطِّراد العقلي.

٢ - **البناء العملي الشرعي**: الذي يحصل به معرفة الشريعة ، وبيان الحلال والحرام.

٣ - **البناء العملي التعبدي**: الذي يحصل به استفراغ الجهد في العمل الصالح.

٤ - **البناء الخلقي الاجتماعي**: الذي يحصل به حسن معاشرة الخلق ونفعهم.

وهو مدعوٌّ إلى تمتين هذا البناء وتقويته ، منهيٌّ عن الإخلال بالحد الأدنى منه ، كما قال ص: « **مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » (رواه مسلم). وحينئذ يجد المؤمن الجاد نفسه في مضمار فسيح لاستباق الخيرات ، والتنافس في الطاعات ، ويجد شُعَبًا تربو على السبعين من شُعَب الإيمان تهتف به ، وتستدعيه ، فيعرضها على مواهبه ومقدراته فيجد نفسه بعد جملة من التجارب متوافقًا مع لون أو أكثر من ألوان البذل والعطاء:

* **فهذا**: وعاءٌ للعلم ، آتاه الله حفظًا وفهمًا وفقهًا.

* **وذاك**: عابد ناسك خاشع قانت.

* **وثالث**: منفق باذل يضرب في كل مكرمة بسهم.

* **ورابع**: داعية مصلح بين الناس.

* **وخامس**: أمَّار بالمعروف ، نهّاء عن المنكر ، محتسب.

* **وسادس**: مجاهد مرابط يحمي الثغور ، ويصون حوزة المسلمين.

* **وسابع**: حُبِّبَ إليه السعي على الأرملة والمسكين ، وملاطفة اليتيم... وهكذا.

وكل فاضل من هؤلاء فُتِح له في باب من أبواب الخير ، قد نال حظًا من بقية الأبواب ، لكن قَصَّر عن غيره فيه ، كما قَصَّر غيره عنه فيما فُتِحَ له فيه. قد علم كل أناس مشربهم. ومن تأمل في حال الصحابة الكرام رأى هذا التنوع ، والتخصص جليًّا ؛

فمَنْ كأبي بكر الصـديق ا في بذله ، وثباته ، ورسـوخ إيمانه؟ ومَنْ كعمـر بن الخطاب ا يسوس الناس ، ويمصِّر الأمصار ويدون الدواوين؟ ومَنْ كعثمان بن عفان ا في بذله وإنفاقه؟ ومَنْ كعلي بن أبي طالب ا في شجاعته وإقدامه؟ ومع ذلك فإن الفضل الخاص لا يقضي على الفضل العام. ولم تزل هذه الأمة ولودًا ، تُنتِق أرحامُها الأمجاد الأفاضل من الرجال والنساء. فانظر أين موضعُك؟ فقد جاءت نوبتُك ؛ فإن لك ثغرًا لا يَسُدُّه أحدٌ سِواك ، ففتِّش عن ثَغْرك ، والْزمْه ، فإن العمر قصير.

وبهذا يتبين أن التنوّع والتخصص بين الخلق سُنّة من سنن الله - ؛ فإن الله قَسم الأخلاق كما قسم الأرزاق ، فسائغ شرعًا ، واقع قدرًا ، أن يفتح على شخص في باب ، ويُقَصّر في غيره ، لكن مع الإتيان بالحد الأدنى من المأمور.

أما بالنسبة لعموم الأمة فلا يسوغ ذلك ، ولا يجوز أن تلغي أو تهمل بابًا من أبوب الدين ؛ فإن الله أمر بإقامة الدين ، فقال 8 (J K L M N O P
Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ `
a)(الشورى: ١٣).

ويتبين أيضًا أنه لا يجوز لطائفة ، أو طريقة ، أو مذهب ، أو جماعة دعوية أن تدعو الكافة إلى مبادئ خاصة وأصولٍ منتقاة ، من الدين ، وتهجر الباقي ، بل الواجب إقامة الدين كله ، وتربية الناس على جميع مقاصده ، ثم الله يصطفي من عباده ويختار من يقيمه ويستعمله في بعض هذه الشُّعب ، ويفتح له فيه.

أما الاجتزاء والانتخاب وفق ترتيب لم يأذن به الله لأ ، وليس عليه أمر رسول الله ص فنوع من العدوان والبدعة ، وسبب لحصول الاختلاف والفُرْقة ، كما قال - عن النصارى: (! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4) (المائدة: ١٤) ، والمراد بالنسيان هنا ترك العمل ببعض ما أمروا به. وبناءً عليه فلا يسُوغ تربية آحاد

الأمة ، أو جماعتها على ضَميمة من الأسس ، ويُعدل عما رتبه النبي ص في حديث جبريل المشهور الذي فيه (أركان الإسلام الخمسة) و(أركان الإيمان الستة) ، كما لا يجوز التزام «وِرْد الطريقة» سواءً بسواء.

المعْلَم الخامس: التربية مشروع العمر:

قد يتحامل المرء على نفسه ليجتاز دورة مكثفة في علم ما أو فن ، ثم يلتقط أنفاسه ويسترخي ، وقد يسعى إلى تحقيق درجة عالمية يستنفر لها جهده ووقته ، ثم ينال اللقب ، ويستريح. إلا أن التربية عمل دائم لا ينقطع حتى تبلغ الروح الحلقوم.

ومن ثم فإن المؤمن يظل في جهاد مستمر ، وتَرَقٍّ مُطَّرد إلى أن يقف على شفير القبر ، وقد بلغ في سُلَّم التربية ما قُدِّر له أن يَبْلُغ ، وهو في تلك الأثناء عرضة للزلل والخطأ ، بِحُكْم طبيعته البشرية ، لكن مشروع التربية الإسلامية يتضمن عنصرًا أصيلًا هو التوبة ؛ فلا يأس ، ولا قنوط ، ولا إحباط. 7 8 (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ)(البقرة: ٢٢٢).

الفصل الرابع

العمل التربوي ، آلام وآمال

ما هو العمل التربوي؟ هو البرامج التربوية المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف ، في المحاضن التربوية ، مثل البيت والمدرسة ، والبيئة والمجمتع كالمساجد والمكتبات والمحاضرات والأندية والجمعيات ووسائل الإعلام باختلافها وتنوع أساليبها ، لترسيخ العقيدة الصحيحة ، وإعداد الإنسان المسلم الحق علمًا وعملًا ، وتفتيح استعداداته وتوجيه قدراته ، وتنظيم طاقاته ، ليتمكن من ممارسة النشاطات وتحقيق الغايات التي يحددها الإسلام.

مظاهر ضعف العمل التربوي:

١ - ندرة المحاضن التربوية في بعض الأقطار والأمصار.

٢ - عدم الاهتمام بالمحاضن التربوية من حيث إنشائها وتحديثها وتزويدها بما تحتاجه.

٣- عدم اهتمام بعض العلماء وطلاب العلم والدعاة بالعمل التربوي وإدارك حاجة الناس إليه.

٤ - اقتضاب الكتابات والرسائل حول أهمية العمل التربوي وضرورته.

٥- قلة العاملين في المحاضن التربوية من الكفاءات المتخصصة وغيرها وتمركزهم في أماكن معينة، قد تكون أحيانًا غير مؤثرة.

٦- قلة البرامج التربوية المقدمة في المؤسسات الدعوية والخيرية ، وضعف بعض المقدم منها.

٧- الرتابة وعدم التجديد في وسائل العمل التربوي وأساليبه.

٨- بروز الطرح التربوي النظري الأكاديمي ، وقلة الطرح العملي المناسب.

٩- وجود بعض المؤسسات التربوية القوية السلبية ، ولها تأثيرها وحضورها غير المرضي شرعًا.

١٠- التباطؤ في تحرير بعض المسائل الشرعية التربوية ، وخاصةً ما له علاقة بواقع العمل ، مثل مسائل الثوابت والمتغيرات من حيث النواحي التطبيقية المعاصرة.

١١- عدم ضبط بعض المربين لبعض المسائل الشرعية وخاصة ما يتعلق بالعلم ومكانة العلماء ، والدعوة وأحوالها ووسائلها، والتربية ومراحلها وضوابطها.

١٢- ضعف التدين لدى بعض المربين والعاملين في بعض المؤسسات التربوية، مما يعكس صورة غير لائقة.

١٣- فشُوّ الاختلاف والتفرق بين بعض الأفراد والمؤسسات في الحقل التربوي ، وتجاوز بعض ذلك إلى الهمز والسباب والبهتان.

أسباب ضعف العمل التربوي:

أولًا: أسباب خاصة با لمؤسسة التربوية:

١- عدم وجود أصول ثابتة رافدة مالية للمؤسسة التربوية ، وعدم الاهتمام بتنمية الموارد المالية ، وابتكار الأساليب والوسائل الرافدة الممولة كالأوقاف والوصايا ونحوها ، مما يؤدي غالبًا إلى إفلاس وانهيار المؤسسة.

٢- عدم أهلية العاملين في المؤسسة ، والوقوع في بعض الأخطاء مثل:

- عدم البحث عن كوادر وطاقات متميزة فاعلة.
- عدم وضع الفرد المناسب في المكان المناسب.
- عدم توظيف كافة الأفراد في العمل وإهمال الطاقات ، عدم الالتزام بالضوابط الشرعية أثناء تنفيذ البرامج.

٣- ضعف الإمكانات والطاقات لدى المؤسسة ، ويتجلى ذلك في:

- ضعف التخطيط والمتابعة والتقويم لبرامج ومناهج المؤسسة التربوية.
- غياب الأهداف الرئيسة عن العاملين لعمل المؤسسة.
- توقف بعض المحاضن التربوية وانقطاعها عن العمل ، وعدم استمرارها ، مما يجعلنا نمارس الإهدار التربوي.
- إخراج الأعمال التربوية خالية من الإتقان والتطوير ، وهذا يضعف حضورها وتأثيرها ومنافستها لغيرها.
- عدم الارتقاء بمستوى العاملين في المؤسسة التربوية من حيث إقامة الدورات والأنشطة والزيارات والرحلات اللازمة لهم.
- إشباع بعض الجوانب لدى المتربي وإهمال جوانب أخرى.

- عدم القدرة على احتواء المتربي وتوجيهه.
- عدم متابعة الأفراد ، وإيجاد الحلول لمشاكلهم.

٤ - ندرة الكتابات والرسائل والاستبيانات والدراسات حول مشاكل وعوائق العمل التربوي.

٥ - الصراعات الداخلية بين بعض العاملين في المؤسسة التربوية ، فهي تسمم الأجواء وتكهربها ، وتفسد علائقهم الأخوية ، وتورث الجدل والمراء والنقد الهادم للبناء، فيتفرق المربون ويتضرر المتربون.

٦ - اعتماد بعض المؤسسات التربوية في بعض الأقطار مجانية الانضمام في المحضن التربوي ، حيث يتساهل المتربي في الحضور والمواظبة والاستفادة ، بخلاف إذا دفع أجرًا فإنه يهتم بذلك كله ، والحاجة تُقدر بقدرها.

٧ - قيام بعض المؤسسات التربوية ، وتشغيل بعض العاملين لديها بدون أجر ، وعليه فلا تستطيع محاسبته ولا متابعته ولا لومه على تقصير ، ولسان مقاله ما على المحسنين من سبيل.

٨ - انخفاض المكافآت والمرتبات للعاملين في المؤسسة التربوية ، وعدم كفايتها لهم ، مما يجعلهم لا يهتمون بالعمل ، أو يعملون في مجالات أخرى تزاحم عملهم ، وأحيانًا لا تتناسب مع شهاداتهم وخدماتهم ومستوياتهم.

ثانيا: أسباب مشتركة بين المربي والمتربي:

١ - الانشغال في دروب الدنيا ومتاهاتها ، والاهتمام بالأمور غير المهمة ، والتغيير لما كان عليه ، كتبديل السلوك وتغيير النوايا.

٢ - إهمال تزكية النفس ،وترك الأجواء الإيمانية ، والانقطاع عن مجالس الذكر والصالحين النافعة ، واستبدالها بصحبة ذوي الإرادات الضعيفة والهمم الدنيّة.

٣- ترك بعض الفرائض والواجبات ، والوقوع في المعاصي والسيئات ، وخاصة الصغائر ، وهذه تثخن القلب بالجراح.

٤- ضعف التأسيس العلمي والتربوي ، وحصيلته تكاد تكون ضعيفة ، مما أظهرت خللًا كثيرًا ونقصًا كبيرًا أثناء ممارسته لعمله.

٥- طغيان العلم أو الدعوة على التربية ، أو العكس ، ومنه فقد التوازن ، فإما تطرّف وغلو مثل: تحميل النفس ما لا تطيق ، أو تساهل وترخص في بعض القضايا الشرعية المنصوص عليها.

٦- الوقوع في فتنة الزوجة والولد والمال ، وعدم التفطن لخطورة مثل هذه المحبوبات ، حيث تصرفه عن عمله وتربيته.

٧- ضغط البيئة ومن ذلك:

- المجتمع ، فلا يسمع إلا كلمات تُردِي عزمه ، وتوجيهات تُثنِي هَمّه ، فضلًا عن الأذيّة من أبويه أو زوجه أو ولده.
- ضغط الحركات والتيارات والتوجهات في الساحة الدعوية والتربوية ، فتراه يعمل بجد ونشاط ، وفجأة إذا هو يُشَكَّك في منهجه ، ويُنْتَقَد عمله ، وتُبّدع دعوته وتربيتُه ، والنتيجة المؤلمة ترك العمل والانكفاء.

٨- انتشار بعض الأمراض القلبية مثل:

- الإعجاب بالنفس والغرور وحب الظهور ، فتراه مطالبًا غيره بالتوقير والاحترام والطاعة ، مستعصيًا على النصيحة ، ويعظم ذلك الداء حين يكون علمًا بارزًا ، فيرى نفسه في مكان أفضل من غيره ، ويتصدر في كل شيء وما درى أن ذلك قاتله.

- الغيرة من الآخرين ، فيرى أقرانه متفاوتون في القدرات والمؤهلات الشخصية والنفسية والعصبية والفكرية والعلمية والتربوية والدعوية ، بعضهم مبدع ، وآخر مرموق ، وآخر ذكي ، وآخر على علم ، وهكذا، وهو لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء ، فيعمد إلى أن يتسلق ويدخل البيوت من غير أبوابها ، والنتيجة إما أن ينتقم بالقول أو الفعل ، وإما أن يقدح في غيره.
- التنصل من المسئولية ، وإلقاء اللائمة والتبعية على غيره ، خلف ستارٍ كثيف من المبررات.

ثالثا: أسباب خاصة بالمربي:

١ - توقف المربي عن الأخذ والتلقي ، وبفعله هذا يبتعد عن الارتقاء والتطور الذاتي ، والنتيجة فقدان الجِدَّة والإبداع.

٢ - عدم حضور المربي أو تأخره أو كثرة غيابه مما يترك أثرًا سلبيًا على جودة المتربي ، وإحساسًا لديه بعدم أهميته ، وغالبًا يؤدي ذلك بالمتربي إلى الغياب والانقطاع أو ترك الاستمرار في المحضن التربوي.

٣- توسيع نطاق إشراف المربي المتميز على أكثر من محضن تربوي ، ومن ثم زيادة نطاق المسئولية عليه ، مما ينتج عنه الملل والسآمة ، وعدم إتقانه لمهامه المناطة به ، وعدم قدرته على استيعابها ، وقلة تقديم العطاء ، ويصير الهدف هو الإنجاز فقط.

٤ - إهمال صناعة الطموحات والآمال المباحة أو المشروعة لدى المتربي ، وعدم الاهتمام بترشيدها وتوجيهها إذا وجدت ، وجعلها أكثر عقلانية وواقعية تتناسب مع إمكاناته ومواهبه.

رابعًا: أسباب خاصة بالمتربي:

١ - التلقي السلبي والاستماع الخالي عن التفكير والتقويم والحوار.

٢ - تقليد المتربي لمن يكبره من المربين في جوانب فيها التساهل ، ويرى أن ذلك مبررًا لتساهله.

٣- ظهور التنشئة الراجعة لدى المتربي ، وذلك بتطبيقه ما مورس معه حيال تنشئته على ضعفه وعلاته ، مما ولد لدينا مخرجات أقل فعالية ، وأضعف كفاءةً وأداءً.

العلاج والدور المطلوب:

إن معرفة أسباب ضعف العمل التربوي ، بشتى أشكاله وصوره ، والعمل الجاد على تجنبها ، والحرص على تخطّيها ، من أهم العلاج. ومن العوامل المعينة على نجاح العمل التربوي ، الصبر على مرارة العلاج ، مع المواصلة دون الانقطاع.

وقد يكون العلاج على النحو التالي:

أولًا: القناعة بأهمية العمل التربوي وضرورته.

ثانيًا: وجوب الالتزام بالضوابط الشرعية في المناشط التربوية.

ثالثًا: الدور المطلوب من المؤسسات التربوية.

رابعًا: الدور المطلوب من العلماء.

خامسًا: وصايا للمربين.

أولًا: القناعة بأهمية العمل التربوي وضرورته:

لاشك أن تربية النشء ، هي أساس التغيير ، بل هي الحل الوحيد للإنسان المسلم من أجل سعادته دنيا وأخرى، وما تحققه هذه التربية لا يحققه التعليم ، إذ التربية تعتمد في تحقيق أهدافها على القدوة والسلوك والمثل الحي ، أما التعليم فهو تلقين وتبليغ معلومات.

وحقيقة دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم هي دراسة العلم الإلهي وتعليمه ، K J I H G F E D C B A @ ?) 8 7 (Z Y X W V U T S R Q P O N M L (آل عمران: ٧٩). فهذه تربية القرآن ، وقد أشار الله تعالى إلى أن من أهم وظائف الرسول ص تعليم الناس الكتاب والحكمة وتزكية الناس أي تنمية نفوسهم وتطهيرها ، بقوله M L K J I H G F E D) 8 N O Q R S T) (البقرة: ١٢٩).

وقد بلغ من شرف مهنة التربية أن جعلها الله - تعالى من جملة المهمات التي كلف بها رسوله ص، 7 8 (´ µ ¶ ¸ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)(آل عمران: ١٦٤).

وقد أشارت الآية إلى أن المربي له وظائف ، أهمها:

١ - **التزكية**: أي التنمية ، والتطهير ، والسمو بالنفس إلى بارئها ، وإبعادها عن الشر ، والمحافظة على فطرتها.

٢ - **التعليم**: أي نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم.

فالتربية ضرورة مُلحّة لا تستغني عنها المجتمعات، وبها تستقيم أمور الناس وأحوالهم ، وتصلح أخلاقهم ، بل هي الوسيلة لنقل الأحكام الشرعية من الحيّز النظري إلى العمل والتطبيق.

والتربية واجب الأب والشيخ والمعلم والأستاذ ، وواجب كل من ولاّه الله لأ مسئولية أحد من الناس وواجب على مستوى الأمّة جمعاء ، وقد بلغ اهتمام معظم دول العالم في السنوات الأخيرة بالتربية مبلغًا مما جعلها تسمي مؤسساتها ووزاراتها المهتمة

بشؤون التعليم ، بالتربية بدلًا من التعليم ، وبعضهم قَرَنَ التربية بالتعليم ، حرصًا منهم على أهمية التربية ، وعلى أن التعليم جزء من التربية ، والتربية أعمّ وأشمل.

والملاحظ لبعض مناهج التعليم يجد أنها لا تهتم بالتربية ، والأجيال تتخرج وتنقصها التربية ، وهذه حقيقة أدركها سلفنا الصالح إذ كانوا يسمّون معلم الأولاد: المؤدِّب والمربي ، ويحرصون على أن يتحلى أولادهم برونق العلم من حسن السمت والهدي الصالح من دوام السكينة ، والوقار والخشوع والتواضع ولزوم المحجة بعمارة الظاهر والباطن والتخلي عن نواقضها.

فيجب تربية النشء على الأخلاق الحسنة ، فهي ملازمة لتعلم العلم ، لا تنفك عنه ، فإذا أخفق البيت في تربيته ، أو أهمل الشيخ ذلك ، أولم تهتم به المدارس النظامية ، فلا مناص من القيـام بهذا الواجب عبر الوسائل الممكنة ، وفق برامج تربوية هادفة نافعة ، عبر المحاضن التربوية.

ومتى تُرِك الأدب وأهمل تربية الناس على الأخلاق الحميدة ، وأخْذِهِم بما ينفعهم ، صار تعلمهم كما قيل: « علم بلا أدب ، كنار بلا حطب ، وأدب بلا علم ، كروح بلا جسم».

فلا بد من العمل التربوي المنظم المخَطّط له ، حتى يؤتي العلم ثمرته ، وتؤتي التربية ثمارها ، ونصنع جيلًا متعلمًا متربيًا ، ومن الأهمية بمكان أن يكون القائمون على برامج العمل التربوي وآلياته وأساليبه ومتابعته ، العلماء والدعاة وطلاب العلم ، كل بحسبه ، ولا يخلو محضن من هؤلاء أو بعضهم، ويكونوا قدوات مربون ، صالحون مصلحون ، أقوالهم وأفعالهم تحدث في نفس السامع والناظر والمتردد والزائر آثارًا قد لا يحدثها قراءة ألف كتاب.

ومتى اقتصرت الدعوة على العلم وترك التربية أو إهمالها ، فهذا يؤدي إلى آثار سلبية تشبه في مجملها الآثار الناجمة عن فصل القول عن العمل ، ومن جملتها:

١- قصور الرؤية لدى المتربي، وضعف الإبداع والتعامل الحسن مع مختلف المواقف لضعف مساندة بقية الجوانب المختلفة الأخرى في الشخصية للجانب الذهني.

٢- بقاء بعض العلل والأمراض في شخصية المتربي ، نتيجة الخلل في التوازن بين مخاطبة كافة جوانبها ، والله لأ يقول(: ; < = > ? @ A B C D E F)(الشعراء: ٨٨ – ٨٩). والمرض إذا طال بقاؤه استفحل وصعب علاجه.

٣- القابلية لاكتساب المزيد من الأمراض في الجوانب القلبية والسلوكية ، نتيجة ضعف التحصين بالتربية والتهذيب العمليين.

وفي الصورة المقابلة: فإن الاهتمام بالكيف ، أو بالجانب التربوي فقط ، وإهمال الكم ، أو المادة العلمية ، أو غض الطرف عن تثبيتها في أذهان الطلاب ، له مثالب عديدة، منها:

١- تخريج نماذج حسنة السلوك، ضعيفة الثقة في النفس، لا يقوم سلوكها على أساس راسخ من العلم، وقد قيل: « فاقد الشيء لا يعطيه ».

٢- سريان هذا الضعف إلى الأجيال القادمة ، مما يؤثر سلبًا على المجتمع بأكمله ، وقد يؤدي إلى ضياع العلم بفقد أوعيته من الحفاظ والعلماء والمحققين.

فظهر بذلك أن العمل التربوي ضرورة ، والحاجة إليه ماسة ، ومتى اقتنع القائمون على مسيرة العمل التربوي بهذا ، فهذا جزء من العلاج ، حيث تُشمّر السواعد ، وتُسخّر الإمكانات ، وتُوجّه الطاقات ، لتفعيل المحاضن التربوية ، وإبراز

دورها في الساحة الإسلامية ، وسدّ ثُلمة طالما تناشد التربويون إلى رتقها.

ثانيًا: وجوب الالتزام بالضوابط الشرعية في المناشط التربوية:

إن المتأمل في الساحة الإسلامية يرى أن هناك تجاوزات عدة في ميدان العمل التربوي مخالفة للشريعة ، ومن أهم أسباب ذلك:

١ - ضعف العلم الشرعي ، وقلة العناية به ، وتجاوز بعضهم ذلك ، إلى تهميش دوره والتقليل من شأنه.

٢ - الغلو والمبالغة في تعظيم دور المربي وبيان واجباته ، مما يضطر المربي إلى تجاوز الحدود الشرعية لتأدية الدور الذي يعتقد وجوبه عليه.

٣- ضعف الورع ورقة الدين ، مما جعل بعض العاملين في الحقل التربوي يتجرأ على بعض المحرمات ، أو يتهاون في تأدية بعض الواجبات.

٤ - الإغراق في التنظير والأسباب المادية والغفلة عن الإخلاص لله لأ. ولا يعني هذا أن يهمل الدعاة إلى الله الأخذ بهذه الأسباب ، فهي مما لابد منه ، لكن ينبغي ألا ينسينا ذلك استحضار النية والعبادة في هذا العمل.

وإذا تأملنا واقع العمل التربوي قد نجد أن المخالفات كثيرة ، إلا أن هناك صورًا رئيسة تجمعها ، ومنها:

١ - الاعتماد على القواعد الشرعية العامة المجملة ، دون النظر للنصوص الخاصة في المسألة، ومن ذلك: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح) ، والمعنى الإجمالي للقاعدة: (أنه إذا تعارضت المصالح والمفاسد في فعل شيء أو الكَفّ عنه ، فإنه يقدم دفع المفاسد على جلب المصالح ، وبعض المربين يمارس التجسس ، والاستماع لحديث الآخرين دون علمهم ، والاطلاع على ما يخصهم دون إذنهم باسم المصلحة ، والمبدأ الشرعي الأخذ بظواهرهم وعدم التنقيب عما وراء ذلك ، فالمربي عليه أن يحرص على إصلاح القلوب ومخاطبة الباطن

ويدعو لتنقية السرائر ، لكنه بعد ذلك يتعامل مع الظاهر لا مع السرائر ، وبعض المربين يدفعه حماسه إلى التطلع ومحاولة معرفة ما وراء الظاهر ، حرصًا منه على إصلاح المربي ، وهذا داخل في التجسس وتتبع العورات وتلمّس العثرات.

٢- التهاون في اتباع الأحكام الشرعية حِلًا وحُرْمة ، ومن ذلك ما يحدث في بعض مسائل الاجتهـاد وضمن وسائل الدعوة والتربية ، فإذا كان الخلاف يسع ، فيرى بعض المربين أن الأمر على مصراعيه دون ضوابط ، فيسلك ما يتناسب معه. وهكذا مسائل الخلاف ، ترى بعض المربين يترخص في الأخذ بالأيسر على الإطلاق.

٣- عدم وضوح قضية الظاهر والباطن:

من القواعد الشرعية أخذ الناس بظواهرهم وعدم التنقيب عما وراء ذلك ، وتدعو الشفقة والحرص والعناية المربي إلى التطلع ومحاولة معرفة ما وراء الظاهر ، والدافع لذلك كله حسن ولا شك ؛ فهو يسعى للتربية والإصلاح ، ويخشى أن يغتر بالمظاهر ، فيريد قياس نتاج تربيته ، لكن ذلك كله لا يجوز أو يسوغ أن يكون على حساب الضوابط الشرعية.

ومما يعين المربي على الاقتناع بهذا المسلك ، وتجاوز التطلع: علمه أنه غير مكلف شرعًا بسوى ما يظهر له ، إن المربي ينبغي أن يحرص على إصلاح القلوب ومخاطبة الباطن والدعوة لتنقية السرائر ، لكنه بعد ذلك يبقى يتعامل مع الظاهر لا مع السرائر.

٤- إهمال الورع الشرعي الواجب:

فبعض المربين يتوسع في بعض القضايا ، فقد يتحدث عن طالب بما يكرهه ولا حاجة لذلك ، وقد يخوض في أعراض بعض الناس ، ولا مصلحة من ذلك ، فضلًا عن نشرها وتعميمها ، ولا ضرورة تدعو لذلك.

ومن صور ذلك:

التوسع في الوقوع في الأعراض ، فقد تدعو طبيعة العمل التربوي إلى الحديث عن قضايا خاصة للمتربين وانتقادهم ، وقد يتحدث بعض الأساتذة عن طالب معين بما يكرهه ، والأصل في ذلك كله هو المنع والتحريم إذ هو داخل تحت النصوص التي تحرم الغيبة وتشدد فيها ، بل تجعل حرمة أعراض المسلمين كحرمة الشهر الحرام والبلد الحرام إلا ما كان له حاجة ومصلحة شرعية واضحة.

ومن أخطر هذه الأبواب ما يتعلق بقضايا الأعراض ، إذ قد يصارح تلميذ أستاذه ومربيه بمشكلة تتعلق بهذا الباب فيتجرأ هذا المربي على الحديث عنها لغيره بما لا ضرورة له ، ولا يسوغ أن تكون المحاضن التربوية ميدانًا تُلاكُ فيه الأعراض ، وتنتهك فيه الحرمات.

وعند التحدث عن مثل هذه الأخطاء والتجاوزات فيجب أن نعتدل ونتوسط ، فلا يسوغ أن تكون مجالًا للتندر وانتقاص العاملين لله ، أو أن تحول إلى معول هدم للصروح التربوية وسعي إلى القضاء عليها بحجة الانضباط الشرعي. ويجب أن ندرك أيضًا أن الكثير ممن يقع في مثل هذه التجاوزات إنما أُتي من باب الغفلة والذهول عن مراعاتها ، لا من قبل رقة الدين ، بل أكثرهم خير وأتقى لله من كثيرين منا. كما يجب ندرك أيضًا المنجزات الرائعة التي قدمها هؤلاء المربون ، نسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم ، وأن يبارك في جهودهم ، ويكلل أعمالهم بالتأييد والنجاح والتوفيق.

إن العمل التربوي الضخم الذي يمارَس في المحاضن التربوية يجب أن يكون موافقًا للشرع ، ولا يجوز التهاون في هذا أو التغاضي ، لأسباب عدة منها:

١ - أن التربية عمل شرعي ، وعبادة لله لأ ، فلابد لها أن تحاط بسياج الشريعة وتضبط بضوابطها ، وإن سلامة المقصد ، وحسن النية ، ونبل العمل ليست مسوغًا أو مبررًا لتسور السياج الشرعي وتجاوز الضوابط.

٢ - أن التربية شأنها شأن سائر الوظائف الشرعية الأخرى (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الحكم بين الناس ، الجهاد...) ، وهذه الوظائف لا يجادل مجادل أنها لابد أن تضبط بالضوابط الشرعية.

٣- أن التربية تعتمد على القدوة والعمل ، والمربي عليه أن يربي الناس بفعله قبل قوله ، وإذا خالف قولُه فِعلَه ، واستهان بحدود الله رَبّى مَن وراءه على الاستهانة بالضوابط الشرعية ، وغرس فيه الجرأة على ارتكاب المحرمات وتجاوز الحدود ، وجعل الفرصة مواتية للطعن فيه وفي تربيته وفي بيئته التي يعمل فيها.

٤ - وكما أن المربي ينظر إليه بعين القدوة ، فهناك عيون أخرى ترقبه وتنظر إليه ، فينظر إليه من الخارج بوصفه واحدًا ممن يعمل للإسلام وعمله يمثل السمت والهدي الشرعي ، وربما ينظر إليه بعين تبحث عن الخطأ وتفرح به ؛ وذلك كله يدعو المربي إلى أن يتقي الله لأ ويتحرى الضوابط الشرعية فيما يأتي ويذر.

٥ - أن التوفيق والنجاح ليس مرده إلى الجهد البشري وحده ، بل إلى توفيق الله - وعونه وتأييده ، ومن أعظم ما يستجلب به توفيقه وتسديده لأ ، رعاية المربي لحرمات الله في قوله وعمله ، فالذين لا يراعون الحرمات ، حَرِيُّون بالبعد عن توفيقه وتأييده- 7 8 (وَمَن يُعَظِّمْ © ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ) (الحج: ٣٠).

ومتى كان العمل التربوي مُعظِّمًا بألا يكون مخالفًا للشرع ، وذلك بترك المحرمات واجتناب المحظورات ، فذلك التعظيم خير من خيراته يُنتفع به ، وهي عِدة بخير ، فالعمل الشرعي النقي موعود بالخيرية ، ومنها جودته ونجاحه ، ومن هنا يظهر جليًا أن الالتزام بالضوابط الشرعية في ميدان العمل التربوي هو السبيل إلى نجاحه وتقويم اعوجاجه ، بل هو لبِنة كبرى في علاج ضعفه ، فلا سبيل إلى خرمه بالمخالفات والمحرمات.

وهاهنا عرض لبعض الضوابط الشرعية في العمل التربوي ، وهي كثيرة ومن أهمها:

١ - **وجوب اتباع الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع** ؛ إذ هي مبنى دين المسلمين ، وهي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ، ليس لأحد خروج عنها ولا منازعة فيها. وهذا هو الذي يميز أهل السنة من أهل البدعة ، إن العمل بهذه الأصول يُحقّق الاستقامة على المنهج ، ويكفل بقاء العمل التربوي على الجادة ، وانتساب أصحابه إلى أهل السنة والجماعة ، ويقيهم من الوقوع فيما وقعت فيه الفرق الضالة المتوعَّدَة على لسانه ص لأن شعار هذه الفرق هو مفارقة الكتاب والسنة والإجماع.

والمربون يربون الناس بوسائل وأساليب يتفق الناس عليها ، وكل وسيلة وأسلوب جائز ما لم يرد نص من الكتاب أو السنة بالنهي عنه ، لأن الوسيلة ليست عبادة ، لكنها طريق إلى هدف مقصود. وهذه الوسائل المرغِّبة للمتربين ، تُفعل أحيانًا مع تربية الناس وتوجيههم إلى الكتاب والسنة.

والتربية التي لا تتضمن اتباع الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع في أفرادها ، بل وفي كل من ينتسب إليها ، ويتصل بها من الناس ، مَدْعُوَّةٌ للمراجعة والتدارك الفوري لهذا الخلل ، إذ لا يقبل الله من أحد صرفًا ولا عدلًا ، إلا إذا صح إقراره بالإسلام تصديقًا وانقيادًا وصحت شهادته لله تعالى بالوحدانية، ولمحمد ص بالرسالة ، على الوجه الذي أراده الله في كتابه وبَيَّنَه رسوله ص في سنته.

٢- ضرورة الاهتمام بالتربية والعلم معًا:

والواجب البدء بالعلم ، ثم الاشتغال بالدعوة والتربية ، وقد بوَّب البخاري في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل. 7 8 (فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ à ٱللَّهُ â لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ) (محمد: ١٩).

وإلا فكيف يكون الداعية والمربي دليلًا إلى الشريعة وهو لا يعرف الشريعة ، ومن يهتم بالدعوة والتربية ولا يهتم بالعلم ، فهذا اتجاه خاطئ ويجب تركه.

وطالب العلم يجمع بين العلم والدعوة والتربية ، ولا تَنَافِي بينها ، بل كل طالب علم فإنه يجب عليه أن يكون داعيًا إلى الله لأ ، فالدعوة إلى الله تعالى من ثمرات العلم.

٣- ضرورة مراعاة فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد:

وهو أحد المعالم الأساسية للتربية الراشدة في هذه المرحلة ، وهو من الثوابت المحكمة في هذا الباب ، ذلك لكي يدرك القائمون على أمر هذه التربية ومن انتسب إليها كافة ، من القادة وصناع القرار أو من العامة ، أن الشريعة قد جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وأنها ترجح خير الخَيْرَيْن ، وشر الشَرَّيْن، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما ، وأنه إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما ، فقدَّم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجبًا ، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تاركًا لواجب في الحقيقة ، وإذا اجتمع مُحَرَّمَان لا يمكن ترك أعظمها إلا بفعل أدناها ، ، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرمًا على الحقيقة ، وإن كانت المنازعة في مجرد التسمية ، فهو خلاف يسير لا يضر، ولكن المقصود هو نفي الإثم عن هذا وذاك.

إن إحياء وتجديد المفاهيم علمًا وعملًا ، ضرورة مهمة ، لأنه في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة يكثر هذا التعارض ، وتختلط الحسنات بالسيئات ، وتزدحم المصالح والمفاسد ، وتتلاقى في مناط واحد ، وإذا حدث

هذا الاختلاط وقع الاشتباه والتلازم ، فمن المربين من ينظر إلى الحسنات فيرجح جانبها وإن تضمن سيئات عظيـمة ، ومنهم من ينظـر إلى السيئات فيُرجح الجانب الآخر ، وإن أفضى إلى ترك حسنات عظيمة ، ومن المربين من ينشد التوازن ولكن قد لا يتبين له مقدار المصلحة والمفسدة ، أو يتبين له فلا يجد من يعينه على فعل الحسنات وترك السيئات ، لكون الأهواء قد قارنت الآراء ، ويقع في ذلك من التجاذب والتهارج ما لا يعرف مداه إلا الله لأ.

إن الموازنة بين المصالح والمفاسد هي المدخل إلى فقه هذه المرحلة ، وهي مفتاح الرشد في التعامل مع واقعنا المعاصر بكل علله ومتناقضاته ، وهي السبيل إلى مد جسور التواصل مع مختلف فصائل العمـل التربوي على تفاوت مناهجها في العمل وأساليبها في التغيير. إنها تتضمن الإجابة على كثير من المقالات والأعمال التي تنسب لبعض القادة من العلماء والدعاة والمربين ، وقد تعسر على الفهم ، وتأبى التأويل فيمتهد بهذه القاعدة سبيل إلى حسن تأويلها ، وحملها على أحسن وجوهها ، والتماس العذر لأصحابها ، في إطار من الاستمساك بمقاصد الشريعة.

٤ - حتمية شمول العمل التربوي على مستوى مجموع العمل الإسلامي:

فالتربية يجب أن تكون شاملة ، والبلاغ يجب أن يكون عامًا ومبينا ، وهذا الشمول لا يلزم تحققه في كل تجمع تربوي بعينه ، وإن كان يحسُن ذلك ، لاسيما إذا اتسعت قاعدته وتعددت مجالاته ، ولكنه يلزم أن يتحقق على مستوى العمل الإسلامي كله ، إذ لا يحل للعمل الإسلامي في شعب من الشعوب ، أو في دولة من الدول أن يترخص في إغفال جانب من جوانب الإسلام ، وتعطيله من التربية والبيان.

ثالثًا: الدور المطلوب من المؤسسات التربوية:

- تخصص بعض المؤسسات الخيرية في الجانب التربوي والاهتمام به.
- إصدار الرسائل والكتب الخاصة بالفرص والوسائل التربوية وتجارب

العمل التربوي.

- الاهتمام بإجراء الدراسات والأبحاث حول العوائق التربوية والأساليب والحلول المناسبة للمشاكل التربوية.
- إقامة الدورات الطويلة والقصيرة التأهيلية للعاملين في حقل التربية بمختلف أنواعها.
- استقبال أسئلة واستشارات المربين ، وإيجاد الحلول المناسبة لها.
- الرصد والمتابعة لفنون التربية الحديثة وأساليبها ، والقيام بدراستها ومدى ملاءمتها للعمل التربوي والاستفادة منها ، والعمل على التجديد والمراجعات لكل برنامج نافع مفيد.
- الاهتمام باختيار قيادات تربوية فاعلة مؤهلة ومدربة ، قادرة على إدارة المحاضن مع التوجه نحو الإدارة بالفريق ، والاعتماد على أسلوب تنمية الإبداع وحل المشكلات.
- الاهتمام بتطوير العمل التربوي وتحسينه وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف المأمولة.
- تقديم خطط تربوية تطويرية تواكب متطلبات المستقبل مع المحافظة على ثوابت المجتمع الإسلامي ، تزامنًا مع التطور العلمي ، والانفجار المعرفي الملحوظ.
- منح فريق العمل التربوي المكلف بعمل ما ، الصلاحيات اللازمة التي تمكنه من اتخاذ القرارات المفعلة للعمل ، دون انتظار التعليمات من الجهة العليا.

رابعًا: الدور المطلوب من العلماء:

- ضرورة دخول العلماء في مجالس المؤسسات التربوية لتصحيح مسارها وصَبْغها صبغة شرعية تؤهلها للقيام بدورها ، ولتوثيق للمؤسسة وبرامجها ، وكمرجع للمربين والمتربين.
- قيام العلماء بمراجعة الأهداف والخطط والاستراتيجيات التربوية ، وتأصيلها تأصيلًا شرعيًا صحيحًا ، للعمل بها ، بعد إعدادها وصياغتها من المتخصصين.
- العمل على استخراج النصوص الخاصة بالتربية من الكتاب والسنة وآثار السلف ، والبحث والتنقيب في كتب السلف الأوائل عن موروثهم التربوي ، وتقديمه للمؤسسات التربوية لنشره وتعليمه.
- ضرورة اهتمام العلماء بالمربين في دروسهم ومحاضراتهم ولقاءاتهم وكتاباتهم ، ومن ذلك: الحوار معهم ، ورحابة الصدر في مناقشتهم ، واتخاذ بعضهم صديقًا وعدم إهمالهم.
- العمل الجاد على إعداد نشء متميز في تربيته وتعليمه ودعوته من خلال الدروس وغيرها ، ليكونوا مربين ناضجين.

خامسًا: وصايا للمربين:

- استشعر أيها المربي مسئوليتك أمام الله لأ ، وأن بينك وبين عامة المسلمين فرق ، ولا يغرنك تراجع بعض المربين عن أدائهم أو مبادئهم ، فأنت قدوة لغيرك ، وواجب التربية متعين عليك.
- رَبِّ نفسَك تربية ذاتية ، وتعاهدها بما ينفعها ، وزَكِّها بالطاعات ، ونَقِّها من الذنوب ، ورقّها بطاعة الله - ، وعَلِّها بالعلم النافع والعمل الصالح ، واعلم أن حبّالة الشيطان التي تقعدك عن عملك هي الذنوب وإن صغرت

، فاحذر تسلم.

- اهتمّ بتكميل جوانب النقص في شخصيتك التربوية ، واحرص على تطوير ذاتك وزَوِّدْها بالجديد.
- ليكن شعارك (الجدية طريق الجودة) وعليك بالعزم الصادق في التغيير، واترك الترخص والتساهل والتميّع.
- اعلم أن التربية الناجحة تعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال ، لأن الحق يؤخذ من كل أحد ، والرجل لا تؤمن عليه الفتنة ، فإذا فقدته التربية لأي سبب كان ، استمِرّ أنت على عملك ، وليس الحق دومًا عند رجل لا يتعداه.
- ارسم الأهداف ، وبَيّن الخطط ، وأبرِز الإستراتيجيات التربوية ، مع اهتمامك بالجوانب المهمّة المهملة.
- تذكر دائمًا أن العمل المناسب ، والمكان المناسب ، والزمان المناسب ، هو طريق النجاح ، فاجتهد في تحقيق ذلك.
- احترم رأي المتربي ، ونَمّ فيه روح البحث والإبداع ، واهتم بالاتجاهات والقيم والمهارات ،كما تهتم بالمعلومات.
- اترك الفرصة للمتربي كي يتربّى بنفسه ، راقبه وهو يبحث ويتعلم ، قدّم له الخبرة التي يحتاجها ، وجّهه وصحّح سلوكه ، استكشف المواهب لديه وعززها ونَمّها.
- تواصَلْ مع المتربي ، وزوِّدْه بالتغذية الراجعة عن أدائه.
- لا تُغفل التلقين ، وأكْثِر من التوجيه ، وشاركه موقفه بجدية وفاعلية.
- انبذ التعصب وشدّ آصرة التآخي على أساس الكتاب والسنة على رسم منهاج النبوة ، لا غير ، واعلم أن كل آصرة يتداعى الناس بها دون ذلك ،

فهي عصبية وحمية جاهلية ، فالعلاقة بين المربين من حمد وذم ، وقرب وبعد ، وعداوة وولاية ، ومحبة وبغض ، وتعارف وتهاجر ، لا يجوز عقدها إلا على أساس الكتاب والسنة ، حتى لا تخترق سياج الأخوة الإيمانية بين المربين ، باجتهادات فرعية أو انتماءات حزبية.

إن آفة الآفات وعلة العلل في واقعنا المعاصر ، تتمثل في ربط الولاء والبراء بما هو أخص من أخوة الدين ، من الآراء والاجتهادات الفرعية ، لما يسبّبه ذلك من تشقيق الأمة ، والتغرير باجتماع كلمتها، إن واجبك أيها المربي تجاه إخوانك المربين ، سلامة الصدر واحترام عبوديتهم لله لأ ، وتقدير ما يقومون به من أعمال حسب اجتهاداتهم وطاقاتهم ، من أجل إقامة الدين والتمكين لشريعة الله - ، وإشاعة أجواء التواد والتراحم وخفض الجناح في التعامل مع المؤمنين كافة ، على اختلاف فصائلهم التي ينتمون إليها ، وطرائقهم التي ينتهجونها في السعي لإيجاد عمل تربوي راشد ، والعناية بمهارات الحوار.

وذلك ليتجاوز العمل التربوي عقدة التشرذم ، والتمحور حول الذات وكراهية الآخرين ، وليس لأي مرب أن يسعى لإحباط الجهود التي يبذلها المُربَّون ، ولا يزرع الألغام في طريق المصلحين ، بل يجب عليه بَذْل ما يستطيعه للاجتماع على الخير ، والتعاون مع الغير ، ومن ذلك تنمية القدرة على التعاون والتواصل مع من لا يتفق معه في الرأي والاجتهاد ، وتجاوز النظرة الحزبية. وتنمية القدرة على التعايش مع المخالفين بصورة يتحقق فيها الاعتدال والتوازن بين الصراع والمواجهة غير المجدية ، وبين المجاملة والمداراة على حساب الحق ، إن معالجة هذا الخلل في مناهج التربية وفي واقع المربين أحد معالم الرشد الأساسية في هذا المجال ، وأحد الثوابت المحكمة في كل عمل تربوي معاصر.

- تضافَرْ مع إخوانك المربين في موارد الاجتهاد فإنها بمثابة ما تنوعت فيه شرائع الأنبياء ، وهي كل ما لم يرد فيه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع

صريح ، ومن أصول أهل السنة والجماعة في المسائل الخلافية أنَّ ما كان الخلاف فيه صادرًا عن اجتهاد ، وكان مما يسوغه الاجتهاد ، فإن بعضهم يعذر بعضًا بالخلاف ، ولا يجعلون هذا من الاختلاف الموجب للتفرق والعداوة ، ومن يخالف بمقتضى الدليل ، فالحقيقة أنه لم يخالف ؛ لأن المنهج واحد ، فهم متفقون في الواقع ، لكنهم مختلفون في فهم الدليل ، وما زال الخلاف في الأمة منذ عهد الرسول ص إلى اليوم ، فالإنكار على المخالف في المسائل الاجتهادية لا يسوغ.

ومن ذلك خلاف العلماء في الوسائل والبرامج التربوية ، مثل: هل تنطلق التربية من كتب التراث ، وتكون هي المحور ، أم من الكتب الحديثة التي اقتبست من هذه الكتب ، لسهولة التعامل معها من قبل العامة والمبتدئين؟ هل ينظّم الناس في حلقات وشعب ، أم يُكتفى بلقائهم العام في المسجد؟ ما هي الصيغة التي يجب أن تحكم علاقة العمل التربوي بالمؤسسات الشرعية الرسمية ، هل هي التجنب والاعتزال ، أم التنسيق والتعاون؟ كيف تُنظِّم المؤسسات التربوية علاقتها بأجهزة الحكم المحلية؟ هل هي المفاصلة وإعلان البراءة ، أم الاختراق ومحاولة الاستمالة؟ هل نتعاون مع من يتعاطف مع العمل التربوي في هذه الأجهزة ، ونقوم ببعض البرامج التربوية أو الاجتماعية ، أم أن ذلك يشوش على طبيعة العمل التربوي ويعمق الالتباس؟ هل وسائل التربية وأساليبها توقيفية؟ أم هي جائزة ما لم يكن منهيًا عنها في الكتاب أو السنة.

إن الإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها من موارد الاجتهاد ، ومسائل السياسة الشرعية ، التي تدور في فلك الموازنة بين المصالح والمفاسد ، ولا وجه فيها لتبديع المخالف أو القدح في دينه وعدالته ، ويجب أن ينطلق العمل التربوي فيها بما يقرره أهل الشورى من أهل العلم والخبرة ، وأن يُدرَك أن تفاوت الاجتهادات فيها ، إنما هو من قبيل التفاوت في تقدير المصالح والمفاسد ، وهو جهد بشري لا عصمة فيه لأحد ، ولا

قداسة فيه لاجتهاد دون اجتهاد ، ولا ثبات على اجتهاد فيه إلى الأبد ، بل هو مما تتغير فيه الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال.

وإن من الرشد ألا يُتنازع بسببه ، وأن يفوض النظر فيه إلى أهله ، وأن يُعلم أن خطأ الجماعة في هذه المسائل ، أولَى من صوابه لنفسه ، وأن ما يكره من الطاعة والجماعة خير مما يحب من الفرقة والمعصية ، وأن النزول عن اجتهاده إلى اجتهاد الجماعة فضيلة ومنقبة ، وأن رعاية معنى الاجتماع أولى من رعاية ما يظن رجحانه من هذه الفروع ، فإنه بهذا يرشد المسار، ويُسدل على الفتن الستار!

وينبغي التنبّه إلى المقولة الشائعة « نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه » فكوننا نجتمع فيما اتفقنا فيه هذا حق ، وأما يعذر بعضنا بعضاَ فيما اختلفنا فيه ، فهذا فيه تفصيل ، فما كان الاجتهاد فيه سائغًا فإنه يعذر بعضنا بعضًا فيه ، ولكن لا يجوز أن تختلف القلوب من أجل هذا الخلاف ، وأما إن كان الاجتهاد غير سائغ ، فإننا لا نعذر من خالف فيه ، ويجب عليه أن يخضع للحق.

ولا يجوز للمربين أن يتهاجروا فيما بينهم ، بسبب اختلاف أساليب التربية ، ولكن على كل واحد منهم أن ينتفع بأسلوب الآخر ، إذا كان أجدى وأنفع.

مستقبل العمل التربوي وآفاقه:

لا تزال الأمة الإسلامية بحاجة إلى المربي المتميز ، المنتج ، ذي الكفاءة العالية ، والأداء المتقن ، لأنه الأولى بحمل راية الإصلاح التربوي لأوضاعها المتردية ، ومن ثم ، فهو يفرض نفسه على الآخرين بتميزه وإنتاجه ، ويتصور أنه هو المعول عليه دائمًا في إنجاح الأعمال وإتمامها ، وهو كذلك.

والناظر إلى مخرجات العمل التربوي ، يرى أنه حقق انجازات متميزة ، ومن ذلك:

- تدَيُّن فئام من الشباب والشابات ، والفتيان والفتيات ، وحرصهم على دعوة ذويهم ، وولَعهم بتربية النشء الصاعد.
- إنشاء المؤسسات التربوية ودعمها عبر المؤسسات الدعوية الأخرى.
- شمول العمل التربوي لمناحي الحياة في أغلب مؤسساته وتخصص بعضها ، وبروز الاهتمام بالقضايا التربوية على الساحة الدعوية.
- ظهور الصوت التربوي المتنوع كالكتاب والشريط ونحو ذلك.
- إحياء روح الاحتساب في كثير من مجالات العمل التربوي.
- تقويم بعض المؤسسات التربوية القائمة وإبداء الرأي الناضج حول بعض القضايا التربوية الساخنة.
- إعادة صياغة بعض النظريات التربوية الغربية ، وعرضها من منظور إسلامي، وإبداء الرأي الشرعي حول بعض النظريات التربوية الغربية المحرمة.

هذا، ويُعدّ العمل التربوي من أنجح مجالات العمل الدعوي المعاصر ، إلا أنه لا زال يفتقر إلى رؤية واضحة شاملة حول معناه وأهميته وأهدافه وأدواره وطبيعته ومنهجه وأطره ، وتحتاج إلى مزيد دراسة وبحث ، لأنه يطفو فوق الساحة تباينًا

متفاوتًا ، ورؤى مختلفة، وممارسات تقليدية غير مدروسة ، وخواطر حاضرة خطيرة ، حول بعض القضايا التربوية.

إن الرؤية المؤملة لدفع عجلة العمل التربوي، يجب أن تتسم بقدر من الشمول والتكامل التي ترسم الأطر العامة للمنهج التربوي ، وفق دراسة مستفيضة عميقة ، يجمع لها فحول التربية وعظمائها من كل مصر وقطر.

وتمهيدًا لهذا ، سوف نعرض لبعض التطلّعات المستقبلية المرجوّة ، ومن أهمها:

أولًا: أهمية النظر إلى المستقبل:

إن التطلع إلى المستقبل ضروري للخروج من أية معضلة ، إذ أنه الكوة الصغيرة التي نتنفس منها.

إن التفكير في المستقبل قد يكون هو الوسيلة لتنظيم الاستفادة من الإمكانات الحاضرة وبعض الناس ينظر إلى المستقبل بروح الأمل والرجاء دون أن يحسن من وضعه الحاضر ، فتزداد أحواله سوءًا ، يومًا بعد يوم ، وكأن ما يحصد ، يمكن أن يكون من غير جنس ما يزرع!

علينا أن ندرك أن كل ما نتطلع إليه ونتمناه ، لن يكون كاملًا ما دامت أحوالنا غير كاملة ، وإن المشكلة حين تحدق بالمجتمع كله ، فإن المربين وحدهم ، لا يستطيعون إنجاز الكثير ، ولذا فإن ما ندعو إلى إنجازه في حقل التربية ، لن يتحقق ما لم نحسن من الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فالنهوض الشامل هو الذي سيهيئ الفرص لكل الإمكانات أن تتفتح ، ولكل الأيدي أن تعمل.

ثانيًا: حتمية الدقة في تصوير الأزمة:

إن وجود أزمات وطموحات وتطلعات ، من الأمور الطبيعية في حياة البشر ، لكن المشكلة تكمن في عدم فهم الأزمات على نحو صحيح ، وفي بناء تطلعات كبيرة

على إمكانات هشة غير ملائمة ، وهذا ما يحدث لدينا بكثرة.

إننا كثيرًا ما نرتبك في توصيف موضع المعاناة بدقة ، إننا بحاجة إلى أن نتعلم مهارات توصيف الأزمات وشرحها وتحديدها وبيان ارتباطاتها وتاريخها ، إن كل مشكلة يمكن توصيفها على نحو جيد ، هي مشكلة محلولة جزئيًا ، ولو أنا أحسَنَّا الاستفادة مما بين أيدينا من إمكانات ، لقضي الأمر ، ولكن..

ومما يساعدنا على ذلك أن نقارن بين ما لدينا وبين ما لدى الآخرين ، فالوعي بالذات كثيرًا ما ينبع من الوعي بالآخر.

والمهم دائمًا أن نفرق بين المرض وأعراضه ، فمثلًا الإخفاق التربوي قد يكون سببه سوء طريقة التربية أو سوء المنهج ، والأهم من ذلك ، ألا نضخم المشكلات حتى نرى أنفسنا عاجزين عن عمل أي شيء لها ، وألا نبسطها إلى درجة الشعور بأنه ليس هناك ما يستدعي القلق.

وليس لنا أن نكون تصورات عن مشكلاتنا ، انطلاقًا من أفق محدود أو محيط ضيق ، وإذا رأينا حالات سيئة في محضن تربوي أو بيئة تربوية ، ليس لنا أن نعمم الحكم على جميع المحاضن والبيئات في منطقة أو دولة ، إذ العوامل التي تتحكم في وجود ظاهرة ما كثيرة جدًا ، والوقوف عليها وتقديرها ليس بالأمر اليسير كما يظنه البعض.

والواجب علينا أن نتريّث كثيرًا في إطلاق الأحكام المصورة لمعضلاتنا ، لأن فهم الواقع على نحو دقيق ، شيء نسبي وخاضع لاعتبارات كثيرة ، ولاسيما في ظل شح المعلومات وقلة الدراسات في معظم ما يخص المؤسسات والأنشطة التربوية. وعلينا أن نهيئ أنفسنا لتقبل وجهات نظر عديدة - وأحيانًا فجة - في كل ما يمتّ إلى تصوير الواقع وفهمه.

ثالثًا: المنهج المطلوب في التعامل مع المشكلات:

إذا شعرنا أن هناك معضلة ، فإنه يجب البحث عن حل لها ، وما اخترعه البشر من مناهج وأساليب لفهم المشكلات ، يمر هو الآخر بمعضلة ، وهذا طبيعي ، إذ كل ما يخضع لقواعد وقوانين محددة ، يتعرض لخطورة التصلب والقصور عن أداء مهامه ، إن العقدة في حقل حل المشكلات دائمًا ، هي: العثور على منهج ملائم لطبيعة المشكلة.

إن من سمات النظرية الجيدة والمنهج الجيد ، فتح الطريق أمام العمل والتطوير ، ولا تكون النظرية جيدة إلا إذا كانت منتجة - أي قابلة للدراسة والنقد وتوليد المزيد من البحث العلمي - وعلى هذا ، فليس لنا أن نحمّل الأفكار التي نتوصل إليها من الجزم والقطع ، أكثر مما تتحمله طبيعتها ، واللائق بنا أن نصوغ أحكامنا بأسلوب اجتهادي مرن ، ومنفتح على ما يمكن أن يستجد من خبرات ومفاهيم جديدة ، ومن المهم ونحن نعالج مشكلاتنا التربوية أن نملك القدرة على الانتظار ، والصبر على التصحيح ، إذ المسائل التربوية ذات بعد إنساني عميق ، وكل ما يتصل بالإنسان يتسم بالتعقيد والعناد ، ويحتاج علاجه إلى وقت ، فضلًا عن الاهتمام بالقضية ورحابة الأفق وإعمال الذكاء في التعامل مع أطراف المشكلة ، فهل نفهم ذلك؟

رابعًا: لنَتَحَدَّ الدفق المعلوماتي:

إن الدفق الهائل للمعلومات في عصرنا الحاضر يزداد شدة ، ولا يدري أحد حجم التحديات التي ستنبثق عنه خلال السنوات العشر القادمة ، وهذا التواصل المعلوماتي هو سلاح ذو حدين ، مما يوجب على المؤسسات التربوية أن تركز جهودها ، وتساعد منسوبيها على التعامل مع هذا السيل الجارف من المعلومات بحكمة وفاعلية ، ومن الأمور المتعينة:

- تدريب المتربي على التعامل مع مصادر المعلومات ، كالمراجع والمصادر ودوائر المعارف وبنوك المعلومات وشبكات المعلومات ، مع اعتبار الثورة

الهائلة التي تتفجر اليوم في تخزين المعلومات واسترجاعها نتيجة استخدام الوسائط الضوئية ذات سعة التخزين الهائلة وأسلوب النص الفائق.

- تربية الشباب والناشئة على التعاطي الإيجابي مع الانفتاح ، ومعطيات التقنية ، وتنمية القدرة على التكيف مع الأوضاع التي تفرض نفسها ، وعلى أن تتحول النظرة المتوجسة من الجديد ، أو النظرة التي تختزل الجديد في السلبيات والمشكلات ، إلى الرؤية الإيجابية المتفائلة التي تبحث عن الفرص ، وتسعى للتوظيف الإيجابي للمستجدات ، وليعلم المربي أن كثيرًا من المستجدات ليست من صنعنا ، ولا نملك إقصائها من واقعنا أو رفضها ، ومن ثمَّ فالخيار العملي لنا هو التعاطي معها بإيجابية.
- الاعتناء بالبناء الداخلي للمتربين ، وهو ما يُعرف بـ(بناء العقول) وتكوين عقلية راشدة لدى المتربي ، قادرة على الفهم الموضوعي للأشياء ، وعلى النقد والربط بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبَّب ، وعلى الانتقاء ، واستخراج المغزى الذي تُلمح إليه الأفكار والمعلومات المتداولة ، وتنمية الاتجاه نحو ممارسة التفكير مع القدرة على الحكم على الأخبار الواردة ، وغربلتها وتمييز الغث من الثمين منها ، وتعليم المتربي الدقة في الفهم والتعبير ، ومحاولة تمليكه مهارات التفكير ، ومن ذلك القدرة على رؤية الأشياء بطرق جديدة خارج الطرق المألوفة ، وترويضه على الوضوح والإنصاف والمرونة ، مع ملاحظة جعل خطابنا وحديثنا مُقنعًا مبرِّرًا.

وما لم تفعل المؤسسات ذلك ، فإن كثيرًا من الشباب سيكونون معرضين للغرق في بحار المعلومات والمعارف المتقاطعة والمتضاربة ، والتي تذاع بدوافع مختلفة المشارب ، وتخلو من الدقة والموضوعية كثيرًا ، وليس للمؤسسات التربوية تغييب العقل وتهميشه ، كما يحدث في النمط التقليدي في التربية والتعليم والذي يعتمد على التلقين والعطاء المباشر ، ويتجاهل بناء المهارات العقلية وتنميتها.

- تحصين الشباب من الانزلاق إلى أوحال الثقافة الغربية ، فالتدفق المعلوماتي ، لا ينقل إلينا أسرار التقنية أو التفوق الغربي ، وإنما ينقل مظاهر التفوق الغربي ، كما يشيع بيننا معالم ثقافة أجنبية ومغايرة لثقافتنا ، وهي ثقافة متسقة داخليًا ، وذات جاذبية في أجزاء عديدة منها.
- الاهتمام بتقوية الإرادة ، والقدرة على ضبط النفس وتحمل المسئولية حتى لا يتراجع ويتقهقر المتربي أمام الشهوات أو المؤثرات ، إن المتربي بحاجة إلى نوع من الإحياء الكلي: العقلي والنفسي والإيماني والشعوري ، مع ملاحظة التوازن والانسجام بين هذه الجوانب ، مع محاولة زيادة فاعلية التعلم لدى المتربي ، واستثمار كل طاقاته ، مع المحافظة على كرامته وحريته ، إلى جانب إشاعة روح المشاركة والتعاون بين المتربين ، والتركيز على أن يتحمل المتربي المزيد من المسئولية في تثقيف نفسه وإثراء شخصيته. إن الذي يحتاجه المتربي هو ما يعينه على الصمود والتفوق في حومة (العولمة) من القدرة على التفكير السليم وحل المشاكل ، والإبداع في مواجهة ظروف الحياة الجديدة.

خامسًا: ضرورة إنشاء محاضن المستقبل الذكية:

إن نجاح العمل التربوي يقاس بسرعة استجابة المحاضن وتجاوبها مع المتغيرات الاجتماعية ، والتقنيات من أهم الأهداف والوسائل الإستراتيجية لمحاضن المستقبل ، ومن ذلك (المحضن الإلكتروني) وهو إيجاد موقع إلكتروني يخدم القطاع التربوي مرتبط بشبكة الانترنت ، وتبنى فيه المعلومات على شكل صفحات تربوية متنوعة شاملة لجميع احتياجات المتربي.

إن محاضن المستقبل الذكية لأجيال الغد ، يجب أن تتوافر فيها الكفايات الأساسية الضرورية للتعايش في العالم المعقد الذي نحسن إرهاصاته ، مثل حيازة اللغة المنظمة ، نمو القدرات العقلية ، توسعة فهم الفرد للعالم المحيط به ، مع أهمية تطوير

المهارات المهمة مثل: الكفاية في استعمال اللغة ومهاراتها المتنوعة ، كالقراءة والكتابة والكلام والإصغاء والملاحظة مع تأهيلهم لامتلاك لغة عالمية أخرى ، والتمكن من العمليات العلمية الأساسية ، كالقياس والتخمين والتقدير والعمليات التفاضلية والتمرين على استعمال المبتكرات الرمزية مثل: الحاسب الآلي والأدوات العلمية الأساسية ، وهي أدوات التحليل الرمزي.

سادسًا: أهمية إعادة النظر في المناهج:

إن المناهج من أكثر العناصر التربوية حاجة إلى النظر المتكرر والمراجعة الدائمة ، وأخصها الوسائل والبرامج وطرق التعليم والتوجيه ، وأساليب الحوار ، والبيئة التربوية ، فهي مرتبطة إلى حد كبير بعمليات إعادة التوازن للمجتمع ، وتأهيل المتربين لمعايشة المستجدات في جميع مجالات الحياة ، ولا يشترط أن يكون الجديد أجود من القديم ، بل الفيصل هو التجديد والتطوير ، مع ضرورة الوعي العميق بضرورة البحث العلمي في واقع المناهج السائدة وتحليلها ، والتعرف على أوجه الجمود والقصور فيها.

سابعًا: ضرورة تطوير نظم التربية:

لا يمكن أن نحل مشكلات التربية، وأن نزيد من فاعليتها من غير أن نطور نظمها ، فالسكان في زيادة مستمرة ، والمهارات التي يحتاجها الشباب ، أكثر بكثير مما كان مطلوبًا في السابق ، والتسرب من المحاضن كبير ، ولاسيما في البلاد الأشد فقرًا والأكثر رفاهية ، وهذا كله يتطلب أن يجد الناس أمامهم أطرًا متنوعة ، وبدائل عديدة ، لما هو سائد اليوم من نظم التربية.

إنه من حق كل فتى وفتاة ، أن يجد المؤسسة التربوية التي تقدم ما يحتاجونه من علم ومهارة ، مهما كلف الأمر، فذلك شرط أساس للقضاء على الأمية بأنواعها ، ولنفض غبار التخلف الذي نعاني منه.

إنه من الضروري إعمال المرونة في أوقات دوام المحاضن وأسلوب المناهج التي تقدمها، لتلائم أكثر قدر ممكن.

ويتعين على كل قطر أن يجرب ما تتطلبه أوضاعه الخاصة من تطوير وتجديد في نظمه التربوية ، تلبية للحاجات المعرفية والعملية للشباب والناشئة.

إن جوانب القصور في العمل التربوي، مع ما يعانيه بعض المتربين من الظروف والأحوال الصعبة، تجعلنا نتساءل:

كيف يمكن أن نشبع الحاجات التربوية لأولئك الأشبال والشباب الذين يقعون خارج مسئولية أية وزارة حكومية في البلد، وهم كثر؟ ونتساءل أيضًا:

كيف يمكن تطوير نظم التربية الرسمية ، وتحقيق التعاون بينها وبين التربية غير الرسمية وغير النظامية ، لمعالجة حالات التسرب بين المتربين ، الشائعة والكثيرة في طول العالم الإسلامي وعرضه؟ إنه يتحتم تطوير نظم العمل التربوي ، ومواكبته للعصر الحديث بكل ما نملك.

ثامنًا: تفعيل المشاركة الاجتماعية في العمل التربوي:

إن الضمان الوثيق لنجاح أي مشروع تكمن في تبني المجتمع له ، فلا نجاح لأية خطة ما لم يستطع القائمون عليها إقناع المجتمع بها ليجعلها جزءًا من همومه واهتماماته.

وإن النهوض بالتربية بحاجة ماسّة إلى مساهمة الناس جميعًا وعلى جميع المستويات، وينبغي على (الرأي العام) أن يشدد على المؤسسات التربوية ، ويحملها على تطوير نفسها لما فيه المصلحة العامة ، ومادامت المؤسسات التربوية قد قامت لخدمة أولاد الناس ، فمن حق الناس أن يثمنوا تلك الخدمة ، ويكشفوا عن مواطن الخلل فيها.

وأفكار التطوير ، كثيرًا ما تأتي من جهات بعيدة ، ويحتاج مجال العلاقة بين البيت والمحضن إلى تنظيم وإيجاد آليات لتفعيل التشاور ، وعلى المحاضن أن تسهل سبل الوصول إلى التعاون المثمر من خلال مجالس الآباء ، ولجان أصدقاء التربية ، والزيارات المتبادلة بين المحاضن والبيوت ، ومتى شعر الأهالي أن اقتراحاتهم تؤخذ مأخذ الجد والاهتمام ، جدّوا في المشاركة والتضحية.

نحن بحاجة إلى علاقة شفافة بين المجتمع والمحضن، لتحقيق الطموحات ، وحتى يتعرف المحضن على مستوى أداءه المعرفي والسلوكي والتربوي ، يتحتم مشاركة الأهالي وإبداء آرائهم ، وفق استبيانات وغيرها ، وستكون الفائدة أعظم ، إذا شكلت لجان مشتركة لتحليل تلك الاستبيانات واستخلاص النتائج منها ، ثم اتخاذ القرارات الإصلاحية المناسبة.

إن التربية بحاجة إلى العون المادي من الأهالي ، وإن قرب أولياء أمور المتربين من المسئولين عن المحاضن ، سيمكنهم من إدراك حاجات المحاضن على نحو أفضل ، وهذا سوف يسهل عملية البذل والدعم المادي المطلوب منهم.

إن مشاركة جميع فئات المجتمع في دفع عجلة العمل التربوي إلى الأمام ، ضرورة ملحّة في كل زمان ومكان.

تاسعًا: صناعة المربي والعناية به ، مطلب أساس:

المربي هو الرأس ، إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، إذ يستطيع المربي الناجح أن يغطي سلبيات المناهج ، كما أن المربي الفاشل يستطيع أن يغطي إيجابيات المناهج.

فصناعة المربي ليصنع جيلًا واعيًا صالحًا من ضرورات العمل التربوي ، والاعتناء بالمربين لا يزال دون المستوى المطلوب ، وينبغي أن نعلم أن المتربي لا يتربى على يد المربي من خلال الدروس والتلقين والتلقي فقط ، بل يأخذ عنه أضعاف ذلك ،

من خلال النشاطات والإعجاب الشخصي والمحاكاة ، حتى في اللباس والمشي والكلام.

إن شخصية المربي المؤهل المتّزن ، الشخصية الطيبة القدوة ، الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر ، الداعية إلى الله لأ ، التي تضع مخافة الله - نصب عينيها ، حاملةً هذه الأمانة ، مدركة لآثارها ، عارفةً بصعوباتها ، شخصية نادرة يعز وجودها في بعض الأقطار ، وحاجة العمل التربوي لمثل هذه القدوات والقيادات ، أحوج من مائة موعظة أو توجيه.

الفصل الخامس

صفات ينبغي أن يكون عليها المربي

إن تأمُّل تاريخ الدعوة يخبرنا أن كل من أحدث فتنة أو أثار مشكلة أو تنكَّب طريقًا كان - غالبًا - من الذين لم ينالوا التربية الكافية الراشدة في أوائل أمرهم.

وإذا اعتبرنا أن ركني التربية الأساسيين - من الناحية العملية -: منهج واضح شامل (يمثل الشق النظري) ، ومربٍ كفء (يمثل الشق العملي) ، وأن جوانب الخلل في العملية التربوية إنما تؤول في معظمها إلى الاختلال في هذين الركنين ، فإن حديثًا عن صفات المربي ومؤهلاته يتناول - ولا شك - نصف قضية التربية وجانبًا هامًا من أسباب مشكلاتها ، بل لا نبالغ إذا قلنا: إنه النصف الأهم الذي بدونه يتحول الكلام عن المنهج إلى حبر على ورق.

فمن ثم تبرز أهمية تحرير المواصفات الكاملة لشخصية المربي. وبادئ ذي بدء ينبغي استعراض بعض الملاحظات التحليلية الهامة وصولًا إلى تحديدٍ أمثل لهذه الصفات ، وابتعادًا عن المغالاة أو التساهل.

١ - العوامل المؤثرة على المتربي:

وهي تحدث تغييرات متفاوتة بالسلب والإيجاب في مستواه التربوي في مختلف جوانبه.

أهم هذه العوامل: المجتمع الذي يعيش فيه ، ويخضع لقواعده ونظمه ، وتتحكم فيه أعرافه وتقاليده ، ويؤثر فيه قربه أو بعده عن الإسلام ، وكل ذلك يحتوي - غالبًا - على الكثير من المؤثرات الفاسدة والمعوقات الفاعلة التي تعرقل نموه التربوي أو تؤخره أو تشوهه. وأيضًا هناك الظروف الشخصية مثل: الحالة الأسرية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والعلاقات الاجتماعية والشخصية. وأيضًا هناك المجتمع

المتدين نفسه الذي يحتويه ويرتبط معه بعلاقات الأخوة والدعوة ؛ فله تأثيراته المتفاوتة عليه.

وهذه العوامل - مع اختلافها - يجمعها: أن تأثر شخصية المتربي بها يتسم بالعشوائية فيما صلح منها أو فسد ؛ بحيث لو اعتمدنا نموه وَفْقَها فحسب ، لوجدنا أنفسنا بعد فترة أمام شخصية تجمع متناقضات عديدة.

وهنا يبرز دور المربي الذي يمثل الجهد التربوي الرشيد الذي يُصلح ما فسد ، ويُبقي ويُنَقِّي ما صلح ، ويرتقي بمستوى المتربي بصورة متوازنة بعيدة عن الاختلال والعشوائية.

ولهذا لا يصلح كل أحد أن يكون مربيًا ؛ فللمربي صفات تتناسب مع الدور الذي يقوم به.

٢ - المربي والداعية والقائد:

يخلط الكثيرون بين أدوار الدعوة والتربية والقيادة ، ومن ثَمَّ يخلطون بين الصفات اللازمة للقائم بكلٍ منها. ونحن نريد تحديدًا علميًا لصفات المربي بعيدًا عن مبدأ (كُلُّه خيرٌ) ، وبعيدًا أيضًا عن نموذج الداعية الشامل - المسيطر إلى حد كبير في الأوساط الدعوية - الذي يصلح لأداء جميع الأدوار.

فالمسلم منذ أن يضع قدمه على طريق الدعوة ، ينبغي أن تلزمه صفات ومؤهلات عامة للقيام بهذه المهمة الجليلة مثل: الإخلاص ، والعلم ، والحكمة ، ونحوها ، أما إن أُريد تخصيصه في مجال التربية فلا بد عندها من البحث عن توفر مستويات وصفات إضافية يتطلبها أداء ذلك العمل ، والكلام هنا عن هذه المستويات والصفات الإضافية لا غير.

ويمكن القول: إن القائد هو الذي يتولى إدارة الأفراد وعملهم نحو تحقيق الأهداف الموضوعة ، والمربي هو الذي يتولى إعداد الأفراد وتأهيلهم ليعملوا على تحقيق

تلك الأهداف ، ولقب الداعية يجمعهم وغيرهم من أصناف العاملين في إطار واحد.

ويمكن أن نتلمس ذلك بوضوح في سيرة النبي ص في منهج انتقائه من بين الصحابة لأدوار تربوية أو قيادية ، فهو ص قد رباهم على الإخلاص وعلمهم دينهم بداية ، فكان الرجل منهم لا يألو أن يدعو إلى الإسلام ما استطاع ، ثم كان ينتقي أشخاصًا بعينهم لأدوار تربوية - في المقام الأول - مثل اختياره مصعب بن عمير وإرساله إلى المدينة ، واختياره معاذ بن جبل وإرساله إلى اليمن ، ونعرف أثر كل منهما في المكان الذي أرسل إليه ، ونعرف أيضًا أن الدور التربوي ظل ألصق الأدوار بهما.

فإذا كان الدور يتطلب رجلًا قياديًا - في المقام الأول - كان له رجاله أيضًا ، مثل اختياره عمرو بن العاص وأبا عبيدة بن الجراح ب لقيادة بعض السرايا ، ونعرف أيضًا أن الدور القيادي ظل ألصق الأدوار بهما.

٣ - المربي بين التساهل والمبالغة:

هناك اتجاهان في انتقاء الشخصيات المربية:

الأول: يقوم على المبالغة في تحديد الصفات الخاصة بالمربي ، ولزوم تحققها فيه بمستويات عالية ، فتغلب عليه المثالية في تصور حال المربي ؛ بحيث ينتهي الأمر عند مطابقة هذه المواصفات واقعيًا إلى أنه يكاد ألاَّ يكون هناك تربية ولا مربون ، وإنما هو العبث وسد الخانات ، ثم تبقى هذه المواصفات المثالية طي الأوراق بعيدة عن محاولة تحقيقها اكتفاءً بآهات الحسرة.

الثاني: يقوم على التساهل في صفات المربي ؛ بحيث تتسع الدائرة لتشمل أعدادًا كبيرة لا يمثل الانتقاء معها مشكلة ، ودافع ذلك الاتجاه تغليب احتياجات الدعوة وتبعات انتشارها وانفتاحها دون اعتبار حقيقي لحال المُنتقى.

وكلا الاتجاهين لا يصلح منطلقًا لمعيار معتدل للمربي.

فالاتجاه الأول يتجاهل أن المثاليات تتفرق في نفوس شتى ، ولا تجتمع في نفس واحدة كل المثاليات ، ولا يجتمع أغلبها إلا في نفوس معدودة وإنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ، كما قال النبي ص فعن عَبْدَ الله بْنِ عُمَرَ ب ، قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ الله ص يَقُولُ: « **إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً** » (رواه البخاري ومسلم).

فربْط العمل التربوي بذلك تعطيل له ، وإعاقة لجهود الارتقاء به ، ومدعاة لكل من يعجز عن محاكاة الصورة المثالية أن يتراجع ويترك العمل ، وهذا ما حذرنا منه عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد / إذ لما استَعْمَل على الجزيرة وعلى قضائها وخراجها ميمونَ بن مهران / صعب على ميمون أن يحاكي الوضع المثالي هناك ، فكتب إلى عمر يستعفيه: كلفتني ما لا أطيق. فكتب إليه عمر: « اجْبِ من الخراج الطيب ، واقضِ بما استبان لك ، فإذا التبس عليك أمر فادفعه إليَّ ؛ فإن الناس لو كان إذا كَبُر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا ».

ولذلك ؛ فمهمة الصورة المثالية إذن: العلاج من الانحرافات على ضوئها ، وكذلك هي التي تشجعنا على الصعود أولًا ، ثم على العودة إلى الصعود بعد كل انتكاس ، ومن هنا يلتقي الواقع بالمثال.

أما الاتجاه الثاني الذي يتبنى شعار: (الجُود بالموجود) فيفوته أن اعتبار احتياجات العمل الدعوي مع الإعراض عن كفاءة المربي وصلاحيته خلل في التصور يتبعه خلل في العمل ؛ إذ إن إتاحة الفرصة لغير ذوي الأهلية والكفاية مهلكة لهم ، فوق أنها مضيعة للعمل.

وهنا يأتي السؤال: إذا كان النموذج المثالي استرشاديًا ، والنموذج الواقعي المنفتح لا يصلح للاسترشاد أو البدء به ، فماذا نفعل؟

والجواب: أنه يلزمنا تحديد نموذج معتدل معياري للمربي يتوفر فيه أمران:

الأول: صفات أساسية هي من لوازم عمل المربي تحديدًا.

الثاني: أن تتحقق هذه الصفات في المربي بمستوى معين - يختلف باختلاف الظروف والبيئة الدعوية - يمثل الحد الأدنى الذي يفصل بين اختلال عمل المربي ، وبين عروجه على طريق الرشد التربوي ، وبمعنى آخر يفصل بين النموذج الانفتاحي وبين النموذج المعتدل.

وينبغي ألا تُسند للداعية أي مسئوليات تربوية قبل موافقة حاله لهذا النموذج - وفق حده الأدنى - وإنما يحكم بذلك أهل العلم والخبرة بهذا الأمر ، كما قرر الإمام مالك /: « لا ينبغي للرجل يرى نفسه أهلًا لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه » ، ثم يأتي بعده التفاعل والارتقاء مع الهمة الذاتية واكتساب الخبرة والتمرس في العمل التربوي.

والآن نصل إلى الكلام عن صفات المربي:

الصفات الأساسية للمربي: وهذه الصفات المختارة - والتي هي من مؤهلات الداعية لممارسة العمل التربوي - يمكن تقسيمها وترتيبها - وفق ابتداء تأثيرها - إلى ثلاث مجموعات:

الأولى: مقومات البدء والانطلاق ، (العلم - حسن السمت وتمثل مستوى القدوة - الثقافة والتجربة - العمق الإيماني).

الثانية: مقومات الإتقان ، (وهي مجموعة قدرات نفسية وعملية مهمتها رفع مستوى الأداء التربوي).

الثالثة: مقومات الاستمرار ، (الصبر على.... و..... و.....).

أولًا: مقومات البدء والانطلاق:

الصفة الأولى: العلم: ويهمنا في تحلي المربي بهذه الصفة لا مجرد حفظ واستظهار مجموعة من الكتب - وإن كثرت - بل تحقُّق أمور بعينها تمثل ما نقصده من وصف

المربي بالعلم ، وهي:

١ - **المنهجية في تحصيل العلم**: وطبيعة عمل المربي وإن كانت لا تسمح له بالاستغراق في طلب العلم وبلوغ الغاية فيه ، إلا أنه ينبغي أن يحرص على تعويض ذلك بأمرين:

الأول: الشمول والتوازن في طلب العلم: وذلك بأن يحرص أن يكون له في كل مجال طلب ، وفي كل علم قدم ، ويأخذ من كل باب بقدر أهميته في مجال عمله التربوي ، فيتجنب أن يكون هناك علوم لا يعلم عنها شيئًا البتة ، أو أن يتعمق في مجال ما على حساب تسطيح مجالات أخرى ، وضابطه في ذلك درجة تعلُّق ما يُحصِّل بما يعمل.

الثاني: الضبط العلمي: ونعني به أن يتقن المربي أمورًا مثل إسناد الأقوال لقائليها أو مواضعها أو مظانها ، وبيان درجة الحديث من الصحة أو الضعف ، وإتقان لفظ النص ، وضبط التواريخ والأسماء ونحو ذلك ، وقبيح بالمربي أن تكثر على لسانه عبارات مثل: أظن أن قائله فلان ، أو أظنه صحيحًا ، أو ما معناه ، ونحوه... فإنه إن كان (نصف العلم: لا أدري) ، فـ (نصف الجهل: يُقال ، وأظن).

واتصاف المربي بالضبط العلمي يعطي له سمت أهل العلم ولو كان قليل العلم نسبيًا ، في حين أن اتصافه بعدم الضبط العلمي يفقده هذا السمت وإن كان كثير القراءات متشعب الاهتمامات العلمية.

وقد كان السلف ي يهتمون بضبط علمهم اهتمامًا شديدًا ، فيكفي أن نتأمل في علوم الرواية لنرى مصطلحات كثيرة على شاكلة: الإملاء ، العرض ، المقابلة ، وكلها تدور حول تحقيق الضبط العلمي لما يقولون ويكتبون.

كما أن عدم الضبط يعني كثرة الخطأ ، أي: تلقين المتربين معلومات أو أفكارًا خاطئة يحملونها ، وقد لا يكتشفون خطأها إلا بعد فترات طويلة ؛ بل قد ينقلونها إلى غيرهم على ما هي عليه مما يعني توارث الأخطاء. أسند الخطيب عن الرحبي قال:

سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحَّان ، فكتب عن اللحَّان لحَّانٌ آخر ، فكتب عن اللحَّان لحَّان آخر ، صار الحديث بالفارسية.

٢ - التفرقة بين تحصيل العلم للاستظهار والامتحان ، وبين تحصيله لتبليغه وتربية الناس عليه: فطالب العلم في الحالة الأولى يهتم أساسًا بحفظ الألفاظ وضبط الاختلافات ، ويغيب عنه الكثير من المعاني والدلالات التي تحملها الألفاظ وتدعو إليها ؛ بينما طالبه في الحال الثانية بغيته المُقَدَّمة تلك الدلالات ، وليس أقوى في تمثُّل الحال الثانية من اتباع طريقة السلف في حفظ العلم عن طريق العمل به ؛ فذلك مما يفتح على طالبه بابًا عظيمًا من فوائد العلم إن عَلم فعمل ؛ فقد روي عن السلف أنهم كانوا يقولون: « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ».

٣- التوازن بين مذاكرة العلم واستمرار البناء العلمي وبين العطاء التربوي. فإذا كنا نشترط للمربي صفة العلم ، فإن اتصافه بذلك مقترن باستمراره في المراجعة والطلب ، فإذا توقف كان إلى الجهل أقرب. قال سعيد بن جبير /: « لا يزال الرجل عـالـمًا ما تعلَّم ، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون ».

والذي يحتج بأن العمل التربوي لا يتيح له استمرار التعلم يغفل عن أن عمله ذلك لن يستمر إلا لمدة ثم لا يجد ما يعطيه ؛ ففعله كفعل صاحب الحديث الذي يتشاغل عن مراجعته وطلبه بالتحديث ببعضه ؛ فهو كما قال عبـد الرحمـن بن مهـدي: « إنما مثل صاحب الحديث مثل السمسار: إذا غاب عن السوق خمسة أيام ذهب عنه أسعار ما في السوق ».

فلا يلبث إلا وقد نضب ما لديه من العلم ، ثم يصل بعدها إلى مرحلة التحضير بالقطعة أو بالطلب ، ثم إلى مرحلة الإعادة والتكرار ، وقد يشعر المتربي بأن مربيه قد فرغ جرابه ، مع ما في ذلك من أثر سيئ. وكان أهل العلم من السلف يحرصون على إيجاد هذا التوازن بين طلبهم ومذاكرتهم العلم ، وبين تعليمهم إياه ، ويتضـح ذلك جليًا

في قـول ابن مهـدي /: « كان الرجل من أهل العلم إذا لقي من هو فوقه في العلم فهو يوم غنيمته ، سأله وتعلم منه ، وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه وتواضع له ، وإذا لقي من هو مثله في العلم ، ذاكره ودارسه ».

٤ - وضع العلم في إطار من الهيبة والوقار عند إلقائه أو تدريسه:

قال عمر ت: « تعلموا العلم ، وتعلموا له السكينة والوقار ».

فذلك من شأنه أن يجعل للعلم الأثر النفسي ثم العملي اللائق به ، مما يوفر على المربي جهدًا كبيرًا ، ويُقرِّب له التوفيق من عمله. قال أحمد بن سنان: « كان عبد الرحمن بن مهدي لا يُتحدث في مجلسه ، ولا يُبْرى قلم ، ولا يقوم أحد كأنما على رؤوسـهم الطير ، أو كأنهم في صلاة ، فإن تُحُدِّث أو بُري قلم صاح ولبس نعليه ودخل » فما ظنك بأثر العلم الذي يتلقونه (في نفوسهم) وهم على هذه الحال؟ !

وفي المقابل: حين دخل / على الوليد بن يزيد - وهو خليفة - فقال له الوليد: « يا ربيعة ! حدِّثْنا ! » ، قال: « ما أحدِّثُ شيئًا ». فلما خرج من عنده قال: « ألا تعجبون من هذا الذي يقترح عليَّ كما يقترح على المُغنية: حدثنا يا ربيعة ! ».

الصفة الثانية: حسن السمت وتَمَثُّل مستوى القدوة:

عن ابن عباس عن النبي ص قال: « **الهَدْيُ الصَّالِحُ ، والسَّمْتُ الصَّالِحُ ، والاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوّةِ** » (رواه البخاري في (الأدب المفرد ، وحَسَّنه الألباني). فهذا الحديث يبين لنا أن الذي يتحلى بالسمت الصالح والهدي الصالح يُقتدى به ويحاكي بعض صفات النبوة ، وكفى بذلك شرفًا.

والسمت والهَدْي متقاربا المعنى ؛ فالسمت بمعنى الطريقة أو هيئة أهل الخير ، والهدي هو الطريقة أو السيرة ، وهدي الرجل سيرته العامة والخاصة وحاله وأخلاقه.

فهذا يشمل إذن ما يتعلق بحال المسلم من كلام وفعال وتعاملات وملبس وهيئة وحركات وسكنات ونحوه ، ولا يتسع المجال - بالطبع - لاستعراض تفاصيل

ذلك ، ولكن لكل علم مظانه.

والمراد: أن المربي أوْلى الناس بالاتصاف بحسن السمت والهدي والأدب ؛ إذ إنه القدوة الأولى لمن يربيهم ، وقدوة المرء من تسنن واقتدى به ، وإذا كان مجرد المخالطة والاجتماع تفتح مجالًا كبيرًا لتبادل الطباع والأخلاق ؛ إذ الطبع لص - كما يقولون - يسرق من غيره ؛ فكيف بمن يجتمع في حقه أثر المخالطة مع أثر الاحترام والاعتراف بالفضل.

ويكفي لتصور أهمية هذه الصفة بالنسبة للمربي أن نعلم أنه عندما ينزل عن مستوى القدوة الحسنة فيتدنى مستوى فعله عن مستوى كلامه فإنه يكون أشبه بمن يُمسك في إحدى يديه قلمًا ، وفي الأخرى ممحاة ، فكلما كتب كلامًا بيمناه محته يسراه ، ومن لا يستطيع تصحيح أخطاء نفسه فلا يصح له أن يكون قيِّمًا على أخطاء الآخرين يصحح لهم وينقد.

ولبيان موقع القدوة الحسنة من التأثير التربوي يمكن القول:

إن الخطاب التربوي يمكن تجريده إلى ثلاثة أمور:

الأول: الكلام النظري ونعني به: بيان الأمر مع الثواب أو العقاب.

الثاني: حكاية الفعل ونعني به: ذكر مثال عملي لما سبق سواء كان معاصرًا أو تاريخيًا.

الثالث: رؤية الفعل (عمل المربي) ونعني به: التنفيذ العملي الذاتي لما سبق فيما يُستطاع شرعًا وواقعًا.

ولو نظرنا في أثر كل من هذه الثلاثة - منفردًا - في تكوين الدافعية للعمل ، لوجدنا أن ثالثتها (رؤية الفعل) أشد أثرًا وأبقى. فالنفس لديها استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام ؛ ولكنه استعداد مؤقت في الغالب ، ولذلك يلزمه التكرار. وحكاية الفعل وإن كانت تُقرب المسافة أكثر إلا أن أثرها بمفردها لا يكفينا لتحقيق ما نطمح

إليه من رفع المستوى التربوي.

وأما القدوة المنظورة الملموسة فهي التي تعلق المشاعر ، ولا تتركها تهبط إلى القاع وتسكن بلا حراك ، بل سرعان ما تترجمها إلى عمل.

وفي هذا المثال من السيرة بيان ذلك: في صلح الحديبية: أن النبي ص لَـمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ ، قَالَ لِأَصْحَـابِهِ: « **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا** » ، قَالَ عمر: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: « يَا نَبِيَّ الله ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً ، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ » ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا ، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا » (رواه البخاري).

نرى في المثال أن الخطاب النظري أحدث أثرًا في نفوس السامعين إلا أنه لم يترجم إلى عمل ، ولما اقترن الأمر بممارسة الفعل سهل عليهم الامتثال والتنفيذ ؛ فممارسة الفعل إذن هي بمثابة المرحلة الحاسمة والأخـيرة التي تبرز قيمة ما سبقها وأثره ، وتُخرج ما أحدثه من مشاعر نفسية إلى الوجود في صورة عملية ، وبدونها يظل كَمٌّ كبير من مفاهيم الإسلام حبيس النفس في غياهب الإهمال أو النسيان.

ومن الآثار التربوية المفيدة لتمثل المربي مستوى القدوة الحسنة:

١ - توفير الجهد التربوي عن طريق انتقال مفاهيم كثيرة - انتقالًا غير مباشر - بالمحاكاة والتقليد. عن الصَّلت بن بسطام التيمي قال: قال لي أبي: « الزم عبد الملك بن أبجر فتعلَّمْ من تَوَقِّيهِ في الكلام ؛ فما أعلم بالكوفة أشد تحفظًا للسانه منه ».

٢ - تكون حال المربي تلك بمثابة المحفز والمنشط للكثيرين لمحاولة الوصول إليها ، وبذل الجهد في ذلك ؛ فإن النفس كلما اقتربت من الكمال في جانب صارت لها قوة جذب بحسب حالها تشد الناس إليها ؛ فهذا عبد الله ابن عون / من أعلام السلف ،

كانت حاله نموذجًا يُحفز الكثيرين لمحاكاته. عن معاذ قال: « حدثني غير واحد من أصحاب يونس بن عبيد أنه قال: « إني لأعرف رجلًا منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلَمَ له يوم من أيام ابن عون ، فما يقدر عليه » ، وورد مثل ذلك عن كثير من السلف في محاولتهم التأسي بحال ابن عون.

٣- يكون له أثر عام يتعدى من يرتبط بهم من المتربين ارتباطًا مباشرًا ، فينتفع به آخرون بمراقبته أو بمعرفة حاله ، ونحوه فيُسهم ذلك في إيجاد بيئة تربوية راشدة. قال يونس بن عبيد: « كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم يرَ عمله ولم يسمع كلامه ».

٤- اكتساب كلامه وتوجيهاته قوة نفسية مؤثرة بحسب حاله ، ولأن سوء سيرة المربي تُذْهِبُ بركة علمه وتفقده تأثيره كان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشيء ، وقال: « اللهم استر عيب شيخي عني ، ولا تُذهب بركة علمه مني ».

كيف يُكتسب السمت الحسن؟

هناك عدة وسائل لذلك نذكر أهمها:

١- **إصلاح الباطن**: فأدب الظاهر عنوان أدب الباطن ، وقد قال نبي الله ص: « **ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ** » (رواه البخاري ومسلم).

٢- **إعلاء قيمة التأدب وجعله من الأولويات**: وقد كان السلف - رحمهم الله - منهم من ينفق في ذلك جزءًا كبيرًا من عمره ، ويعتبر أنه رابح لا خاسر. قال الحسن /: « إن كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم السنتين » ، ومكث يحيى بن يحيى عامًا كاملًا يأخذ من شمائل مالك / بعد أن فرغ من علمه.

٣- الاطلاع على حكايات العلماء: قال أبو حنيفة: « الحكايات عن العلماء أحب إليَّ من كثير من الفقه ؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم ».

٤- لزوم الصالحين والقدوات الحسنة ومن يُستحْيى منه: فإن معاشرة هؤلاء ومخالطتهم تسهل على النفس الاقتباس عنهم والانضباط بوجودهم. وقد قال أبو الدرداء ت: « من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم ».

٥- التنفيذ الفوري لما يتعلمه: عن الحسن أنه قال: « قد كان الرجل يطلب العلم ، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه ، وهديه ، ولسانه وبصره ، وبره ».

٦- مجاهدة النفس وتعويدها على الخير: قال النبي ص: « **إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ** » (رواه الطبراني والدارقطني وغيرهما ، وحَسَّنه الألباني).

(إِنَّمَا الْعِلْمُ) أَي اكتسابُهِ ، (بِالتَّعَلُّمِ) أَي لَيْسَ الْعلم الْـمُعْتَبر الا الْـمَأْخُوذ عَن الأنبياء وورثتهم بالتعلم مِنْهُم ، (وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) أَي ببعث النَّفس وتنشيطها إِلَيْهِ ، (وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ) أَي وَمن يجْتَهد فِي تَحْصِيل الْخَيْر يُعْطه الله لأ إياه وَمَن جَدَّ وَجَدَ ، (وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ) من الْوِقَايَة.

وكان عبد الله بن مسعود يقول: « تعوَّدوا الخير ، فإنما الخير عادة ».

الصفة الثالثة: الثقافة والتجربة:

وذلك فيما يتعلق مباشرة بالعمل التربوي ، أو ما له تعلق غير مباشر به ، ونبدأ بالثاني ، والمقصود به أمران:

الأول: الثقافة أو التجربة الواقعية المتعلقة بمعرفة أحوال الناس وطبائعهم وصفاتهم.ومصادر هذا النوع من الثقافة والتجربة متنوعة ، يمكن استقاؤها من الأفراد مباشرةً ، كلٌّ بحسب حاله من خلال اغتنام لحظات الحوار العابر ، أو توجيه السؤال والاستفسار مع تقوية ملكة جمع المعلومات الشفوية ، وأيضًا يمكن استقاؤها من

البحوث والدراسات التي تتناول هذه الموضوعات ، وفي الجلوس مع الكبراء في السن وفي الخبرة فائدة لا تُتْرَك.

قال المناوي: « المجربون للأمور المحافظون على تكثير الأجور ، جالسوهم لتقتدوا برأيهم وتهتدوا بهديهم ». وعن أبي جُحيفة ت قال: « كان يقال: « جالس الكبراءَ ، وخالِلِ العلماءَ ، وخالِطِ الحكماء ». وأيضًا يمكن استمداد هذه الثقافة والتجربة من الكثير من مراجع التاريخ القريب أو البعيد.

الثاني: الثقافة العامة ، بمعنى: الاطلاع السريع على العلوم الأساسية الطبيعية أو الإنسانية وأحدث التطورات العامة فيها.

ويمكن جمع الفوائد التي تعود على المربي من هذين المجالين في النقاط الآتية:

١ - معرفة سبل الخير وسبل الشر ، وكيف يُسلك كلٌّ منها.فالمؤمن المُجرب هو الذي يعرف الخير والشر فيكون فطنًا حاذقًا أعرف الناس بالشر وأبعدهم عنه ، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظَنَنْتَه مِن شَرِّ الناس ، فإذا خالَطْتَه وعرفْتَ طوِيَّتَه رأيْتَه مِن أبَرِّ الناس.

٢ - توسيع المدارك وتعميق الأفهام وتنشيط العقول: فهذه الثقافات من شأنها أن تنمي قدرة المربي على التفكير ، وعلى القياس المستقيم ، وربط الأسباب بمسبباتها.

٣ - زيادة قدرة المربي على التحدث والحوار الثنائي أو الجماعي ؛ فالمربي يتعامل مع عقول مختلفة وثقافات متنوعة يحتاج إلى التواصل معها بكفاءة ، والمربي محدود الثقافات أشبه شيء بمذياع الشيوعية القديم ليس فيه إلا محطة واحدة: إما أن تسمعها أو تغلقه ، بينما المربي متنوع الثقافات: متعدد الموجات ؛ فاحتمال غلقه غير وارد.

٤ - فهم ظروف المتربين المختلفة اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا ؛ انطلاقًا من فهمه لأحوال المجتمع الذي يعيشون فيه والتي تمثل الخلفية الدافعة للكثير من أقوالهم وتصرفاتهم.

أما النوع الثاني: - وهي الثقافة والتجربة التربوية - فلا غنى عنها للمربي ؛ فهي التي تصبغه بهذه الصبغة بداية وعن طريقها يتعرف منهج التربية وما يتضمنه من أهداف التربية ووسائلها ومراحلها وأساليبها ومشكلاتها ونحوه ، وهو يتعرف على ذلك بوصفه إما كلامًا نظريًا مجردًا يعرض المفاهيم والمبادئ ، وإما وصفًا أو نقدًا للمحاولات التطبيقية: ظروفها ونتائجها.

ويمكن استمداد تلك الثقافة والتجربة من مصدرين رئيسين:

الأول: الكتب (المصادر المقروءة): وهي مصدر أساس لتلقي المبادئ والمفاهيم التربوية ، وكذا التجارب والخبرات التربوية.

وهنا وقفة وهي: أنه قد يتحرَّج بعضٌ من الاستفادة من الكتب الدعوية الكثيرة التي تنقل خبرات وتجارب العديد من الدعوات والدعاة ، وهذا أمر غير مستقيم ؛ فالحكمة ضالة المؤمن ، ومن العار أن تمنعنا مشاعر التعصب أو أخطاء الآخرين من الاستفادة من تلك التجارب ؛ خاصة أن ذلك لا يعني إعطاءها الصلاحية المطلقة ، بل كلا الأمرين وارد ، ومفيد أن نعرف تجربة الصواب وتجربة الخطأ. قال الإمام أحمد /: « سمعت أن قَلَّ رجل يأخذ كتابًا ينظر فيه إلا استفاد منه شيئًا ».

الثاني: السماع والممارسة: والسماع يعني أن يسعى المربي للاستفادة من تجارب المربين الأقران له والسابقين عليه ، مع إعطاء أهمية خاصة لقدامى المربين.

والممارسة تعني: أن ينتفع المربي من تجربته الذاتية في العمل التربوي ، فيستفيد من أخطائه وإصاباته السابقة فيما يُستجد من أعماله اللاحقة ، وكما قيل: « من التوفيق حفظ التجربة ».

الصفة الرابعة: العمق الإيماني:

ونعني به ذلك النور وتلك الجاذبية التي تصدر عن المؤمن مع صلاح باطنه وقربه من الله لأ فينعكس ذلك على جوارحه وعلى كلامه وأفعاله ، والمربي إن كان

كذلك فهو لإخوانه بمثابة البحر العميق تمخر فيه كبار السفن هادئة مستقرة ، بينما الماء الضحل لا يسلك فيه مركب صغير فضلًا عن كبارها.

وقد كان السلف يهتمون بذلك ويُرجعون كل قصور عن بلوغ الكلام مراميَه في القلوب إلى ضعف القلب الصادر عنه قبل اتهام قلوب السامعين. قال الحسن - وقد سمع متكلمًا يعظ فلم تقع موعظته من قلبه ولم يرقَّ لها -: « يا هذا ! إن بقلبك لشرًا أو بقلبي ». فتحقيق هذا العمق الإيماني إذن لا يكون بالكلام ، أو بالتكلف والتحلي الزائف ، بل ليس له إلا طريق واحد هو الإخلاص لله لأ والتقرب إليه - ؛ فإذا اقترب المربي من ربه اقتربت منه قلوب العباد ، وإن ابتعد عن ربه بعدت عنه القلوب.

ومن أروع المشاهد التربوية الإيمانية التي تصور لنا أثر العمق الإيماني على التربية ، ذلك المشهد الذي رسمه ابن القيم لشيخ الإسلام ابن تيمية O حيث يقول: « وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه ؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة ».

ثانيًا: مقومات الإتقان:

وهي مجموعة القدرات النفسية والعملية الأساسية التي تساعد المربي – عند اكتسابها - على رفع مستوى الأداء التربوي. وهذه القدرات المختارة هي قدرات جامعة للعديد من المهارات والأنماط السلوكية التربوية التي تندرج تحتها وتشكل في مجموعها - وبتفاصيلها - الجهد التربوي للمربي في حالة الرشد.

القدرة الأولى: فهم الشخصية وتحليلها:

وما نحتاجه هنا مما يتعلق بهذه القدرة الإجابة عن سؤالين هامين:

الأول: لماذا (ومتى) نحتاج إلى فهم شخصية المتربي؟ (الدواعي).

الثاني: كيف نفهم شخصية المتربي؟ (وسائل جمع المعلومات).

السؤال الأول: لماذا (ومتى) نحتاج إلى فهم شخصية المتربي؟ (الدواعي).

والإجابة:

١ - **للانتقاء:** وهذا أمر لا عوج فيه ؛ فإن الطاقات محدودة ، فمن ثَمَّ ينبغي اختيار من يصلح لإعطائه مزيدًا من الجهد والتركيز ، وقد كان هذا ديدن سلفنا في اختيار تلاميذهم ومن يحيطون برعايتهم وعنايتهم. يقول الحافظ ابن جماعة: « كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به في حياتهم ومن بعدهم ».

٢ - **لتحديد الميول والإمكانات** ، ومن ثم ما يصلح له من العمل ، والناس متفاوتون في ذلك تفاوتًا قدريًا من عند الله ، وهناك عناصر ثلاثة يتحدد على ضوئها ما يصلح له المتربي من العمل ، فبالإضافة إلى الميول والإمكانات هناك احتياجات العمل الدعوي ؛ والذي يحدث في كثير من الأحيان أن مسار المتربي - في ميدان العمل الإسلامي - يتحدد وفق العنصر الأخير ، والصحيح اعتبار الجميع.

٣ - **لتحديد مستوى أمثل للتعامل يراعي النفسيات والمشاعر والفروق الفردية (القدرات العقلية):** إن توحيد أسلوب التعامل مع كل الشخصيات أمر غير صواب ؛ إذ إنه يفترِض التماثل في النفسيات والعقول وهذا غير متحقق ، بل النفس الواحدة متغيرة ، كما أن العقول أيضًا متفاوتة ، والمربي الذي يتعامل مع مجموعة من المتربين ينبغي عليه أن يراعي ذلك في تعامله معهم ، وأول خطوة في هذا الاتجاه: فَهْمُ هذه النفوس والعقول وتحليلها ، ثم بعدها يحدد أسلوب التعامل مع كلٍّ.

٤ - **لمعرفة التغير في مستوى المتربي التربوي وتقويمه من فترة لأخرى** ؛ وذلك للتأكد من أن العمل التربوي يحقق أهدافه ؛ على أن يتم ذلك وفق معايير موضوعية تقاس عليها المعلومات المتحصلة من تحليل شخصية المتربي ورصدها ومتابعة تطورها ، مع ملاحظة عدم الاقتصار على جوانب محدودة مثل: الجانب العلمي ، الجانب

الفكري ، والغفلة عن بقية الجوانب مثل: المستوى الإيماني ، والأخلاقي ، والحركي.

السؤال الثاني: كيف نفهم شخصية المتربي؟ (وسائل جمع المعلومات):

هناك وسائل كثيرة لذلك من أهمها:

١ - **السؤال والتحري:** لمن يعرفه أو يعلم حاله ؛ فذلك يوفر وقتًا وجهدًا كبيرين على المربي ؛ خاصة لو كان خلفًا لسلف له من المربين عملوا مع الأشخاص أنفسهم ؛ فهنا يتحتم عليه سؤالهم وإلا فهي الفوضى.

وكان من علماء السلف من يتحرى عن تلامذته ليتحقق من حالهم ؛ فعن معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي أنه قال: كان زائدة لا يُحدِّث أحدًا حتى يمتحنه ؛ فإن كان غريبًا قال له: « من أين أنت؟ » ، فإن كان من أهل البلد قال: « لا تعودن إلى هذا المجلس » ، فإن بلغه عنه خيرًا أدناه وحدثه.

٢ - **الكلام والحوار:** فاللسان يعبر عن صاحبه ويبين حاله ، ومهما تحفظ الرجل أظهر لسانه حاله ولو بعد حين ؛ إذ اللسان يغرف من القلب ؛ فهو بحق ترجمان العقل والنفس. وكان بعض الحكماء يسأل تلامذته ويستنطقهم ويشجعهم على السؤال ، فرأى يومًا أحد تلامذته صامتًا ، فقال له: « تكلم حتى أراك ».

٣ - **الاختبارات:** وغالب استخدام هذا الأسلوب للتحقق من مستوى الجوانب المعلوماتية ، ولكن يمكن تفعيله في جوانب أخرى عملية أو نفسية باستخدام صور متطورة منه مثل الاختبارات النفسية - وذلك حسب الظروف - التي من الممكن إجراؤها في قوالب غير مباشرة: كالمسابقات ، والمباريات الثقافية.

٤ - **المواقف المفتعلة ومعرفة رد الفعل:** وقد يكون ذلك بتتبع ردود أفعاله في مواقف سابقة من النوعية التي تظهر مكنونات النفس وجوانب القوة والضعف في الشخصية ، وقد يكون أيضًا بمحاولة الافتعال لبعض المواقف التي تظهر هذه الخبايا. قال أحد الحكماء لابنه: « يا بني ! إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأغضبه قبل ذلك ، فإن

أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره ».

٥ - **الاحتكاك والمعاشرة:** وبهما تتضح جوانب من الشخصية يصعب أن تتضح بغيرهما ، ولتوضيح ذلك نضرب مثالًا: في كل خلاف بين زوجين لو سألت أحدهما لقال لك - غالبًا -: إنه قد اكتشف في شريكه عيوبًا لم يكن يعلمها من قبل ، ولو علمها ما اقترن به ، فلو قارنت بين ذلك وبين حالهما في بداية الزواج لوجدت أنهما لم يتزوجا بداية إلا وقد اقتنع كل منهما بالآخر ورضي به بعد سؤال وتمحيص ، فما الذي طرأ؟ إنها معرفة الاحتكاك والمعاشرة.

٦- **الفراسة:** ونعني بها أن يدرب المربي نفسه على معرفة خبايا النفوس ومشاعرها من خلال قسمات الوجه والسمت العام.

قال عثمان بن إبراهيم الجمحي وهو من فضلاء التابعين -: « إني أعرف في العين إذا أنكرت ، وإذا عرفت ، وإذا هي لم تعرف ولم تنكر: إذا عرفت تَحُوص - أي تضيق - وتعود لطبيعتها لارتياحها بالفهم بعد تحملقها للإنكار والاستفهام - وإذا أنكرت تجحظ - أي تبرز وتقسو ، وإذا لم تعرف ولم تنكر تسجو - أي تسكن - ».

وجلس بعض العلماء يحرر يومًا في مشكلة ، والطلبة به محدقون ، فقال لهم: « فهمتم؟ » ، قالوا: « نعم » ، قال: « لا ، لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم ».

القدرة الثانية: الإقناع:

الإقناع: نقل حالة القبول أو الرفض لأمر ما من شخص لآخر ، ويكون بالكلام أو الفعل ، والأول أغلب. والمربي يحتاج هذه القدرة إلى درجة كبيرة ؛ فهو يحتاج دومًا إلى تعديل وتغيير قناعات المتربين.

وهذه بعض وسائل الإقناع:

١ - **استحضار الأفكار وترتيبها:** فالقول دون تفكير سمة الجهال والفوضويين. قال المنصور لبعض ولده: « خذ عني اثنتين: لا تقل من غير تفكير ، ولا تعمل من غير

تدبير ». وينبغي في هذه الخطوة تجنب التفكير الأحادي الذي يجعل المتحاور سجين فكرة واحدة دون النظر لمنظومة الأفكار الأخرى.

٢ - **حسن العرض للحجة**: فالعبرة ليست بحشد الكلمات والألفاظ وسكب الأفكار في ذهن المتربي.

٣ - **نقض الدوافع أو إثارتها**: وهناك فرق بين محاولة إقناع المتربي باعتبار ظاهر فعله وكلامه وبين إقناعه بالنظر إلى دوافعه ؛ فالتعامل معه في الثانية أشد أثرًا وعمقًا ، ولنا في رسول الله ص أسوة حسنة ؛ ففي محاورته مع الشاب الذي جاء يطلب الإذن بالزنا مثال عملي على ذلك.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ت قَالَ: « إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ص فَقَالَ: « يَا رَسُولَ الله ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا » ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: « مَهْ. مَهْ ». فَقَالَ: « **ادْنُهْ** » ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. فَجَلَسَ ، قَالَ: « **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟** » ، قَالَ: « لَا وَالله ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ». قَالَ: « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** ». قَالَ: « **أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟** » ، قَالَ: « لَا وَالله ، يَا رَسُولَ الله ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ » ، قَالَ: « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** ». قَالَ: « **أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** » ، قَالَ: « لَا وَالله ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ** ». قَالَ: « **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟** » ، قَالَ: « لَا وَالله ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ». قَالَ: « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** ». قَالَ: « **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟** » ، قَالَ: « لَا وَالله ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ». قَالَ: « **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ** ». فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ: « **اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** » ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (رواه الإمام أحمد في الـمُسنَد ، وصحح إسناده الألباني والأرنؤوط) ».

٤ - **الجواب الحاضر المفحم**: فهو يغني عن كثير الكلام في أحيان عديدة.

٥ - **التدرج**: وهو قاعدة هامة تندرج في معظم وسائل التربية ، بل هو أصل من الأصول الهامة ، وبعض المربين تأخذه الحماسة فيريد أن ينقل للمتربي كل قناعاته العلمية أو النظرية التي تكونت لديه على مَر الزمن دفعة واحدة ، فلا يجادل ولا يناقش ،

وهذا بالطبع أمر مُتعسر ، ولو كان ذلك كذلك لكان أوْلى به الصحابة ي أفضل هذه الأمة ؛ فعلى الرغم من فضلهم وإيمانهم فقد نزلت عليهم الأحكام مُنجَّمة ؛ بل أحيانًا كان الأمر الواحد يُحرَّم عليهم بالتدريج - كما في الخمر - فما الظن بغيرهم ممن لا يبلغ عشر معشارهم في فضل ولا علم؟

٦ - **نقض الأفكار المضادة:** افتخر أحد خلفاء بني أمية يومًا بقريش فقال: « إن الله حبا قريشًا بثلاث: فقال لنبيه ص: (O P Q) (الشعراء: ٢١٤) ، ونحن عشيرته الأقربون ، و 7 8 (وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ ©) (الزخرف: ٤٤) ، ونحن قومه ، وقال: (! " # $ % & ')(قريش: ١ -٢) ونحن قريش.

فأجابه رجل من الأنصار ، فقال: على رِسْلِكَ ؛ فإن الله تعالى يقول: (¶ ۙ قَوۡمُكَ)(الأنعام: ٦٦) وأنتم قومه ، وقال: (وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ © مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ) (الزخرف:٥٧) ، وأنتم قومه ، و 7 8 (وَقَالَ © يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا) (الفرقان: ٣٠) ، وأنتم قومه ، ثلاثة بثلاثة ولو زِدْتَنا لَزِدْنَاك ».

٧ - **إتقان الصمت والاستماع:** فذلك يعطي المربي فرصة لكشف أفكار المتربي ومنطلقاته ، وكذا فرصة للتفكير والتركيز. ومن المقولات التي يرددها خبراء اللغويات النفسية أننا نفكر بأضعاف السرعة التي نتكلم بها ، ولذلك فإننا حين ننصت تكون عقولنا في سباق ؛ فحسن الاستماع يتخطى مجرد الصمت وهز الرأس ، بل يستلزم قدرات خاصة باستيعاب ما يُقال وتخزينه في الذاكرة بصورة منتظمة لاسترجاعه في الوقت المناسب في الحوار.

٨ - يمكن اعتبار الأساليب الواردة في القدرة التالية من وسائل الإقناع:

القدرة الثالثة: استخدام أساليب غير مباشرة لتبليغ المفاهيم الشرعية الدعوية حتى ترسخ في النفس والواقع:

يشكو بعض المربين من عدم استجابة كثير ممن يربونهم لتوجيهاتهم بدرجة تتناسب مع كثرة تكرار هذه التوجيهات ، وبنظرة فاحصة لأسلوبهم في التربية تجعلنا نكتشف قصور مفهوم التربية لديهم وانحصاره في التلقين والتكرار الحرفي للمفاهيم ؛ واختزالُ التربية في هذه الصورة أشبه بالتعبير عنها بحرف واحد من حروفها ، كما أن التكرار بهذه الصورة قد يُحدث أثرًا عكسيًا يُفقد الكلام جدته وهيبته.

أما توسيع الدائرة واعتماد أساليب غير مباشرة في التربية فله أثر قوي وفاعلية بإذن الله ، كما أنه يجعلنا نجتني فائدة التكرار مع تجنب عيبه ، وأيضًا فهو يتناسب مع كون التربية تحتفي بالبناء الرأسي في العمق قبل البناء الأفقي.

وفيما يلي طائفة من هذه الأساليب - وإن كان المطلوب من المربي أن يبدع ويأتي بالنادر الطريف ولا يكتفي بالنسج على منوال الآخرين:

١ - **استخدام الحكايات:** فلها أثر عجيب في النفس ، ويكفي أن القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية ممتلئان بها ، وقد تعدل حكاية صغيرة في سطرين كلامًا طويلًا في صفحات ، فضلًا عن أنها تفوقه أثرًا وثباتًا في النفس والعقل ، قال البرقي: « الحكايات حبوب تُصطاد بها القلوب ».

٢ - **ضرب المثال:** ويقصد به: ادعاء التماثل الجزئي أو الكلي بين شيئين أو حالين طلبًا لإثبات أو إيضاح أحدهما اعتمادًا على ثبوت أو وضوح الثاني.

فهو يُستخدم إذن في تقريب المعنى وإيضاحه والإقناع به والحث على الفعل ونحو ذلك ، وله في ذلك تأثير عظيم ، وهو أسلوب شائع الاستخدام في الكتاب والسنة. وله صور عديدة: فقد يكون تشبيهًا رمزيًا للبشر وأحوالهم بالنبات أو الحيوان أو الجماد.

وقد يكون هذا المثال الرمزي مُعَايَنًا ، كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: « أَخَذَ النَّبِيُّ ص غُصْنًا فَنَفَضَهُ ، فَلَمْ يَنْتَفِضْ ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ ، قَالَ: « **إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، يَنْفُضْنَ الْخَطَايَا ، كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا** » (رواه البخاري في الأدب المفرد ، وحَسَّنه الألباني).

وقد يكون المثال الرمزي تخيُّليًا ، كقوله 8 (Z [\ [^ _ ` a b c d) (الجمعة: ٥). ومثله: كان الإمام أحمد يقول لبعض أصحابه: « كم يعيش أحدنا: خمسين سنة؟ ستين سنة؟ كأنك بنا قد متْنَا ، ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط ».

وقد يكون المثال تشبيهًا بأحوال البشر وأفعالهم: فيكون افتراضيًا ؛ فعن يعلى بن عبيد قال: سمعت سفيان الثوري يقول: « لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ » ، قلنا: « لا » ، قال: « فإن معكم من يرفع الحديث... » ، يعني إلى الله.

وقد يكون حقيقيًا ؛ فقد قال عبد الواحد بن زيد للحسن البصري وكلاهما من التابعين -: « يا أبا سعيد ! أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب بن أبي صفرة ، إلا أنه عاون بلسانه ورضي بقلبه » ، فقال الحسن: « يا ابن أخي ! كم يد عقرت الناقة؟ » ، قلت: « واحدة » ، قال: أليس قد هلك القوم جميعًا برضاهم وتمالئهم؟ ».

٣- افتعال المواقف: ومَثَلُه حديث جبريل × لما حاكى فعل الغريب السائل الطالب للعلم ، فقدم وجلس وسأل ومضى ؛ فالنظر إلى أثر افتعال هذا الموقف وما ذكر فيه العلماء من الفوائد يُبين أهمية هذه الوسيلة ، وأنه لو كان المطلوب مجرد تلقين المعلومات لأجلسهم النبي ص ، وعرَّف لهم الإسلام والإيمان والإحسان وذكر علامات الساعة وانتهى الأمر.

٤- **الحث على السؤال وفتح المجال له:** ففيه تنشيط للذهن ودفع لتمام الاستيعاب وسد ثغرات الفهم بالسؤال ، قال عكرمة يومًا لتلاميذه يحثهم على السؤال: « ما لكم لا تسألوني؟ أأفْلَسْتُم؟ ».

٥- **التلغيز:** وهو السؤال المحير للفهم المشكل على سامعه ومنه الحديث الذي رواه عبد الله بْن عُمَرَ ب قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ** » ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي ، قَالَ عَبْدُ الله: « وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ » ، ثُمَّ قَالُوا: « حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله » ، قَالَ: « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (رواه البخاري ومسلم).

وفي رواية: قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ص جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: « **إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ؟** ». فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: « هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ الله » ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ ؛ فَسَكَتُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: « **هِيَ النَّخْلَةُ** » (رواه البخاري).

٦- **الكناية عن الأمر بعاقبته:** ومعلوم ما في ذلك من دوام الترهيب أو الترغيب واستحضاره في النفس وتذكره على الدوام ، كما قال النبي ص في غزوة بدر لأصحابه يحثهم على القتال: « **قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ** » (رواه مسلم).

٧- **إذكاء روح التنافس في الخير:** من الثابت في علم النفس أن المنافسة وسيلة فعالة لرفع المستوى وتنمية الموهبة ، وأن انعدامها بين الأفراد من شأنه أن يُبطئ ذلك.

٨- **استخدام الحِيَل:** فقد تستعصي بعض المفاهيم على القبول لدى بعض الأشخاص فلا بأس من استخدام الحيل المشروعة لتحقيق ذلك.

ومن ذلك احتيال عبد الله بن المبارك لكي يغير فكرة الأوزاعي عن أبي حنيفة ؛ فقدم له بعض مؤلفاته من غير أن يكون عليها اسمه الحقيقي ، فلما أعجب بها أخبره بأنها من تأليف أبي حنيفة ، فتغيرت فكرته عنه وصار يُجِلّه.

القدرة الرابعة: الاحتواء النفسي:

وهو أن تنشأ بين المربي والمتربي علاقة نفسية قلبية قوية من الحب في الله ، يكون المربي هو المُوَجِّه فيها بحيث يرتبط المتربي به ارتباطًا نفسيًا يرفع من مستوى قبوله وامتثاله لتوجيهات مُربيه ويُيسر عملية التربية.

ويمكن تلخيص كيفية اتصاف المربي بهذه القدرة في: أن يهتم بالتفعيل القوي لحقوق الأخوة بمعناها الشامل ، مع التركيز على الجوانب ذات التأثير النفسي القوي ، حتى يكون له تواجد مؤثر على خريطة المتربي النفسية - بدون اقتحام فيما لا يعنيه -.

والمربي يلزمه قبل ذلك أن يتحلى بأمور لها تأثير فعال على تحقق هذا الاحتواء النفسي - وإن كانت غير مباشرة - وهذه الأمور مثل: حرصه على أن يتصف بسلامة النية وتجنب المسالك الملتوية في التعامل مع الناس.

يقول ابن حزم: « احرص على أن توصف بسلامة الجانب ، وتحفَّظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك ».

وأيضًا يتصف بحسن معاملة الناس ، فيعاملهم بمكارم الأخلاق ، والإيثار وترك الاستئثار ، والتحلي بالإنصاف وترك الاستنصاف ، وشكر التفضل ، مع التنزه عن الاستعانة بأحد من تلاميذه في مصلحة خاصة به. وقد كان منصور بن المعتمر لا يستعين بأحد يختلف إليه - يعني لطلب العلم - في حاجة.

وبتأمل مسلك السلف في التعامل مع تلاميذهم يتبين لنا أنه كان لهم منهج واضح في مشاركة تلاميذهم مشاكلهم وسعيهم في مساعدتهم ؛ بحيث إن الشيخ كان له تأثير عظيم في نفسية تلميذه وهذه بعض ملامح هذا المنهج:

- كانوا يُظهرون الاهتمام والإقبال على جلسائهم وتلاميذهم.
- الاهتمام بالتعرف عليهم وعلى ظروفهم.
- الحنو عليه والرفق به.

- مساعدته في تذليل الصعاب والتغلب على الظروف المعوقة لطلب العلم.

ثالثًا: مقومات الاستمرار:

وهذه المقومات يجمعها لفظ الصبر ، ويُفَرِّقُها وينوعها مجالاته.

ولأن العمل التربوي هو في مجمله محاولة للتأثير في نفس وسلوك الإنسان فإن ذلك يقترن - ولا بد - بكمٍّ من الصعوبات والمعوقات - تنبعث من تعقد النفس البشرية وتردِّي الظروف المحيطة - تحتاج من المربي أن يعالج نفسه بالصبر ليقدر على مواصلة الجهد - وبالمستوى نفسه إن لم يكن أرقى - وإن من أهم الوسائل التي تُعين المربي على التصبر أن يتذكر دائمًا اقتران الأجر الأوفى بالصبر ، وكذا اقتران النتائج الكبيرة به أيضًا ، كما يتذكر أن الله - قد ذكر على لسان نبيه أن أحب العمل إليه ما استمر عليه صاحبه ولم يقطعه وصبر عليه وإن قلَّ ؛ لأنه بذلك تزداد احتمالات الوصول للأهداف الموضوعة لهذا العمل. قال ص: « **أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** » (رواه البخاري ومسلم). و 7 8 (! " # $ % & '
8 7 6 5 3 2 1 0 / . - , *) (
9 : ; < = < ? @)(الكهف: ٢٨).

وليتأمل المربي في واقعنا العام والعمل الإسلامي على وجه الخصوص ، ليجد هناك ظاهرة فوضوية تشوب الكثير من أعمالنا ، وهي ظاهرة أحجار الأساس ؛ حيث نكتفي في أعمالنا بوضع حجر الأساس ولا بأس بحجر آخر أو حجرين معه - ونعتبر ذلك إنجازًا -.

إنها ظاهرة الأعمال المبتورة التي لا تكتمل ؛ ولو أجرينا إحصاءًا لمرات البدء في الأعمال المختلفة في ميدان العمل الإسلامي ثم أحصينا كم من الأعمال بلغت منتصف الطريق ، ثم تفقدنا الأعمال التي بلغت نهايتها المرجوة أو كادت ، فكم يا تُرى يكون

حجم التفاوت العددي في الحالات الثلاث؟!

فالمربي يحتاج إذن إلى الصبر وإلى مجاهدة النفس عليه في مجالات كثيرة ، أهمها: الصبر على البذل والتضحية. والمربي يحتاج إلى مداومة البذل والصبر عليه ، البذل من وقته وراحته وبيته وماله.والمربي أيضًا يحتاج إلى الصبر على تأخر ثمرة العمل التربوي - نسبيًا - فضلًا عن احتمالات ضياع بعضها أو تلفها. ويحتاج أيضًا إلى الصبر على جفاء بعض الطباع وخشونة التعامل.

الأمر الثاني الذي ينبغي توافره في النموذج المعتدل للمربي ، وهو: أن يكون تحقُق الصفات والمؤهلات السابقة فيه حدّ أدنى لا يتأهل الداعية بالنزول عنه للعمل التربوي.

وهنا ملاحظات غير عابرة:

أولًا: هذا الحد الأدنى يختلف باختلاف الظروف والأحوال ؛ فهو يتغير من بيئة دعوية إلى أخرى ، وحسب تعقُّد العمل وتوفر الكفاءات ، كما أنه يتغير بتغير حجم المسئولية التربوية ؛ فالذي يتولى تربية عدد كبير ليس كمن يعمل مع أشخاص محدودين ، كما أن الذي يربي أشخاصًا حديثي عهد بالدعوة ، ليس كمن يعمل مع دعاة متمرسين.

ثانيًا: لتحقيق قدر من المرونة والواقعية - ونظرًا لضعف عملية التنمية البشرية - قُسمت المقومات وفق ابتداء تأثيرها ، وهذا يعني أن أهمية تحقق كل قسم منها في بداية العمل في شخص المربي متفاوتة ؛ فمقومات البدء لا مفر من تحققها تمامًا - وفق البند السابق - ومقومات الإتقان يمكن التجاوز فيها قليلًا ، على أن يبدأ سد الخلل فيها بعد البدء مباشرة وإلا ظهر أثر ذلك على العمل التربوي. وأما مقومات الاستمرار فيمكن العمل على تنميتها وترسيخها أثناء ممارسة العمل التربوي.

المربي بين التلقائية والإعداد:

ليسوا قليلًا أولئك الذين تميزوا بحسن الأداء التربوي ، وكم رأينا من أب أو أم لا يملك رصيدًا ذا بال من المعرفة والخبرات المنظمة ومع ذلك كانت تربيته مضرب المثل. وفي ميدان التعليم سمعنا كثيرًا عن مربين كان عطاؤهم وتأثيرهم التربوي المتميز لا يقاس بإعدادهم التربوي ، وربما كانوا أقل ممن حولهم في المعرفة التربوية.

ولعل الجدل الذي كان يدار فيما مضى: هل التدريس فن أو علم؟ ومثله: هل الإدارة فن أو علم؟ لعل جزءًا من أسباب ذلك الجدل يمكن تفسيره من خلال هذه الظواهر. وربما قادت هذه الظواهر بعض المهتمين بالشأن التربوي - عمليًا - إلى التقليل من أهمية المعرفة التربوية وإعداد المربين استشهادًا بهذه النماذج.

وفي ميدان إدارة الأعمال الاقتصادية أو الخيرية يحقق من يملكون قدرًا من السمات الشخصية نجاحًا ملموسًا ، لكن كلما تقدم الوقت وتعقدت الحياة زاد ارتباط النجاح بالمعرفة والتدريب على حساب السمات الشخصية. والتربية عمل أكثر تعقيدًا ؛ إذ هي بناء للإنسان ، وتنمية لشخصيته ، في عالم مليء بالمؤثرات والتعقيد.

وفي عصر الانفتاح الهائل الذي يعيشه العالم اليوم ـ ونحن جزء منه ـ هل يمكن أن تتم المراهنة على نجاح التربية من خلال السمات الشخصية للمربين فحسب؟ وماذا لو عاد بعض المربين المتميزين ممن عاشوا قبل عقود قليلة؟ ماذا لو عاد هؤلاء ليربوا أولادهم أو تلامذتهم في هذا العصر؟ هل نتوقع أنهم قادرون على النجاح بمجرد ما يملكونه من تميز شخصي؟ هل يمكن أن يحققوا الإنتاج التربوي نفسه بالأساليب والأدوات التربوية التي كانوا يمارسونها في الماضي؟

مع تقدم الوقت وتعقد الحياة تزداد الحاجة للمعرفة والتعليم والتدريب ، حتى في إطار المهن والحرف التي كانت تُتَلقى من خلال الممارسة الشخصية ؛ فقد غدت بحاجة إلى تدريب منهجي منظم. إن الارتقاء بخبرات المربين وتأهيلهم مطلب يزداد أهمية مع ازدياد تعقُّد الحياة ، ومن ثمَ تعقُّد العملية التربوية.

وهذا يفرض على المهتمين بالشأن التربوي أن يسهموا في تقديم ما يرتقي بالمربين وخبراتهم وأدائهم. ويفرض الاعتناء ببرامج التأهيل والتطوير للمربين ، ويفرض أن يرتقي تناول القضايا التربوية فيتجاوز مجرد التأكيد على أهميتها وخطورة إهمالها ، ويتجاوز مجرد الحديث عن تجارب شخصية وآراء فردية.

يمكن أن نقدم للمربين آراء واقتراحات عديدة ، وربما يجدون فيها ما يفيدهم ويطور بعض ممارساتهم ، لكن هذا لا يغني عن البناء المنهجي العلمي الذي لا يستهدف تحويل الناس إلى مختصين في التربية ، لكنه يوظف التخصص في تطوير معارفهم وأدائهم وخبراتهم.

الفصل السادس

المعايشة التربوية

إن التربية المنتجة عملية صعبة ومستمرة تحتاج إلى معايشة مع المتربين ، والتربية التي تعتمد على لقاء عابر أو جلسة أسبوعية أو مناسبة عامة - فقط - تربية فيها نقص وخلل ، ومن ثَمَّ لا يكون البناء متكاملًا ، فلا نستغرب بعد ذلك من تلك المخرجات المتذبذبة والمتهلهلة التي من أبرز سماتها الالتزام الأجوف. والناظر في سيرة النبي ص يجد أن قضية المعايشة قضية بارزة في حياته ص.

يؤكد هذا المعنى ما رواه عَبْدُ الله بْنُ شَقِيقٍ ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ ل: « هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ص يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ » ، قَالَتْ: « نَعَمْ ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ». (رواه مسلم)[1].

فقد كان ص يتصدى للناس ، ويعايشهم ، ويخالطهم ، يستقبلهم ويودعهم ، ويتحمل أخطاءهم ؛ لذلك حطمه الناس ، وأثَّروا في بدنه ص حتى أصبح يصلي جالسًا ، وأسرع إليه الشيب - بأبي هو وأمي - ص.

ويؤكد هذا المعنى أيضًا حديث أنس ا حيث قال: « إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ص لَيُخَالِطُنَا ، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: « **يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ** » (رواه البخاري ومسلم). والنُّغَيْر تَصْغِير النُّغَر ، وَهُوَ طَائِر صَغِير يُشْبِه الْعُصْفُور.

ويؤيد هذا المعنى أيضًا حديث سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ أنه قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ت: « أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ الله ص؟ » ، قَالَ: « نَعَمْ كَثِيرًا. كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ

---

(١) حَطَمَ فُلَانًا أَهْلُهُ إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا. [(شرح النووي على مسلم (٦/ ١٣)].

فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ » (رواه مسلم).

وها هنا إشارات عابرة تلقي الضوء على هذا المفهوم التربوي المهم.

١ - مفهوم المعايشة:

مفهوم المعايشة هو: أن يُظهِر المربي استعداده لمعايشة المتربين واستقبالهم والجلوس معهم ، وأن يُشعِرَهم بتوفر الوقت والمكان لديه لمعالجة قضاياهم وحل مشكلاتهم ، وتتمثل أيضًا في إظهار أوقات الاستقبال وتحديدها ؛ كالساعات المكتبية ، والساعات المنزلية ، والأيام ، والأوقات المتوفرة للخروج مع المتربين في نشاطاتهم ورحلاتهم ، وزياراتهم ، وتيسير سبل الاتصال به ؛ كالاتصال الشخصي ، والكتابي ، والهاتفي ، ومدى الاستعداد لتذليل وسيلة النقل ؛ كالسيارة ونحوها عند الحاجة.

والخلاصة: أن كل ما يُظهِرُه المربي من استعداد ليكون قريبًا من تلاميذه ؛ لتربيتهم ، والعناية بحاجاتهم ، وحل مشكلاتهم فهو من خاصية المعايشة.

٢ - لماذا المعايشة في العمل التربوي؟

إن من أعظم المسوِّغات والدوافع التي تدفعنا لتحقيق هذا المبدأ في واقعنا التربوي وتطبيقه ثِقَلَ الأمانة المنوطة بعاتق المربين. إن عظيم الموقع الذي تبوأه المربي ، وثقلَ الأمانة التي تحملها تجعله يجتهد غاية الاجتهاد في نصح من يربيهم ، وتوجيههم ، والارتقاء بهم ، كيف لا؟ وهو المعنيُّ بقول الرسول ص: « **مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ** ». (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الألباني ، والأرنؤوط).

إن هذا يدفع كل مربٍّ صادق إلى الاجتهاد فيمن يربيهم ، والنصح لهم ، والسعي الجاد في برهم والإحسان إليهم ، وإن تطبيق هذا المفهوم التربوي في الواقع لهو سبيل لتحقيق تلك الأمور المنشودة.

٣- المربي الأول ص والمعايشة: يقول ص: « **المُؤْمِنُ الذي يُخالِطُ النّاسَ وَيَصْبِرْ عَلى أذاهم أعْظَمُ أجْرًا مِنَ الّذِي لَا يُخالِطُهُمْ ولَا يَصْبِرْ على أذاهُمْ** »(رواه الإمام أحمد في المسند ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصححه الألباني).

لقد كان للنبي ص أوفر الحظ والنصيب من هذا الحديث ، وكان الرائد في هذا المجال ؛ فقد بُعِثَ معلمًا ، يتوفر لطلابه في معظم أحيانه ، فهم يجدونه في المسجد ، فإن لم يكن ففي السوق أو الطريق ، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته ، وكان ص يستقبلهم ويعلمهم ويجيب عن أسئلتهم ، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أو رَدُّهم بل كان يستقبلهم ، ويبتسم لهم دائمًا. فعَنْ جَرِيرِ بنِ عبدِ الله ا قَالَ: « مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ص مُنْذُ أَسْلَمْتُ ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي » (رواه البخاري ومسلم).

وكان ص يعتمد اعتمادًا كبيرًا على هذه الخاصية (المعايشة) في الاتصال بالمدعوين والمتربين ، والتعرف عليهم والتقرب إليهم ، والتأثير فيهم. فهو يعرف أسماءهم ، وبعض خصائصهم ، وأسماء قبائلهم ، وتاريخ تلك القبائل ، وأسماء بلدانهم ، وخصائص تلك البلدان ، ويعرف مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

هذا فيما يتعلق بالأبعدين والمستجدين ، أما أصحابه ممن حوله ، والمقربون منه ، فيعرف كل شيء عنهم تقريبًا ، حاجتَهم واستكفاءَهم ، مرضهم وصحتهم ، سفرهم وإقامتهم ، ويعرف مستوياتهم الإيمانية والعقلية والنفسية ، ويعرف قدراتهم وحظوظهم في المجالات التربوية والقيادية والمالية والحكمية والدعوية ، ويتحدث مع كلٍ بما يناسبه ، ويكلف كلًا منهم وفق خصائصه وقدراته.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ت أَنَّ رَسُولَ الله ص قَالَ: « **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ** » (رواه ابن ماجه ، وصحَّحَه الألباني).

(أَرْحَمُ أُمَّتِي) أَيْ أَكْثَرُهُمْ رَحْمَةً. (وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ الله) أَيْ أَقْوَاهُمْ فِي دِينِ الله. (وَأَفْرَضُهُمْ) أَيْ أَكْثَرُهُمْ عِلْمًا بِالْفَرَائِضِ (أي المواريث). (وَأَقْرَؤُهُمْ) أَيْ أَعْلَمُهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.(وَأَصْدَقهمْ حَيَاء) أَيْ أَكْثَرهمْ حَيَاء. (وَأَقْضَاهُمْ) قِيلَ: هَذِهِ مَنْقَبَة عَظِيمَة لِأَنَّ الْقَضَاء بِالْحَقِّ وَالْفَصْل بَيْنه وَبَيْن الْبَاطِل يَقْتَضِي عِلْمًا كَثِيرًا وَقُوَّة عَظِيمَة فِي النَّفْس.

٤ - فوائد المعايشة:

للمعايشة فوائد كثيرة يجنيها المربي متى ما طبق هذا المفهوم على أرض الواقع ، ولعلنا نشير إلى أهم هذه الفوائد والثمار.

أ- الحصول على الأجر والثواب من عند الله لأ:

يقول ص: « **المُؤْمِنُ الذي يُخالِطُ النّاسَ وَيَصْبِرْ عَلى أذاهم أعْظَمُ أجْرًا مِنَ الّذِي لَا يُخالِطُهُمْ ولَا يَصْبِرْ على أذاهُمْ** »(رواه الإمام أحمد في المسند ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصححه الألباني). فمتى ما استشعر المربي هذا الحديث ، واستشرف لهذا الأجر العظيم كان ذلك دافعًا له لتحقيق هذا المفهوم مع من يربيهم ، فتجده لا يألو جهدًا في معايشة ومخالطة المتربين ، والصبر عليهم في تربيتهم ، والصبر على ما يجده من أذى منهم مقابل ذلك الفضل العظيم.

ب- تهذيب أخلاق المربي: فالمعايشة تهيئ المربي أن يكون قدوة حسنة يُقتَدَى به ، ويؤخذ هذا من قوله ص: « **وَيَصْبِرْ عَلى أذاهم** » ؛ ففي المعايشة نوع من تحسين المربي لذاته ، وتهذيب لخُلُقه وسلوكه خاصةً أنه في مصاف القدوة. إنه لا يكفي أن يكون عند المربي ما يعطيه ؛ بل لا بد أن يكون حَسَنَ العطاء حتى يترك عطاؤه أثرًا في نفس المتربي.

ج - معرفة طاقات المتربين وقدراتهم:

يستطيع المربي من خلال معايشته ومخالطته لمن يربيهم اكتشاف طاقاتهم وقدراتهم ومؤهلاتهم ؛ ومن ثَم يستطيع توجيه هذه الطاقات فيما يناسبها ، ويوجه هذه

القدرات في مظانها ، ويضع الشخص المناسب في المكان المناسب من خلال تلك المؤهلات.

ولهذا شاهد من السيرة ؛ كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ت أَنَّ رَسُـولَ الله ص قَالَ: « **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ ...** » ، وقد مر قبل قليل. وعَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ: « إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ص يَقُولُهُ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: « **اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ** - فَبَدَأَ بِهِ - **وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمِنْ سَالِمٍ ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** » (رواه مسلم).

د- معرفة جوانب الضعف في المتربين ومن ثَمَّ معالجتها:

يجتهد المربي ويسعى في تطوير المتربي والارتقاء به. ومن محاور التطوير والارتقاء معرفة ضعفه ؛ وذلك من أجل تزويده بالعلاجات المناسبة فيتجاوز هذا الضعف ويرتقي. ومخالطة المتربين ومعايشتهم توفر للمربي ذلك كله. ولقد استطاع ص بمعايشته لأصحابه ي معرفة نقاط القوة لديهم ونقاط الضعف أيضًا ، فأثنى على نقاط القوة خيرًا - كما مر - وحذر ونصح وحث في نقاط الضعف من أجل تجاوزها ، وإليك هذا الشاهد:

عَنْ سَـالِمِ بنِ عبـدِ الله بنِ عمرَ ب ، عَنْ أَبِيهِ قَـالَ: كَانَ الرَّجُـلُ فِي حَـيَاةِ النَّبِيِّ ص إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ الله ص فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا ، فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ الله ص ، وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا ، وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ص ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي ، فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: « أَعُـوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ» ، قَالَ: فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: « لَمْ تُرَعْ ». فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ الله ص فَقَالَ: « **نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ** ».

فَكَانَ بَعْدُ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. (رواه البخاري ومسلم).

(مَطْوِيَّة) مَبْنِيَّة الجوانب. (قَرْنَان) جانبان. (لم تُرَعْ) لاخوف عليك.

هـ- التقويم الصحيح للمتربين:

يحتاج المربي في مسيرته التربوية إلى وقفات تقويمية لمن يربيهم ؛ من أجل الارتقاء بهم وإصلاحهم ، ولا يستطيع شخص غير المربي أن يصيب التقييم الصحيح في المتربين ؛ إذ هو أقرب الناس للمتربين من غيره ؛ وذلك بمعايشته لهم ، ومخالطته إياهم ، والقرب منهم. ولهذا شاهِدٌ من السيرة النبوية ؛ فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ص كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ص ، وَكَانَ النَّبِيُّ ص قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: « اللَّهُمَّ العَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: « **لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهِ وَرَسُولَهُ** » (رواه البخاري).

لقد زجر النبي ص الذي سب ولعن حمارًا ا مع أن حمارًا كان يشرب الخمر ، إلا أن النبي ص كان أقرب الناس إليه بمعايشته له ، وكان أعلم بأعمال حمار من غيره ؛ لذا قال ص: « **لاَ تَلْعَنُوهُ ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهِ وَرَسُولَهُ** » ، وهذا يعني أن لحمارٍ محاسنَ وحسنات في الإسلام قد لا يعلمها البعيد عنه ، لا يعلمها إلا من كان معايشًا ومخالطًا له ، وقريبًا منه ، وهذا كان متمثلًا في النبي ص.

و- معرفة الخصائص النفسية للمتربين:

النفوس تختلف وتتباين ، ولكل نفس خصائصها المجبولة عليها ، والمربي الفطن هو الذي يتعرف على خصائص النفوس المتربية ، فيبني عليها ماهية التعامل والأسلوب المناسب لكل نفسية ، ولا يكون ذلك إلا بالمعايشة والمخالطة مع المتربين ؛ إذ يستطيع المربي معرفة تلك الخصائص ، ومن ثَمَّ معرفة الأسلوب المناسب في التعامل مع تلك النفسيات ، ولهذا شاهد من السيرة النبوية ؛ فعن عَمْرو بْن تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ الله ص أُتِيَ بِمَالٍ - أَوْ سَبْيٍ - فَقَسَمَهُ ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللهَ ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: « **أَمَّا بَعْدُ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ ،**

وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ ».

فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللهِ ص حُمْرَ النَّعَمِ » (رواه البخاري).

فتأمل نفاذ نظر الرسول ص في معرفة خصائص أتباعه ، وتربية كل منهم بما يناسب فطرته وميوله ودوافعه الخاصة به. وعلى ذلك فالمربي ملزم بمعرفة أتباعه وخصائصهم النفسية عن قرب ؛ حتى يستطيع التعامل معهم والقيام بتربيتهم على أكمل وجه ، ولا يكون ذلك إلا بمعايشتهم ومخالطتهم.

ز- حل مشاكل المتربين الخاصة والأسرية:

يسعى المربي الناصح في برنامجه التربوي أن يوفر للمتربي الاستقرار النفسي الذي يساعده على الاستجابة ، ومن ثم العطاء والإنتاجية ، ولكن تبقى المشاكل الخاصة أو الأسرية في المتربين عائقًا لهذا الاستقرار. وبإمكان المربي من خلال معايشته ، ومخالطته لمن يربيهم ، وبقربه منهم ، واهتمامه بهم حل تلك المشكلات وتذليلها ، وتجاوز تلك العقبات. ولقد كان ص كذلك معايشًا لأصحابه قريبًا منهم مهتمًا بهم وبحل مشاكلهم ، يسأل عن أحوالهم ، وعما يكدر خواطرهم.

عن أنس بن مالك ت قال: قال رسول الله ص لمعاذ: « **أَلَا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ، قُلْ يَا مُعَاذُ:** « Z Y X m k j h g f e d c b a ` _ ^] \ [q p o n **، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا ، تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ** ». (رواه الطبراني ، وحَسَّنه الألباني).

٥- أثر المعايشة في الاستجابة: معايشة المتربين ومخالطتهم له الأثر الفاعل في استجابتهم ، فبقدر ما يعطي المربي من اهتمام لهذا المفهوم في واقعه التربوي بقدر ما

تكون استجابة المسترشدين له ، والإقبال عليه.

ففي قصة أصحاب الأخدود تروي لنا الأحاديث أن: الغلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، حتى ذاع صيته ، وانتشر خبره ؛ فأقبل الناس عليه أفواجًا ، واستطاع بمعايشته الناس ، والقرب منهم أن يكوِّن رصيدًا مباركًا من حب الناس له والإقبال عليه ، لقد قدم لهم وقته ، وجهده ، وما أعطاه الله من موهبة وطاقة ، وقدموا المهج من أجل الدين الذي أتى به اعتقادًا واستمساكًا. فينبغي للمربي أن يوجه ويذلل طاقاته ، وقدراته التي يمتلكها في سبيل الله ، وأن تكون مفتاحًا لمعايشة الناس ، ودعوتهم بعد ذلك.

ولقد كان لهذه الخاصية (المعايشة) أثر بارز في تفاعل الناس مع الرسول ص ، وإقبالهم عليه ، وتقبلهم منه ، ورغبتهم في العلم والعمل الذي يوجههم إليه عن قناعة ومحبة ، وكان التلاميذ مندمجين بشخصيته ص أيما اندماج ، دونما تبذُّل أو تكلُّف ، مما جعل الناتج التربوي أصيلًا وعميقًا من جهة ، وواسعًا ومنتشرًا من جهة أخرى.

٦ - مساوئ كثرة المعايشة:

هل لكثرة المعايشة سلبيات ومساوئ؟ نعم! إن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، والمعايشة ما لم تخضع لما يضبطها فإنها تصبح نقمة بعد ذلك.

وإليكم بعض هذه المساوئ:

١ - إلْفُ المتربين للمربي ، وإسقاط الكلفة بينهم وبينه ؛ قد تؤدي إلى استنفاد المتربين لما عند المربي من طاقة روحية وذخيرة تربوية ، خاصة إذا وافق ذلك تفريط من المربي في تربية نفسه.

٢ - ربما يتحولون من مرحلة التأثر إلى مرحلة النقد.

٣ - سقوط قضية التوجيه والتربية من يد المربي ، فلا تكن بعد ذلك استجابة من قِبَل المتربين.

٧- ضوابط المعايشة:

يجتهد المربي الناصح في تحقيق هذا المبدأ في واقعه التربوي ويسعى جاهدًا في ذلك ، ولكن ثمة ضوابط تضبط تطبيق هذا المفهوم على أرض الواقع يجدر بنا الوقوف معها وتوضيحها إزاء تطبيق هذا المبدأ التربوي ، حتى يكون المربي على بصيرة من أمره ، وحتى لا يقع في إفراط أو تفريط ، وحتى نحفظ للمربي دوره المنشود في ظل هذه الضوابط:

أ- ألا تؤدي إلى التعلق المذموم بالمربي:

الأصل في العملية التربوية أن الفرد الذي يُدعى يجب أن تتركز الجهود التربوية في تربيته بتوثيق صلته برب العالمين ، وأن تكون صلته القوية بالله لأ وبمنهجه القويم وألاَّ يتعلق بالبشر ، ولكن كثرة المعايشة والمخالطة غير المنضبطة بالمتربين والقرب منهم قد يسبب ذلك التعلق ، لا سيما إن لم تكن لتلك المعايشة أهداف تربوية يسعى المربي لتحقيقها ، واستحضارها في معايشته لمن يربيهم.

فيجب على المربي التفطن لهذا الأمر ، وأن تكون معايشته منضبطة بحيث لا يُكثِر منها ، وأن تكون في حدود المعقول ، وأن تكون مرسومة الأهداف ، مستحضرًا لها في معايشته ، ومتى ما وجد المربي ظهور هذه الظاهرة في أحد المتربين ، فيجب عليه تذكيره بالله - ، وتحذيره من خطورة هذا التعلق ، وربطه بالله ، وبالقدوة المعصوم ص ، وطرق بعض المفاهيم العلاجية كمفهوم الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ، وغيرها من المفاهيم التربوية.

ب- ألا يتغلب جانب التربية الجماعية على التربية الفردية:

التربية تقوم على عنصرين مهمين: الجماعية والفردية ، ومتى اتكأت التربية على أحد العنصرين فهي تسعى لتبني قصرًا في الرمال. ومعايشة المتربين ومخالطتهم والإكثار من ذلك قد يسبب الاتكاء على جانب الجماعية فقط ، فيتربى المتربي على هذا العنصر الجماعي فقط ، والذي يعيش الجانب الجماعي وحده سيبقى سمكة في ماء ما تلبث حين تفارقه أو تخرج منه أن تلفظ أنفاسها ، وحين يعيش الشاب على التربية الجماعية وحدها ، فهو مع ما يحمل من ثغرات كبيرة في شخصيته ما يلبث أن يفقد المتربي إخوانه يومًا ، فيرى نفسه أمام عَالَمٍ لم يعتد عليه. فلم يعتد أن يبقى فارغًا ، ولم يتربَّ على اغتنام وقته والاستفادة منه.

فيجب على المربي التفطُّن لهذا الأمر خلال معايشته المتربين بحيث يكون هناك توازن في تطبيق المعايشة ، وألاّ يكثر منها كثرةً تغلِّب الجماعية على الفردية ، وينبغي عليه أن ينمي في المتربين الشعور بالمسئولية الفردية ، وأهمية التربية الفردية وأنها لا تقل أهمية عن الجماعية ، متى ما شعر أن هناك تفريطًا في هذا الجانب.

ج- ألا تطول بالقدر الذي يؤدي إلى جرأة الشاب على من يربيه ، وزوال الكلفة بينهم ، بحيث تذوب شخصية المربي بين المتربين:

لأنَّ من فوائد المعايشة ومخالطة المتربين ، كسر الحاجز الوهمي بين المربي والمتربين ، ومن ثَمَّ تكون الشفافية والأَرْيَحِيَّة (٢) في التعامل فيما بينهم. ولكن هذا لا يسوِّغ أن تكون المعايشة سبيلًا إلى سقوط الهيبة بين المربي والمتربين ؛ بحيث تصبح القضية أُخُوَّةً خاصةً مجردةً من معاني القيادة والتوجيه والتربية ، فينبغي للمربي التفطن لهذا الأمر ، وأن يكون هناك قدر من التقدير والاحترام والهيبة التي تكون بوابة لمعنى

---

(٢) الأَرْيَحِيَّة: خَصْلةٌ تجعل الإنسانَ يرتاح إلى بذل العطاء والأفعال الحميدة.

القيادة والتوجيه مع المتربين ، وألاَّ تذوب شخصيته بكثرة المعايشة ؛ بحيث تسقط من يده قضية التوجيه والتربية ، فلا تكون بعد ذلك الاستجابة.

د- ألا تؤدي إلى إهمال المربي نفسه في الارتقاء: في خضم معايشة المربي لمن يربيهم ، ومخالطته إياهم ، والسعي الجاد في تقديم النصح والتوجيه الذي يساهم في الارتقاء بهم ، قد ينسى المربي نفسه وأن لها حقًا من الاهتمام والارتقاء بها ، فمتى ما أهمل المربي نفسه في جانب الارتقاء بالنفس فلربما قاده ذلك إلى فقدان رصيده في يوم من الأيام ، حتى يصبح المربي ليس عنده ما يعطي المتربي ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، ومن ثَمَّ يفقد المربي صفة هي من أهم الصفات ؛ وهي صفة العطاء.

فنحن لا نريد أن يكون المربي كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها ، إنما نريده أن يكون كالشمس تضيء للآخرين مع حفاظها على خاصية التوهج في نفسها. فينبغي للمربي التوازن بين معايشة المتربين والارتقاء بهم ، وبين الارتقاء بنفسه ، والتزود بما فيه صلاحها وتزكيتها ، وقربها من الله لأ.

لذلك هناك نوع من العزلة الجزئية ، يُقْصَد من ورائه العزلة للتربية ، حيث يخلو المرء بنفسه - أحيانًا - بقَصْد التعبد ، أو التزود من العلم ، أو محاسبة النفس ، أو نحو ذلك من الأغراض والمقاصد التربوية. وقد كان من صنع الله لنبيه ص أنْ وفقه قبل نزول الوحي عليه لهذا النوع من العزلة ، وحبب إليه الخلاء ، فكان يخلو في غار حراء ، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود بمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء (رواه البخاري).

هـ - البعد عن الدخول في الخصوصيات:

كل الكائنات الحية تحتفظ لنفسها بمجال حيوي تعد اقتحامه نوعًا من العدوان عليها ، ويأتي الإنسان على رأس القائمة. 7 8 (~ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ ©) ، ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من هذه الآية: هو السؤال

عمَّا لا يعني من أحوال الناس ؛ بحيث يؤدي ذلك إلى كشف عوراتهم ، والاطلاع على مساوئهم.

ولعل مع المعايشة قد يغفل المربي عن هذا الضابط ، فيُسَوِّغُ لنفسه السؤال عما لا يعني ، والاطلاع على ما يخص من يربيهم دون إذنهم ، وكل هذه الأمور محرمة شرعًا.

و- ألا يهمل الوَرَعَ الشرعي الواجب:

ومن ذلك ما يتعلق بصحبة ومعايشة الأمرد ؛ فقد يخلُّ المربي بالوَرَع الشرعي في ذلك فيخلو به ، أو يسافر معه وحده ، أو يبيت معه ، أو غير ذلك بمسوغ المعايشة ، وهي أمور قد ينشأ عنها نتائج غير محمودة ؛ لذا شدد السلف الصالح ي في صحبة الأمرد ، والآثار في ذلك كثيرة ، وقد غدت اليوم صحبة المربين لهؤلاء الأحداث ضرورة ملحَّة ، ولا يسوغ أن يُهمَلوا ، أو ينهى المربون عن صحبتهم بحجة الورع ؛ ذلك أن واقع السلف كان يختلف عن واقعنا ، فلم يكن البديل عندهم هو الشارع غير المنضبط أو التجمعات الساقطة مما نشهده اليوم ، بل كانت البيوت ومؤسسات المجتمع التربوية تتكفل بتربية هؤلاء والعناية بهم ، أما الآن فالبديل لصحبة المربين لهؤلاء هو أن يصحبهم شياطين الإنس المفسدين ، والواقع شاهد بأن كثيرًا من هؤلاء حين ابتعدوا عن الميادين الصالحة انزلقوا في طرق الفساد.

ومع القول بالحاجة لصحبة المربين للأحداث تبقى الآثار عن السلف لها قيمتها واحترامها ، فعلى المربي أن يراعي ضوابط مهمة في ذلك منها: عدم الخلوة ، أو السفر مع الأمرد لوحده ، ومراعاة المبيت وما يتعلق به.

و- ألا تؤدي إلى إشغال المتربي معظم وقته ، فلا بد من ترك قدر من وقت الفراغ يُعَوِّدُه فيه على استغلال الوقت في تربية ذاته ، ويتيح له فرصة الاعتناء بدراسته ، وارتباطاته الاجتماعية.

ز- التقليل من اللقاءات الفردية في غير البرامج العامة ؛ بحجة معايشة المتربي والقرب منه أكثر ؛ فكثير منها يتحول إلى علاقة شخصية بحتة تفقد أثرها التربوي.

ح- الاقتصاد في المزاح والهزل ، وعدم الخروج فيه عن حد الوقار والهيبة.

٨- **المربي بين المعايشة والعزلة القلبية:** هناك العزلة القلبية التي يقصد بها أن المؤمن الملتزم بالمنهج الصحيح ، وإن خالط الناس وعاشرهم ببدنه ؛ فإنه مزايل لهم بعلمه وقلبه ، مفارق ما هم عليه من التعلق بالبدع ، أو الولع بالدنيا ، أو اتباع الهوى ، ساع لنقلهم عما هم فيه إلى حيث السلامة والأمان. فهو يخالط الناس لغاية واضحة ، هي العمل على انتشالهم من الضلال إلى الهدى ، ومن البدعة إلى السنَّة ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ولا يستطيع أن يؤدي ذلك بصورة صحيحة مؤثرة إلا من دَاخَلَ الناس وعاشرهم ، وعرف أحوالهم ، وأحسن إليهم بلسانه ويده - ما استطاع سبيلًا -.

وهذه المخالطة المقصودة تجعل في قلب المخالط شعورًا متميزًا يحميه من التأثر بأعمال الناس وأهوائهم وانحرافاتهم إلى حد بعيد ، وبذلك يتمكن من اكتساب الخصائص الخيرة الجميلة التي قد تنقصه ، ومن الانتفاع بالتجارب التي تزكي العقل الغريزي وتنميه ، ومن الاطلاع على أحوال الزمان وأهله ، ومعرفة حقيقة الانحرافات وأبعادها ، ليقوم ـ بعدُ ـ بمدافعتها ، وعلاجها بالأسلوب الأمثل ، دون أن يؤدي به ذلك إلى الذوبان في المجتمع المحيط به ، أو التخلي عن علمه ، ونيته ودعوته. وبذلك يجمع بين الخلطة والعزلة ، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه ، والعزلة بقلبه وعمله ومشاعره.

٩- برامج عملية وخطوات إجرائية للمعايشة:

ها هنا بعض البرامج العملية والخطوات الإجرائية في معايشة المربي لمن يربيهم:

١- مرافقته في بعض الشعائر التعبدية ؛ كالصلاة معه ، وأخذه لذلك ،

ومرافقته في العمرة والحج ، واتباع الجنائز ، وغير ذلك ، واستثمار الرفقة في التوجيه والتربية.

٢ - توثيق الصلة معه بالإقبال والسلام عليه ، والتبسم في وجهه ، والسؤال عنه وعن أهله ، والاتصال به هاتفيًا من أجل ذلك ، وزيارته في بيته ، والسؤال عنه إذا غاب أو تأخر ، والقرب منه عند وحدته ، وإهدائه ، وإجلاسه بجوارك عند مقابلته ، والأخذ بيده ، وتبادل أطراف الحديث معه في حال اللقاء به ، ومناداته بأحب الأسماء إليه ، وتكنيته ، ومرافقته معك في السفر ، ومراسلته ، ومعرفة اهتماماته ومحبوباته ، وغير ذلك.

٣- مشاركته وجدانيًا وذلك بالفرح لفرحه ؛ كزواجه ، أو زواج قريب له ، أو نجاحه ، أو حصول نعمة له ، أو تجددها ، أو غير ذلك ، وكذلك مشاركته وجدانيًا بالحزن لحزنه ؛ كموت قريب له ، أو مرضه ، أو فقدان عزيز عليه ، أو غير ذلك ، والوقوف معه لمواساته.

٤ - إشعاره بأن له قيمة ومكانة ؛ وذلك بعيادته إذا مرض وتصبيره ، والوقوف معه ، والتنزه معه ، وإجابة دعوته ، وإكرامه ، والاستماع إلى همومه ومشكلاته ، والسعي في حلها ، والسعي في قضاء دَيْنِه وحاجاته ، وإشعاره أنك تحترم رأيه ، وغير ذلك.

٥ - مرافقته في بعض وسائل الارتقاء والتعلم كحضور الدروس العلمية معه ، والمحاضرات ، والدورات الشرعية ، وزيارة المخيمات الدعوية ، والمكتبات الإسلامية ، والتسجيلات ، ومعارض الكتاب ، وغير ذلك.

أيها المربي! شمِّر عن ساعديك ، واعزم على العمل ، وابحث عن المُعِين ، وتوكل على الله ، وليكن هدفك ساميًا ، وهمتك عالية ؛ لكي تستطيع أن تنتج بأقصى طاقة ، ولا ترضَ بالقليل من العمل ، واصدق الله يصدقك.

أيها المربي! إنه لا يكفي للقيام بواجب التربية والتوجيه الكلمات العاجلة ، أو البرامج المرتجلة ؛ فمن حق الشباب علينا وهم فلذات أكبادنا أن نُعنَى بتربيتهم ، فهلاَّ نبادر في خطوات جادة للوصول إلى أسلوب أمثل في التوجيه والتربية! نأمل ذلك ونسأله سبحانه الإعانة.

الفصل السابع

المتابعة في العمل التربوي

العمل التربوي بحاجة دائمًا إلى تقويم وتوجيه مستمر ، حتى نتخلص بإذن الله من ضعف الإنتاجية في أعمالنا التربوية ، وحتى نحصل بإذن الله على الثمار اليانعة من هذه الأعمال ، وحتى لا تهدر الجهود والطاقات في غير طائل. ومن ينظر نظرة متعمقة في واقع العمل التربوي اليوم يجد أن ثمة ثغرات تتخلل هذا العمل الضخم الكبير ، مما يتسبب في تأخيرٍ في دفع عجلة هذه الصحوة المباركة إلى الأمام ، ومن هذه الثغرات عدم ترسُّخ مفهوم المتابعة وتطبيقه في الواقع لدى بعض العاملين في حقل الدعوة والتربية ، فتسمع أن بعض الأعمال الدعوية والتربوية قد توقفت ، ومن الأسباب ضعف المتابعة.

وتسمع عن تساقط بعض الشباب عن هذا الطريق ، ومن الأسباب ضعف المتابعة ، وتشعر بضعف إنتاجية وعمل بعض المحاضن التربوية ، ومن الأسباب ضعف المتابعة.

إن هناك مسوغات تدفع للحديث عن هذا الموضوع المهم ، منها:

١ - أن التربية عملية مستمرة ، لا يكفي فيها توجيه عابر من المربي مهما كان مخلصًا ، ومهما كان صوابًا في ذاته ، إنما يحتاج إلى المتابعة والتوجيه المستمر.

٢ - أن المتلقي نفسٌ بشرية وليس آلة تضغط على أزرارها مرة ، ثم تتركها وتنصرف إلى غيرها ، فتظل على ما تركتها عليه ، بل هي نفس بشرية دائمة التقلب ، متعددة المطالب ، متعددة الاتجاهات ، وكل تقلب ، وكل مطلب ، وكل اتجاه ، في حاجة إلى توجيه. فالعجينة البشرية عجينة عصيه تحتاج إلى متابعة دائمًا. وليس يكفي أن تضعها في قالبها المضبوط مرة فتنضبط إلى الأبد وتستقر هناك ، بل هناك عشرات من الدوافع الموارة في تلك النفس دائمة البروز هنا ، ودائمة التخطي لحدود القالب المضبوط من هنا

ومن هناك.

٣- أن من صفات المربي الناجح المتابعة ، والشخص الذي لا يجد في نفسه الطاقة على المتابعة والتوجيه المستمر شخص لا يصلح للتربية ولو كان فيه كل جميل من الخصال.

٤- يواجه الشباب المسلم في هذا الزمان تيارًا من الفتن والصوارف عن دين الإسلام: فتن الشبهات التي تشككه في دينه وعقيدته ، وفتن الشهوات المحرمة التي تقوده إلى نارها. فالعملية طردية كلما كثرت الفتن وانتشرت المنكرات عظم دور المتابعة ، وكان الاهتمام بها آكد. قال ص: « **بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا** » (رواه مسلم).

مَعْنَى الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْـمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْـمُتَكَاثِرَةِ الْـمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْـمُظْلِمِ لَا الْـمُقْمِرِ ، وَوَصَفَ ص نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ ، وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ، ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُهُ - شَكَّ الرَّاوِي - وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ[٣].

٥- أننا مسئولون عمن نربيهم يوم القيامة. قال ص: « **كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** » (رواه البخاري ومسلم). وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ا عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ: « **مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ». (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الألباني ، والأرنؤوط).

---

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/١٣٣).

(يَدُهُ إلى عُنُقِهِ) أَيْ مُنْضَمَّةٌ إِلَيْهَا ، (فَكَّهُ بِرُّهُ) أَيْ خَلَّصَهُ عَدْلُهُ وَإِحْسَانُهُ (أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ) أَيْ أَهْلَكَهُ ظُلْمُهُ وَعِصْيَانُهُ (أَوَّلُهَا) أَيِ ابْتِدَاءُ الْإِمَارَةِ (مَلَامَةٌ) أَيْ عِنْدِ أَهْلِ السَّلَامَةِ (وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ) أَيْ لِلنَّفْسِ الْلَوَّامَةِ (وَآخِرُهَا) أَيْ نَتِيجَتُهَا (خِزْيٌ) أَيْ فَضِيحَةٌ تَامَّةٌ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فَإِنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ ص: (أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ) إِشَارَةٌ إلى أَنَّ مَنْ يَتَصَدَّى لِلْوِلَايَةِ الْغَالِبَ غَيْرُ مُجَرِّبٍ لِلْأُمُورِ ، يَنْظُرُ إلى مَلَاذِهَا ظَاهِرًا فَيَحْرِصُ فِي طَلَبِهَا ، وَيَلُومُهُ أَصْدِقَاؤُهُ ، ثُمَّ إِذَا بَاشَرَهَا يَلْحَقُهُ تَبِعَاتُهَا وَمَا تَئُولُ إِلَيْهِ مِنْ وَخَامَةٍ ، عَاقِبَتِهَا نَدَمٌ ، وَفِي الْآخِرَةِ خِزْيٌ وَنَكَالٌ(٤).

٦ - أن السلف الصالح ا اهتموا بهذه الصفة صفة المتابعة بل كانوا يحثون المربين عليها. يقول ابن جماعة /: « إذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائدًا عن العادة سأل عنه وعن أحواله وعمن يتعلق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل ؛ فإن كان مريضًا عاده ، وإن كان في غَمٍّ خفض عليه ، وإن كان مسافرًا تفقد أهله ومن تعلق به ، وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم وأوصله بما أمكن ، وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه ، وإن لم يكن شيء من ذلك تودد له ودعا له »(٥).

٧ - أن صفة المتابعة من صفات الأنبياء ‡ ، كما في قصة سليمان ؛ والهدهد ؛ 7 8 (وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ´ µ ¶ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) (النمل: ٢١). يقول الشيخ السعدي /: « دل هذا على كمال عزمه وحزمه ، وحسن تنظيمه لجنوده ، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقد الطيور ، والنظر هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء ». ويقول أيضًا /: « وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر

---

(٤) باختصار من (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لُمّلا علي الهروي القاري (٦/٢٤١٧).
(٥) تذكرة السامع والمتكلم (٦١ – ٦٣).

منها والغائب ، ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها ».

وهي أيضًا من صفات نبينا محمد ص كما سيأتي.

٨ - أن المتابعة من أسس الإدارة وقواعد التخطيط ومما يعين على تحسين الإنتاجية.

المتابعة منهج نبوي: لقد كان رسول الله ص حريصًا على متابعة أصحابه وتفقدهم ومما يدل على ذلك ما يلي:

١ - **متابعتهم في الأعمال الصالحة**: فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟** ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ ا: « أَنَا ». قَالَ: « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ ا: « أَنَا ». قَالَ « **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ ا: « أَنَا ». قَالَ « **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا** ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ ا: « أَنَا ». فَقَالَ رَسُولُ الله ص: « **مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** ». (رواه مسلم).

٢ - **متابعتهم في زمن الفتن والابتلاءات**: ومن ذلك مروره ص بآل ياسر وهم يعذبون ، فقال فَقَالَ لهم: « **صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ مَوْعِدكُم الْجَنَّةِ** » (رواه الحاكم والطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني).

٣ - **متابعتهم في مشكلاتهم الصحية وأمراضهم**:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ا قَالَ: أَصَابَنِي رَمَدٌ فَعَادَنِي النَّبِيُّ ص ، فَلَمَّا بَرَأْتُ خَرَجْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ص: « **أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بِهِمَا مَا كُنْتَ صَانِعًا؟** » ، قُلْتُ: « لَوْ كَانَتَا عَيْنَايَ لِمَا بِهِمَا صَبَرْتُ وَاحْتَسَبْتُ » ، قَالَ: « **لَوْ كَانَتْ عَيْنَاكَ لِمَا بِهِمَا ، ثُمَّ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ ، لَلَقِيتَ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَا ذَنْبَ لَكَ** » (رواه الإمام أحمد في المسند وحسنه الأرنؤوط).

وهذا يدل على أن المتربي يفرح بمتابعة المربي له وبالاهتمام به والسؤال عنه.

٤ - **متابعتهم في مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية**: ومن ذلك:

أ- سعيه ص في أمر جليبيب حتى زوَّجه: قَالَ رَسُولُ الله ص لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَـــارِ: « زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ ». فَقَالَ: « نِعِمَّ وَكَرَامَةٌ ، يَا رَسُولَ الله ، وَنُعْمَ عَيْنِي ». قَالَ: « إِنِّي لَسْتُ أُرِيدُهَا لِنَفْسِي ». قَالَ: « فَلِمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ » ، قَالَ: « لِجُلَيْبِيبٍ » (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الأرنؤوط).

ب- قصة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ب ، فعن جَابِر بْن عَبْدِ الله ب قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ص فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ص ، فَقَالَ: « **يَا جَابِرُ تَزَوَّجْتَ؟** » قُلْتُ: « نَعَمْ » ، قَالَ: « **بِكْرٌ ، أَمْ ثَيِّبٌ؟** » قُلْتُ: « ثَيِّبٌ » ، قَالَ: « **فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا؟** » ، قُلْتُ: « يَا رَسُولَ الله: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ ، فَخَشِيتُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ » ، قَالَ: « **فَذَاكَ إِذَنْ ، إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا ، وَمَالِهَا ، وَجَمَالِهَا ، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ** » (رواه البخاري ومسلم).

٥ - متابعته في مشكلاتهم الاقتصادية:

كما في قصة سلمان الفارسي ا عندما أُتِيَ رَسُولُ الله ص بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْـمَغَازِي ، فَقَالَ: « مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْـمُكَاتَبُ؟ » ، قَـــالَ: « فَدُعِيتُ لَهُ » ، فَقَالَ: « **خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ** » (رواه الإمام أحمد في المسند وحسنه الأرنؤوط).

٦ - متابعتهم في أفراحهم: وذلك بإجابة دعوتهم في أفراحهم ، ومن ذلك أن أبا أسيد الساعدي دعا رسول الله ص في عرسه. (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الأرنؤوط).

٧ - متابعتهم في أحزانهم ومواساتهم:

عن مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ا قَالَ: « كَانَ نَبِيُّ الله ص إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَـرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَلَكَ فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ص فَقَالَ: « **مَالِي لَا**

أرَى فُلَانًا؟ » قَالُوا: « يَا رَسُولَ اللهِّ ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ » ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ص فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: « **يَا فُلَانُ ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ: أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ** » ، قَالَ: « يَا نَبِيَّ الله ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ » ، قَالَ: « **فَذَاكَ لَكَ** » (رواه النسائي ، وصححه الألباني).

٨ - **متابعتهم في الجهاد في سبيل الله** ، ومن ذلك: فَقْدُه ص لجليبيب في أحد المعارك ؛ حيث سأل أصحابه: « هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟ » ، قَالُوا: « نَفْقِدُ فُلَانًا ، وَنَفْقِدُ فُلَانًا ». فَقَالَ النَّبِيُّ ص: « **لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا فَانْظُرُوهُ فِي الْقَتْلَى** ». فَنَظَرُوهُ فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ. فَوَقَفَ النَّبِيُّ ص فَقَالَ: « **قَتَلَ سَبْعَةً ، ثُمَّ قَتَلُوهُ ؛ هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ** » ، ثُمَّ حَمَلَهُ رَسُولُ الله ص عَلَى سَاعِدَيْهِ ، مَا لَهُ سَرِيرٌ غَيْرَ سَاعِدَيْ رَسُولِ الله ص ، حَتَّى حُفِرَ لَهُ ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي لَحْدِهِ. (رواه الإمام أحمد في المسند وحسنه الأرنؤوط).

من الاستقراء لما مضى يتضح لنا أنه ص كان يتابع أصحابه ي في شتى المجالات: يتابعهم في عمل الأعمال الصالحة ، وفي زمن الفتن والابتلاءات ، ويتابعهم في مشكلاتهم الاجتماعية والأسرية ، ويتابعهم في مشكلاتهم الاقتصادية والصحية ، ويتابعهم في الجهاد في سبيل الله ، ويتابعهم في أفراحهم وأحزانهم ، ويتفقدهم ويعُودُهم ويسأل عنهم ، ويرسل إليهم ؛ مع ما عنده ص من الأشغال والارتباطات والهموم الكثيرة.

بل هذه الأشغال والارتباطات والهموم لم تمنعه ص ، ولم تشغله عن متابعة الفقير المسكين الذي كان يقمُّ المسجد والسؤال عنه وتفقده ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ فَمَاتَ ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ص عَنْهُ ، فَقَالُوا: « مَاتَ » ، قَالَ: « **أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ ، دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ** » - أَوْ قَالَ قَبْرِهَا - فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا (رواه البخاري).

لقد كان ص نِعم المربي - بأبي هو وأمي - لقد حاز على جماع الأخلاق وجميل الصفات ، وارتسمت فيه صفات القائد الناجح والمربي الناصح ؛ فحرِيٌّ بالمربين والدعاة الاقتداء به. 7 8 (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا)(الأحزاب: ٢١).

السلف الصالح والمتابعة:

لقد كان علماء الأمة حريصين على متابعة طلابهم وتفقدهم إذا غابوا ، والسؤال عنهم ، بل الذهاب إلى بيوتهم وزيارة مرضاهم وتشييع جنائزهم.

١ - فهذا الإمام أحمد بن حنبل / فقدَ أحد طلابه في الحلقة وهو بقيٌّ بن مخلد ، وكان مريضًا ؛ فما كان منه إلا أن سأل عنه ، فأُعلم بأنه مريض ، قال بقيٌّ: « فقام من فوره مقبلًا إليَّ عائدًا لي بمن معه من طلاب العلم ، فسمعت الفندق قد ارتج بأهله ، وأنا أسمعهم يقولون: « هو ذاك ، أبصروه ، هذا إمام المسلمين مقبلًا » ، فبدر إليَّ صاحب الفندق مسرعًا ، فقال لي: « يا أبا عبد الرحمن! هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلًا إليك عائدًا لك ».

فدخل فجلس عند رأسي ، فما زادني على هذه الكلمات ، فقال لي: « يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله ! أيام الصحة لا سقم فيها ، وأيام السقم لا صحة فيها ، أعلاك الله إلى العافية ، ومسح عنك بيمينه الشافية ، فرأيت الأقلام تكتب لفظه ».

٢ - ذكر الذهبي / أن سعيد بن المسيب / زوَّج ابنته لأحد طلابه ، وهو كثير بن المطلب بن أبي وداعة / ؛ وذلك عندما فقده من حلقة العلم في المسجد وسأل عنه فأُخبر بأن زوجته توفيت ، فقال له: « ألَا أخبَرْتَنا فشهِدْناها؟ » ثم قال: « هل استحدثتَ امرأة؟ » ، فقال: « يرحمك الله ؛ ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ » قال: « أنا ». فزوجه بدرهمين ، وهي المرأة التي خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد فأبى عليه ، وزوَّجها الطالبَ الملتحق بحلقة العلم.

٣- وهذا أبو يوسف من أخص تلاميذ أبي حنيفة / يقول: « كنت أطلب الحديث وأنا مقلٌّ المال ، فجاء إليَّ أبي وأنا عند الإمام ، فقال لي: « يا بني! لا تمدن رجلك معه ؛ فإن خبزه مشوي وأنت محتاج ». فقعدت عن كثير من الطلب ، واخترت طاعة والدي ؛ فسأل عَنّي الإمام وتفقَّدني ، وقال حين رآني: « ما خلَّفك عنا؟ » ، قلت: « طلب المعاش ».

فلما رجع الناس وأردت الانصراف دفع إليَّ صرة فيها مائة درهم ، فقال: « أنفق هذا ! فإذا تم أعلمني ، والزم الحلقة » ؛ فلما مضت مدة دفع إليَّ مائة أخرى ، وكلما تنفد كان يعطيني بلا إعلام ، كأنه يُخبَر عني بنفادها حتى بلغتُ حاجتي من العلم. أحسن الله مكافأته ، وغفر له ».

لقد صار هذا التلميذ أعز من أبناء العالم ، حيث حمل لواء العلم بعد الإمام وهو مقرر المذهب من بعده ، ولم يحصل له أن يتعلم ويصل إلى ما وصل إليه في الفقه والعلم لو لم يجد الإكرام والبذل والمتابعة من أبي حنيفة رحمه الله.

مظاهر ضعف المتابعة:

لا شك أن مظاهر ضعف المتابعة قد تكون في أكثر من مجال ، ولكن الحديث هنا في مظاهر ضعف متابعة المتربين في المحضن التربوي ؛ وذلك لأهمية هذه المحاضن ؛ إذ فيها يُصنع الرجال ، وتُصقل النفوس ، ويخرج الجادون من أحضانها. لذلك كان لزامًا علينا إلقاء الضوء على هذا المجال المهم ، ومن هذه المظاهر ما يلي:

١ - الغياب المتكرر والتأخر الملحوظ من بعض المتربين دون معرفة السبب ، وانقطاع بعض المتربين في المحضن عن حلقات التحفيظ والدروس العلمية بعد أن كانوا من المتميزين في الحضور دون أن يُشعَر بذلك المربي.

٢ - الاضطراب في التنسيق والمواعيد.

٣- إصابة بعض أفراد المحضن بالفتور ، ومن ثم استفحاله دون أن يشعر

بذلك المربي.

٤ - وجود مشكلات بين المتربين ، واستفحال ذلك ، ومن أمثلته:

أ- وجود ارتباطات عاطفية وتعلق بين المتربين دون أن يحس بذلك المربي.

ب- وجود خلافات بين بعض المتربين في المحضن دون أن يشعر بذلك المربي ، وهذه الخلافات لا شك أنها خطيرة ، إذ قد تؤدي إلى سقوطهم أو سقوط بعضهم بسببها إذا لم يتم معالجتها واكتشافها من أول الأمر وغيرها من المشكلات.

٥ - عدم متابعة البرنامج الذي وضع لهم سواء كان برنامج قراءة أو سماع أشرطة أو لقاء تربويًا.

٦ - ضعف الاتصال بالمتربين ومزاورتهم ، فتجد الأسبوع يمر دون أن يتصل أو يفكر في زيارة أحدهم.

٧- تغير سلوك بعض المتربين دون أن يشعر بذلك المربي ، ولا شك أن لهذا التغير أسبابًا.

٨ - ضعف القاعدة الأخوية بين المربي والمتربي.

آثار ضعف المتابعة:

١ - ضعف العمل في بعض المحاضن التربوية بسبب ضعف المتابعة.

٢ - تساقط بعض الشباب عن هذا الطريق وعدم الاستمرار فيه.

٣- إهدار كثير من الطاقات والأوقات في بعض الأعمال الدعوية والتربوية سواء في المحضن أو في غيره. ثم إصابة هذه الأعمال بالإهمال وضعف المتابعة.

٤ - إخراج جيل هش بعيد عن الجدية لا يقف أمام الفتن والمغريات.

٥ - إخراج جيل يحمل بعض أمراض القلوب بسبب ضعف المتابعة التي من فوائدها تخلية القلب من هذه الأمراض.

٦ - أن المتربي لا يمكن أن ينشرح صدره للتلقي من شخص يحس أنه لا يهتم

به ، ومن الاهتمام المتابعة.

٧- ضعف الإنتاجية في المحاضن التربوية.

أسباب ضعف المتابعة:

١- ضعف حضور الهمّ الدعوي لدى بعض المربين نتيجة عدم استشعار المسئولية والأمانة ، وأنه مسئول عمن يربيهم ، وأن الله لأ قد جعلهم أمـانة في عنقه ، وأنه سيُسأل يوم القيامة: أحَفِظَهم أم ضيعهم؟ أسعى في نصحهم ، أم فرط في ذلك؟

٢- الكسل والخمول ؛ لأن المتابعة عملية صعبة تحتاج إلى صبر ومصابرة ، وقد كان النبي ص يَقُولُ: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ** » (رواه البخاري ومسلم).

٣- الانشغال بالأعمال الثانوية التي بالاستطاعة تفويضها للغير كانشغال المربي بالبرامج الترفيهية لمن يربيهم مع أنه باستطاعة المربي أن يفوض هذه البرامج لغيره ، ويكون هو متابعًا لذلك. فهذه من الأمور الثانوية التي يصلح فيها التفويض مع المتابعة والتوجيه.

٤- عدم إدارة الوقت إدارة جيدة ، فتجد المربي مع وقته في فوضى قد أهمل متابعة نفسه فضلًا عن غيره.

٥- الاتكال على غيره في قضية المتابعة ، فلربما اتكل على أحد المتربين ممن يعتمد عليه. والمفترض أن لا يجعل المربي بينه وبين من يربيهم وساطة وخاصة في القضايا المهمة ، بل يباشر هو بنفسه عملية التربية وعملية المتابعة ؛ فمهما يكن فالمربي له هيبته وشخصيته المتميزة وتأثيره الملموس ، وهي صفات قد لا تكون فيمن اتكل عليه في قضية المتابعة.

٦- الانشغال بالزوجة والأبناء.

٧- الانشغال بالتجارات والعقارات والوظيفة حتى دخل حبها في قلبه ولم

يستطع إخراجها منه ، فأصبحت التجارة والوظيفة أكبر همه ؛ أصبحت غاية وليست وسيلة يبذل أمامها كل شيء حتى ولو كان شيئًا من دينه ، فشغلته عن دعوته وعن متابعة من يربيهم.

٨- ضعف الترتيب والتخطيط والتنظيم ؛ فلا توجد لديه برامج مرتبة ومنظمة ومنسقة يستطيع من خلالها المتابعة ، بل تجد أموره وبرامجه قد عمتها الفوضى والتيه ، ولو كان مرتبًا ومنظمًا لاستطاع المتابعة.

٩ - عدم معرفة فقه الأولويات ، ومن ثم يضعف تطبيق مفهوم التوازن في الحياة ، ويتضخم جانب على حساب جانب آخر ، ومن ثم يتم الخلل في قضية المتابعة.

الآثار الإيجابية للمتابعة:

١ - الثبات والاستمرار على هذا الطريق وعدم النكوص عنه من قِبَل المتربين ؛ فكم من شاب وُفِّق للثبات على هذا الطريق رغم العقبات والمصاعب التي واجهها ، وكان ذلك بتوفيق الله أولًا ، ثم لمتابعة المربي له في تلك العقبات والمصائب التي كان لها الأثر الطيب في ثباته ، وكم من شاب قد انحرف عن الجادة وكان سبب ذلك الإهمال وضعف المتابعة فضلًا عن عدمها.

٢- استمرار خط الصعود والتطور للمتربي ؛ لأن من فوائد المتابعة التقويم المستمر لمن نربيهم ، وذلك بمعرفة نقاط الضعف ومعالجتها ، ومعرفة نقاط القوة وتعزيزها ، ومن ثم يتطور المتربي في كنف المتابعة.

٣- قوة العمل التربوي وحسن الإنتاجية: فكما أن من فوائد المتابعة تقويم الفرد وتطويره ؛ فكذلك يكون في العمل التربوي فهي تقوِّمه وتعالج القصور الذي فيه ، وتعزز نقاط القوة ، وتسعى في تطويره وتكميله.

٤ - تعميق روح الأخوة وتعزيز الثقة بين المربي والمتربي أن مربيه مهتم به متابع له ؛ فإن ذلك سوف يعزز الثقة بينه وبين المربي ، وسوف ينشرح صدره للتلقي منه ، وستتعمق روح الأخوة بينهما.

٥ - قيام المتربي بذاته بعملية المتابعة بدلًا من المربي ، ولكن لا يحدث أن يستغني الأمر عن المتابعة من المربي ؛ لكنها تولد مبادرة ذاتية للمتربي بأن يتابع نفسه بنفسه.

٦ - صقل شخصية المتربي ؛ وذلك بمعالجة جوانب القصور.

٧ - تبني الثقة في نفس المتربي ، بحيث يشعر بأن له قيمة ومنزلة ومكانة ؛ وبرهان ذلك متابعة المربي له.

من محاور المتابعة:

أولًا: متابعة المربي نفسه:

وذلك بأن يسعى في تطوير نفسه ، ويسعى أيضًا في نقد ذاته والتخلص من العيوب الموجودة فيه ، وكل ذلك لا يتسنى إلا بمتابعة نفسه والنظر فيها ومراجعتها بعد كل حين ؛ فعملية التخلية والتحلية عملية مستمرة لا يستغني عنها المربي أبدًا ، وهذه العملية الضخمة لا تتم إلا بالمتابعة ، فإذا تمت تخلية النفس من اتباع الهوى ، وتحليتها بفعل الخيرات والفضائل وجب بعد ذلك أن ينصبَّ الاهتمام على متابعة النفس في فعل الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات ، والنية في المباحات ؛ فإن النفس من طبعها الكسل والتراخي والفتور.

ومن مساوئ عدم متابعة المربي نفسه وتفقُّدها ما يلي:

١ - الوقوف عن الأخذ والتلقي والاكتفاء بالرصيد الموجود عنده ؛ ولو كان متابعًا لنفسه لعلم بأنه محتاج إلى رفع هذا الرصيد والاستزادة من الأخذ والتلقي ؛ فهو بمتابعته لنفسه يكون قد تفقدها ، وعلم أن رصيده الموجود لا يكفيه في مواصلة الطريق ، فيحمله ذلك على الاستزادة والأخذ والتلقي من أجل زيادة الرصيد.

٢- فقدان هذا الرصيد في يوم من الأيام حتى يصبح المربي ليس عنده ما يعطى المتربي ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، ومن ثم فقد المربي صفة هي من أهم صفاته وهي صفة العطاء ؛ وذلك لأن الإيمان إما في زيادة ، وإما في نقصان وكذلك العلم ، وكذلك التربية ؛ فإذا لم يتابع المربي نفسه ويسعى في زيادة رصيده فإنه سوف يفقد هذا الرصيد يومًا من الأيام ؛ لأن هذا الرصيد لن يبقى مجمدًا كما هو ؛ مصداقًا لقوله 8 (لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ)(المدثر: ٣٧).

يقول ابن القيم /: « فإن لم يكن في تقدم فهو متأخر ولا بد ؛ فالعبد سائر لا واقف: فإما إلى فوق وإما إلى أسفل ، إما إلى الأمام وإما إلى وراء ، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة ، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار ، وإنما يتخالفون في جهة السير وفي السرعة والبطء كما 7 8 (إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ) (المدثر: ٣٥-٣٧) ، ولم يذكر واقفًا ؛ إذْ لا منزل بين الجنة والنار ولا طريق لسالك إلى غير الدارين البتة ؛ فمن لم يتقدم إلى هذه الأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلك بالأعمال السيئة » (٦).

٣- تجعل المتربي في يوم من الأيام أعلى من المربي ؛ وذلك لأن الذي يأخذ ويتلقى ويستزيد من رصيده ليس كالذي يقف عن الأخذ والتلقي والاستزادة ؛ فالأول تجده في ترقّ وتطور حتى يصل إلى ذلك الذي توقف عن الأخذ والتلقي ، بل يزيد عليه ويتفوق ؛ لأنه في تلقٍّ واستزادة ، والآخر قد توقف مكانه ، بل سوف ينقص رصيده بهذا الوقوف ؛ وهذا يؤدي إلى شعور في المتربي بأنه بحاجة إلى مربٍّ آخر يفوقه ويستطيع أن يأخذ منه.

---

(٦) مدارج السالكين (١/ ٢٦٧).

وهنا تنبيه مهم وهو: أنه لا ضرر ولا عيب إذا تفوَّق المتربي على المربي ، بل هذا هو ما يسعى إليه المربي الصادق كما قال ذلك الراهب للغلام: « **أيْ بُنَيَّ أنْتَ الْيَوْمَ أفْضَلُ مِنِّي** » (رواه مسلم). W V U S R Q P O N) 8 7 X) (الجمعة: ٤). ولكن هناك فرق بين أن يتفوق المتربي على المربي مع حرص المربي على متابعة نفسه في الاستزادة من رصيده والترقي ، وبين أن يتفوق المتربي على المربي مع إهمال المربي متابعة نفسه وعدم تفقدها.

ولا ضرر على المتربي في كلا الحالتين ، ولكن الضرر على المربي في الحالة الثانية.

٤ - إصابة المربي بداء الفتور وبعض الأمراض القلبية كحب الظهور والرئاسة والحسد ، ومن هنا وجب تعاهد النفس لئلا تقع في فتور ينقلها من مرحلة إلى مرحلة ، فيتعسر الداء وتصعب المعالجة ؛ لأن أمراض النفس كالنبتة أسهل ما يكون قلعها إلى الرجال والفؤوس ، وكذلك أمراض القلوب تبدأ في ظواهر يسيرة ؛ فإذا أهمل صاحبها علاجها تمكنت منه حتى تكون هيئات راسخة وطباعًا ثابتة.

ثانيًا: متابعة المحضن التربوي:

كتجديده وتحسينه ، ومتابعة مستلزماته ، وكيفية المحافظة عليها ؛ وذلك لأنها الأدوات التي يقوم عليها الدعوي والتربوي.

ومن مساوئ عدم متابعة المحضن التربوي ما يلي:

١ - ضياع المستلزمات وفقدانها.

٢ - قدم بعض المستلزمات وفقدان حيويتها.

٣- إهدار كثير من الأموال ؛ وذلك بتكرار شراء هذه المستلزمات بعد حين بسبب ضياعها الذي هو أثر من آثار عدم المتابعة.

٤ - صرف الوقت في الحديث عن هذه المستلزمات في كل مناسبة.

مفاهيم خاطئة في المتابعة:

ثمة مفاهيم خاطئة تحتاج إلى تصحيح في مفهوم المتابعة قد يقع فيها بعض المربين الفضلاء بحسن نية ، وبشعورهم بالأمانة والمسئولية ؛ فيجدر بنا أن نشير إلى بعض منها:

١ - ليس معنى المتابعة والتوجيه المستمر هو المحاسبة على كل هفوة ؛ فذلك ينفِّر ولا يربي ؛ فالمربي الحكيم يتغاضى أحيانًا ، أو كثيرًا ما يتغاضى عن الهفوة وهو كاره لها ؛ لأنه يدرك أن استمرار التنبيه إليها قد يحدث رد فعل مضاد في نفس المتلقي ، ولكن إهمال التنبيه ضار كالإلحاح فيه ، وحكمة المربي وخبرته هي التي تدله على الوقت الذي يحسن فيه التغاضي ، والوقت الذي يحسن فيه التوجيه. ولكن ينبغي التنبه دائمًا من جانب المربي إلى سلوك من يربيه سواء قرر تنبيهه في هذه المرة أو التغاضي عما يفعل ؛ فالتغاضي شيء ، والغفلة عن التنبيه شيء آخر.

أولهما قد يكون مطلوبًا بين الحين والحين ، أما الثاني فعيب في التربية خطير.

٢ - ملاصقة المتربي الدائمة في الخروج والدخول ، والذهاب والإياب ، والسفر والحضر ؛ مما يسبب الإملال للمتربي.

٣- تخصيص المتابعة للمبتدئين ، فالبعض قد يجعل المتابعة خاصة بالمبتدئين ، أما الذين لهم باع في الاستقامة والتربية فقد يقول: يكفي ما عندهم من الإيمان والتربية ؛ وهذا غير صحيح ، بل الأوْلى بالمتابعة الأولون ؛ لأنهم رأس المال ، ورأس المال يحتاج إلى محافظة وسعي في تطويره ، مع عدم إهمال المبتدئين ؛ فالمتابعة يحتاجها الجميع ليس لها مدة معينة ، أو وقت محدد ، أو أشخاص معينون.

٤ - ظَنُّ البعض أن المتابعة أو التربية تعني أن يُضرب حول المتربي بسور حتى لا يتعامل مع غيره ولا يستفيد من غيره ، حتى إنه ليصبح شديد المحاسبة والغضب لمجرد رؤيته لبعض أقرانه يسلِّم على من يربيه أو يبتسم له ، وحتى إنه يتطفل ويتدخل في

أخص خصوصياته ويضعه في قفص حديدي وفي عنقه ويده الأغلال والحبال ، حتى يصبح كابوسًا جاثمًا على صدره.

٥- الخلط بين معنى المتابعة والأخوة الخاصة ؛ فالبعض تكون علاقته بالمدعو علاقة أخوة خاصة لكن ليس فيها معنى القيادة والتوجيه ؛ وعلاقة الأخوة الخاصة هذه تليق وتصلح للأقران أكثر من التلاميذ.

٦- البحث والتنقيب عن أخطاء وزلات المتربي بحجة معالجتها ظنًا منهم أن ذلك من المتابعة ، ومن ذلك: التجسس والاستماع لحديث غيره دون علمه ، والاطلاع على ما يخصه دون إذنه ، كل هذه الأمور محرمة شرعًا ، وجرأة بعض المربين على تجاوزها داخل في عموم قوله 8 (! " # $ % & ') (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > @ A B C) (الحجرات: ١٢). وقوله ص: « **مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » (رواه البخاري) وَالْآنُكُ هو الرصاص الْـمُذَاب ، وَقيل هُوَ الرصاص الخَالص.

والشعور بالأمانة والمسئولية ليس عذرًا للمرء أن يتطلع إلى ما لا يحل له التطلع إليه ؛ فعَنْ جَابِرٍ ا ، قَالَ: « نَهَى رَسُولُ الله ص أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُـلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ » (رواه مسلم) [٧]. ومسئولية المربي وخصوصية دوره لا تتجاوز مسئولية الزوج عن أهله. ولا تدعو الشفقة والحرص والعناية المربي إلى التطلع ومحاولة

---

(٧) الطُّرُوقُ هُوَ الْإِتْيَانُ فِي اللَّيْلِ ، وَكُلُّ آتٍ فِي اللَّيْلِ فَهُوَ طَارِقٌ ، وَمَعْنَى يَتَخَوَّنُهُمْ: يَظُنُّ خِيَانَتَهُمْ وَيَكْشِفُ أَسْتَارَهُمْ وَيَكْشِفُ هَلْ خَانُوا أَمْ لَا ، فيكوه لِمَنْ طَالَ سَفَرُهُ أَنْ يَقْدَمَ عَلَى امْرَأَتِهِ لَيْلًا بَغْتَةً ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفَرُهُ قَرِيبًا تَتَوَقَّعُ امْرَأَتُهُ إِتْيَانَهُ لَيْلًا فَلَا بَأْسَ ، وَإِذَا كَانَ عَسْكَرٍ وَنَحْوِهِمْ وَاشْتُهِرَ قُدُومُهُمْ وَوُصُولُهُمْ وَعَلِمَتِ امْرَأَتُهُ وَأَهْلُهُ أَنَّهُ قَادِمٌ مَعَهُمْ وَأَنَّهُمُ الْآنَ دَاخِلُونَ فَلَا بَأْسَ بِقُدُومِهِ مَتَى شَاءَ لِزَوَالِ الْـمَعْنَى الَّذِي نَهَى بِسَبَبِهِ.
[انظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٧١- ٧٢)].

معرفة ما وراء الظاهر ، والدافع لذلك كله لا يسوغ أن يكون على حساب الضوابط الشرعية.

والحقيقة أن ثمة فرقًا بين الدعوة والتربية ، وبين التعامل وإجراء الأحكام ؛ فالدعوة والتربية يجب أن تتجه إلى إصلاح القلوب وتنقية السرائر ؛ فصلاح الباطن هو الأساس. أما التعامل وإجراء الأحكام فهو على أساس الظواهر ، ولا يسوغ للإنسان السعي للتنقيب عن الباطل ، وأولئك الذين يكلفون أنفسهم عناء البحث عن البواطن والتفتيش في الدواخل تبدو لهم مشكلات لا يطيقون حلها ، فيعيشون حالة من القلق كان بإمكانهم تجاوزها لو اتبعوا المنهج الشرعي في الوقوف عند الظاهر.

فخرج من هذا كله أن المتابعة يجب أن تكون وفق الضوابط الشرعية ، ومن ذلك أن تكون في حدود الظاهر ، وأن تكون مضبوطة بميزان الاتزان ، وأن يلزم هذه المتابعة شعور الرحمة واللين والرفق وحب الإصلاح لمن تتابعهم.

هل للمتابعة بالمنهج النبوي شواهد عليها توازي المفهوم السائد اليوم؟

لو عملنا مقارنة سريعة بين المتابعة في فترة الوحي والمتابعة في هذا العصر لوجدنا أن هناك متغيرات في وسائلها ، من حيث الكثرة والقلة ، وأيضًا ثمة متغيرات من حيث الأهمية والاعتناء ؛ إلا أن المضمون واحد لا يتغير. ففي فترة الوحي كان المجتمع قريبًا والبيئة نظيفة ، ووسائل التأثير والصوارف عن هذا الدين قليلة ؛ إضافة إلى الوحي الذي كان ينزل صباح مساء.

أما في هذا العصر الحالي فتعيش الأمة انفتاحًا عظيمًا على ثقافات وماديات الغرب ، وساعد على هذا الانفتاح وسائل الإعلام المختلفة ، ويواجه شبابها تيار ساحق من الفتن سواء فتن الشبهات التي تشككه في دينه وعقيدته ، أو فتن الشهوات التي تقوده إلى نارها ولأوائها وهذا الانفتاح وهذه الفتن وهذه الصوارف تجعلنا نهتم بقضية المتابعة أكثر من ذي قبل.

أيها المربي!

أيها المربي الفاضل ! اعلم أن من وسائل نجاح التربية متابعة من تربيهم ؛ وذلك بالأمور الآتية:

- متابعة مظهرهم الخارجي وسلوكهم وتعاملهم وألفاظهم.
- متابعة الغياب والتأخير وسبب ذلك.
- متابعة الموهوب والمتميز والسعي إلى تطويره.
- متابعة المقصر والسعي في إصلاحه وتقويمه.
- متابعة أصحاب الطاقات وتوجيهها.
- متابعة البرامج ومدى تأثيرها عليهم... وغير ذلك.

أيها المربي ! سدد الله خطاك ، وبارك الله في جهودك ، ونفع الله بك الإسلام والمسلمين. اثبت على هذا الطريق ؛ فإنك على الحق وعلى الصراط المستقيم ، لا تنظر إلى الوراء ، بل انظر دائمًا إلى الأمام وإلى السماء ، انطلق نحو هدفك المنشود بهمة تعلو الجبال ، وعزيمة تفلُّ الحديد ، وطموح يتعدى الزمن مستصغرًا كل صعب ، مستعظمًا كل خير ، مستشعرًا معية الله لك في هذا الطريق. (+ - . / 0)(الشعراء: ٦٢).

الفصل الثامن

وسائل تربوية

- التربية بالقدوة.
- التربية بالموعظة.
- التربية بالحدث.
- التربية بالقصة.
- التربية بالمداعبة.
- التربية بالترفيه.
- التربية من خلال الحوار.
- التربية بالعبرة.
- الثناء المنضبط وسيلة تربوية.
- التربية بالعقوبة.
- المجموعات التربوية كوسيلة تربوية.
- الرحلة كوسيلة للتربية.
- المخيم أو المعسكر كوسيلة للتربية.
- الدورة كوسيلة تربوية.
- الندوة كوسيلة تربوية.
- المؤتمر كوسيلة تربوية.

أولًا: التربية بالقدوة

الدعوة إلى الله - تستوجب اقتداء الدعاة بالأنبياء والرسل ‡ ، وفي مقدمتهم الرسول القدوة ص ، وتتجلى الدعوة إلى الله تعالى بالقدوة في إعطاء المثل علمًا وعملًا ، إيمانًا ودعوة ، قولًا وسلوكًا ، مصداقًا لقول الله 8 (L M N O P Q R S T U V W X)(فصلت: ٣٣).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: « أي هو في نفسه مهتدٍ بما يقوله فنَفْعُه لنفسه ولغيره لازم ومتعَدٍّ ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل إنه يدعو إلى الخير ، ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تعالى ، وهذه عامة في كل من دعا إلى ذلك وهو في نفسه مهتدٍ » [٨].

والدعوة إلى الله بالقدوة الحسنة تصلح النيات ، وتوفر الأوقات ، وتختزل الطاقات ، وتمكّن الداعية من أداء أدوار عدة متكاملة من أهمها: تطبيق الإسلام خُلقًا ومعاملة وعفة لجذب الناس إليه بالأمثلة الحية ، من هنا يأتي النصر المبين والفتح والتمكين إن شاء الله لأ.

وتتمثل الدعوة إلى الله - بالقدوة الحسنة في الكلام ، والسلوك ، والقول ، والعمل ، والحال ، والمقال ، والتطابق والتكامل في كل ذلك. وفي حال التناقض السلوكي يحل غضب الله ومقته ، 7 8 k l m n o p q r s t u v w x y z { |)(الصف: ٢ - ٣). وقد وصف القرآن الكريم سلوك علماء بني إسرائيل الشاذ بقوله 8 (t u v w x y z { | } ~)(البقرة: ٤٤).

---

(٨) تفسير ابن كثير (٤/١٠٠).

قال ص: « **يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ: « يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: « بَلَى ، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ** » (رواه مسلم).

الأقتاب: الأمعاء. والاندلاق خروج الشيء من مكانه.

والقدوة هي من أفضل الوسائل التربوية وأقربها إلى النجاح ، لأن الكائن البشري يمر بمراحل عمريّة يتأثر بالقائد المشرف عليه ؛ فالطفل يتأثر ويقتدي بوالديه ، والفتى يتأثر بمثله الأعلى ويمكن أن يعتبره أستاذه أو والده أو حتى شخصية تلفزيونية مشهورة ، والناشئ يتأثر ويقتدي بالشخصيات البارزة على صعيد المجتمع. والتربية تفشل عند عدم اتباع القائد أو المربي للتوجيهات التي يوجهها للطفل ويطبقها على شخصه كما أن النظريات والأقوال تبقى حبرًا على ورق ما لم تتحوّل إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض.

وتكمن أهمية القدوة في العملية التربوية في الأسباب التالية:

١ - إن القدوة الحسنة يثير في نفس العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان ، فتتهيج دوافع الغيرة لديه ، ويحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به.

٢ - إن القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة.

٣ - إن مستويات الفهم لكلام عند الناس تتفاوت ، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي ؛ فإن ذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد المربي إيصالها للمقتدي.

٤ - إن الأتباع ينظرون إلى القدوة نظرة دقيقة دون أن يعلم ، فرب عمل يقوم به لا يلقي له بالًا يكون في حسابهم من الكبائر.

شروط القدوة:

١ - الإيمان بالفكرة: لا تتكون القدوة في نفس الداعية حتى يكون هو أول من يؤمن بما يقول ، ثم ينقل هذا الإيمان إلى عمل.

٢ - تعلم العلم: فالمربي يحتاج إلى علم يتأكد فيه القدوة من صحة خطواته ، ويصحح فيه خطوات الآخرين.

٣- حسن الخلق: هناك أخلاق بارزة يحتاجها الداعية القدوة دائمًا ، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه النجاح في دعوة الناس ، ومن أهمها الصبر والرحمن والرفق والتواضع والمخالطة.

٤ - موافقة العمل القول.

٥ - عدم الانقطاع عن الأعمال: عدم الانقطاع عن عمل ما دون أي مبرر شرعي أو نسيان، وترجع خطورة هذا الانقطاع إلى أمرين ؛ الأول: هو دخوله في دائرة الذين يقولون ما لا يفعلون ، والثاني: هو إحساس المتربي بعدم جدية ذلك الأمر وأهميته.

٦ - التثبت من صحة النقول: سواء كانت أحاديث للرسول ص أو كلمات للصالحين ؛ فإذا كان القدوة لا يتثبت من صحة النقول يكون المقتدون كذلك.

٧ - الابتعاد عن الإسراف في المباحات: ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخًا بين الحلال والحرام.

٨ - المحاسب الدائمة: فعلى الداعية القدوة أن يعي أنه تحت رقابة دقيقة ممن يتخذونه قدوة لهم فيحاسب نفسه على كل كلمة أو تصرف صغر أم كبر حتى يتجنّبه في مرات أخرى.

مبطلات القدوة:

١ - **مخالفة العمل للقول:** وذلك هو السم القاتل ؛ فإن الغالب على النفوس الاقتـداء في شهواتها وملذاتها وعاداتها أكثر مما تقتدي به في التعبُّـد الذي ليس لها فيه حظ ، فإذا رأت ذلك من عالم ؛ وإن أيقَنَتْ أنه محرم أو مكروه أو بدعة تَعْذُر نفسها في ارتكابها.

٢ - **عدم الالتزام بالقول:** وتختلف عن سابقتها بأن هذه لا تكون فيمن يخالف عمله قوله متعمدًا ، وإنما تكون فيمن لا يطبق ما يقول ، وليس على صفة الدوام ، وذلك لأسباب منها:

أ- عدم تقدير حجم العمل المترتب على قوله.

ب- عدم معرفة نوع العمل المترتب على قوله.

ج- الحماسة غير الواعية.

د- عدم تقدير القوة التي يمتلكها لأداء ذلك العمل ، ومن ثم يواجه بذلك العمل؛ فلا يستطيع أن يطبق ما قاله ، ودعا إليه.

٣ - **الزلل بجميع صورة القولية والفعلية.**

٤ - **الانتصار للنفس:** بالتجرد الخالص يكون القدوة ناجحًا في دعوته ، وكيف لا يتبع قوم قدوتهم وهو على هذا المستوى من التجرد البيّن للحق.

والانتصار للنفس ظاهرة تنبئ عن عدم إخلاصه لما يحمل من معانٍ سامية ، محاولًا إخفاء الحقيقة في سبيل عدم الوقوع في دائرة الإحراج التي يعتبرها مسًا لكرامته ومكانته بين متّبعيه.

كيف تتم التربية بالقدرة: نقتطف هنا بعض الزهور من الروضة النبوية لنرى كيف استخدم الرسول ص القدوة الحسنة في تربية أصحابه رضي الله عنهم كأسلوب متميز عن باقي الأساليب في الدعوة:

١ - **أهمية التربية الصامتة للأتباع:** في صلح الحديبية: أن النبي ص لَـمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ ، قَالَ لِأَصْحَـابِهِ: « **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا** » ، قَالَ عمر: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: « يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً ، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ » ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا ، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا » (رواه البخاري).

٢ - لا بد للقدوة أن يوضح بعض التصرفات التي يقوم بها للأتباع خاصة تلك التي تحتمل التأويل السيء ، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ ب أَنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ - زَوْجَ النَّبِيِّ ص - أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ص تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي المَسْجِدِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ ، فَقَامَ النَّبِيُّ ص مَعَهَا يَقْلِبُهَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ المَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ ، مَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ص ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ص: « **عَلَى رِسْلِكُمَا ، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ** » ، فَقَالاَ: « سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ » ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ص: « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا** » (رواه البخاري ومسلم).

(سَاعَةً) فترة من الزمن. (تَنْقَلِب) ترجع إلى منزلها. (على رِسْلِكُمَا) لا تعجلا. (كَبُرَ عَلَيْهِما) شَقَّ عليهما ما قاله ص. (مَبْلَغَ الدَّمِ) كما يبلغ الدم ، ووجه الشبه بين الشيطان والدم شدة الاتصال وعدم المفارقة. (يَقْذِف) يُلقي ويرمي. (شَيْئًا) من سوء الظن وعند مسلم بلفظ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ

يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا » أَوْ قَالَ « شَيْئًا ».

وفي الحديث التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان ، وهذا متأكّد في حق العلماء ومن يُقْتَدَى به ، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلًا يوجب سوء الظنّ بهم ، وإن كان لهم فيه مخلص ؛ لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم.

ثانيًا: التربية بالموعظة

تتأثر النفس الإنسانية بالكلام الموجَّه إليها ، إلا أن هذا التأثر يتفاوت بين القبول والرفض لسببين:

أولهما: طريقة الكلام أو الوعظ الموجّه إليها.

ثانيهما: أن النفس بطبيعتها تميل إلى السهل دون الصعب ، واللذيذ دون المؤلم ، وتحب الانطلاق وتكره القيود.

فالواعظ يجب أن يتمتع بصفات تساعده على التأثير: من لباقة في اللسان ، ووجه ضاحك هادئ يوحي بالصفاء والارتياح ، مع الأخذ بعين الاعتبار النفس البشرية بكل أطباعها وما لها من تأثير على الموعوظ فهي طبعت على الميل إلى الحرية والواعظ يقيّدها ، وعلى الانطلاق وراء الأمور والواعظ يمسكها. ومثل الموعوظ كمثل الصخرة الراسية بأعلى الجبل لا تحتاج إلا إلى زحزحتها وإمالتها ، حتى تتدحرج وتهوي بلا مشقة ولا تعب. فإذا أردنا أن نُرجعها لاقَيْنا المتاعب والمشاق.

والمواعظ سياط تُضْرَب بها القلوب ، فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن ، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده ، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه ، فكلما قوي الضرب كانت مدة الألم أكثر ، وكان كثير من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار ، فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعامًا عقب ذلك ، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة.

وأفضل الصدقة تعليم جاهل ، أو إيقاظ غافل ، وما وصل المستثقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الوعظ ليستيقظ. والتأديب بالسوط يكون من صحيح البدن ، ثابت القلب ، قوي الذراعين ، فيؤلم ضربه فيردع. وأما من هو سقيم البدن لا قوة له ، فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟ كان الحسن البصري إذا خرج إلى الناس كأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها ، وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئًا.

وقال بعض السلف: « إن العالم إذا لم يُرِدْ بموعظته وجه الله زَلَّتْ موعظته عن القلوب كما يَزلّ القطر على الصفا ». والمواعظ هي ترياق القلوب ، فلا ينبغي أن يُسقي الترياق إلا طبيب حاذق معافى فأما لديغ الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوج من أن يسقيه.

وغـــيرُ تَقِيٍّ يأمـرُ الناسَ بالتُقَى ... طبيبٌ يُـــداوي الناسَ وهو سقيمُ
يا أيها الرجـــلُ المعلمُ غـــــيرَه ... هَـــلّا لنفسِك كان ذا التعـــــليمُ
تَصِفُ الدواءَ لذي السقام وذي ... الضَّنَى كي ما يصحّ به وأنت سقيمُ
ونراك تُصْلِحُ بالرشـــادِ عقولَنا ... أبـــــدًا وأنتَ مِن الرشـــادِ عقيمُ
لا تَنْهَ عـن خُـــلُقٍ وتَأتِيَ مِثـــلَه ... عـــــارٌ عليك إذا فعلتَ عظـــيمُ
فابْدَأ بنفسِكَ فانْهَهَا عـــن غَيِّـها ... فإذا انتهَتْ عـنْهُ فأنـتَ حكـــــيمُ
فهناكَ يُقْبَلُ ما تقـولُ ويُقْـتَدَي ... بالقَـــولِ منكَ وينفـــعُ التعـــــليمُ

يعتمد الوعظ من الناحية النفسية والتربوية على أمور أهمها:

١ - إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار ، أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك: كعاطفة الخضوع لله ، والخوف من عذابه ، أو الرغبة في جنته ، وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف وينميها ، وقد ينشئها من جديد.

٢ - الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي كان الموعوظ قد رُبِّيَ عليه ، وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة ، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ، ونعم الله ، وأنه خلق الكون والموت والحياة.

٣ - الاعتماد على الجماعة المؤمنة ، فالمجتمع الصالح يُوجِدُ جوًا يكون الوعظ فيه أشد تأثيرًا ، وأبلغ في النفوس ، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله 8 (© ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم ´ µ ¶

بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا) (النساء: ٥٨).

٤- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة: تزكية النفس وتطهيرها ، وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية ، وبتحقيقه يسمو المجتمع ، ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء ، فلا يبغي أحد على أحد ، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان ، وقد جُمِعَت هذه المعاني في قوله 8 (N M L K Y W V U T S R Q P O Z [ ) (النحل: ٩٠).

وقد اشتمل القرآن الكريم على جمع مستكثرة من المواعظ العالية الغالية. والقرآن كله مواعظ للمتقين كما 7 8 (y x w v u t) (آل عمران: ١٣٨). ولقد كان وعظ النبي ص على أرقى مستوى وأعلى درجة ، فكان يأسر بوعظه قلوب السامعين.

وغاية الواعظ أن يصل بمن وعظه إلى الخشية الحقيقية التي تجتمع في وجل القلب ، ودمع العين ، وأن يتذكروا أمور الآخرة فكأنهم يرونها رأي العين ، وهكذا كان وعظ النبي ص كما في حديث العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ا قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله ص الْفَجْرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ؛ فَأَوْصِنَا. قَالَ: « **أوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** » (رواه الإمام أحمد في المسند ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصححه الألباني).

وقد كان لوعظه ص سمات منها:

١- أنه ص لم يكن يُكْثِر عليهم فيملوا ، بل كان يجعلهم دائمًا متشوقين إلى وعظه ص. ومن فقه الرجل تقصير الخطبة ، وإطالة الصلاة.

٢- ومن هديه ص في الوعظ أنه كان يؤثر في الصحابة ي بقوة يقينه وتأثره ، وكان يرفع صوته ويحرك يديه كأنه منذر جيش.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ب أَنَّ رَسُولَ الله ص قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧) ، وَرَسُولُ الله ص يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ ، يُحَرِّكُهَا ، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ (٩): « **يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ ، أَنَا**

---

(٩) حكم الإشارة على وجه التمثيل لصفات الله لأ:

جاء هذا السؤال في فتاوى موقع الشبكة الإسلامية ، رقم الفتوى ١٩٥٩٨:

« فتاة دخلت مرة لتعد وجبة عشاء وعندما أخذت الدجاجة وفتحت جوفها أخذت قلب الدجاجة ووضعته بين أصبعيها وقالت لأختها: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الله لأ يقلبها كيف شاء » السؤال: ما حكم هذا التشبيه؟ وهل عليها شيء؟ ».

فكان الجواب: « إن مذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات الأسماء والصفات لله - تعالى - على الوجه الذي يليق به ، وتنزيهه عما لا يليق به ، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل. وإن ذكر بعض الصفات كصفة الإصبع والإشارة بالإصبع للتوضيح فعلٌ قد يؤدي إلى فتنة عوام المسلمين ، ووقوعهم في التشبيه أو التعطيل ، وقد عقد الإمام البخاري / باب: « من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشد منه. وقد روى البخاري تعليقًا عن علي ا أنه قال: « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورَسُولُهُ؟ ». وثبت في صحيح مسلم عن ابن مسعود ا قوله: « مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً ».

وما ورد في بعض الأحاديث من الإشارة ، فيُحْمَل على ما إذا أمِنَت الفتنة ، ومن ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عمر ب أَنَّ رَسُولَ الله ص قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: (وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

الْـمَلِكُ ، أَنَا الْعَزِيزُ ، أَنَا الْكَرِيمُ » ، فَرَجَفَ بِرَسُولِ الله ص الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ. (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الألباني ، وأحمد شاكر والأرنؤوط).

ولا يتصف الواعظ الداعية بهذا التأثير إلا أن يكون مخلص النية ، رقيق القلب خاشع النفس ، طاهر السريرة ، مشرق الروح. وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنع بالكلام ليسبي به قلوب الرجال ، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام ، يتكلم بنبضات قلبه ولواعج حزنه وأساه لما آل إليه حال المسلمين ، فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ ، والاستجابة إليه أقوى ، والاتعاظ بكلامه أعظم.

قال عمر بن ذر لأبيه: « يا أبت ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يُبْكِهِم؟ » ، فقال: « يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة ».

٣- ومن هديه ص في الوعـظ أنه كان يستعين أحيـانًا بضرب الأمثال ، كما قال ص: « **مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** » (رواه البخاري ومسلم). (يُحْذِيَكَ): يُعْطِيكَ. تبتاع: تشتري.

٤- ومن هديه ص في المواعظ أنه كان يستعين أحيانًا بالرسوم الإيضاحية ، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ا قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ص خَطًّا مُرَبَّعًا ، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ ، وَقَالَ: « **هَذَا الإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ** - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - **وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا** ».

وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزمر: ٦٧) ، وَرَسُولُ الله ص يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ ، يُحَرِّكُهَا ، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ.

٥ - ومن هديه ص: أنه كان يعلمهم بالدرس العملي ، فعَنْ حُمْرَانَ ، مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ا أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ ، فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الوَضُوءِ ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثًا ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاَثًا ، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ص يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ، وَقَالَ: « **مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ** » (رواه البخاري).

٦ - ومن هديه ص أنه كان إذا أراد أن ينهى عن شيء فربما أخذه بيده ، وبَيَّنَ حُرْمَتَه ليكون أوقع في نفوس أصحابه: فعن علي ا قال: « إِنَّ نَبِيَّ الله ص أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: « **إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي**» (رواه أبو داود ، وصححه الألباني).

٧- ومن هديه ص في الوعظ استعمال التكرار المفيد للترغيب أو الترهيب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ** » قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: « **مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ** » (رواه مسلم).

ومن هذا القبيل ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ص: « **أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟** » ثَلاَثًا ، قَالُوا: « بَلَى يَا رَسُولَ الله » ، قَالَ: « **الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - **أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ** » ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: « لَيْتَهُ سَكَتَ ». (رواه البخاري ومسلم).

٨- ومن ذلك: الترغيب ببيان عظم الثواب ، والترهيب بالتخويف من شدة العقوبة.فمن الأول قوله ص: « **مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ** » (رواه البخاري ومسلم). ومن الثاني قوله ص: « **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ** » (رواه البخاري ومسلم). قتَّات: أي:

نمام.

٩- ومن ذلك استعمال القسم لتأكيد ما يريد بيانه ، كما قال ص: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ ، فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ ، فَيُؤَذَّنَ لَهَا ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا ، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ** » (رواه البخاري ومسلم). (أخالف) أقصد. (عرقا) عظما عليه بقية لحم قليلة. (مرماتين) مثنى مرماة وهي ظلف الشاة أي قدمها. (لَشَهد العشاء) لحضر صلاة العشاء.

١٠- ومن ذلك التحديد بالعدد حتى يسهل على أصحابه الحفظ وعدم تلفت شيء منهم ، كما قال ص: « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ** » (رواه مسلم).

١١- ومن ذلك الترقي من المهم إلى الأهم ، فإذا وجد العبد إنسانًا تاركًا للصلاة ، ومسبل الإزار ، أو يتختم بالذهب ، والثلاثة من المحرمات ، إلا أن ترك الصلاة أخطر الثلاثة - وقد اختلف العلماء في تكفير تارك الصلاة - فعلى الداعي أن ينصح بالمداومة على الصلاة أولًا فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ب: أَنَّ رَسُولَ الله ص لَـمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ا إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ: « لَـمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ص مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: « **إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ** »

١٢- ومن هديه ص أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم:

فمن ذلك ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ ، ا قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ص: « **دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** » (رواه البخاري).

ثالثًا: التربية بالحدث

إن التربية بالحدث تفعل فعلها أكثر مما لو كانت كلامًا منمقًا مرصوصًا بأسلوب بديع ، والمتأمل لسير الأوائل من هذه الأمة يتعجب من هذه النفسية العجيبة المعطاءة لأبناء هذا الدين التي لا تكل ولا تمل مهما كانت الظروف والأحوال ، سواء أكانت أيام مكة أو بعد الهجرة تقدم وتبذل ، وقد تكون محاولات ينجح بعضها ولا يحالف التوفيق البعض الآخر ، ولكنها عطاء لله لأ.

من أولئك النفر الذين بذلوا أنفسهم: عمر بن الخطاب ا ، فهو عمر الحريص على دخول الناس في الإسلام والتمسك به ، وتثبيت المؤمنين المستضعفين حدثاء العهد بالإسلام ، وهو عمر لا ينتظر الأوامر ولا يقف عند مرحلة التفكير ، بل يسارع إلى التنفيذ مباشرة ، فما كان يعرف التردد في مثل هذه الأمور ،... لننظر ماذا فعل أثناء هجرته وبعدها داعيًا إلى الله - ، متبعًا عدة طرق ووسائل ، كان همّه فيها هو هداية الناس إلى الإسلام وثباتهم عليه.

روى أهل السير بإسناد حسن [١٠] قصة هجرة عمر بن الخطاب ا ، أنه قال: اتَّعَدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التَنَاضُبَ [١١] من أَضَاةِ بني غفار فوق سَرِف ، وقلنا: أينا لا يصبح عندها فقد حُبس ، فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنها هشام ، وفتن فافتتن.

---

(١٠) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٧/٢٤٢-٢٤٣) ، تاريخ الإسلام للذهبي (١/٦٦٧) ، أسد الغابة لابن الأثير (٤/١٣٧).

(١١) التناضب وأضاة بني غفار: موضع واحد ، الأضاة: أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين ، والتناضب: شجرات في هذه الأضاة ، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي.
وأضاة بني غفار: على عشرة أميال من مكة.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله ص بمكة فكلماه ، وقالا: « إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك » ، فَرَقّ لها.فقلت له: « يا عياش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم » فقال: « أبر قسم أمي ، ولي هناك مال فآخذه ». فقلت: « والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالًا ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما ». فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما.

فلما أبى إلا ذلك قلت: « أما إذا قد فعلت ما فعلت ؛ فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرها ، فإن رابَكَ من القوم ريب فانج عليها » ، فخرج عليها معهما. حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: « والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ » ، قال: « بلى ».

فأناخ وأناخ ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة وفَتنَاه فافتتن.

فكنا نقول: « ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلًا ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ». قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله ص المدينة أنزل الله (تعالى) فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: 7 8 (t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì) (الزمر: ٥٣ - ٥٤).

قال عمر بن الخطاب: « فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعَثْتُ بها إلى هشام ابن العاصي ». فقال هشام: « فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى ، أصَعِّد بها فيه وأصَوِّب ولا أفهمها ، حتى قلت: « اللهم فَهِّمْنِيهَا ». فألقى الله (تعالى) في قلبي أنها إنما أنزلت فيما

كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا.

فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ص.

هذه هي القصة ، وهذه هي جهود الفاروق ا في ذلك الوقت ، وإن المرء وهو يمر عليها ليتعجب أشد العجب من أمرين: أحدهما: حرص أبي جهل ، ذلك الذي يسافر ، ويقدم ويؤخر ، ويبذل ، ويستخدم الأساليب الملتوية باسم البر بالوالدين وباسم الرحم كونه قريبًا لعياش بن أبي ربيعة ، بل ويصطحب الحارث بن هشام إمعانًا في القربى ، غير مكترث بنجاح النتائج من عدمها.

كل ذلك في سبيل الشيطان والصد عن دين الله ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وبدلًا من دخول عياش إلى مكة على ناقته مكرمًا معززًا نظرًا لبره بأمه ، فإنهما استخدما خدعة ماكرة ؛ حيث أوثقاه وقيداه حتى يدخل مكة ذليلًا حقيرًا كناية عن ذلة من اتبع محمدًا ، وإنذارًا لمن سولت له نفسه من قريش سلوك طريق عياش ، تمامًا كما تُستخدم بعض الأساليب الشبيهة بذلك ضد الدعاة إلى الله اليوم.

وننتقل إلى الجانب الآخر لننظر إلى ذلك المؤمن الذي يأبى أن يهاجر كما يهاجر غيره ، فنراه يختار صحبة رجلين ، قد يكون اختارهما على غيرهما لأمر أراده من تقوية عزيمتهما وإنقاذهما مما هما فيه من الفتنة ، وحيث قد وفق عياش نجد أن هشامًا لم يستطع اللحاق بهما ، ولم يتوقف الأمر على ذلك ، بل نجد فصلًا آخر يقدمه عمر ؛ ألا وهو محاولته إقناع عياش بن أبي ربيعة بعدم الذهاب مع أبي جهل وكأنه عرف نية أبي جهل المبيتة ، فهو هنا يعرض عليه نصف ماله ، لا سلفة وإنما عطاءً ، كل ذلك ليثبته على الإسلام ، وعندما لم تنجح هذه المحاولات عرض عليه ناقته وهي ذلول نجيبة من أطايب النوق آنذاك حتى ينجو لو رابه أمر ، ولكن ابن أبي ربيعة لم يعِ هذه المحاولات.

وهل توقف الأمر عند هذا الحد؟ ، لا ؛ بل تعدى إلى الدعوة بالمراسلة ، فهو لم ينس صاحبه الذي حبس ليفتن في دينه ، فنجد أن عمرًا يسلك طريقة قد غفل عنها الكثير من الدعاة في هذا الزمن زمن التقدم المادي والاتصال السريع ألا وهي المراسلة ،

فأخذ صحيفة كتب فيها هذه الآيات.

ولعل السؤال يبرز هنا: لماذا يرسل عمر هذه الصحيفة لشخص ربما فتن في دينه؟ وهل سيفهم هشام بن العاصي الصحيفة؟ وعلى فرض فهمها ، هل سيرجع إلى الإسلام كما كان؟ وعلى فرض ذلك ، هل سيهاجر إلى محمد ص وصحبه؟ هذه استفهامات العاجزين القاعدين ، الذين يديرون أمورهم بالنيات فقط. وبالقول لا بالعمل ، ولكن عمر يلقن هؤلاء هذا الدرس العظيم: (` a b c d) (المائدة: ٩٩).

وقد نجح البلاغ هنا بإذن الله وتحققت جميع هذه الاستفهامات ، ونفع الله بهذه الصحيفة ، وهاجر هشام بن العاصي إلى المدينة على يدي عمر ا.

إن جيلًا فيه أناس بنفسية عمر ت لهو جيل عامل نشيط ، وهكذا فلنكن مثل عمر وبمثل عزمه وحرصه على هذا الدين ، إننا إذا كنا كذلك فسنفلح بإذن الله ، وسيفتح الله على أيدينا ما هو مغلق ، وينفع الله بنا البلاد والعباد ، وقبل ذلك أنفسنا قبل غيرنا.

رابعًا: التربية بالقصة

للقصة تأثير عظيم في الأولاد والكبار على حد سواء ، ومن مارس مهنة التربية لا ينكر ذلك ، فالولد عند سماعه لقصة جميلة ينتبه إليها انتباهًا نادر المثال ، مسحورًا بها خاصة إذا كان المربي يحسن إلقاء القصة.

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلّها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم. وإن من يقرأ كتاب الله لأ يجد أن القصة تتكرر فيه في مواطن عدة ، ويتجاوز أمر إيراد القصة وتكرار ذلك إلى:

- الامتنان على النبي ص بأن أنزل إليه أحسن القصص: 7 8 (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ © ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ)(يوسف: ٣).
- الإخبار بأن القصص سبب لتثبيت فؤاد النبي ص: 7 8 (? @ H G F E D C B A)(هود: ١٢٠).
- الأمر بقَصّ القصص: 7 8 (فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الأعراف: ١٧٦).
- الأمر بالاعتبار بما قص الله في كتابه: 7 8 (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ)(يوسف: ١١١).

ولقد اعتنى النبي ص بشأن القصص ، فحفظت لنا دواوين السنة طائفة من قصه ص عليهم من قصص الأمم الماضية وأخبارهم. ولم تكن قصص القرآن أو السنة قاصرة على أنباء الصالحين وأخبارهم ، بل شملت مع ذلك قصص المعرضين والفجار للاعتبار بما أصابهم.

كل ذلك يؤكد أهمية القصة ودورها التربوي الدعوي مما يجدر بالدعاة أن يعتنوا بها ويستخدموها في دعوتهم وخطابهم للناس. إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة ، ويُقبل عليها المستمع والقارئ بعناية وإنصات ، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرض الواقع ، وتبرز النموذج والقدوة الصالحة ، وتزيد المرء إيمانًا بقدرة الله - وسائر صفاته.

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشئة وخطابهم ؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة ، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس.

ومع أهمية القصة وعلو شأنها إلا أنه ينبغي أن يراعى في ذلك أمور عدة ، منها:

- أن تُعرَض وتُستخدَم في الخطاب بالقدر المعقول ؛ فلا تكون هي اللغة الوحيدة في الخطاب ، أو تكون على حساب غيرها.
- الحذر من القصص الواهية والأخبار التي لا زمام لها ولا خطام ؛ إذ إن النفوس كثيرًا ما تتعلق بالغرائب وتجنح إليها ، والقليل منها هو الذي يثبت عند التحقيق والنقد العلمي.
- أن تأخذ أخبار النبي ص وقصصه ، وأخبار الرعيل الأول من سلف الأمة مكانها الطبيعي ، وألا تطغى أخبار من بعدهم من المتأخرين ممن تعرف منهم وتنكر.
- استخدام القصص الهادفة المؤثرة ، فهي تشدّ السامع ، وتقرّب له الهدف ، والسيرة مليئة بقصص من كانوا قبلنا مما حكاه النبي ص لأصحابه ، كقصة الذين تكلموا في المهد ، والثلاثة الذين أطبق عليهم الغار ، وقصة أصحاب الأخدود ، وغيرها كثير.

- عدم الوقوف عند جزئيات الحوادث التاريخية وتفاصيلها ، ويهمل الدروس والعبر المستفادة منها ، فإنها هي المقصودة من القصص.
- ينبغي أن تكون الاستفادة باستنباط الدروس والعبر بلا مبالغة ولا تهويل ، بحيث لا يستنبط منها غير ما تنبئ عنه ، وبذلك توضع القصة في موضعها الصحيح.
- إن البشر مهما علا شأنهم وارتفع قدرهم ، ومهما بلغوا المنازل العالية من الصلاح والتقى فلن تكون أعمالهم حجة مطلقة ، بل لا بد من عرضها على هدي النبي ص ، كما يروي بعضهم في مقام الصبر أن شيخًا قام يرقص على قبر ابنه حين توفي رِضًا بقدر الله على حد زعمه ، وخير من ذلك هدي النبي ص الذي تدمع عينه ويحزن قلبه ، ولا يقول إلا ما يرضي ربه ، وهديه ص القولي والعملي في النوم والقيام خير مما يروى عن بعضهم أنه صلى الفجر بوضوء العشاء كذا وكذا من السنوات ، وهديه في تلاوة القرآن خير مما يروى عن بعضهم أنه يختم القرآن كل ليلة ، مع التماسنا العذر لمن كان له اجتهاد من سلف الأمة في ذلك.

ولا شك أن القصة من أنجح الوسائل للوصول إلى قلب الطفل ، ولا يعادلها في ذلك أي رسالة إعلامية أخرى ، ولا أي وسيلة من الوسائل ؛ فقد يستحوذ الأب أو الأم على قلب الطفل من خلال هدية جميلة ، أو مبلغ من النقود ، ولكن سرعان ما يزول أثر تلك الهدية بمجرد اعتيادها ، أو قدمها ، أو بمجرد صرف النقود ، أو.... ولكن أثر القصة يبقى في عقل الطفل ووجدانه ، يحيا بين أبطالها ، وينسج لنفسه خيالات واسعة بين أحداثها ، فالطفل يستمع بشغف إلى القصة الجميلة يسردها له أبوه ، أو جدته ، ويطرب أشد الطرب لذلك ، وهذا يدل على أن الطفل يستجيب لألوان الأدب ، خاصة القصة.

ولِمَ لا ، ونحن نلحظ أن الأطفال يتهافتون على آبائهم وأمهاتهم ليحكوا لهم قصة أو حكاية ، وقد يسرعون إلى إنجاز واجباتهم ودروسهم على أتم وجه ؛ أملًا في أن يفوزوا بحكاية جميلة ، أو قصة خلابة؟!

طرق ومعايير عرض القصة:

القصة ليست مجرد أفكار يتم نقلها للطفل بأسلوب آلي ، وإنما حكاية القصة لا بد أن تخضع لمعايير تربوية وفنية ، حتى تحدث الأثر المطلوب في نفس الطفل.

معايير عرض القصة:

١ - الاهتمام والتأهب:

حتى لا تفقد عملية الاتصال أهم خصائصها ؛ وهي الحميمية والتفاعل والتجاوب المشترك ، ولكن يجب أن يتم ذلك بغير افتعال ، أو تكلف حتى لا تكون الأحداث في وادٍ ، وطريقة العرض في وادٍ آخر.

٢ - التهيئة وحسن الاستهلال:

تخضع القصة كأي رسالة إعلامية لعدة معايير ينبغي توافرها في طرفي عملية الاتصال «المرسل والمستقبل» فينبغي على المربي أن يكون متهيئًا لحكاية القصة ، لا يلقيها وكأنه يقوم بعمل آلي.

٣ - الترتيب المنطقي للأحداث:

فينبغي على المربي أن يرتب أحداث القصة ترتيبًا منطقيًا ، وألا يشطح بخياله بعيدًا عن الواقع ، وأن يتدرج في التصاعد الدرامي للأحداث ، حتى يصل إلى الذروة في نهاية القصة.

٣ - التعبير الجسدي أثناء القص:

ينبغي على المربي أثناء حكاية القصة أن ينقل الأحداث بطبيعتها ؛ فمثلًا عندما يحدث موقف إيجابي في القصة فعليه أن يُظهر علامات السرور والفرح على وجهه ، وإذا

حدث موقف سلبي ؛ فعليه أن يرسم علامات الحزن والرفض على تقاسيم وجهه ، وأن ينهج المنهج نفسه في الأحداث التي تتطلب الانفعال ، أو الدهشة ، أو الاستنكار ، ويراعي أن يتم ذلك بتلقائية شديدة بعيدًا عن المبالغة والافتعال.

٤ - تقديم أبطال القصة في صورة واضحة:

ولكي تؤدي القصة دورها فإنه يجب على المربي أن يقدم أبطال القصة في صورة واضحة المعالم والتفاصيل ؛ بحيث يسهل على المتربي المتابعة ، وحتى لا يتوه بين طيات الأحداث.

٥ - وضع نهاية مناسبة للقصة:

يراعى أثناء الحكاية ألا يلمّح المربي بنهاية القصة ؛ وذلك حتى لا تفتر همة المستمع في المتابعة.

٦ - أن تكون نهاية القصة في صالح الخير: فينتصر الحق والخير ؛ حيث يشارك المستمع أبطال القصة ، ويتمنى أن يحذو حذوهم.

ماذا نقصُّ لهم؟

تموج المكتبات ، ووسائل الإعلام ، وشبكة الإنترنت بآلاف القصص ، منها ما هو في الأصل عربي ، ومنها ما هو مترجم من لغات أخرى إلى العربية ، وأمام هذا السيل الجارف من القصص والجبال العالية من الحكايات يقف الآباء والمربون حيارى ، كيف يختارون ، وأي شيء سيقصون على أبنائهم؟

إن القصص والحكايات تتنوع في شكلها ، ومضمونها حسب السن المستهدفة ، وحسب الهدف أو المغزى منها ؛ فنرى أن الحكاية تأخذ شكل القصة البسيطة من نسج خيال الأب أو الأم أو الجدة ؛ لينام عليها الأطفال ، وتتدرج تلك الحكاية ، حتى تصل إلى القصة مكتملة البناء والأركان.

المضمون والخطر الثقافي:

عند انتقاء القصة أو الحكاية لا بد أن يطلع المربي عليها جيدًا ، وأن يعي مضمونها ؛ فالأعمال الوافدة في معظمها تمثل ثقافات لمجتمعات تموج بالانحلال ، وتنتهج ثقافات تدعو إلى العنف وازدراء الضعيف ، فضلًا على أنها تدعو إلى فوضى الأخلاق ؛ حيث ينعدم وازع الدين والضمير ، وهذا لا ينطبق على الأعمال الوافدة فحسب ، بل إن من بني جلدتنا من يشيع تلك الأعمال الهدامة ، ويعرضها على أولادنا عن قصد أو بدون قصد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

إن مضمون القصة لا بد أن يكون نابعًا من إيمان راسخ بالله لأ وبرسوله الكريم ص ؛ ولا بد أن يحكم ذلك المضمون مجموعة من القيم الإسلامية التي تدعو إلى السمو ، والرفعة ، والتسامح ، والرقي بسلوك الأفراد ، وأن يتمتع أبطال القصة بالفضيلة والسلوك الحسن ؛ حيث ينعكس ذلك الجو على سلوك الأفراد ، وتوجهاتهم ومنهجهم في الحياة.

لدينا أحسن القصص:

يخاطب المولى لأ الرسول ص بقوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ۝ ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ)(يوسف: ٣). لقد وصف المولى لأ القصص القرآني ، (خاصة قصة يوسف) أنها أحسن القصص ، وهو كذلك حقًا من حيث جمال العرض ، ودقة الحدث ، وبلاغة اللفظ وصدق المضمون وسمو التوجه ، وروعة الإخراج ، وبهذا استحق أن يكون أحسن القصص.

من هذا المنطلق فإن كل قصص نقصه على الناس لا بد أن يخضع لتلك المعايير ، وأن يحذو هذا الحذو ، وأن ينهج المنهج نفسه ؛ فلا بد أن يتسم القصص بالموضوعية ، ويتحلى بالصدق ، وأن ينمي لدى المستمع القيم النبيلة والأخلاق الحسنة ، وأن يسمو بوجدانه وجوارحه ، حتى ينشأ محبًا للحق والعدل والخير ، وحتى يحيا على الإحسان.

فنون القصة:

١ - القصة إقرار بالعبودية وتوحيد الخالق:

أعظم شيء نبثه في نفوس الناس توحيد الخالق ، وإفراده بالألوهية ، وهنا يتخير المربي القصة التي تسير على هذا النهج.

٢ - القصة موعظة حسنة:

من خلال القصة يستطيع المربي أن ينفذ إلى قلوب المتربين ، وأن ينثر عليهم أكاليل الوعظ ، والإرشاد بأسلوب تلقائي غير مباشر ، بعيدًا عن الافتعال ، فيأسر قلوبهم ؛ ويلقي فيها ما يشاء من عظات حسنة ، وقيم نبيلة: كالبر والإحسان ، والصدق ، والرحمة ، والمحبة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والمروءة والنبل ، والكرم ، وغيرها من قيم الإسلام السمحة.

٣ - القصة استنهاض للهمم:

من خلال القصة يستطيع المربي بكل ذكاء أن يستعيد ذكريات الماضي ، وأمجاد الإسلام ؛ فيستطيع أن يقص قصصًا عن بطولات الإسلام ، وموقف الصحابة والتابعين الكرام ، ويستطيع من خلال اطلاعه ، ومعارفه في كتب السيرة النبوية ، وتراجم الصحابة أن يلخص موقفًا معينًا ، ويقصه على المترين ، حتى ينشؤوا على حب التضحية والفداء ، وكيف عانى المجاهدون الأولون في سبيل رفعة الدين ، وإعلاء كلمة الله.

٤ - القصة مُعَلّم لغوي:

إن من أعظم المسئوليات التي تُلقى على عاتق المربين هي مسئولية تعليم اللغة العربية ، وحفظها من الاعوجاج والإسفاف ، ومن خلال القصة ، ومن خلال طريقة العرض يستطيع المربي أن يلقي في نفوس المتربين جمال اللفظ ، وروعة التعبير ، وسحر الكلمة ؛ فينشؤوا محبين للغة معتزين بتعلمها.

٥ - القصة فن الإجابة على الأسئلة المحرجة:

كثيرًا ما يتعرض المربون لأسئلة محرجة من قِبَل المتربين ، وعندها نجد المربين في ارتباك ، وقلق أمامهم ، ولا يعلمون بما يجيبون عن أسئلتهم ، إما جهلًا وإما حياءً. وفي فترة الطفولة تكثر الأسئلة ، وتتوالى الاستفسارات ، حتى إن خبراء التربية يسمون تلك الفترة بـ (فترة السؤال) ، ومن خلال القصة المحايدة يستطيع المربي أن يجيب عن أسئلة كثيرة مسبقًا بكل ذكاء ، وبكل موضوعية بعيدًا عن الحرج.

إن أهداف القصص كثيرة وثمارها متنوعة تضيق المساحات عن الإلمام بها ، ولكن هذا يتطلب من المربين حسن الانتقاء ، وجودة المضمون ، وجمال الشكل والعرض ، وإن لم يتيسر لهم ذلك ؛ فبإمكانهم أن يجهدوا أنفسهم مدة يسيرة كل يوم ، يطَّلعون فيها على أمهات الكتب الإسلامية ، ويلخصون منها موقفًا معينًا ، أو يلقون الضوء على موضوع ما ، ثم يضعونه في شكل قصة ، أو حكاية ، ملتزمين بالمعايير المذكورة سالفًا ، متوخين الحـذر أشد الحـذر في طريقة العرض ، أو الإلقاء.

ويومًا بعد يوم تنشأ جسور الصداقة والألفة بين المربين والمتربين ، ويُقبلون بشغف على التعلم والمعرفة ، فيحيون في كنف العقيدة ، وفي ذكريات الماضي ، وبطولات الأبرار ؛ فتقوى بذلك العزائم ، وتُستنهَض الهمم ، وتضاء العقول ، وتصفو الأنفس ، أملًا في بعث جيل جديد يعيد للإسلام أمجاده.

خامسًا: التربية بالمداعبة

لقد جُبِلَ الأطفال على حب المرح ؛ فهم يحبون الطريف ، ويتقبلونه ؛ حتى لا يكاد أحدهم يمله ؛ على الرغم من كثرة تكراره ، وترداده أحيانا. ولقد أدرك بعض صناع ثقافة العصر من أهل الغرب هذا الأمر ؛ فاستطاع أن يُدخل ثقافته في عقول النشء من خلال الأفلام الكرتونية ، وإن بدت عند الكبار مجرد خزعبلات كوميدية ؛ جدير بها أن تمل قريبًا.

بل إن بعض أهل الفكر من الغربيين - أمثال بنيامين باربر - ناقمون على (ميكي ماوس الناطق بالفرنسية في ووالت ديزني باريس) ، ونحوها من المنتجات الأمريكية ؛ ويرون أنها أحصنة طروادة التي تتسلل منها أمريكا إلى ثقافات الأمم.

وللأسف ؛ كم في شرقنا من غافل عن هذه الحقيقة ، ويحسب أن التربية الجادة المؤثرة تكون بتقطيب الجبين ، ومط الشفة ، وإصدار التعليمات ، مع اتخاذ هراوة غليظة ؛ ويظن أنه بذلك يربي الأبناء تربية جادة! ويزيد الأمر سوءًا من يمارس ذلك باسم الدين! وما درى المتجهم المسكين أن سيد المربيين ، وأستاذهم بغير مدافع ص في وادٍ وهو في واد آخر ؛ فما أبعد البَون بين هديه ص وبين صنيع أولئك ؛ فقد علَّمنا ص أنماط التربية ، وضرب لنا الأمثال العملية في التربية بالرفق ، واللين ، والفكاهة ، والمداعبة.

وأين أصحاب الصرامة هؤلاء من دلعه ص لسانه للحسين بن علي ب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ص يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ ، فَيَرَى الصَّبِيُّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ ، فَيَهَشُّ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ بَدْرٍ: « أَلَا أَرَى تَصْنَعُ هَذَا بِهَذَا ، وَالله لَيَكُونُ لِيَ الِابْنُ قَدْ خَرَجَ وَجْهُهُ وَمَا قَبَّلْتُهُ قَطُّ » ، فَقَالَ رَسُولُ الله ص: « **مَنْ لا يَرْحَمْ لَا يُرْحَم** » (رواه ابن حبان ، وصححه الألباني). يُدْلِعُ لِسَانَهُ: يُخرجه.

وقد روي عنه ص غير خبر يفيد ملاطفته الصغار ، ومداعبته الأطفال ؛ فلا غرو أن يشب ناشئة ذلك الجيل وملء قلوبهم حب له ص ، وإيمان ، وتصديق. فقد كانت المداعبة من هدي النبي ص كما ذكر ذلك البخاري في (بَاب الإِنْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ) عن أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ ا قال: « إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ص لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: « **يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ** » (رواه البخاري).

النُّغَيْر: طَائِر مَعْرُوف يُشْبِه الْعُصْفُور. قال الحافظ ابن حجر: « وَفِي الحديث جَوَاز الْـمُمَازَحَة وَتَكْرِير الْـمَزْح وَأَنَّهَا إِبَاحَة سُنَّة لَا رُخْصَة ، وَأَنَّ مُمَازَحَة الصَّبِيّ الَّذِي لَمْ يُمَيِّز جَائِزَة. وَفِيهِ تَرْك التَّكَبُّر وَالتَّرَفُّع ».

وعن أنس ا أن النبي ص قال له: « **يَا ذَا الأُذُنَيْنِ** » يمازحه. (رواه الترمذي ، وصححه الألباني). وهَذَا الْقَوْلَ مِنْ جُمْلَةِ مُدَاعَبَاتِهِ ص وَلَطِيفِ أَخْلَاقِهِ.

لقد نجح ص في تسخير الدعابة ، والملاطفة لأجل إنشاء جيل مسلم ، مرتبط بنبيه ، محب له ، ولمنهجه الوسط ، بعيد عن التجهم ، والغلظة ، مجانب للتهتك والمجون ، متزن ؛ يعرف للجد وقته ، ويحفظ للنفس والإخوان والأهل حقهم.

وهكذا كان الصحابة ي من بعده ؛ فقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب العيال عن ثابت بن عبيد قال: ما رأيت أحدًا أفْكَه في بيته ؛ ولا أحلم في مجالسه من زيد بن ثابت! ». أتدري أيها الصارم من هو زيد بن ثابت؟! قال علماؤنا: « المعروف لا يُعرَّف! » اللهم فارزقنا ، والمربين المقطبين فرْد تجاعيد الوجه ، وحسن اقتفاء الأثر.

ضوابط المداعبة: وقد اعتبر بعض الفقهاء المزاح من المروءة وحسن الصحبة ، ولاشك أن لذلك ضوابط منها:

١ - ألا يكون المزاح إلا صدقًا:

قال ص: « **وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ ، وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ** » (رواه أبو داود وحسنه الألباني). (وَيْل): أَيْ هَلَاك عَظِيم أَوْ وَادٍ عَمِيق فِي جَهَنَّم

(فَيَكْذِب): أَيْ فِي تَحْدِيثه وَإِخْبَاره (لِيَضْحَك): بِفَتْحِ الْيَاء وَالْحَاء (بِهِ): أَيْ بِسَبَبِ تَحْدِيثه أَوْ الْكَذِب (الْقَوْم): بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِل ، وَيَجُوز بِضَمِّ الْيَاء وَكَسْر الْحَاء (لِيُضْحِكَ) وَنَصْب الْقَوْم عَلَى أَنَّهُ مَفْعُول.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟ قَالَ: « **إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**» (رواه الترمذي ، وصححه الألباني). (إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا) مِنْ الدُّعَابَةِ أَيْ تُمَازِحُنَا.

ومن الكذب في المزاح ما يسمونه بالنكت ، وهي مواقف مضحكة لم تحدث ، ويكون فيها - في الغالب - سخرية واستهزاء بطائفة من الناس ، بل وقد يكون فيها ما يخدش الحياء ويشجع على انتشار الفاحشة بتهوين أمر الغيرة على الأعراض ، والتهوين من قبح المعاصي ، بل أحيانًا يكون فيها استهزاء بأمور الدين - والعياذ بالله.

٢ - **ألا يكون فيه شيء من الاستهزاء بالدين**: فإن ذلك من نواقض الإسلام.

٣ - **عدم الترويع**: خاصة ممن لديهم نشاط وقوة أو بأيديهم سلاح أو قطعة حديد ، أو يستغلون الظلام وضعف بعض الناس ليكون ذلك مدعاة إلى الترويع والتخويف.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ص أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ ص ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ فَفَزِعَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ص: « **لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا** » (رواه أبو داود ، وصححه الألباني). (لَا يَحِلّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّع مُسْلِمًا): أَيْ يُخَوِّفهُ ؛ وَلَوْ هَازِلًا لِمَا فِيهِ مِنْ الْإِيذَاء.

٤ – **عدم الاستهزاء والغمز واللمز**: فالبعض يستهزئ بالخلقة أو بالمشية أو المركب ويُخْشَى على المستهزئ أن يجازيه الله لأ بسبب استهزائه.

٥ - **أن لا يكون المزاح كثيرًا**: فإن البعض يغلب عليهم هذا الأمر ويصبح ديدنًا لهم ، وهذا عكس الجد الذي هو من سمات المؤمنين ، والمزاح فسحة ورخصة لاستمرار الجد والنشاط والترويح عن النفس.

قال عمر بن عبد العزيز /: « اتقوا المزاح ، فإنه حمقة تورث الضغينة ».

قال الإمام النووي /: « المزاحُ المنهِيُّ عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه ، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ، ويشغل عن ذكر الله تعالى: ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ، ويورث الأحقاد ، ويسقط المهابة والوقار ، فأما من سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ص يفعله »[١٢].

٦ - أن يكون المزاح بمقدار الملح للطعام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ** » ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ا: فَقُلْتُ: « أَنَا يَا رَسُولَ الله » ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا ، وَقَالَ: « **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرْ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ** » (رواه الترمذي وحسنه الألباني).

وقال عمر بن الخطاب ا: « مَن كثُر ضَحِكُه قَلَّتْ هيبتُه ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عُرِف به ».

الرفقُ يُمنٌ وخيرُ القولِ أصـــدقُه وكَثْرةُ المزحِ مفتاحُ العداواتِ
والصدقُ برٌ وقولُ الزورِ صاحبُه يومَ المعـــادِ حَرِيٌّ بالعقوباتِ

٧ - معرفة مقدار الناس:

فإن البعض يمزح مع الكل بدون اعتبار ، فللعالم حق ، وللكبير تقديره ، وللشيخ توقيره ، ولهذا يجب معرفة شخصية المقابل فلا يمازح السفيه ولا الأحمق ولا من لا يعرف. قال عمر بن عبد العزيز: « اتقوا المزاح ، فإنه يُذهب المروءة ».

---

(١٢) الأذكار (١/٣٢٦).

٨ - ألا يكون فيه غيبة:

وهذا مرض خبيث ، ويزين لدى البعض إنه يحكى ويقال بطريقة المزاح ، وإلا فهو داخل في حديث النبي ص: « **ذِكْرُكَ أخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » (رواه مسلم)

٩ - اختيار الأوقات المناسبة للمزاح:

كأن تكون في رحلة برية ، أو في حفل سمر ، أو عند ملاقاة صديق ، تتبسط معه بنكتة صادقة لطيفة ، أو طرفة عجيبة ، أو مزحة خفيفة ، لتدخل المودة على قلبه والسرور على نفسه ، أو عندما تتأزم المشاكل الأسرية ويغضب أحد الزوجين ، فإن الممازحة الخفيفة تزيل الوحشة وتعيد المياه إلى مجاريها.

سادسًا: التربية بالترويح والترفيه

للترويح آثار إيجابية كثيرة منها: إشباع الحاجات الجسمية والاجتماعية والعلمية والعقلية ؛ إضافة إلى دوره في اكتشاف الأخلاق ، كما أنه يمكن أن يكون وسيلة استثمار عالية العوائد. كما أن الترويح يزيد الترابط بين المشاركين في النشاط الترويحي. ومما هو معلوم لدى كل إنسان أن الأنشطة الترويحية تجعل الإنسان يعود إلى عمله بنشاط أكثر ورغبة أقوى وإنتاجية أعلى.

والنشاط الترويحي ضروري للبدن ؛ وقد جاءت الآثار عن الصحابة للتأكيد على هذا المفهوم ؛ فقال علي بن أبي طالب ت: « أَجِمُّوا هذه القلوبَ ، والتمسوا لها طرائف الحكمة ؛ فإنها تملّ كما تمل الأبدان ». وقال عبد الله ابن مسعود ت: « أريحوا القلوب ؛ فإن القلب إذا أُكره عمي ».

إلا أن هذا لا يعني أن يغلبَ الترفيهُ الجِدَّ في حياة المسلم ، بل الغالب على المسلم أن يكون جادًا منتجًا وأن يكون الترفيه طارئًا. كما أن الترفيه له أهداف رئيسة وأهداف جانبية ؛ فمن أهداف الترفيه:

الهدف الأول: تجديد النشاط ، وتقوية الإرادة:

للترويح أثر ملاحظ على النفس بتجديد نشاطها ، ولذا يجد المتأمل في حكمة التشريع الإسلامي أن عيد الفطر يأتي بعد وقت جد وعبادة ، بالصيام ، والقيام ، وغيرها من النوافل ، وعيد الأضحى يأتي بعد يوم عرفة ، وهو يوم عبادة ، ودعاء ، وتضرع ، وصيام لغير الحاج.

والعيد هو البهجة والسعادة التي تجدد للقلب حياته وحيويته ، وحتى يكون الفرح عبادة يؤجر عليها العبد ارتبط العيد بشعيرتين إسلاميتين ، هما: صوم رمضان ، وأداء مناسك الحج والأضاحي. وسمي العيد عيدًا ؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد.

الهدف الثاني: إظهار سماحة الإسلام:

قد يظن ظان أن الترفيه يعارض الدين الإسلامي ، ولذا فإن إظهار الترفيه المباح لإعلام الآخرين بسماحة الدين وواقعيته أمر مطلوب ومشروع.

الهدف الثالث: إسعاد الصغار:

إسعاد الصغار أمر مطلوب ؛ لأن الصغار هُمْ بهجة الدنيا وإسعادهم يملأ الأجواء سعادة وفرحًا.

الهدف الرابع: التنمية العضلية:

من أفضل الوسائل الترفيهية ما يفيد البدن وينشطه ، والصغير كثير الحركة واللهو ، والمطلوب من الكبار أن يتنزلوا لهم ليسعدوا ؛ ولأن في حركتهم تنمية لقواهم العضلية.

وقد وردت عدة وسائل في النصوص الشرعية ؛ مما يحصل به الجمع بين الترفيه والتنمية العضلية والاستعداد العسكري للمجتمع المسلم ؛ فمن ذلك: السبق بالأقدام ، والمصارعة ، وهذه رياضة نبيلة ، لكنها تطلق الآن على رياضة عنيفة لا يقرها دين ولا عقل ، والغطس ، والسباحة ، والفروسية وهي رياضة النبلاء والقادة ؛ لأنها تدل على شجاعة وثبات ورباطة جأش وقوة عزيمة ، والسباق على الإبل ، والرمي.

الهدف الخامس: التهيئة النفسية وإزالة التوتر:

من حكمة الشارع أنه شرع للإنسان في حال توتره وخوفه بعض الوسائل الترفيهية لإزالة ذلك ، ومن أصعب المواقف ليلة زفة العروس إلى زوجها ؛ إذ كل طرف يصيبه توجس وقلق من الموقف ، وقد يصيبه خوف من الإخفاق ؛ فشرع الضرب بالدف ، وذكر الأناشيد التي تؤدي الغرض. كما ورد في السنة النشيد وقت العمل الشاق ، كمثل ما حدث في حفر الخندق ، وفي السفر ، ونحو ذلك.

الهدف السادس: التشجيع: إقامة الحفلات الترفيهية المباحة سبيل إلى تشجيع المحسن ، سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا ، فمن الأساليب التي تحبب العلم إلى الصغار الاحتفال بهم ، بوضع حفلة ترفيهية مفرحة.

الهدف السابع: تنمية الروح الابتكارية والتخيلية:

من أهداف الترفيه: التعليم والابتكار ، وقد توالت الدعوات في الدراسات التربوية الحديثة إلى توسيع أسلوب التعليم بالترفيه. وقد كان من العادات التي أقرها الشرع استعمال الدمى للصغيرات ، ومما يقود إلى التعلم بأسلوب ترويحي وترفيهي استعمال المسابقات العلمية ؛ وذلك بطرح المسألة على الحاضرين ليعرف الأحذق والأعلم فيجيب.

سابعًا: التربية من خلال الحوار

لا يخفى إلى جانب هذا أننا ورثنا من عصور الانحطاط عادات وتقاليد تربوية لا تتفق مع الرؤية الإسلامية في بناء الفرد والنهوض به ، فقد كان يسود في الأسرة في كثير من البيئات الإسلامية نظام شبه عسكري ، حيث يُسكت الرجل المرأة ، والأخ الأكبر الإخوة الصغار ، ويُسكت الصبيان البنات... أضف إلى هذا اللجوء العام إلى الصمت ما لم تحدث مشكلة ، فينتبه الأبوان إلى ضرورة الكلام من أجل العلاج!

أما في الكتاتيب والمدارس ، فقد ساد التلقين وقل البحث والتنظير ، كما ساد الكبت والضرب ، وكان من المألوف في العديد من البيئات الإسلامية ، أن يقول الأهل لشيخ الكتَّاب إذا دفعوا إليه الصبي: « لك اللحم ولنا العظم » ، أي لك أن تضرب حتى لو أدى ذلك إلى تمزق اللحم ، أما العظم فليس من حقك كسره. وكأن الوالد هو الذي سيقوم بتلك المهمة ، لتكتمل دائرة العنف على الطفل المسكين!

وساد كذلك لدى بعض التيارات والتوجهات الإسلامية المهتمة بتربية النفوس الاستسلام للشيوخ والتماس الأعذار والتأويلات لما يقومون به ، ولو كان ينطوي على مخالفة شرعية ظاهرة. ومن العبارات المشهورة في هذا قولهم: « من قال لشيخه: « لِـمَ » لم يفلح أبدًا »! وكانت نتيجة تلك التربية تخريج أجيال يسيطر عليها اليأس والخوف والاتكالية وانتظار المساعدة عوضًا عن تقديمها. أجيال لا تحسن التعبير عن أفكارها وحاجاتها وآرائها. ولا تشعر بذواتها وإمكاناتها. وكانت عاقبة كل ذلك انحدار مكانة الأمة بين الأمم وطمع الأعداء فيها وانتشار التعانف والتقاتل في ديارها عوضًا عن التراحم والتعاون والتناصح والتدافع بالتي هي أحسن وأرفق.

لدينا مصطلح (الحوار) ومصطلح (الجدال) ولهما دلالة مشتركة على دوران الكلام بين طرفين وترجيعه بين شخصين أو فريقين. لكن نلمح في العديد من النصوص والأدبيات أن الجدال كثيرًا ما يميل إلى الخصومة في الكلام ، كما ينطوي على

حرص كل واحد من المتجادلين على غلبة خصمه وإفحامه وإلزامه الحجة وبيان خطئه. ونتيجة لهذا فإن من المألوف أن يقع خلال الجدل بعض الظلم والادعاء والكذب والتطاول واستخفاف أحد المتجادلين بالآخر.

أما الحوار فمع دلالته على تردد الحديث بين اثنين إلا أنه لا يحمل صفة الخصومة وإنما يحمل صفة الحرص على العلم والفهم والاطلاع. إن الدافع الأساسي للمحاور الجيد ليس إقناع من يحاوره بوجهة نظره وجعله يقف إلى جانبه ، وإنما دافعه الأساسي أن يُري محاوره ما لا يراه ، وأن يظفر من محاوره أيضًا بأن يكشف له غموض أمور لا يراها ولا يعرفها ، إن كلًا من المتحاورين يطلب الوضوح ومعرفة الحق والحقيقة. ولا شك في أن بعض الحوار قد ينقلب عند الانفعال وتوفر اعتبارات معينة إلى جدل عقيم ومقيت. كما أن بعض الجدل قد يتسم بالرفق والحكمة.

إن الحوار لا ينبغي أن يكون أسلوبًا نستخدمه داخل الأسر والمدارس من أجل تربية الصغار وتعليمهم فحسب ، وإنما ينبغي أن يكون أسلوب حياة ، يسود في الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام وفي الشركة والمؤسسة والدائرة الحكومية.

إن الحوار الحيوي للجميع ، وإن غيابه عن حياتنا سوف يؤذي الجميع ؛ وذلك لأن البديل سيئ جدًا ، وهو كثيرًا ما يكون القهر والكبت والانعزال والأنانية ، واتباع الهوى وتصلب الذهن ومحدودية الرؤية ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه!

يمكن القول إنه لا يكاد يخلو بيت أو مؤسسة أو مدرسة من شيء من الحوار ، لكن السؤال هو: هل كل حوار يؤدي إلى تربية جيدة؟ وهل أي حوار - مهما كان - يعد كافيًا لزرع المفاهيم والقيم والعادات الجيدة في شخصيات الصغار والكبار؟ طبعًا لا.

إن الحوار الذي يربي فعلًا هو الحوار الجيد والعلمي والموضوعي والقائم على أسس أخلاقية جيدة. حين يتوفر الحوار الجيد والمديد والمستمر فإنه يولد ، ويقتضي بطريقة غير مباشرة عددًا ممتازًا من الأفكار والمفاهيم والرؤى والمبادئ والعادات والسلوكات الصحيحة والرائدة.

وإذا تساءلنا عن الشروط التي يجب توفرها من أجل حوار ناجح ومثمر أمكننا أن نعثر على الآتي:

١ - الإيمان العميق بأن لكل إنسان أن يعبر عن ذاته ، وأن يدافع عن قناعاته في إطار المبادئ الكبرى المجمع عليها ، وإتاحة الفرصة للمرء كي يعبر عن قناعاته ومزاجه شرط جوهري لنمو الحياة العقلية والإيمانية ، كما أنه مشروط لشعور الطفل بكرامته وإنسانيته.

٢ - حتى يصبح الحوار أسلوب حياة يجب أن نؤمن بأن الواحد منا مهما بلغ من التحصيل العلمي ، ومهما كانت عقليته ممتازة فإنه في نهاية الأمر لا يستطيع أن يصدر إلا عن رؤية جانبية محدودة. وذكاء الجماعة أكبر من ذكاء الفرد. ومن خلال الحوار نستطيع معرفة رأي الجماعات والمجموعات ، والاستفادة من أكبر قدر ممكن من الآراء.

٣- من المهم - حتى يصبح الحوار أسلوب حياة - أن نوطن أنفسنا لقبول النقد. فقد يوجه التلميذ في المدرسة أثناء الحوار انتقادًا لأسلوب التدريس ، أو ينتقد عدم كفاية استخدام المدرس لوسائل الإيضاح. وكذلك يتعرض الأبوان في الأسرة إلى شيء من الاعتراض والمراجعة حول مجمل قراراتهما في إدارة شؤون الأسرة ومعالجة مشكلاتها. وحين نفقد روح التسامح والمرونة الذهنية المطلوبة لذلك فإننا سننظر إلى الحوار على أنه باب لإساءة الأدب من قِبَل الصغير مع الكبير ، وسيكون البديل آنذاك هو التعسف والاستبداد.

حين نحاور الأطفال في البيوت والمدارس ، وحين نعتمد أسلوب الحوار في مجالسنا وإداراتنا ومؤسساتنا نحرز عددًا لا بأس به من النجاحات التربوية على الصعيد الفكري وعلى الصعيد العقلي ، وأيضًا على الصعيد الاجتماعي.

من خلال الحوار الناجح والموضوعي والمستمر نتمكن من تنمية الحس النقدي لدى الأطفال في البيوت والمدارس. والحقيقة أن ما يتم من مراجعات ومجادلات بين المتحاورين يعد وسيلة مثالية للوصول إلى هذا الغرض.

لا يعني النقد اكتشاف السلبيات فحسب ، بل يعني اكتشاف السلبيات واكتشاف مساحات الخير والحق والجمال في الأقوال والمواقف والعلاقات والأشياء.

حين يسمع الأطفال وجهات نظر متباينة ومتعددة في الموضوعات والقضايا المطروحة للنقاش ، فإنه تنمو لديهم القدرة على المقارنة ، والمقارنة - كما يقولون - هي أم العلوم. ومن خلال نمو المقارنة تتشكل رحابة عقلية جديدة لا يمكن بلوغها عن غير هذه السبيل.

حين ندير حوارتنا على نحو جيد فإننا من خلال الحلول الوسطى والآراء المعدَّلة والملقحة نشيع في حياتنا الرؤى المتدرجة ، كما نشيع القابلية العقلية لإدراك ما في الأشياء من نسبية. وفي زمان شديد التعقيد وكثير الغموض بات الأطفال -على نحو أخص- بحاجة إلى تربية تنمي لديهم فقه الموازنات ، وهذا الفقه يقوم على عدد من المبادئ المهمة ، منها:

- لكل شيء ثمن ، وهذا الثمن قد يكون وقتًا ، وقد يكون جهدًا ، وقد يكون مالًا ، وقد يكون سحبًا مما لدى المرء من رصيد الالتزام أو الكرامة أو السمعة.
- ضرورة العمل على تحقيق خير الخيرين ، ودفع شر الشرين ، فقد نفوِّت خيرًا أصغر من أجل الحصول على خير أكبر. وقد ندفع شرًا أكبر بالوقوع في شر أصغر. وقد نحتمل الضرر الأصغر من أجل تحاشي الوقوع في ضرر أكبر.

من خلال الحوار بوصفه صبغة عامة للاتصال والمعايشة نتبادل رسالة عظيمة قائمة على نفسية الرخـاء وعقلية السعة ، حيث يوقن الجميع أن في إمكان المرء تحقيق ذاته ، والوصول إلى أهدافه وبلورة آرائه على الرغم من إتاحته الفرصة للآخرين بأن ينقدوه ويجادلوه ، ويعترضوا على بعض ما يقول.

وعلى العكس من هذا فإنه حين ينعدم أو يضعف الحوار في مؤسسة أو أسرة أو مدرسة. فإن كل واحد من الذين يعيشون في تلك المحاضن يشعر بالعوز والضيق وقلة الفرص ، ويسود اعتقاد بأن تقدُّم فلان ونجاحه لا يتم إلا على حساب الآخرين ، كما أن نجاح أي واحد من الأقران والزملاء لا يتم إلا إذا تضرر وتراجع! وهذا بسبب سيطرة فلسفة خفية توحي للناس بأنه ليس في الأرض من الخير ما يكفي لإسعاد الجميع ، فتسيطر عقلية الشح حتى في الأفكار والآراء ، فالأمور محسومة ، فإما أن يكون الحق معي أو معك. وإما أن أكون أنا على الطريق الصحيح ، وإما أن تكون أنت ، حيث لا يتوفر لدينا طريق ثالث!

أما حين يسود الحوار فسيدرك الناس - ولو بطريقة غير واضحة – أنه قد يكون هناك طريقٌ ثالثٌ وفكرة معدلة ، حيث إنه ما احتك مفهوم بمفهوم مناقض إلا أمكن أن يتولد عن هذين المفهومين مفهوم ثالث ، هو أرقى منهما لأنه ثمرة لرؤية مشتركة ، ونتيجة لتلاقح العقول الفذة ، وهذا بالطبع بشرط ألا يكون فيه مخالفة للشرع.

إننا من خلال الحوار نكتشف القواسم المشتركة ، ونجد أن الذي يقف في أقصى اليمين يتواصل على نحو ما مع الذي يقف في أقصى اليسار ؛ لأن الحوار يتطلب بطبيعته بلورة قواعد جديدة واكتشاف أرضيات لم يسبق لنا عهد بها. إن الحوار بالنسبة إلى الكبار أشبه باللعب بالنسبة إلى الصغار ، ولو أنك أعطيت مجموعة من الأطفال دراجة - مثلًا - ليلعبوا عليها فإنك ستجد أنهم خلال دقائق توصلوا إلى بلورة قاعدة لتداولها والاستمتاع بها ، وهكذا نحن الكبار فإننا في حوارنا المتواصل مع بعضنا ومع أسرنا وأطفالنا نستطيع بلورة العديد من المبادئ والأدبيات والرمزيات التي تجمع بيننا ، وتقربنا من بعضنا.

إن الحوار يحجم الخلاف في العديد من الأمور ، ويزيل سوء الفهم وسوء التقدير وسوء الظن الذي يسود في حالات التدابر والتجافي. وهذا يمهد الطريق للتعاون والتعاضد والعمل معًا وكأننا فريق واحد.

ولا بد هنا من الإشارة إلى نقطة مهمة ، وهي أن الحوار يُنعش فيمن نربيهم ونعلمهم الشهية لطرح الأسئلة ، حيث إنه بطبيعته يتضمن ما لا يحصى من الأسئلة ، إن المحاور يستفهم من محاوره عن بعض الغوامض ، ويطلب منه الدليل على بعض ما يورده من أقوال وآراء ومسائل ، كما أنه كذلك يعترض من خلال الأسئلة على بعض ما يقوله محاوره. وهذا كله يمرن الأطفال والناشئة والشباب والكبار على أن يفضوا بما في أنفسهم ، وأن يسألوا عن الأشياء غير المنطقية وغير المستساغة مما يرون ويسمعون.

والحقيقة أن كثيرًا من ينابيع الحكمة يتفجر ، وكثيرًا من شرارات الإبداع والابتكار ينقدح ويتوهج من خلال الأسئلة التي يطرحها النابهون والسائرون في دروب النجاح والتفوق.

إن طريق الحوار هو طريق المستقبل وهو طريق النهوض وطريق الفهم العميق والرؤية الثاقبة ، كما أنه طريق التآخي والتعاون ، وإذا لم نسلك هذا الطريق ، فقد يكون الطريق الذي نسلكه هو طريق التباغض والتجافي والتعانف والانغلاق وسوء الفهم ، وهذا ما لا يتناسب مع الرؤية الإسلامية للمستقبل ، كما لا يتناسب مع الأدبيات الإسلامية في العلاقات الاجتماعية.

ثامنًا: التربية بالعبرة

تمر بالإنسان أحداث عديدة يتفاعل معها ويتأثر بها ويعتبر منها. وقد تكون نتيجة تصرفه الخاص أو لأسباب خارجة عن إرادته. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة ولا توجيه ، وإنما يستغلّها لتربية النفوس وتهذيبها ، فلا يكون أثرها موقوتًا سرعان ما يضيع ، إذ عند وقوع شخص ما بحادثة خطيرة تكون نفسه طرية العود قابلة لأي توجيه وتحذير حيث يكون في حالة ذهول وندم شديدين يريد السبيل لمعرفة كيفية عدم الوقوع بالخطأ مرة أخرى. فتتفاعل النفس عند الصدمة على عكس عند كونها مرتاحة مطمئنّة لا تريد شغل بالها.

والمثل يقول: اضرب والحديد ساخن! لأن الضرب حينئذ يسهل معه الطَرْق والتشكيل. أما إذا تُرك ليبرد فهيهات أن يتشكل منه شيء ولو بُذلت أكبر الجهود. ولقد اهتم القرآن بأسلوب التربية هذا حيث كان من نتيجته تلك الأمة العجيبة الفريدة في التاريخ كله ، إذ أن الله - عند انصهار نفوس الصحابة يطبع من خلال القرآن الكريم ما يريده من التوجيهات والتهذيبات.

والمعروف أن العرب كانت لديهم الكثير من المعتقدات والتقاليد الجاهلية فجاء الإسلام ومحاها بالأساليب التربوية المختلفة ، وهدفه الرئيس بذلك تخليص النفوس من أدرانها وتعلّقاتها حتى إن المسلمين يوم أعجبتهم كثرتهم في غزوة حنين ، كان الرد قاسيًا عليهم فكان التوجيه والإرشاد هو ردهم إلى الله ليعتزوا به وحده. والنفس ذا طبعت على طاعة الله وخشيته ارتكزت على ركيزة لا تهتز ولا تختل وتكون قد توازنت فلا يفسدها الضعف ولا تفسدها القوة.

تاسعًا: الثناء المنضبط وسيلة تربوية

نشعر كثيرًا في تربيتنا وتوجيهنا أننا نحتاج لبيان الأخطاء وممارسة الانتقاد ، وربما اللوم والعتاب ، وقد يتطور الأمر للعقوبة ، وكل ذلك - حين يكون في إطاره الطبيعي - ليس مجالًا للنقاش أو الاعتراض.

ومنشأ الإشكال إنما هو في اتساع مساحة الانتقاد واللوم على حساب غيره ؛ فالنفس تحتاج للثناء والتشجيع ، وتحتاج للشعور بالنجاح والإنجاز كما أنها تحتاج للنقد والتسديد ، لكن ما يأخذه النقد واللوم من واقعنا أكثر بكثير مما يأخذه الجانب الآخر.

ومن يتأمل هدي النبي ص يجد أنه يُثني على أصحابه في مواقف عدة. ومنها: قوله ص لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: « **إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** » (رواه مسلم). وقوله ص لأبي هريرة ت: « **لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ** » (رواه البخاري).

وقال ص أيضًا: « **كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ** » (رواه مسلم). ومن نظر في أبواب المناقب رأى الكثير في ذلك.

إن الثناء يُشعِر الشخص بالرضا والإنجاز ، ويزيد من ثقته بنفسه ، والمربُّون اليوم أحوج ما يكونون إلى غرس الثقة بالنفس والشعور بالقدرة على الإنجاز في ظل جيل يعاني من الإحباط ، وتسبق هواجس الإخفاق تفكيره في أي خطوة يخطوها ، أو مشروع يُقدم عليه. في حين أن النقد واللوم يسهم في تكريس الشعور بالفشل والإحباط ونموه في النفس ، ويضيفه صاحبه إلى تجاربه المخفقة.

والثناء وسيلة غير مباشرة لإثارة تطلُّع الآخرين وحماستهم للتأسي بالمُثْنَى عليه والاقتداء به ، وإبرازه مثلًا حيًا مشاهَدًا أمامهم ؛ لذا فحين قدم طائفة من أصحاب النبي ص محتاجين للنفقة ، ودعا النبي ص أصحابه لذلك ، فتصدق رجل بصُرَّة كادت يده أن تعجز عنها ، فتابع الناس بعد ذلك ، حينها قال ص: « **مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ**

سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ » (رواه مسلم).

وحتى يؤدي الثناء دوره دون إفراط فلا بد من الاعتدال ؛ فالمبالغة فيه تُفقده قيمته ، وتشعر من يسمعه بأنه ثناء غير صادق ولا جاد. وهو مذموم حين يوجه لمن لا يستحقه ، أو لمن يُخشى عليه العُجْب والغرور ؛ بل يستحق من يطلقه حينئذ أن يُحثى التراب في وجهه ، كما قال ص: « **إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ** » (رواه مسلم) [١٣].

ولهذا امتنع ص عن بيان بعض منزلة قريش ، فعَنْ عَائِشَةَ ل أَنَّ النَّبِيَّ ص دَخَلَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ: « **لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ ، لَأَخْبَرْتُهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -** » (رواه الإمام أحمد في الـمُسنَد ، وصحح إسناده الأرنؤوط).

وفي رواية: « **النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا ، وَاللهِ لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لَأَخْبَرْتُهَا مَا لِخِيَارِهَا عِنْدَ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -** » (رواه الإمام أحمد في الـمُسنَد ، وصحح إسناده الأرنؤوط).

---

(١٣) عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ ، فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا ، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: « مَا شَأْنُكَ؟ » ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ص قَالَ: « **إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمِ التُّرَابَ** » (رواه مسلم). وفي رواية لمسلم أيضًا عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ، قَالَ: « قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَقَالَ: « أَمَرَنَا رَسُولُ الله ص أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْـمَدَّاحِينَ التُّرَابَ » (رواه مسلم).

قال النووي: « هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ الْمِقْدَادُ الَّذِي هُوَ رَاوِيهِ ، وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ وَكَانُوا يَحْثُونَ التُّرَابَ فِي وَجْهِهِ حَقِيقَةً ، وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ خَيِّبُوهُمْ فَلَا تُعْطُوهُمْ شَيْئًا لِمَدْحِهِمْ ، وَقِيلَ إِذَا مُدِحْتُمْ فَاذْكُرُوا أَنَّكُمْ مِنْ تُرَابٍ فَتَوَاضَعُوا وَلَا تُعْجَبُوا ، وَهَذَا ضَعِيفٌ ». [شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٢٨)].

عاشرًا: التربية بالعقوبة

من الأمور التي تتدرج بها التربية الإسلامية هي العقاب. فبعد القدوة والموعظة الحسنة والصبر الطويل وعندما لا ينتج عنها أي تقدم أو تحسن كان لزامًا على المربي العلاج الحاسم وهو العقاب ، والعقاب نفسه يندرج ضمن أساليب مختلفة ؛ فقد يعمد المربي إلى حرمان الولد من شيء يحبه ، أو قد يعاقبه بأن يحرمه من نزهة... إلخ.

والولد لا يعاقب في جميع أخطائه وهفواته السلوكية وإلا بات لا يخشى شيئًا ، أما التربية اللطيفة الحانية الرقيقة فكثيرًا ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة واستواء مع الانتباه إلى أن التربية التي تزيد من الرقة واللطف والحنو تضرّ ضررًا بالغًا لأنها تُنشئ كيانًا ليس له قوام. ومن هنا كان لا بد من شيء من الحزم مع اللطف والحنو وذلك لصلح الأطفال والكبار على السواء.

والأمر في كل ذلك يرجع إلى النفس التي يتعامل معها المربي وهو مكلَّف بدراستها ومعرفة كيفية التعامل معها. فمن هذه النفوس من تكتفي بالقدوة ومنها من تكتفي بالموعظة أو الترغيب ومنها ما ينفع معها التهديد ومنها بعد ذلك من لا بد لها أن تحس بالعقوبة لكي تستقيم.

حادي عشر:
المجموعات التربوية كوسيلة للتربية

المجموعة التربوية لبنة حية في بناء المجتمع ، كما أن البيت لبنة في بنائه كذلك ، والفرد يعد لبنة أولى في المجموعة التربوية وفى البيت المسلم.

وتتميز التربية في المجموعات التربوية بالحكمة والدقة ، وتكون التربية على يد شيخ ، أو معلم ، وبرنامج نابع من الكتاب والسنة خاضع لجدول زمني مدروس.

والتربية وفق نظام المجموعات التربوية وسيلة لإعداد الفرد إعدادًا إسلاميًا متكاملًا ، وإنضاج روحه وفكره وعقيدته وسلوكه ، وهي مستمرة حتى وإن قامت حكومة إسلامية كاملة ؛ لأن التربية عن طريق المجموعات التربوية تمد الحكومة الإسلامية بحاجاتها من العناصر البشرية التي أعِدَّتْ إعدادًا جيدًا ، وستظل أي حكومة في حاجة مستمرة إلى العناصر الصالحة.

وعلى فرض قيام حكومة إسلامية كاملة تسيطر على التعليم ، وعلى وسائل الإعلام ، فإنها عن طريق التعليم والإعلام لن تستطيع أن تربى الأفراد ؛ تلك التربية المتكاملة التي تغرس في النفوس الفضائل والجدية والإحساس بالتبعة ؛ لظروف كثيرة تتصل بعملية التعليم وبوسائل الإعلام ومدى فاعليتها ، فالمجموعة التربوية ومنهجها ونظامها ضرورة لتربية الأفراد وإعدادهم الإعداد الإسلامي المطلوب.

ونظام المجموعات التربوية يوجه الأفراد إلى المثل العليا. ويقوى الروابط بين الأفراد فأركانه هي التعارف والتفاهم والتكافل بين الأفراد. ويرفع أخوة الأفراد من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى العمل والتطبيق. وهو وسيلة لتيسير الاتصال بهؤلاء الأفراد الذين أخلصوا للدعوة بهذا الانضمام. وهو وسيلة لتكوين رأس مال للدعوة ، يمثل قدرة اقتصادية ناشئة. وهذا النظام يمثل عصب الجماعة الدعوية فرديًّا واجتماعيًّا وماليًّا.

وتهدف المجموعات التربوية إلى العمل على تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة عند الفرد وتربيتها وتنميتها وفق آداب الإسلام وقيمه. وأهم جوانب تلك الشخصية ، الجانب العقدي والجانب العبادي والجانب الخلقي والجانب الثقافي ، وجانب العمل لخدمة الدين.

الأهداف العامة لنظام المجموعات التربوية:

١ - تكوين شخصية المسلم تكوينًا متكاملاً يلبى مطالب الدين ومطالب الدنيا أي المعاد والمعاش. وهذا التكوين يتناول:

- العقيدة الصحيحة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.
- العبادة الصحيحة بأدائها وفق ما جاءت بها شريعة الإسلام.
- الخلق والسلوك الملتزم بأوامر الإسلام ومستحباته والبعد عن نواهيه ومكروهاته.
- العلم أولًا بكتاب الله وسنة الرسول ص ، وثانيًا بكل ما هو لازم أو هام من علوم الحياة على مختلف أشكالها وتخصصاتها ، بل البروز في هذا العلم.
- العمل والتطبيق لكل ما علمه المسلم من أمور دينه ، وأمور دنياه ، وبخاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هي العليا.
- العناية بالبدن بالأخذ بكل أسباب القوة ، والابتعاد عن كل ما يضعف هذا البدن ، أو يصرفه عن الوجهة التي فطره الله عليها في ضوء ما أحل الله وما حرم.
- المهارات والقدرات وضرورة الاهتمام بأن يكون كل مسلم عارفًا لاستغلال قدراته ، ومنميًا لمهاراته وعلى رأسها تعلم حرفة للكسب.

٢- توثيق الروابط بين أفراد الجماعة الدعوية اجتماعيًا وتنظيميًا ؛ وذلك عن طريق تحقيق أركان المجموعة التربوية من تعارف وتفاهم وتكافل ؛ بحيث يؤدي ذلك إلى تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، كما يجب أن يؤدى إلى توثيق الروابط التنظيمية على كافة مستويات التنظيم في الجماعة الدعوية.

وإنما يتم ذلك داخل المجموعة التربوية بالممارسة العملية والتطبيق والرقابة والمتابعة ، الرقابة الذاتية مِن أفراد المجموعة التربوية ومِن المسئول عنها.

٣ - العمل على زيادة الوعي بالتيارات الموالية للعمل الإسلامي أو المعادية له: لدعم التيارات الموالية أيا كان أصحابها وللتصدي للتيارات المعادية أيا كان أصحابها كذلك ، الدعم والتصدي بأنسب الأساليب وأقربها إلى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وأبرز هذه التيارات:

- التيار الاجتماعي وما يفرزه من عادات وتقاليد يجب أن تعاير بمعايير إسلامية ، فما وافق منها الإسلام قبل وما خالفه رفض وَرُدَّ.
- التيار السياسي وما يقدمه من مذاهب ونظريات وأحزاب وفكر وثقافة ؛ لتأييد ما والى الإسلام ، والتصدي لكل ما يعادى الإسلام ، أو يختلف مع شيء من مبادئه وقيمه.
- التيار الاقتصادي وما يمثله من قوة وقدرة تتمثل في مؤسساته وأجهزته ، وما يفرزه هذا التيار من نظم وقيم توالى ما جاء به الإسلام ، أو تعاديه ، لدعم الموالى وصد المعادى كذلك.

٤- الإسهام في إطلاق قوى الخير والصلاح الكامنة في شخصية المسلم ، وتوظيفها لخدمة الدين وتحقيق أهدافه ، وإنما يكون ذلك بالتعرف على قوى الخير

والصلاح في كل فرد ، ورصد هذه القوى ، ثم توظيفها لخدمة الدين ؛ بعد التعرف الدقيق على متطلبات الدين في مراحل بعينها ووفق أولويات بعينها كذلك.

وهذه القوى التي يجب أن ترصد في كل مسلم تتنوع:

- قوة عقل وثقافة وقدرة على التحليل.
- قوة بدن وقدر على التحمل.
- قوة روح وعقيدة وعبادة.
- قوة قيادة وسياسة وتنظيم.
- قوة تجميع للناس وتحبب إليهم.
- قوة على العمل والاستمرار فيه.
- قوة على خدمة الناس والسعي في حوائجهم.

وكذلك الشأن في التعرف على متطلبات الإسلام في مرحلة من مراحل الاحتياج ، وأولوية هذه الاحتياجات وفق تنسيق خاص. وكل ذلك إنما يعرف ويكشف في داخل المجموعة التربوية ، ووفق ما أعد لها من برنامج.

٥- مقاومة عناصر التخاذل والسلبية في شخصية الفرد ، مقاومة تعتمد أيضًا على رصد العناصر ومعرفة أسبابها ، ثم العمل على إزالة أسبابها ، وتوجيه صاحبها نحو الإيجابية والإحساس بالمسئولية.

ومن أبرز هذه العناصر ما يلي:

- الرين والصدأ الذي يغشى القلب فيصرفه عن واجبه.
- الكسل والتراخي.
- البعد عن إخوانه الدعاة العاملين النشطين.
- ضعف الإحساس بالمسئولية.

- سوء فهم الهدف والغاية من العمل الإسلامي.
- الانحراف في تيار معاد متستر.
- ضعف العبادة وعدم ارتياد المسجد.

مع ضرورة التعرف على سبب أي عنصر من هذه العناصر ، أو غيرها لإزالته أولا ، ثم العمل على تشجيع صاحبها على العمل والسعادة به. وغالبا ما يكون ذلك - بعد إزالة الأسباب - بما يلي:

- إذكاء عناصر الإيمان ولإسلام والإحسان في النفس.
- التذكير بواجب الفرد نحو ربه ونحو دينه ونحو أخيه ونحو مجتمعه وعالمه الإسلامي.
- التفقيه والتثقيف عن طريق القراءة والبحث ، والتشجيع على ذلك.
- الإحاطة الاجتماعية بهذا الفرد ، بمعنى أن يحيط به عدد من إخوانه العاملين النشطين المحبين للعمل.
- القيام برحلات وزيارات تُذهب هذا التباطؤ والتراخي.
- عقد صلات بين هذا الأخ وبين بعض إخوانه.
- ملازمة مسئول المجموعة التربوية لهذا العضو المتكاسل أطول فترة ممكنة.

٦- تحقيق معنى الاعتزاز بالإسلام ، والالتزام بآدابه وأخلاقه في كل مناشط الحياة ومكارهها.

وهذا سوف يتطلب من كل فرد من الأفراد ما يلي:

- أن يخلع ويهجر أي اعتزاز بمبدأ غير الإسلام.
- أن يعتز بالإسلام أكثر من اعتزازه بذويه أو وطنه ، وأن يكون الله - ورسوله ص أحب إليه مما سواهما.

- أن يتقيد بكل خلق فاضل دعا إليه الإسلام مهما كلفه هذا التقيد من جهد ، ومهما جعله يشعر بالغربة في أي مجتمع غير متقيد بآداب الإسلام وأخلاقه.
- أن يبتعد عن كل ما طالب الإسلام بالابتعاد عنه ؛ من خلق رذيل أو سلوك شائن ، وأن يحتمل في سبيل هذا الابتعاد كل ما يعرض له من متاعب نفسية أو اجتماعية أو سياسية مهما كان ثقل ما يحتمل.
- أن يعتبر أن العالم الإسلامي كله هو وطنه الذي يعمل من أجل رفعته وسيادته ، وتحكيم شرع الله فيه.

٧- تحقيق معنى الانتماء للجماعة الدعوية والالتزام بأهدافها ورسائلها وحركتها ونظمها وآدابها ، بكل ما يتطلبه الانتماء من تبعات مادية أو معنوية ، تبعات تتطلب جزءا أساسيًّا من الوقت ومن الجهد ومن المال.

والجماعة دائما - وفى كل وسائلها وأنظمتها وقانونها الأساس ولائحتها الداخلية - تنادى بأعلى صوت ؛ بأن كل ما لها من أهداف وكل ما تتخذه من وسائل وكل حركة لها وكل نظام وكل أدب ؛ إنما ينبع كل ذلك من مصدرين رئيسين هما:

- كتاب الله لأ.
- وسُنَّة رسوله ص بمعناها الواسع الذي تدخل به السيرة الصحيحة في السنة على أنها السنة العملية ، إذ من سيرة الرسول ص ينبغي أن تُؤخذ القدوة.

٨- تدارس المشكلات والمعوقات التي تعترض عمل الفرد من أجل الإسلام تدارسًا يشخصها بدقة ، ويرسم خطوط علاجها بوضوح.

وهذه المشكلات على مستويات عديدة منها:

- مشكلات على مستوى الفرد.
- مشكلات على مستوى العائلة التي ينتمي إليها الفرد.

- مشكلات على مستوى الحي الذي يعيش فيه.
- مشكلات على مستوى جهة العمل التي يعمل فيها.
- مشكلات على مستوى المجتمع كله سواء أكانت اجتماعية ، أو سياسية ، أو فكرية ثقافية ، أو اقتصادية ، أو أفكارا غازية معادية.

٩ - تعميق مفهوم الدعوة والحركة في الفرد المسلم ، إذ كل مسلم مطالب بأن يكون داعية إلى الله لأ ، متحركًا عاملًا من أجل هذا الدين في حدود علمه وطاقته ، وما أتاح الله - له من معرفة بهذا الدين.

١٠ - تعميق مفهوم الإدارة والتنظيم في مجال العمل الإسلامي ، وذلك مطلب ضروري ؛ لأن أي عمل يخلو من التنظيم جدير بألا يبلغ هدفه ، ووكل عمل لا يدار بأسلوب صحيح وبمدير واع فاهم لطريقة الإدارة ، وقادر على توظيف كل طاقة من طاقات العمل والعاملين لصالح العمل الإسلامي ، جدير كذلك بأن يضطرب ويضل طريقه ، فضلا عن أن يبلغ هدفه.

وكل تلك الأهداف العامة للمجموعة التربوية ، إنما تدرك في داخلها ؛ وفق برنامجها وفى رعاية مسئولها وفى هذا العدد المحدود من الأفراد.

الأهداف الخاصة لنظام المجموعات التربوية:

أولًا: أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للفرد:

١ - تكوين شخصيته تكوينًا إسلاميًا ، يقوم على العناية بكافة الجوانب التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة وهى:

أ- جانب العقيدة: بتكوين عقيدة صحيحة في الخالق - وذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله ، وفى الملائكة ، وفى الكتب السماوية ، وفى الأنبياء وما يجب فيهم وما يجوز وما يستحيل عليهم ، وفى الوحي والمعجزة والروح والجن والشياطين واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، بل في الإنسان نفسه والكون والحياة.

ب ـ **الجانب العبادي**: بالالتزام بالفرائض كما جاءت بها الشريعة الإسلامية ، وممارسة النوافل والإكثار منها قدر الطاقة وجعل هذه النوافل جزءًا من البرنامج اليومي لحياة الفرد ، وجعل هذه النوافل برنامجًا أسبوعيًّا وشهريًّا وسنويًّا ودوريًّا ، بحيث تكون النوافل بابًا هاما من أبواب التقرب إلى الله -.

ج- **الجانب الفكري الثقافي**: بتكوين الثقافة العامة ، والثقافة الإسلامية الخاصة ، والثقافة الدعوية ، مع التصور الصحيح للعمل الإسلامي في ظل الظروف المختلفة والمتغيرات المستمرة.

د - **الجانب الأخلاقي السلوكي**: بالالتزام بآداب الدين الإسلامي ، مع إحياء معاني الإخـلاص والتجرد والوفاء والنجدة والأخوة والبشاشة والالتزام بالحق وبالصبر ، والتقيد الدقيق بسنن الإسلام ومنتدباته ، والابتعاد الشديد عن المكروهات ، ومواطن الشبهات.

هـ - **الجانب الحركي في شخصية الفرد**: ويكون ذلك متمثلًا في قدرته على الأمور التالية:

- الاختلاط بالناس وكراهية الانعزال عنهم.
- ألفة الناس والقدرة على أن يكون هو مألوفًا من الناس.
- القدرة على جذب الناس وجمعهم نحو غاية مشروعة.
- القدرة على تحريك جوانب الخير في الناس.
- القدرة على ربط الناس بالعمل للإسلام وإقناعهم بوجوبه.
- القدرة على إقناع الناس بالعمل الجماعي.
- القدرة على البذل والتضحية وإنكار الذات وخدمة الناس دون أن يطلبوا.

و- الجانب الإداري التنظيمي في شخصيته ويتمثل ذلك فيما يلي:

- التدرب على الإدارة في أبسط صورها وهى إدارة المجموعة التربوية نفسها.

- التدرب على الانضباط في الحضور وفى الانصراف وأداء المهام المكلف بها.
- التدرب على أدب الاستئذان وأدب الحوار والاستماع إلى الرأي الآخر.
- التعرف الدقيق على أفراد المجموعة التربوية ليسهل التعامل معهم والتعاون والتواصي بالحق والصبر.
- الالتزام بالعمل على تحقيق أهداف الجماعة الدعوية مهما كلف ذلك من وقت أو جهد أو مال.
- الطاعة والامتثال في غير ما حرم الله لأ.
- المشاركة عن طريق المجموعة التربوية في المقترحات البنَاءة التي تسهم في صنع القرار وتهيئ له الأرضية الصالحة.
- الالتزام بقرارات الجماعة مهما كانت مختلفة مع الرأي الشخصي للفرد مادام القرار قد اتخذ.
- المحافظة على السرية والكتمان.
- الثقة في القيادة.

٢- تأكيد معاني الأخوة في نفس الفرد: لأنها أخوة في الله - وفى الإسلام وفى التواصي بالحق والصبر. وإنما تتأكد معاني الأخوة في نفس الفرد بما يلي:

أ - ممارسة الحب في الله لمن كان حيث أمره الله ، والبغض في الله لمن كان حيث نهاه الله ؛ لأن الإيمان حب وبغض.

ب- التعارف الوثيق والتناصح والتسامح.

ج - التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

د - التفاهم والتعاون والتكافل.

هـ - التعود على أن يكون الأخ في حاجة أخيه.

ز - أداء واجبات الأخوة في الدين كاملة غير منقوصة.

وواجبات الأخوة في الدين كثيرة ، وردت بها نصوص إسلامية نذكر منها في جانب الأمر ما يلي:

- يسلم عليه إذا لقيه.
- يجيبه إذا دعاه.
- يشمته إذا عطس.
- يعوده إذا مرض.
- يتبع جنازته إذا مات.
- يحب له ما يحب لنفسه.
- ينصره مظلومًا وظالمًا ؛ مظلومًا برفع الظلم عنه ، وظالمًا بكفه عن الظلم.
- يمشى في حاجته.
- يفرج كربته.
- يستره.

ومنها في جانب النهى ما يلي:

- لا يبغضه إلا في الله.
- لا يحسده إلا فيما شرع فيه الحسد (الغبطة).
- لا يقاطعه أو يهجره فوق ثلاث.
- لا يظلمه.
- لا يسلمه لعدو.
- لا يخونه.
- لا يكذبه.

- لا يخذله.

وكل هذا ؛ هو مما يؤكد الأخوة في نفس الفرد المسلم نحو أخيه في الإسلام.

٣- التدرب على الاستماع إلى الرأي الآخر من إخوانه في المجموعة التربوية: وبصدر رحب وعقل مفتوح ، ومناقشة الرأي حتى يتبين الحق الواجب الاتباع.

وإنما يكون ذلك بما يلي:

أ - التعبير عن الرأي بأدب واستئذان وموضوعية وبعد عن التعصب للرأي أو الإعجاب به ، لأن المتعصب لرأيه أو المعجب برأيه قلما يكون محبوبًا من الآخرين.

ب- حسن عرض القضايا ! والمسائل والآداب باختيار الأساليب الهادئة الهادفة البعيدة عن ارتفاع الصوت والضجيج.

ج- الاهتمام بأن يظل باب الحوار مفتوحًا طالما هناك راغب في الكلام ، لأن إيصاد باب الحوار تحكم وتعنت وإحراج للصدور ، فضلًا عما فيه من إيذاء الآخرين.

د- عدم الاستهانة بأي رأى أيًّا كان مصدره فقد يكون فيه الخير ، وطالما أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها فلابد من حسن الاستماع لكل رأى.

ومن شأن ذلك أن يحقق ما يلي:

- الكشف عن المواهب لدى صاحب الرأي.
- الكشف عن الطاقات الكامنة في الفرد.
- توجيه هذه المواهب والطاقات لصالح الدين ولصالح الجماعة الدعوية ولصالح الفرد نفسه.
- إضفاء الحيوية والفاعلية على اجتماع المجموعة التربوية.

هـ - دعم مبدأ الشورى في نفوس أفراد المجموعة التربوية نتيجة لحرية الرأي ، ولضرورة حسن الاستماع للرأي الآخر ، أسوة برسول الله ص فقد كان يقول - وهو المعصوم الموحَى إليه: «**... أَشِيرُوا عَلَيَّ ...** » (رواه البخاري ومسلم).

فهذا أوسع باب للرأي الآخر مع مقام النبوة والعصمة والتأييد بالوحي ، ولكن النبوة تطلب الرأي الآخر وتستمع إليه وتأخذ به إن كان صوابًا ولم يكن فيه وحى.

٤ - **إقدار الفرد على أن يربى نفسه تربية ذاتية:** بمعنى أن يربى الفرد نفسه بنفسه من منطلق أنه أدْرَى بما يحتاج إليه من جوانب المعرفة والتدريب ، وضرورة غيبة برنامج المجموعة التربوية لسبب من الأسباب.

وإنما يكون ذلك بما يلي:

أ - يعد الفرد لنفسه برنامجا يحقق به ما يلي:

- علاج نواحي الضعف والقصور التي يحس بها الفرد ولا يحس بها سواه ، مثل ضعف في البدن أو في الثقافة أو في النفس أو ما إلى ذلك.
- تزكية الروح بممارسة الطاعات والإكثار من النوافل والانتهاء عن المكروهات.
- التدرب الذاتي على مناقشة المعوقات والمشكلات في مجال العمل الإسلامي ، وتصور الحلول الملائمة لها ، ثم عرض ذلك على إخوانه في المجموعة التربوية.
- زيادة الخبرة وتنمية القدرة في كل ما له علاقة بالعمل الإسلامي والعمل في داخل الجماعة.

ب - يأخذ الفرد نفسه بالجدية والحسم في تنفيذ البرنامج الذاتي الذي وضعه لنفسه ، مراقبا الله - ، محسنًا في عمله ما وسعه الإحسان.

ج - يضع لبرنامجه الذي أعده لنفسه فترة زمنية ملائمة ينتهي فيها منه ، ثم يُقَوِّم البرنامج على ضوء ما حقق في نفسه من أهدافٍ وُضِعَ البرنامج على أساس تحقيقها.

د - مراعاة عدم تضارب برنامجه الذاتي مع برنامج المجموعة التربوية ، في حال وجود برنامج لها ، لأن برنامج المجموعة التربوية أصل وأساس ، والبرنامج الذي وضع للتربية الذاتية مكمل ومتمم.

٥ - التعاون بين أفراد المجموعة التربوية على تنمية قدرات الأفراد وتدريبهم:

فالله - قد أودع كل فرد من الملكات والمواهب والقدرات ما يميزه به عن سواه ، والمجموعة التربوية هي المجال الملائم للكشف عن هذه الملكات والقدرات وتنميتها وتوجيهها وتوظيفها لخدمة الدين ، والجماعة والفرد نفسه ، وبخاصة أن كل فرد في المجموعة التربوية داعية إلى الله لأ بحاجة شديدة إلى التدرب على كل ما يساعده في الدعوة إلى الله - ، ومن الأمثلة على ذلك:

أ- التدرب على تنمية موهبة الخطابة أو المحاضرة أو المناظرة أو الدرس.

ب- التدريب على إعداد بحث ، بالتعرف على التعامل مع مصادره ومراجعه وخطوطه العريضة وكتابته.

ج- التدرب على التحليل السياسي.

د- التدرب على الإدارة.

هـ- التدرب على القراءة السريعة.

و- التدرب على التلخيص أو الشرح.

ز- التدرب على ممارسة الأنشطة الاجتماعية ، مثل زيارة الجيران وعمارة المساجد وعيادة المرضى واتباع الجنائز وزيارة القبور.

ح - التدرب على ممارسة الرياضة البدنية والدفاع عن النفس ومهاجمة العدو ، وتقوية الاحتمال والصبر على الجوع والعطش بصيام النوافل في أيام الصيف.

ط- التدرب على ممارسة حرفه لكسب العيش ، مهما كان المتدرب على قدر من الثقافة أو المكانة الاجتماعية. وهذا التدرب يتم في اجتماع المجموعة التربوية طالما كان ذلك ممكنًا وإلا ففي خارج الاجتماع.

٦- التعارف بين أفراد المجموعة التربوية على حل المشكلات وإزالة المعوقات التي تعترض العمل الإسلامي: هذه المشكلات أو المعوقات تكاد تكون ضرورة عند ممارسة العمل الإسلامي في مجتمع ليس مصطبغًا بالصبغة الإسلامية في كل أموره. بل هذه المشكلات تظل أبدًا ماثلةً أمام الفرد طالما هو يعمل.

ومن أهم أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للفرد ، أن تعلمه كيف يتعاون مع إخوانه في للتعرف على أسباب هذه المشكلات والمعوقات ثم التفكير في أسلوب إزالتها من طريق العمل وهذه المشكلات أو المعوقات بالنسبة للفرد كثيرة ومتشعبة ، منها ما يلي:

أ- مشكلات أو معوقات فطرية مثل:

- الحساسية الزائدة عن حدها.
- حدة الطبع وسرعة الغضب.
- بطء الاستجابة.
- الثرثرة.
- السلبية وعدم الانضباط... وغيرها.

ب- مشكلات أو معوقات نفسية مثل:

- إعجاب المرء بنفسه أو رأيه.
- التعالي والكبرياء.
- اتباع الهوى.
- حب الدنيا.

- كراهية الموت.

ج- مشكلات أو معوقات روحية مثل:

- قسوة القلب.
- نسيان الآخرة.
- ترك النوافل.
- إهمال الأذكار والأوراد.
- عدم الإقبال بسرور وسعادة على العبادة.
- عدم المواظبة على الصلاة في المسجد.

د - مشكلات أو معوقات ثقافية مثل:

- ضعف الثقافة أو ضحالتها.
- كراهية القراءة.
- عدم الاهتمام بما يقرأ وعدم التعمق في فهمه.
- ضعف الاستيعاب.
- عدم القدرة على التركيز.
- ضعف القدرة على نقد ما يقرأ ، بمعنى تقبل كل ما يقرأ واعتباره قضايا مسلمًا بما فيها.

هـ- مشكلات أو معوقات حركية مثل:

- إيثار العزلة عن الناس.
- عدم القدرة على الدعوة والتبليغ.
- العجز عن جذب الناس إليه وإيلافهم.
- عدم الرغبة في التضحية بالوقت أو الجهد أو المال.

- ضعف القدرة على جمع الناس والتأثير فيهم وتصنيفهم من حيث مدى تقبلهم للعمل في مجال الدعوة إلى الإسلام ومتطلباته.

و- مشكلات أو معوقات تنظيمية مثل:

- الغفلة عن أهداف العمل الذي يقوم به في أي مجال.
- الغفلة عن مراحل العمل وأولويات كل مرحلة.
- ضعف الالتزام والانتماء بالنسبة للدين عموما وللجماعة بصفة خاصة.
- ضعف القدرة على إدارة العمل في داخل المجموعة التربوية أو في خارجها.
- ضعف الثقة في القيادة.
- ضعف عنصر الطاعة والامتثال.
- ضعف الرغبة في المشابهة في أعمال المجموعة التربوية ، مهما كان بعض الأعمال هينا يسيرا أو شاقا مضنيا.
- ضعف القدرة على السرية والكتمان.
- عدم توافر الحس الأمني.

٧- العمل على تخريج كوادر من المجموعات التربوية تكون مسئولة عن مجموعات تربوية جديدة ، فليست المجموعة التربوية تجمعًا أبديًّا بين أفرادها يستمرون عليه كأنه هدف لذاته ، وإنما هو تجمع موقوت بمدة زمنية مناسبة ، يُنتهَى فيها من دراسة برنامج معين فإذا ما انتهى هذا البرنامج فلا بد أن يتفرق أفرادها في أعمال أخرى ، تخدم الدين وتفيد الجماعة الدعوية ، بعد أن يكونوا قد نضجوا بهذا البرنامج ثقافيًّا وعمليًّا وتدريبيًّا ودعويًّا وحركيًّا ، لأن هذا النضج من علامات نجاح البرنامج ونجاح مَن نَفَّذَه.

وليس بمقبول أن تأتى الجماعة الدعوية بمسئول عن مجموعة تربوية - يمثل قيادة الجماعة في التربية والتوجيه - دون أن يكون قد مر بمصفاة في مجموعة تربوية فردًا من أفرادها يتعلم فيها على يد مسئول متمرس.

وليست العبرة في مسئول المجموعة التربوية أن يكون من أهل العلم والثقافة وكفى ، بل لابد فيه من صفات أخرى تساند العلم والثقافة وتمكنه من قيادة غيره من الناس ، وتوجيههم نحو الأهداف العامة والخاصة ومراحل العمل ، وأولوية هذه المراحل.

والمجموعة التربوية الجيدة هي المجموعة الولود التي يمكن أن يتخرج فيها عدد من الكوادر ، ربما كان جميع أفرادها.

ثانيا: أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للبيت:

تستهدف المجموعة التربوية بالنسبة للبيت المسلم أن يكون هذا البيت إسلاميًّا في سلوكه وحياته وشكله وما يسوده من قيم وآداب وعادات ، وأن يشب الأبناء فيه في ظل أبوين ملتزمَيْن بالإسلام حتى يجد الأبناء في بيوتهم الأسوة الحسنة والمثل التي يجب أن تُحتذى.

ولذلك كانت أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للبيت على النحو التالي.

أ - حسن اختيار الزوج:

ب - طبع البيت المسلم بطابع إسلامي: وهذا يتطلب ما يلي:

- التزام الأبوين في السلوك والكلام والزى والمعاملة والطعام والشراب وكل ما له علاقة بالبيت التزامهما في كل ذلك بالإسلام آدابه وأخلاقه.
- مظهر البيت المسلم يجب أن.يكون مُرضيًا لله - متفقًا مع أدب الإسلام في كل ما يحتويه ، فلا إسراف ولا تقتير في فرش أو أثاث ، ولا

تماثيل ، ولا شيء مما يغضب الله - ، مهما كان هذا الشيء قد تعارف الناس عليه وألفوه.

- لابد أن يكون هذا البيت نظيفًا بسيطًا منظمًا مريحًا لأهله غير عازف عن الحياة الدنيا ، فقد أحل الله الطيبات من الرزق وحبب الإسلام في البيت الواسع ، كما لابد أن يعتني هذا البيت بالمأكل الطيب والملبس الطيب في حدود ما أحل الله.
- والبيت المسلم لا يعرف الصخب ولا الشجار بين أفراده وبخاصة بين الأبوين ؛ لأن الإسلام يطالب بالوئام والهدوء والمودة والرحمة بين أفراد البيت جميعًا ، وإنما يصل البيت المسلم إلى ذلك بأن يعرف كل من الأبوين واجباته وحقوقه ، ويؤدى كل منهما ما عليه تقربا إلى الله لأ واحتسابًا للأجر والمثوبة عنده.
- البيت المسلم لا يقوم على أساس التضييق على أهله فيما أحل الله لهم بل على مبدأ قوله 8 (F G H I J | L M N O P Q R S | U V W X Y Z [|] ^ _ ` a) (الطلاق: ٧).
- البيت المسلم ما ينبغي أن ينزلق في مجال الاستعراضات الاجتماعية القائمة على التباهي والتفاخر ؛ لأن ذلك فضلا عن كونه حرامًا ، فإنه يورث الأحقاد ، والأصل في البيت المسلم أن يفرز حبًّا وتعاطفًا مع الآخرين ، لا أحقادًا وابتعادًا عن الناس.
- والأصل في البيت وما فيه أن لا يكون فيه شيء قد أعِدَّ بإسراف أو مخيلة.

ج - آداب البيت المسلم:

ينبغي أن تسود البيت المسلم آداب الإسلام في كل أمره ، وكل أفراده ، كما أوضحنا آنفًا ، لكن نشير هنا إلى الوسائل التي تمكن من أن يسود البيت المسلم أدب الإسلام. وأهم هذه الوسائل ما يلي:

- الالتزام بخلق الإسلام في كل ما يأتيه أفراد البيت من أمر أو يدعونه من أمر كذلك.
- التأكيد على التزام الأبناء منذ نعومة أظفارهم بأدب الإسلام في الكلام والصمت والحركة والسكون والطعام والجوع والملبس والملعب ، ولهم في ذلك القدوة والأسوة من أبوين ملتزمين.
- التأكيد على أن البيت المسلم بمن فيه بيت يدعو غيره من البيوت إلى الله - وإلى الإسلام وإلى الخير والهدى ، فالرجل فيه يختلط بالرجال ويدعوهم إلى الله والمرأة تختلط بالنساء وتدعوهن إلى الله وكذلك يفعل الأبناء.
- التأكيد على أن البيت المسلم ينبغي أن يكون مثلا يُحْتَذَى في كل أمره حتى يكون بهذا الوضع دعوة ودعاية للإسلام وللعمل الصالح.

د - الأبناء في البيت المسلم:

تستهدف الأسرة في البيت المسلم أن يشب الأبناء على وعى وتمسك بآداب الإسلام ، والأبناء دائمًا صور لوالديهم ولما يسود بيوتهم من قيم ، وعلى الوالدين أن يختاروا الصورة التي يحبون أن تظهر في أبنائهم.

والأبناء في البيت المسلم سوف يختلطون بغيرهم ممن شبوا في بيوت لا تلتزم بالإسلام في سلوكها وآدابها ، والبيت المسلم مطالب بأن يزود أبناءه بالآداب الإسلامية التي يجب أن يحملوها إلى غيرهم من القرناء.

ولكي يستطيع الأبناء حمل هذه الرسالة وتوصيلها إلى غيرهم من الأقران ، فإن ذلك يتطلب من الأبوين أمورًا كثيرة منها:

- غرس القيم والآداب الإسلامية في الأطفال منذ نعومة أظفارهم ، وذلك بالتعامل الإسلامي الدقيق معهم في كل موقف من مواقفهم ، ومواقف الأبوين.
- إعطاء الأبناء القدوة الحسنة في الكلمة الجادة وفى الكلمة المازحة دون تساهل في هذا أو ذاك.
- الأصل الذي يعامل به الأبناء ليشبوا صالحين ويصيروا فيما بعد رجالا صالحين ونساء صالحات ؛ أن نلتزم معهم بالاستجابة المشروعة لحاجات أبدانهم وعقولهم وأرواحهم ، فنعطي كل ذلك ما يحتاج إليه. فالبدن بحاجة إلى غذاء حلال طيب ورياضة وترويح ولعب ، والعقل محتاج إلى قراءة وتأمل تدرب على الفكر والتصور ، والروح بحاجة إلى التصفية من الشوائب ، والأوضار والتغذية بالعبادة والقرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة الشريفة ، وكل ذلك إنما يكون على الصورة الأمثل إذا تعاهد الآباء الأبناء بحسن التعامل وجديته مع إعطاء اللعب والترويح ما هو ضروري للإنسان.
- على الوالد أن يعود أبناءه البنين ارتياد المساجد وأداء الفرائض فيها وعقد صلة وعلاقة بين الأبناء والمسجد والتعارف على رواد المسجد من المسلمين شبابًا وشيوخًا ، مع المداومة على دروس المسجد وعظاته وشتى المناشط التي تمارس في بيوت الله ، لأن تعلق القلوب بالمساجد سبب من أسباب رِضَى الله لأ عن عبده وحبه له.
- من الضروري أن يكون البيت المسلم مكانًا لاجتماع الصغار من الأقارب على أدب الإسلام وأخلاقه ، إذا كان في البيت متسع بذلك. فإن ممارسة

آداب الإسلام وأخلاقه في ظل البيت المسلم وفى رعاية الأبوين ، يحول بين الأبناء والتجمع في الشوارع وعلى قوارع الطرقات لما يجره ذلك التجمع في الطرق من مفاسد وآثام.

- لا ينبغي أن يخلو البيت المسلم من مكتبة إسلامية ، تزود الأبناء بما ينفعهم من تفسير كتاب الله وسنة رسوله ص وسيرته ص وتاريخ الصحابة ي ، وسير أعلام المسلمين والمصلحين منهم لتمتلئ نفوسهم اعتزازًا بهذا الدين ويزيد حبهم له وحرصهم على الانتماء إليه.

ثالثًا: أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للمجتمع:

تستهدف المجموعة التربوية بالنسبة للمجتمع المسلم أن يكون هذا المجتمع المسلم ملتزما بأدب الإسلام ونظامه ، يتحاكم إلى شرع الله في كل أمره ، وتسود فيه المنهجية الإسلامية في كل عمل يناسب المجتمع.

والأصل الأصيل في المجموعات التربوية أن تمد المجتمع بالعناصر الصالحة من الناس ، رجالًا ونساءً وشبابًا وشابات وفتيانا وفتيات ، كل منهم يقوم بعمله في هذا المجتمع على الوجه الذي يرضى الله لأ ، ويطور المجتمع ويرتفع بمستوى الأداء فيه في كل مجال من مجالات العمل ، هذا هو الأصل.

وكلما زاد عدد من يمد بهم المجتمع من العناصر البشرية الصالحة فشاركوا في العمل الموكول إليهم بكفاءة وإخلاص ومراقبة لله - ، كلما كان ذلك أدْعَى إلى أن يخطو المجتمع نحو التحضر والرقى في أخلاقه وآدابه وسياسته واقتصاده ومؤسساته وأجهزته وكافة فروع العمران والتحضر فيه ، وهذا بدوره يقرب المسافة بين العاملين للإسلام ، وبين تكوين الأمة الإسلامية التي تشكل منها الحكومة الإسلامية التي تأخذ على عاتقها وتجعل من أهم واجباتها الحكم بما أنزل الله. ثم العمل على الوصول إلى أستاذية العالم كله بهيمنة كتاب الله لأ وسنة رسوله الخاتم ص على كافة النظم والمذاهب ، لنقل الناس

- كل الناس - من الضلال إلى الهدى ، ومن الباطل إلى الحق ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام.

ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف الضخام فإن نظام المجموعات التربوية يستهدف من المجتمع أن يحقق هذه الأهداف ويتخذ إلى ذلك طريقًا يتمثل فيما يلي:

أ - دفع من تربوا تربية إسلامية صحيحة داخل هذه المجموعات التربوية إلى قطاعات المجتمع المختلفة ليسدوا الثغرات في المجالات التالية:

- المدارس والمعاهد والجامعات.
- المصانع والمتاجر والمزارع.
- المؤسسات والأجهزة الحكومية بل غير الحكومة لأن جودة الأداء والإخلاص في العمل من أهم الواجبات على المسلم ، نحو المجتمع كله بقطاعيه الحكومي والخاص ، فكلها ثروة المجتمع. وسوف يكون هؤلاء أمثلة للإخلاص في العمل ، والتفاني فيه ، وإيثار الحق والعدل ، بل الغيرة على المصالح العامة للمجتمع كله.

ب- التعرف على السلبيات وأسباب الفشل والخسارة في كل قطاع من قطاعات المجتمع ، من خلال هؤلاء الذين دفعت بهم المجموعات التربوية إلى خوض غمار الحياة العملية المصطبغة بصبغة الإسلام.

وهذا التعرف يستوجب على هؤلاء الرجال الصالحين أمورًا أهمها ما يلي:

- دراسة ظواهر السلبية في كل قطاع.
- التعرف بدقة على أسباب الفشل والعجز وضعف الأداء والخسارة المادية ، ورصد ذلك بدقة وموضوعية.

- القيام بإعداد تصورات من واقع التجربة الميدانية التي خاضوها للقضاء على هذه الظواهر ، وتوجيه العمل والعاملين نحو ما يصلحهم ويصلح بهم مجتمعهم.
- القيام بكل هذا في هدوء المسلم والتزامه واتزانه ونشدانه الحق والصواب والمصلحة العامة ، في كل رصد أو تسجيل لظاهرة سلبية وفى تصور واقتراح بحل لأي مشكلة عن المشكلات.

ج- المشاركة الإيجابية في كل أوجه النشاط التي يمارسها المجتمع الذي يعيشون فيه على شريطة أن تكون هذه الممارسة ما يرضي الله أو مالا يسخطه وأن تكون محققة لمصلحة عامة للناس ، ومما لا يتعارض في قليل ولا كثير مع شيء مما جاء به الإسلام ، مع الاستمرار في رصد المعوقات والسلبيات والمخالفات للإسلام وشريعته ؛ بهدوء وموضوعية لوضع البديل الملائم ما أمكن ذلك.

وشرط ذلك كله أن يكون الفرد الذي ربى في مجموعة تربوية مثالًا وأنموذجًا للإسلام الذي يدعو إليه في كل أمر يأتيه أو يدعه ، وليس مما يتفق مع هذه المثالية أو النموذجية العصبية أو الغلظة ، وإنما دائمًا الحكمة والموعظة الحسنة ثم الجدال بالتي هي أحسن ، وإلا كان مثارًا للنفور عن الإسلام الذي يدعو إليه ، حتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين هما من أبرز إيجابيات العمل من أجل الإسلام أجاز الفقهاء أن يُرجأ الأمر بالمعروف إذا أدى هذا الأمر بالمعروف إلى منكر ، وأن يرجأ النهى عن المنكر إذا أدى النهى عن المنكر إلى منكر أشد ؛ يُرجأ كل منهما ولا يعطل.

د - الاهتمام بالإتقان والتجويد والتفوق في كل عمل يوكل إلى واحد ممن تربوا داخل المجموعات التربوية ، وفى أي مجالات الجهد الإنساني ؛ لأسباب كثيرة نذكر منها:

- أن هذا هو الأصل الإسلامي في أداء العمل ، قال ص: « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ** » (رواه مسلم). وقال ص: « **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذَا**

عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ » (رواه أبو يعلى وغيره وحسنه الألباني). والذي لا يجيد ولا يُحْسن ، مقصر مخالف لأدب الإسلام وسنته الاجتماعية.

- أن هذا بمثابة دعوة صامتة هادئة إلى طريق الحق والالتزام بهذا الدين والاعتزاز بأن ينتمي إليه أهله ، بل إن هذا خير من عشرات الخطب والمحاضرات والمواعظ ، فهو التربية بالقدوة.
- أن التجويد والإتقان يؤدى إلى أن يكون هذا المجود المتقن مرجعًا في هذا العمل وذاك المجال ، يقصده الناس ويتعلمون منه ويستشيرونه ، وتلك فرصة للدعوة لا تعدلها فرصة ؛ أن تدعو إلى الإسلام من كان في حاجة إليك ، وأن تعامل بسماحة الإسلام وكرمه وما أمر به من أخوة بين المؤمنين.
- أن هذا أسلوب جيد في الوصول إلى المراكز القيادية في العمل ، وعند الوصول إلى القيادة تكون الكلمة أسرع وصولا إلى القلوب لا إلى الآذان ، وتكون الدعوة إلى الحق صادرة ممن له من السلطان والقوة ما يدعم به الحق الذي يدعو إليه.

هـ - التزود بقدر كاف من المعرفة بالمجتمع ، معرفة تمكن من وصف العلاج ، وتؤكد العمل على ضرورة التغيير في هذا المجتمع ، التغيير نحو الأحسن ، نحو الحق ، نحو الإسلام ، مع الإصرار على هذا التغيير بالأساليب الهادئة البناءة الحانية البعيدة عن المخاطرة والمهاترة والعنف.

و- إعطاء أهمية خاصة للمساجد من حيث إعمارها ، وعمارة المساجد تزرع في النفوس تقوى الله وحب الخير. وحب الناس. فإذا أضيف إلى ذلك عقد جلسات وحلقات لتعلم تلاوة القرآن وتجويده وتفقيه الناس في أمور دينهم ، فإن هذا مما ينفع المسلمين ويجذبهم للعمل الإسلامي وينير لهم الطريق.

ويمكن لأهل العلم ممن يسكنون حول مسجد من المساجد ، أن يرتبوا في المسجد حلقات وندوات تغطى احتياج المسلمين في كل ما يعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم.

والمجموعات التربوية تستهدف من المساجد أن تكون منارات علم وهداية وتفقيه وتثقيف لعامة المسلمين ، وخصوصًا من فاتتهم فرص التعليم في الصغر ، كما تستهدف من المجتمع أن يولى المساجد أهمية خاصة في العناية بها والمواظبة على ارتيادها والتعبد فيها ، لأن المجتمع الذي تسوده روح المسجد وآدابه ، مجتمع جدير بأن يحقق سعادة الدنيا والآخرة.

رابعًا: أهداف المجموعة التربوية بالنسبة للجماعة الدعوية:

تستهدف المجموعة التربوية بالنسبة للجماعة الدعوية نفسها أهدافًا نابعة من مكانة المجموعة في بناء الجماعة ومن المسَلّم به أن المجموعة التربوية نواة الجماعة ، وأول لبنة في بنائها ، وكلما كانت هذه اللبنة جيدة التكوين جيدة التوظيف ، كانت الجماعة على نفس المستوى من جودة التكوين وجودة التوظيف ، بل لا مبالغة في القول ، بأن أي خلل في الجماعة - بنائها وتكوينها - لابد أن تلتمس له أسباب في بناء المجموعة التربوية وتكوينها.

وليس من المبالغة كذلك ؛ القول بأن الجماعة لا تستطيع أن تشق طريقها المليئة بالمكاره دون أن تعتمد في مسيرتها على رصيد هائل جيد من المجموعات التربوية التي أعِدَّتْ إعدادًا جيدًا.

لذا فإن للمجموعة التربوية - وهى النواة - أهدافًا بالنسبة للجماعة كلها تسعى المجموعة التربوية إلى تحقيقها ، هذه الأهداف يمكن أن نشير إلى بعضها فيما يلي:

١ - مد الجماعة الدعوية بالعناصر البشرية ذات الكفاءة في مجالات أعمال الجماعة المتعددة ، هذه العناصر التي مرت في نظام المجموعات التربوية بمرحلة التكوين

واجتازت بجدارة كل البرامج التي يتطلبها التكوين والتنفيذ ، ومن مثل هذه المجالات ما يلي:

- مجال الدعوة والتبليغ.
- مجال العمل والحركة.
- مجال التنظيم والإدارة.
- مجال العمل السياسي.
- مجال العمل الاجتماعي.
- مجال العمل الاقتصادي.
- مجال العمل الفكري الثقافي.
- المجال التربوي التكويني.

وكل تلك المجالات وغيرها مما تتطلبه مسيرة الجماعة قد أعد لها الأفراد في المجموعات التربوية وفق البرنامج التي تغطى هذه الاحتياجات إعدادا يمكنهم من مواصلة الدراسة والتعمق والبحث والعمل والممارسة.

٢- مد الجماعة بالعناصر القيادية الصالحة ، التي نضجت استعداداتها القيادية داخل المجموعات التربوية ، لتتولى الجماعة - تدريب هذه العناصر القيادية على متطلبات المجال القيادي الذي يرغب في ملئه ، وفق برامج مكثفة ومؤهِّلة لنوع القيادة المطلوب ، للاستفادة من هذه العناصر في مواقعها القيادية:

وعلى سبيل المثال:

- قيادة الأفراد والجماعات.
- قيادة العمل التبليغي ونشر الدعوة.
- قيادة العمل الاجتماعي.

- قيادة العمل السياسي.
- قيادة العمل الاقتصادي.
- قيادة العمل الإداري التنظيمي.
- قيادة العمل التربوي التكويني.
- قيادة العمل الفكري الثقافي.

ج- مد الجماعة بالعناصر الجيدة القادرة عل ممارسة العمل بين الجماعات والتيارات الموالية للإسلام أو المعادية له ، وذلك من أهم ما يلزم الجماعة في مسيرتها ، إذ أن التيارات الموالية تحتاج إلى من يدعم هذا الولاء ، ويقرب بين الغايات والأهداف ، ويعطى من التشجيع والتحميس ما يدفع هذه التيارات الموالية للإسلام إلى غايتها وهدفها ، كما أن التيارات المعادية للإسلام تحتاج إلى مواجهة ومقاومة تقوم كذلك على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

ولا يستطيع القيام بذلك إلا أفراد ربوا تربية جليلة في ظل نظام المجموعات التربوية ، ثم يدربون على هذا العمل التدريب الذي يمكنهم من القيام به خير قيام.

د- مد الجماعة بالعناصر القادرة على توريث الدعوة لأجيال لاحقة ، كي لا تنقرض الدعوة بموت روادها الذين يتقدم بهم العمر. وهذا التوريث حيوي وأساس في العمل الإسلامي كله ، كما أنه يحقق فائدة كبرى في نقل الخبرات من القدامى إلى المحدثين.

وعملية التوريث هذه لها متطلباتها وتبعاتها الجسام ، فلن يورث الدعوة إلى غيره إلا مؤمن بها عامل من أجلها فقيه بأهدافها عالم بوسائلها قادر على نقلها إلى غيره من الناس. وهؤلاء المورثون من الشباب أو غيرهم ، يحتاجون إلى مزيد من الرعاية وحسن التوجيه ومزيد من التفهيم والتكوين ومزيد من التثقيف والتفقيه ، وكل ذلك أمانة ضخمة لا تستطيع القيام بها إلا من أعد داخل المجموعات التربوية وصُهر في

نظامها وتشرب إلى أعماقه برامجها وآدابها. ومن بين أهداف المجموعات التربوية أن تقوم بإعداد هذه الصفوة لتقوم بهذه الأعباء الضخام.

هـ- العمل على توسيع دائرة المجموعات التربوية ما أمكن ، فإن التوسع في هذا النظام التكويني الهادئ الهادف ، هو الذي يعطى الإسلام رجالا أصحاب التزام وطاقة ، ويعطى الجماعة رجالًا أولى انتماء وعزم وإصرار على الوصول إلى الهدف. وعن طريق التوسع ، في نظام المجموعات التربوية ونشره على أوسع نطاق ، مع المحافظة على النوعية الجيدة والبرامج المستوعبة تستطيع الجماعة أن تحقق الأهداف التالية:

- اتساع دائرة المسلمين الملتزمين بالدين في المجتمع كله.
- اتساع دائرة الفاهمين المنتمين للعمل الإسلامي الحريصين على تطبيق الإسلام تطبيقًا جيدًا في أنفسهم وذويهم.
- اتساع دائرة الراغبين في دعوة غيرهم إلى الحق والهدى.

وباتساع هذه الدوائر - باتساع دائرة المجموعات التربوية - يستطيع العمل الإسلامي أن يصل إلى أبعد مداه أن يحقق غاياته ؛ وذلك أن الجماعة لو وصلت في يوم من الأيام باتساع هذه الدوائر إلى أن يكون الشارع ذا نبض إسلامي ؛ لأن البيت ذو نبض إسلامي والمدرسة ذات نبض إسلامي ووسائل الإعلام ذات نبض إسلامي ، إذا استطاعت الجماعة أن تصل إلى ذلك فإنها تكون قد حققت أكبر أهدافها وهو التمكين لدين الله في الأرض. ومن هنا يكون الحكم بما أنزل الله بين عباد الله.

أركان المجموعة التربوية:

١- **التعارف:** والتعارف هو أهم أركان المجموعة التربوية ، وأصله الذي أوجبه على الناس قول الله 8 (E F G H I J K L M N O Q R S T U W X Y Z) (الحجرات: ١٣). فالأصل في الناس على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وقبائلهم وأقاليمهم أن يتعارفوا ويتعاونوا ، فما بال المسلمين؟ وما بال العاملين للإسلام؟

قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: « يخبر تعالى أنه خلق بني آدم ، من أصل واحد ، وجنس واحد ، وكلهم من ذكر وأنثى ، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء ، ولكن الله تعالى بث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً ، وفَرَّقهم ، وجعلهم شعوبًا وقبائل أي: قبائل صغارًا وكبارًا ، وذلك لأجل أن يتعارفوا ، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه ، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون ، والتوارث ، والقيام بحقوق الأقارب ، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل ، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها ، مما يتوقف على التعارف ، ولحوق الأنساب ، ولكن الكرم بالتقوى ، فأكرمهم عند الله أتقاهم ، وهو أكثرهم طاعة وانكفافًا عن المعاصي ، لا أكثرهم قرابة وقومًا ، ولا أشرفهم نسبًا ، ولكن الله تعالى عليم خبير ، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ، ظاهرًا وباطنًا ، ممن يقوم بذلك ، ظاهرًا لا باطنًا ، فيجازي كلا بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب ، مطلوبة مشروعة ، لأن الله جعلهم شعوبًا وقبائل ، لأجل ذلك[١٤].

إن من التعارف في المجموعة التربوية أن يتعارف المسلم على أخيه: اسمه وعمله وعنوانه ووضعه في العائلة التي ينتمي إليها ، ويظل يشمل في طريقه إلى منتهاه أمورًا

---

(١٤) تفسير السعدي (ص ٨٠٢).

كثيرة منها: التعارف على النفس والميول والاتجاهات والعقل والثقافة والروح وقدر رغبتها في العبادة والتقرب إلى الله ، والبدن ومدى ما منحه الله من طاقة ، والظروف الاجتماعية كاملة مفصلة ، والظروف الاقتصادية كذلك ، ومدى ما يملك من قدرات وإمكانات ، ومدى ما يجيد من عمل ، بل مدى ما يعرف من الناس ، ويظل التعارف يتسع ويتعمق حتى يشمل كل ما له علاقة بالأخ مما أباح الله له أن يطلع عليه سواه ، ومنتهاه وغايته أن يعرف الأخ جدول العمل اليومي لأخيه على مدى أسبوع كامل ، بحيث إذا غير صاحب الجدول في جدوله فإن عليه أن يخبر بذلك أخاه.

كل ذلك مهم في مجال العمل الإسلامي ، ليمكن توظيف هذه القدرات والطاقات والأوقات لصالح ، العمل الإسلامي من جانب ، ولزيادة الروابط الإسلامية بين الأفراد من جانب آخر ، ولسهولة اتصال الأخ بأخيه من جانب ثالث.

٢ - التفاهم:

والتفاهم ركن هام من أركان المجموعة التربوية ، وتأصيله الشرعي الذي أوجبه بين المسلمين هو قول الله 8 (A B C D E F H I J K L M N O P Q R S T) (آل عمران: ١٠٣).

والمقصود بالتفاهم أمور منها يما يلي:

أ- انعدام أسباب الجفوة والتنافر.

ب- المحبة والمودة والألفة التي يوجبها التعارف إذا تم على وجهه.

ج- نبذ الفرقة والاختلاف ، فإن وقع اختلاف فما ينبغي أن يفسد مقتضيات الأخوة في الله - ؛ لأن الاختلاف في حقيقته بين المسلمين اختلاف في فروع واجتهادات ، ولن يكون على أصل من الأصول.

فإذا مهدت أرض العلاقة بين الأخوة بإزالة هذه المعوقات والعوارض - ولابد أن تزول - اتجه التفاهم اتجاها إيجابيا آخر ، يتمثل في النقاط التالية:

أ- العمل على إيجاد قدر مشترك من تقارب وجهات النظر في المسائل والقضايا التي تهم المسلمين ؛ تَقارُب لا تَطابُق ، فإن حدث التطابق فهو أفضل.

ب- العمل على تكوين فكر مشترك نابع من الإسلام ومن إيثار الحق حول الحكم على الناس والأشياء ، بحيث لا يكون هناك جنوح في فكر عند أحد أعضاء المجموعة التربوية ، ولا نكوص في فكر عند آخر ، وإنما يلم الجميع فكر موحد في النظر والحكم.

ج- التقاء وجهات النظر في أمرين هامين في مجال العمل الإسلامي هما:

- الاتفاق على أولويات بعينها في العمل لا يتقدمها سواهما.
- الاتفاق على مرحليات ، تعني تقسيم العمل إلى كل مراحل قد تتوازى وقد تتوالى تبعا للظروف والملابسات التي تحيط بالعمل والعاملين.

د- الوصول إلى قمة التفاهم ، وتلك القمة تعني (الحديث بلغة واحدة) بحيث يصبح الطابع الذي يميز أفراد الجماعة أنهم يفكرون بطريقة واحدة ويتحدثون بلغة واحدة.

٣- **التكافل**: والأصل الشرعي لهذا الركن يُفْهَم من قوله 8 (e
n m l k j i h g f
o)(الحج: ٧٧). ومن قوله 8 (! " #| % & ' ( )
* +)(الفتح: ٢٩). ومن قول الرسول ص: « **المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** » ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (رواه البخاري ومسلم). وقوله ص: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى** » (رواه البخاري ومسلم).

وعَنْ أَنَسٍ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** » فَقَالَ رَجُلٌ: « يَا رَسُولَ الله ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟» ، قَالَ: « **تَحْجُزُهُ ، أَوْ تَمْنَعُهُ ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** » (رواه البخاري ومسلم).

وللتكافل مراحل ودرجات منها:

أ- بدايته التحاب والألفة والمودة والتراحم.

ب- ثم التعاون في كل ما من شانه أن يحتاج لتضافر الجهود.

ج - ثم التناصر ، إن كان الأخ المسلم ظالمًا أو مظلومًا.

د - ثم التكافل على مستوى أفراد المجموعة التربوية ومسئولها.

شروط المجموعة التربوية:

أي الشروط التي ينبغي أن تتوفر وأن تراعى عند تكوين المجموعة التربوية ، بحيث توفر هذه الشروط للمجموعة التربوية أنسب جو تؤدى فيه وظائفها وتحقق أهدافها.

بعض الشروط التي ينبغي أن تتوفر في كل فرد من أفراد المجموعة التربوية:

١ - سلامة العقيدة.

٢ - صحة العبادة.

٣- متانة الخلق.

٤ - مجاهدة النفس.

٥ - ثقافة الفكر.

٦ - قوة الجسم.

٧- القدرة على الكسب.

٨- الحرص على الوقت.

٩ - تنظيم شئونه كلها.

١٠ - النفع لغيره.

١١ - العمل على تكوين البيت المسلم.

١٢ - العمل على إرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه.

١٣ - العمل على تحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان غير إسلامي.

١٤ - العمل على إصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق.

١٥ - العمل على إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية.

١٦ - العمل على (أستاذية العالم) بنشر دعوة الإسلام في ربوعه (حَتَّىٰ لَا تَكُونَ ۝ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ) (الأنفال: ٣٩).

وكل هذه الشروط ذاتية ، ينبغي أن تتوفر في الفرد قبل أن ينضم إلى المجموعة التربوية. وهناك شروط يجب مراعاتها عند تكوين المجموعة التربوية من أفراد توفرت فيهم تلك الشروط ، وهذه الشروط يراعيها المسئول عن تشكيل المجموعة التربوية وهى:

١ - التقارب بين الأفراد في المستوى الثقافي ، حتى تكون قدراتهم على استيعاب المنهج الذي يدرس في المجموعة التربوية متقاربة ، فلا يضيع الأقل قدرة ولا يمل الأكثر قدرة ، ولكي يكون الحوار والنقاش بين أفراد قارب بينهم الثقافة والفكر.

٢ - التقارب بين أفراد المجموعة التربوية في الأعمار ، لأن ذلك له أهمية قصوى في تقارب الاهتمامات والميول والاتجاهات ، ولئلا يستصغر الصغير نفسه مع الكبير ، ولا يستخف الكبير بما يقال لمن هم أصغر منه سنًّا ، ولكن ليس معنى هذا ؛ الدعوة إلى تساوى أعمار الأعضاء في المجموعة التربوية الواحدة لعدم إمكانه ، فإن أمكن فلا بأس.

٣- التقارب بين الأعضاء في الظروف النفسية والانفعالية كلما كان ذلك ممكنا. فهناك من هو شديد الحماس ، ومن هو هادئ يتأنى في كل شيء. وهناك من هو كثير الحركة جم النشاط ، ومن هو بطئ الحركة محدود النشاط. وهناك من هو محب للمزاح ، ومن هو أقرب إلى الصمت والتأمل وربما العبوس. وهناك من يحب كثرة الكلام ، ومن يحب طول الصمت.

والأصل أن تشكل المجموعة التربوية من أفراد متقاربين - لا متساوين - في هذه النواحي ليمكن تطبيق منهج موحد عليهم ، مع ضرورة الاهتمام بعلاج كل انفعال يزيد عن حَده ، وكل صفة مبالغ فيها على يد مسئول المجموعة التربوية وما يختاره لهذه الأمور من علاج.

٤ - التقارب بين الأعضاء في مساكنهم ، لما في ذلك من فوائد منها:

أ- توفير الوقت والجهد عند تباعد الأمكنة.

ب- تكثيف الوجود الدعوي في الحيّ الواحد.

ج- تحقيق سرعة الاتصال.

د- إمكان الالتقاء في مسجد واحد.

هـ- إمكان المتابعة والتوجيه طول أيام الأسبوع.

٥ - الاهتمام بالتخلي عن عادة تقديم الطعام في اجتماع المجموعة التربوية لأن ذلك يفوت أغراضا وأهدافًا رئيسية في الاجتماع تتمثل فيما يلي:

أ- يحوّل الاجتماع عن هدفه إلى ضيافة.

ب- يكلف صاحب البيت أعباء لا لزوم لها.

ج- يحرم صاحب البيت من متابعة البرنامج لانشغاله بتقديم الطعام وما يتطلبه ذلك من عناء.

٦- الاهتمام بأن يتعدد مكان اللقاء في كل اجتماع لما في ذلك من دفع الرتابة والملل ، وإرهاق صاحب بيت بعينه ، بل ربما يكون الاجتماع في مكان غير البيوت كلما أمكن ذلك.

الصفات اللازمة أبدًا لكل من انضم إلى مجموعة تربوية وأصبح واحدًا من أفرادها:

الواجبات الشخصية:

١ - إخلاص النية لله لأ وتجديد التوبة.

٢ - المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة في المسجد.

٣- أداء زكاة المال متى كان مالكًا للنصاب مع استشارة المجموعة التربوية في طريق التصرف فيها.

٤ - صوم رمضان صيامًا صحيحًا.

٥ - الحج لمن لم يكن أدى الفريضة وكان قادرًا على ذلك.

٦ - أداء الفرائض واجتناب المحرمات.

٧- المواظبة على الورد القرآني والأدعية المأثورة بقدر الإمكان.

٨- عدم التأخر عن اجتماعات المجموعة التربوية إلا بعذر قاهر لا يمكن دفعه.

٩ - أن يعتبر نفسه جنديًّا للدعوة ، ويشعر بأن لها حقًا في نفسه ووقته وماله.

١٠- أن يُشعر أهله بهذا التطور الجديد في حياته وأن يجتهد في أن يطبع بيته بالطابع الإسلامي ، وأن ينتهز الفرصة المناسبة ويعاهد زوجته على العمل للدعوة معه ، وأن يلزم أولاده وخدمه بآداب الإسلام.

الواجبات الاجتماعية:

تأكيد روابط الإخاء بين أفراد المجموعة التربوية.

الواجبات المالية:

١ - أعضاء المجموعة التربوية متكافلون فيما بينهم في احتمال أعباء الحياة ، فمن نكب منهم أو تعطل عن عمله لسبب خارج عن إرادته أو مات ، فبقية إخوانه في المجموعة التربوية يسعون في سد حاجته وحاجة أولاده ورعايتهم ومساعدتهم حتى يغنيهم الله من فضله.

٢ - تنشئ كل مجموعة تربوية صندوقًا تعاونيًا خاصًا ، يشترك فيه كل عضو بجزء من إيراده.

٣ - ينفق من المتَحَصَّل في الأمور الدعوية وفي كفالة أعضاء المجموعة التربوية.

ومن آداب المجموعة التربوية:

١ - إعداد الروح والنفس والعقل لاجتماع المجموعة التربوية ، الروح بتصفيتها من الشوائب ، والنفس بإقبالها على الاجتماع بشوق وترقب ، والعقل بحيث يشارك العضو في كل فكرة تطرح في المجموعة التربوية يفكر فيها ويعطيها من اهتمامه ووقته ما يناسبها.

٢ - إعطاء اجتماع المجموعة التربوية جزءًا أساسيًّا من الوقت والجهد ، لا ما يفيض من الوقت والجهد.

٣ - أداء مهام المجموعة التربوية والقيام بكل ما كلف به العضو من واجبات ؛ بحيث يمضي أسبوعه مشغولًا بأداء هذه الواجبات الثقافية والمادية وغيرها ، وليس من أدب المجموعة التربوية أن يذهب ليعتذر عن التقصير.

٤ - الانضباط في كل ما يتعلق باجتماع المجموعة التربوية مثل:

- الانضباط في الحضور والانصراف ، لا تأخر ولا تقدم.
- الانضباط في مجلس الاجتماع ومراعاة آدابه وأنه جلسة لمدارسة العلم.

- الانضباط في الكلام والتعليق ، فلا يتكلم إلا إذا أذِنَ له ولا يعلق على كلام إلا بعد أن يُؤذن له كذلك.
- الانضباط في الصوت فلابد أن يكون على قدر ما يسمعه الجالسون دون صخب أو ضجيج مهما كان ما يعرضه من رأى يوجب التحمس.

٥- حسن الاستماع لما يقال فى الجلسة والتنبه الشديد له ، وتسجيل ما له أهمية خاصة على ورقة لمراجعته ثم الاستغناء عن الورقة أو الاحتفاظ بها حسب الظروف والإمكانات ، ومن حسن الاستماع ألا يقاطع متكلمًا مهما تكن الظروف وإنما يسمع إليه حتى ينهى كلامه ، ثم يستأذن في التعليق عليه إن كان ما قاله يستوجب التعليق.

ومن حسن الاستماع الاستيعاب الدقيق لما يقال. ومن حسن الاستماع تركيز النظر والفكر على المتكلم ، وعدم الانشغال بأي كلمة مع أي جالس في الاجتماع.

٦- حسن الحوار ، بمعنى أن من أراد أن يشارك في حديث ؛ فإن عليه واجبات يتطلبها حسن الحوار هي:

- الاستئذان في الكلام.
- خفض الصوت نسبيًّا.
- سيطرة الموضوعية على المتكلم.
- عدم توجيه صفات لاذعة إلى الرأي الآخر.
- عدم الإشارة إلى المتحدث السابق أو تسفيه رأيه.
- محاولة التقيد في الكلام بالعربية الفصحى ، فهي لغة القران أي لغة الدين ، ويكون التقيد بها مران ودربة وليس تقعرًا أو تفصحًا.
- تقبل الرأي الآخر واحترامه واحترام صاحبه ، ومناقشته بحيادية ، حتى يتبين صوابه فيؤخذ به ، أو خطؤه فيترك دون لوم لصاحبه.

٧- أن يحضر العضو إلى اجتماع المجموعة التربوية وفى كل اجتماع قد حمل إلى مجموعته جديدًا ، يؤدى إلى تطوير العمل ، أو إلى تحسينه ، أو إلى تلافي ما يقع فيه من عيوب. ومعنى ذلك أن العضو قد أمضى أسبوعه الفائت يفكر في اجتماع المجموعة التربوية وما جرى فيه من إيجابيات وسلبيات ، بدعم الإيجابيات ويقترح ما يشاء لطرد السلبيات.

ومن يحضر إلى اجتماع المجموعة التربوية دون أن يشارك في تطوير اللقاء وتحسينه ، يتحول بالتدرج إلى إنسان سلبي ، يكتفي بأن يكون في الاجتماع كجهاز الاستقبال فحسب.

برنامج المجموعة التربوية:

ما ينبغي أن يشتمل عليه الاجتماع الأسبوعي للمجموعة التربوية:

١- برنامج علمي يتناسب مع مستوى المجموعة ، يشتمل على حفظ أو مراجعة ما يتناسب مع مستواهم من القرآن الكريم ، ومدارسة في علوم الشريعة من التوحيد والفقه والحديث والسيرة وغيرها بما يتناسب مع مستواهم.

٢- مذاكرة حول أمور الدعوة إن كان فيها جديد.

٣- محاسبة عامة يتقدم كل عضو فيها بمكاشفة مجموعته التربوية بأحواله الدنيوية ، وبخط سيره الأسبوعي ، ويستشيرهم فيما يجب فيه الاستشارة من شئونه الخاصة والعامة ؛ وفى هذا توطيد للثقة وتوثيق للرابطة ، والمؤمن مرآة أخيه.

٣- تحقيق معاني الأخوة في المجاملات الطارئة التي لا تحصرها الكتب ولا تحيط بها التوجيهات مثل:

- عيادة المريض.
- وتفقد الغائب.
- وتعهد المنقطع.

ومما يزيد رابطة الإخاء ويضاعف في النفوس الشعور بالحب والصلة ولزيادة الترابط بين أعضاء المجموعة التربوية عليهم أن يحرصوا على القيام برحلات منضبطة بالشرع.

عناصر البرنامج:

وهي المقومات الأساسية للبرنامج أو الدعائم التي يقوم عليها:

١ - عنصر التوجيه.

٢ - عنصر التربية.

٣- عنصر التدريب.

٤ - عنصر التقويم والمتابعة.

أولًا: عنصر التوجيه:

وهو عنصر ضروري يوقظ مشاعر الأعضاء ، ويخاطبهم بلغة لا تعتمد على بلاغة الألفاظ ، وإنما تتوخى مزج العاطفة بالعقل ، وإحساس الأفراد بما هو ضروري في هذا الاجتماع وما هو ثانوي ؛ لتتحدد الأولويات في كل اجتماع فلا يضل لقاء عن هدفه. ويمثل هذا العنصر الكلمة الأسبوعية للمجموعة التربوية.

وهى كلمة تهدف إلى توضيح معنى بارز من المعاني التي ستطرح في هذا اللقاء وإلقاء ضوء كاف عليها. والتبصير والتذكير بما ينبغي أن يكون عليه هذا الاجتماع من نظام وإدارة وتوزيع للأعمال.وكلمة المجموعة التربوية التوجيهية لا ينبغي أن تزيد في وقت إلقائها على خمس دقائق.

ثانيًا: عنصر التربية:

وهو أهم عناصر البرنامج وأطولها ، من حيث وعائه الزمني ، وأهمها من حيث التربية والإعداد والتكوين. وعنصر التربية في برنامج المجموعة التربوية ذو شقين:

نظري دراسي ، عملي تنفيذي.

أ- العنصر التربوي الثقافي النظري: وهو ما يتطلب من الأفراد دراسة ونظرا وتحصيلا في عدد من المجالات المختلفة ، مثل مجال الفكر الإسلامي ، ومجال العمل الإسلامي ، ومجال الحركة والتنظيم.

ب- العنصر التربوي العملي:

وهو ما يتطلب من الأفراد تطبيقًا وتنفيذًا في كل المجالات التي يشتمل عليها برنامج المجموعة التربوية. والأصل الذي يقوم عليه هذا العنصر هو الجانب العملي التطبيقي من البرنامج ، بمعنى أن كل قيمة إسلامية درست في الجانب الثقافي النظري من البرنامج ينبغي أن يطبقها عضو المجموعة التربوية عمليًّا في المجموعة التربوية ، وفى حياته الخاصة والعامة.

ومثال ذلك أن يطبق كل عضو تطبيقًا عمليًّا ما يلي:

- الصدق والإخلاص والتجرد والثبات والعفة ، والثقة والجهاد والتضحية والطاعة والأخوة ، وطهارة القلب ونزاهة اليد ، وعفة اللسان والحب في الله والاجتماع فيه ، والصبر والحلم والنجدة وسرعة الاستجابة.
- الدقة والانضباط والنظام والالتزام وحب العمل والتجويد فيه.
- أدب الحوار.
- الكتمان والسرية وعدم الحديث إلا فيما يلزم ويحقق فائدة.
- التعبد بالنوافل من صلاة وصيام وصدقة ، وبر بالأهل والأصدقاء والأقارب والزملاء والجيران ، ممارسة عملية في داخل المجموعة التربوية وفى خارجها.
- الدراسات والبحوث ، بحيث يمارسها عمليًّا ، ويشارك بجهده فيها ، ويجعلها من بين أهم ما يجب أن يعنى به عمليًّا في الجماعة الدعوية حتى يسهم بجهده هذا في إثراء الجماعة علميًّا وعمليًّا.

ثالثًا: عنصر التدريب: وهو عنصر أساسي في نظام المجموعات التربوية ، يستهدف تنمية المهارات والقدرات بتدريبها تدريبًا جيدًا في كل مجال من المجالات التي يتطلبها العمل الإسلامي بعامة ، وعمل الجماعة الدعوية على وجه الخصوص.

والتدريب هو الأسلوب الأمثل لإخراج العلم والمعرفة إلى حيز العمل والتطبيق على صورته العملية الممتازة ؛ لأنه بالتدريب يحدث التجديد والإتقان بعد التعود والألفة.

ومادامت المجموعة التربوية ونظامها وبرنامجها هي المحضن الرئيسي لتربية الفرد ، فإن هذه التربية لا تتم على وجهها إلا بالتدريب والممارسة ، والتجربة وراء التجربة حتى يحدث التجويد والإتقان.

وليس من شك في أن التدريب يحسن أهلية الفرد عمليًّا ويجعل منه عنصرا بانيًا منفذًا ، أكثر قدرة على العمل والإنتاج ، كما أنه يتزود من خلال التدريب بقدر من الثقافة النافعة في المجال الذي تدرب فيه.

وعلى سبيل المثال ، فإننا مهما ألقينا من محاضرات وحشونا أذهان المستمعين بالمعلومات عن صناعة طبق من الخوص أو القش ، فإن كل ممارسة صناعة الطبق بشكل عملي يتدرب عليه الدارس أكثر فائدة وأجدى في صنع هذا الطبق من مئات المحاضرات دون تجربة عملية وتدريب على هذه الصناعة.

والمجموعة التربوية تستطيع أن تدرب أفرادها تدريبًا عمليًا على أشياء كثيرة ، لازمة وضرورية لكل عضو من أعضائها ، بوصفه فردًا وبوصفه جزءًا من جماعة وبوصفه عضوًا في المجتمع ، ثم لبنة في بناء الأمة الإسلامية.

مجالات التدريب:

١ - التدريب على إدارة اجتماع المجموعة التربوية.

٢ - التدريب على المشاركة في عمل المجموعة التربوية التثقيفي أو العملي.

٣- التدريب على إلقاء خطبة.

٤ - التدريب على إعداد محاضرة وإلقائها.

٥ - التدريب على كتابة بحث علمي.

٦ - التدريب على كتابة المقال: السياسي ، والاجتماعي ، والأدبي ، والعلمي ، وكل ذلك حسب الأصول الفنية للمقال.

٧ - التدريب على شرح النصوص والتعليق عليها أيا كانت هذه النصوص ، وليس الأدبي منها بالذات.

٨- التدريب على التحليلات السياسية للأحداث.

٩ - التدريب على عمل البحوث والدراسات.

١٠- التدريب على الصبر وقوة الاحتمال ، بمقاومة رغبات النفس والجسد ، والتدريب على ذلك بالصيام والقيام وما إلى ذلك مما يصقل النفس ويهذب الجوارح ويكظم الشهوات.

١١- التدريب على الكتمان والسرية ، بمقاومة الرغبة في الكلام والثرثرة ، والتبرع بإعطاء المعلومات دون حاجة إليها ، وادعاء المعرفة والعلم ببواطن الأمور.

١٢- التدريب على بعض الحرف والمهن التي يمكن أن تتخذ وسيلة لكسب العيش ؛ دون تعال على ذلك ممن منحهم الله وسائل عيش أخرى ، فعَنْ رَسُولِ الله ص قَالَ: « **مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** » (رواه البخاري).

ومن هذه الحرف: دهان الحوائط والأرضيات (النقاشة). السباكة. النجارة. الحدادة. الكهرباء. كسوة الأرضيات (التبليط). إمساك الدفاتر والحسابات.الحياكة. صناعة الخياطة بالإبرة (التريكو). صناعة السجاد اليدوي. رفي الثياب. أعمال الحفر على الخشب أو النحاس. وغير ذلك من الصناعات والحرف.

١٣ - التدريب على الحركات الرياضية لتقوية الجسم ، وتحريك عضلاته تحريكًا مفيدًا مدروسًا.

١٤ - التدريب على الدفاع عن النفس.

والتدريب على أي من هذه الأنواع يجب أن يتم على يد خبير في هذا المجال ، فإن كان هذا الخبير من بين أفراد المجموعة التربوية فبها ونعمت ، وإلا يُسْتضَاف لهذا التدريب أحد أفراد الجماعة الدعوية ممن ينتمون إلى مجموعة تربوية أخرى.

رابعًا: عنصر التقويم والمتابعة:

التقويم هو الحكم على العمل وبيان قيمته ، بقصد تحسينه وتطويره بعد التعرف على نواحي القصور والضعف فيه ، بل ونواحي الاكتمال والقوة فيه.

وإذا كان العمل الإنساني الراشد يسبق غالبًا بالبحث والدراسة وتحديد الأهداف ، ثم تأتى بعد ذلك مرحلة التخطيط ، ثم تحديد البرامج والمشروعات وأساليب العمل ، ثم يلي ذلك التطبيق والتنفيذ ، فإن وراء ذلك بل ضروري لكل ذلك أن يأتي بعد ذلك التقويم والمتابعة للاستفادة الحالية والمستقبلية بعد توضيح مما أحاط بهذه المراحل من إيجابيات وسلبيات.

فالتقويم والمتابعة عنصر أساسي للوصول إلى النجاح وتحقيق الأهداف.

والمجموعة التربوية لها أهدافها العامة ولها أهدافها الخاصة ، ولكل اجتماع من اجتماعاتها الأسبوعية هدفٌ يطلب تحقيقه في كل اجتماع ، بل جملة أهداف لكل اجتماع تتمثل فيما يلي:

أ- تحقيق الهدف التوجيهي من الاجتماع.

ب- تحقيق الهدف التثقيفي النظري من الاجتماع.

ج- تحقيق الهدف العملي من الاجتماع.

د- تحقيق الهدف التدريبي من الاجتماع.

والتأكد من تحقيق هذه الأهداف بالاجتماع ذاته ، فضلًا عن الأهداف الخاصة والأهداف العامة للمجموعة التربوية ، للتأكد من ذلك كله فلابد من التقويم والمتابعة.

وعناصر التقويم هي:

أ- مدى ملاءمة المكان للاجتماع.

٢ - مدى ملاءمة الزمان للاجتماع.

٣- مدى استجابة جميع الأعضاء للحضور.

٤ - مدى انضباط الأعضاء ودقتهم في الحضور والانصراف ، وطرح الأسئلة والمشاركة في الحوار.

٥ - مدى دقة مسئول المجموعة التربوية في اتباع الأسلوب الأحسن في مسار البرنامج.

٦ - مدى ملاءمة المادة الثقافية النظرية للوقت وللأفراد.

٧- مدى استيعاب الأفراد للمادة الثقافية.

٨- مدى استجابة الأفراد لأداء ما كُلِّفوا به من وظائف المجموعة التربوية العلمية والعملية والمادية.

٩ - ما أهم نواحي القصور في العمل في الاجتماع؟

١٠ - ما أنواع المبالغة التي مورس بها العمل في الاجتماع؟

١١ - ماذا حقق الاجتماع من أهداف على مستوى الفرد؟

١٢ - ماذا حقق ألاجتماع من أهداف على مستوى المجموعة التربوية؟

١٣ - ماذا حقق الاجتماع من أهداف على مستوى الجماعة؟

١٤ - ماذا حقق الاجتماع من أهداف عامة؟

١٥- ماذا يقترح كل عضو من أعضاء المجموعة التربوية للاجتماع القادم لتلافى ما أظهره التقويم والمتابعة من نواحي القصور ، وللاستزادة من العناصر الإيجابية فيه؟

مسار البرنامج:

وهو الطريقة التي ينبغي اتباعها في تنفيذ البرنامج وترتيب الخطوات التي تؤدى إلى النجاح وتحقيق الأهداف ، فالوعاء الزمني للبرنامج محدود بعدد من الساعات ، ما بين ساعتين إلى أربع ساعات أسبوعيًّا ، كحدٍّ أدنى وحدٍّ أعلى له. وفى إطار هذا الوعاء الزمني ينبغي اتباع الخطوات التالية:

١ - الكلمة التوجيهية للمجموعة التربوية ويستحسن أن تكون خادمة لموضوع من موضوعات البرنامج كذلك ، ويلقيها مسئول المجموعة التربوية أحيانًا ومن يختاره من أعضائها أحيانًا ، على أن يقع الاختيار عليهم جميعًا واحدًا واحدًا بعد التأكد من القدرة والاستعداد ، وأن يُعْطَى المكلف بالكلمة مهلة أسبوعًا يعد فيه نفسه وكلمته.

٢- عرض جدول الأعمال المطروح على جلسة هذا الاجتماع - الذي كان قد اتفق عليه في الاجتماع السابق - ليعرف كل عضو ويتذكر موضوعات الاجتماع ولا يخرج عنه في تفكيره أو حديثه أو حواره ، وهذا التركيز مطلوب جدًا ليتم الاجتماع على وجهه.

٣- دراسة الجزء الواجبة دراسته من البرنامج الثقافي النظري.

٤ - دراسة الجزء الواجبة دراسته من البرنامج الثقافي العملي.

٥ - ممارسة الجزء الواجبة ممارسته من البرنامج التدريبي.

٦ - استعراض التكاليف السابقة ومتابعتها ، على ألا تشغل من وقت الاجتماع قدرا يفوت الفائدة من استكمال أجزاء البرنامج.

وموقف مسئول المجموعة التربوية ممن قصر في القيام بواجبه هو: النصح على انفراد وبأخوة ورفق ، فإن عاود كلف أحد إخوانه في المجموعة التربوية أن ينصحه بنفس الأسلوب ، فإن عاود التقصير كلف ثالثًا يوقع عليه عقوبة الإهمال.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن العقوبة لا ينبغي أن تكون شيئا مما يلي:

أ- التوبيخ والتقريع.

ب- العقوبة بأداء بعض العبادات.

ب- الهجر أو المقاطعة.

د-التشهير.

لأن كل أسلوب من هذه الأساليب خطأ ، له آثاره السيئة على نفس المقصر ، وعلى العلاقة الأخوية الإيمانية التي يجب أن تسود أعضاء المجموعة التربوية بمن فيهم المسئول. ولكن ليس معنى ذلك ترك المقصر دون عقوبة ، وإنما يجوز للمسئول أن يطلب من المقصر أن يتبرع لصندوق المجموعة التربوية بمبلغ من المال يناسب حاله وظروفه ، ويحقق معنى العقوبة بشرط ألا يؤخذ منه قسرًا ولا بسيف الحياء ، وإنما بصدق نية وبإحساس من المقصر أنه قصر وأنه يجب أن يفرض على نفسه مختارًا مبلغًا من المال أو يقبل بما طلب منه مسئول المجموعة.

٨ - توزيع جدول أعمال الجلسة التالية على أعضاء المجموعة التربوية كل حسب قدرته وطاقته ، فمنهم من يكلف بإلقاء الكلمة التوجيهية. ومنهم من يكلف بإعداد بحث أو دراسة ومنهم من يكلف بأداء عمل بعينه تتطلبه المجموعة ، ومنهم من يكلف بالتدريب لغيره على أمر من الأمور التي يدرب عليها ، وكلهم يكلفون بالنواحي العملية في البرنامج.

٩- مناقشة المشكلات والمعوقات التي اعترضت العمل في الأسبوع الفائت ، أيا كانت هذه المعوقات ، شخصية أو عائلية ، أو بالنسبة للعمل والزملاء ، أو بالنسبة لظرف خاص في الحي الذي يسكنه أو ما إلى ذلك.

والأصل في طرح هذه المشكلات والمعوقات أن يتعاون أعضاء المجموعة التربوية في تصور الأساليب الإسلامية الملائمة للتغلب على هذه المعوقات وإزالة أسبابها ، لأن الرأي ينضج بالرأي الآخر ، والشورى مما مدح الله بها المسلمين وجعلها من الصفات التي يكون لها عند الله الجزاء الأبقى في الآخرة فضلًا عما تحققه من منافع في الحياة الدنيا ؛ 7 8 (K L M N O P Q S T U V W X
Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g
h i j k l m n o p q r s t (
(الشورى: ٣٥ – ٣٨).

ويا حبذا - عندما تتسع دائرة الحديث عن المشكلات والمعوقات - وهى لابد متسعة - أن يُختارَ للحديث عنها وقت خاص غير اجتماع المجموعة التربوية ، حتى يكون هناك متسع من الوقت وحتى لا يضيع شيء من البرنامج.

١٠- تقويم الاجتماع على النحو الذي سبق طرحه في عنصر التقويم والمتابعة.

وسائل المجموعة التربوية:

أي الأساليب المتعددة التي يمكن ، أن تتخذها المجموعة التربوية ، لكي تحقق أهدافها العامة والخاصة ، فقد يتبادر إلى الذهن أن وسيلة المجموعة التربوية في تحقيق أهدافها شيء واحد ، أو أسلوب واحد ، هو الاجتماع الأسبوعي ، وهذا غير صحيح ، فإن للمجموعة التربوية عددا من الأساليب أو عددا من الوسائل يمكن أن تحقق من خلالها أهدافها.

وأولها: - بالطبع - الاجتماع الأسبوعي في بيت من بيوت أحد أعضائها ، على أن يكون ذلك بالتناوب ، وهو أهم تلك الأساليب وأقدرها على تنفيذ البرنامج كاملا غير منقوص.

ولهذا الاجتماع ماله من المزايا مثل:

أ- الهدوء والاستقرار والاطمئنان والألفة ، وتعميق الروابط الأخوية بصاحب البيت.

ب- الاستعانة بالمراجع والمصادر والعودة إليها عند الحاجة ، إذ غالبًا ما يوفرها صاحب البيت.

ج- تقريب هذا البيت ومن فيه من نساء ورجال وفتيان وفتيات من حب العمل من أجل الإسلام ، لما يشاهدون من حرص الحاضرين على مواعيدهم وجديتهم فيما يقومون به من عمل.

د- البعد عن عيون الرقباء في حالة عدم الشعور بالأمن - مثل ما كان يتعرض له الدعاة في عهود الاستبداد السابقة.

هـ- التدرب على التضحية نوعا ما ، لأن صاحب البيت سوف يعد بيته لاستقبال إخوانه وربما غير فيه بعض التغيير لملاءمة المكان للاجتماع وما يتطلبه من ممارسة عملية أو تدريب.

الثاني: اللقاء في الأماكن الخلوية الصحراوية وما تضفيه على النفس من سكينة وهدوء ، وما تعود عليه الأعضاء من بذل الجهد والوقت من أجل الوصول إلى هذا المكان ، ففي الغالب يكون هذا المكان بعيدًا عن المدينة إلى حد ما. على أن يختار من البرنامج في مكان هذا اللقاء ما يناسبه من أجزاء البرنامج وعناصره ، كممارسة الخطابة والمحاضرة والتدرب على رياضة عضلات الجسم ، وعلى رياضة بذل الجهد البدني الكبير ورياضة التحمل للجوع والعطش ورياضة الصبر بصفة عامة.

الثالث: اللقاء في مسجد قريب أو بعيد من بيوت أعضاء المجموعة التربوية ، على أن يُختَارَ من البرنامج في المسجد ما يلائم المسجد وأجزائه وما يلائم الناس الذين يكونون بالمسجد أثناء هذا اللقاء. وعلى سبيل المثال ، فإن دروس التجويد ودروس التفسير والحديث والفقه من أهم ما يجب أن يسمعه عامة المسلمين ليزدادوا فقها في دينهم ، وقربا من ربهم وتعلقًا ببيوت الله -.

الرابع: زيارة بعض القدامى من دعاة الجماعة الدعوية وعلمائها - مع استئذانه في ذلك مسبقًا - لما في ذلك من تناقل الخبرات والتجارب ، وتوريث الدعوة من كبار رجالها إلى من يلونهم في السن والتجربة.

ويُختار من برنامج المجموعة التربوية لهذا اللقاء ما هو مناسب لهذه الشخصية التي تزار ، مثل حديث منه في فقه الدعوة ، أو في مرحلة من مراحل تاريخ الجماعة الدعوية أو أي خبرة عملية يرغب فيها أعضاء المجموعة التربوية.

إدارة المجموعة التربوية:

نعنى بالإدارة هنا حسن أداء العمل في المجموعة التربوية ، بحيث يكون بالدقة والمهارة التي تؤدى إلى توزيع العمل في المجموعة على أعضائها توزيعًا يناسب قدرة كل عضو منهم وظروفه ، ولا يتم هذا في صورته الجيدة إلا إذا كان من يدير المجموعة التربوية - أي المسئول - على المستوى الجيد المطلوب في إدارتها.

وإدارة عمل من الأعمال ، هي في أبسط تصور لها ، جعل هذا العمل يدور في اتجاهه الصحيح ، وبالسرعة الملائمة التي توصله إلى هدفه المنشود.

وأما الإدارة في المصطلح الحديث فتعنى: القيام بتخطيط جهود الأفراد ، والإشراف عليها وتوجيهها وتوظيفها والتنسيق بينها ، لضمان تأديتهم العمل بالكفاية القصوى ، والرضا التام مع توفير التعاون الوثيق بينهم ، للوصول إلى تحقيق أهداف المشروع.

وإدارة المجموعة التربوية إدارة حسنة تتطلب أمورًا عديدة منها ما يلي:

١ - المعرفة الدقيقة بأهدافها العامة وأهدافها الخاصة.

٢ - تحقيق أركانها من تعارف وتفاهم وتكافل.

٣- تحقيق شروطها وآدابها وواجباتها.

٤ - إدارتها وفق خطة دقيقة تتناول ما يلي:

أ- الزمان ومداه.

ب- لمكان وملاءمته.

ج- الأعضاء وظروفهم.

د- البرنامج وتوزيعه على الزمن.

هـ- تحقيق الأمن.

٥ - حسن توزيع العمل بين الأعضاء ، بحيث يشارك كل الأعضاء فيه ، ولا يستقل به النّشِط ويحجم عنه الأقل نشاطًا. وبحيث يؤدى كل عضو من الأعضاء ما يلائمه من العمل والدراسة والتدرب والتدريب.

٦ - التقيد الدقيق بتنوع عناصر البرنامج من توجيه إلى ثقافة نظرية وأخرى عملية إلى تدريب إلى تقويم ومتابعته ، بحيث يشتمل كل اجتماع على هذه الأنواع ولا يقتصر اجتماع ما على ثقافة نظرية فقط - مثلا-.

٧- تحديد مراحل للعمل في المجموعة التربوية ، وإعطاء هذه المراحل ما يناسبها من أولويات.

٨- التفكير المستمر في تجويد العمل داخل المجموعة التربوية ، بتطويره إن احتاج إلى التطوير ، أو تغييره إن احتاج إلى التغيير ، وكل منها يمارَس في ضوء الشورى الواجبة بين أعضائها بمن فيهم المسئول.

٩- الحماس في ممارسة العمل ، بالإقبال عليه والإجادة فيه ، والتوجه إلى الله لأ في كل أمر منه.

١٠- الانضباط في كل عمل يتصل بالمجموعة التربوية ، كالحضور والانصراف ، والكلام والحوار والشورى ، والالتزام بالقرار إذا صدر ، والسرية والكتمان وأداء المهام والمشاركة الإيجابية.

١١- الاهتمام الشديد من كل الأعضاء ، وعلى رأسهم المسئول ، بتحقيق الهدف الخاص من كل اجتماع ، حتى لا يتبدد الاجتماع في أمور ما - أيا كان نوعها - فيضيع الهدف الخاص من الاجتماع.

١٢- التقيد باتباع خطوات السير في البرنامج خشية الوقوع في تبديد الوقت ، إذا أخل بترتيب هذه الخطوات ؛ كطرح أي موضوع للحوار قبل إنجاز الجانب التربوي من البرنامج نظريًا وعمليًا ، أو قبل جانب التدريب منه.

* ومن يدير المجموعة التربوية لابد أن تتوفر له صفات هامة في إدارتها منها:

١- الأهلية لهذه الإدارة ، وتتمثل في:

أ- ثقافة خاصة مناسبة لهذه الإدارة.

ب- ثقافة عامة تمكن من ممارسة الإدارة بجدارة.

ج- إخلاص في العمل وتفانٍ فيه.

د- قدرة على الحسم مع الرحمة واللين ورقة القلب.

٢- الرؤية الواضحة للعمل والعاملين وتتمثل في:

أ- معرفة جيدة لطبيعة العمل الذي يديره هدفًا ووسيلةً.

ب- معرفة جيدة للعاملين قدراتهم وظروفهم.

ج- معرفة دقيقة لمراحل العمل وأولوياته.

د- القدرة على إعداد برنامج للمجموعة التربوية - في حالة غياب البرنامج - إعدادًا متكاملًا محققًا لأهدافها العامة والخاصة.

٣- التجرد للعمل أو التفرغ له ، والمقصود بذلك أمورًا أهمها:

أ- أن يعطى العمل جزءًا أساسيًا من وقته.

ب- أن يعطى العمل جزءًا أساسيا من جهده وفكره.

ج- أن يعطى العمل جزءًا أساسيًا من ماله.

بمعنى أن الإدارة تفسد إذا أعطى المدير للعمل فائض وقته أو جهده وفكره أو ماله.

٤- القدرة على التقويم والمتابعة باستيعاب عناصر التقويم ، فجودة الإدارة تستلزم القدرة على التقويم والمتابعة. لأن التقويم مكمل بل ضروري لتحقيق الأهداف.

مسئول المجموعة التربوية:

وهو القيادة الأولى في الجماعة الدعوية ، بل هو المربى لأفراد المجموعة التربوية ، المخطط لجهودهم والمنسق بينها ، والقادر على توجيهها وتوظيفها للوصول إلى الهدف. ومهمته جليلة القدر عظيمة الشأن ، إذ هي في حقيقتها: تربية الأفراد على الإسلام ، وعلى نظم الجماعة الدعوية ولوائح هذه النظم كعمل متمم لغرس القيم والآداب الإسلامية ، إذ قد عهدت الجماعة الدعوية إليه بعد الثقة فيه والأهلية والصلاحية بأن يربى أفراد المجموعة التربوية ، ويرعى كل ما لديهم من مواهب وقدرات ، يرعى الموهبة وينمى القدرة ، وينقل الدعوة من خلالهم إلى الآخرين.

وهو قائد يربى وفق منهج الله لأ ، وتلك في الأصل مهمة الأنبياء والرسل ‡ ، ومن أجل أن يمارس المسئول هذا العمل الخطير لابد أن يكون لديه استعداد جيد للقيام به ، ولابد أن يعد هو إعدادًا جيدا ليقوم بهذا العمل.

ومنهج الله لأ مبنى على توحيده - وعبادته وطاعته في كل ما أمر أو نهى ، وهنا إشارة عابرة ، إلى الصفات التي وردت في سورة (المؤمنون) لندرك أن من يتصدى لتربية الناس وتعليمهم لا يستعين بشيء أنفع ، له من أن يتصف بهذه الصفات. والمسئول مربٍّ وموجه وداعية إلى مكارم الأخلاق فلابد له من هذه الصفات بداهة.

- , + *) (' & % $ # " !) 8 7
: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / .
I H G F E D C B A @ ? > = < ;
W V U T S R Q P O N M L K J
(d c b a ` _ ^] \ [Z Y X

(المؤمنون: ١ – ١١).

وهذه الصفات – بعد الإيمان - هي:

١ - خشوع القلب بين يدي الله المؤدى إلى خشوع الجوارح المؤدى إلى سكون النفس وطمأنينتها إلى الوقوف بين يدي الله -.

٢ - الإعراض عن اللغو ، واللغو هو كل ما لا يعتد به ولا فائدة منه ، أو كل قبيح. وأهم صفات المؤمن ، الإعراض عن لغو القول ، ولغو العمل ، بل لغو الاهتمام والمشاعر ، لأن المؤمن مشغول عن كل ذلك بذكر الله - ، وتكاليف الدين من إسلام وإحسان وعدل ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وجهاد في سبيل الله لأ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

٣- أداء الزكاة ، والزكاة طهارة للقلب وطهارة للمال ، وانتصار على ما يوسوس به الشيطان الناس من تخويف من الفقر. والزكاة صيانة للمجتمع من الآثار السيئة التي يخلقها فيهم الفقر وتلجئ إليها الحاجة والعوز ، كما أنها ضمان اجتماعي للناس ، تعطف قلوب بعضهم على بعض ، ووقاية للمجتمع من التفكك والانحلال والوقوع في براثن الشر والرذيلة.

٤- حفـظ الفرج ، وتلك المحافظـة طهارة وعفة للروح وللبيت وللمجتمع كله ، ووقاية للفرد والأسرة والمجتمع من كل ما يترتب على الزنا واللواط والمسافحة من آفات وأمراض أخلاقية واجتماعية ، وإن المجتمعات التي أطلقت لشهوات الناس عنانها ، تعانى اليوم من عديد من الأمراض النفسية والعصبية والبدنية والاجتماعية ، مما يشهد به الواقع لهذه المجتمعات.

٥- رعاية الأمانة والعهد: وذلك واجب في عنق الفرد والمجتمع والأمة ، مادامت هناك رغبة في عيش آمن في الحياة الدنيا ، وطمع في رضا الله ورحمته في الحياة الباقية الخالدة.

والأمانة هي: كلمة التوحيد ، أو العدالة ، أو العقل ، أو ما اؤتمن علميه الإنسان. والعهد: حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ، ويسمى المَوْثِق الذي يلزم مراعاته عهدًا.

والأمانات الواجب رعايتها هي: كل واحدة مما ذكرنا ، والعهد الواجب رعايته هو: كل مَوْثِق وكل اتفاق وكل وعد ، لأن تلك سمة من سمات الإيمان لابد من توفرها في المؤمن. ولا يمكن أن يتصور نجاح أو فلاح لفرد أو جماعة وهم يضيعون الأمانات والعهود.

٦- المحافظة على الصلوات ، أي أداؤها في أوقاتها كاملة في جماعة المسجد (بالنسبة للرجال) مصحوبة بسننها وآدابها مستوفية لأركانها وشروطها ، مستغرقة قلب مصليها ومشاعره ، ناهية لجوارحه عن الفحشاء والمنكر.

فهذه صفات في المؤمنين لو تحققت على مستوى الفرد والمجتمع ؛ لكان ذلك هو مجتمع الإيمان الجدير بنصر الله في الدنيا على كل ما يعترض مسيرة الإيمان والدعوة إلى الحق ، الجدير برضا الله وثوابه في الآخرة بحيث يكون أهل هذا المجتمع المؤمن:

(Z [\ ] ^ _ ` a b c).

وذلك أن الفلاح الذي صدرت به السورة الكريمة (! " #) ، يعنى الظفر وإدراك البغية في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا يكون الفلاح هو الظفر بالسعادة التي تطيب هذه الدنيا ، وهو البقاء والغنى والعز ، وفى الآخرة يكون الفلاح هو: البقاء بلا فناء ، والغنى بلا فقر ، والعز بغير ذل ، والعلم بلا جهل.

اختيار مسئول المجموعة التربوية:

اختيار المسئول تسبقه عملية ترشيح له لتولى هذه المهمة وأن توافق عليه قيادة الجماعة في المستوى الذي رشح فيه هذا المسئول.

وهذا الترشيح من مسئول قديم متمرس لمسئول أو أكثر من أفراد المجموعة التربوية ، يتطلب من المسئول القديم أمورًا ضرورية لابد أن يمارسها مثل:

أ- أن يُشْرِك المسئول باقي الأعضاء في إدارة المجموعة التربوية مرة بعد مرة ، وأن يكلف الأفراد بالقيام بأعمال المجموعة التربوية أو بعضها ، ما بين حين وآخر ليحدث له من التدريب ما يجعل ترشيحه مصادفا محله.

ب- أن يختبر المسئول القديم بعض أفراد المجموعة التربوية ممن يرى ترشيحهم كمسئولين ، ببعض الأعباء الخاصة التي تكشف له عن مدى طاعتهم والتزامهم ، ومدى ما يتصفون به من صفات الجدية والكتمان والإخلاص والثقة.

ج- أن يُعَرِّض المسئول القديم مَن يرى ترشيحه للاستقلال مرة أو أكثر بإدارة أعمال المجموعة التربوية كاملة ، بحيث يكون هو المسئول الفعلي لها مرة أو أكثر ، ليرى مدى صلاحيته لهذا العمل.

د- أن يكون الترشيح وفق المعايير المتعارف عليها في الجماعة الدعوية لما يجب أن يتوفر في المسئول من شروط ، وألا يدخل العوامل الشخصية كعامل من عوامل الاختيار ، كأن يكون ثريًا أو عالمًا أو ذا جاه ، وإن كانت هذه الصفات مطلوبة ويجب

توظيفها في خدمة الإسلام والعمل في داخل الجماعة ، لكنها ما ينبغي أن تغطى على الصفات الأساسية للمسئول.

هـ- ألا يُشْعِر المسئول مَن وقع عليه الاختيار للترشيح بأنه مرشح للنقابة ، حتى تظل تصرفاته وسلوكياته عفوية تلقائية تكشف عن حقيقة معدنه ومدى ما توفر فيه من الشروط.

و- أن ينتظر المسئول القديم رأى قيادته المباشرة في الأخذ بهذا الترشيح أو إرجائه أو رفضه ، وأن يستجيب لما تراه القيادة ، فهي أقدر على الحكم عليه ، وعلى معرفة مدى ما توفر فيه من شروط.

ز- ألا يعتبر المسئول القديم إرجاء القيادة لقبول الترشيح أو رفضها له حكما عليه بسوء الاختيار ، لأنه قد تكون للقيادة رؤية فيمن رشح للمسئول لا تحب أن تطالع عليها المسئول القديم.

ح- على المسئول القديم أن يدرك أنه إذا لم يصلح أحد الأفراد لأن يكون مسئولا لسبب من الأسباب ، فليس معنى ذلك أن هذا الفرد قد فقد الأهلية للعمل في الجماعة ، وإنما قد يصلح لعمل آخر لا يقل أهمية في كثير من الأحيان عن عمل المسئول.

دعائم اختيار مسئول المجموعة التربوية:

الدعامة الأولى: حسن الاختيار من بين أصحاب الاستعداد:

وأصحاب الاستعداد لهذا العمل التربوي القيادي ، هم أولئك الذين توفرت فيهم صفات معينة تؤهلهم لحمل هذا العبء الكبير ، هذه الصفات يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- صفات فطرية تُعَدّ هبة من الله - لمن شاء من عباده.

ب- وصفات مكتسبة يستطيع مَن حُرِمَها أن يحَصِّلها بجهده وصبره.

لكن القسمين معا لازمان لكل من يتصدى لعمل المسئول ، ولا يغنى قسم منهما عن الثاني.

أولًا: الصفات الفطرية في المسئول:

إنها ثلاث مجموعات من الصفات على النحو التالي:

١ - مجموعة صفات تعود إلى ما منح الله المسئول من صفات ، تعود إلى القدرة العقلية (الذكاء) ، ومن المعلوم أن الذكاء يُعَيَّن مستواه - من حيث هو قدرة - بوساطة العوامل الوراثية ، وهذه منحة من الله لأ للإنسان ، أما العوامل البيئية ، فهي تعَيِّن مدى نمو هذه القدرة ومدى تحقيقها.

والقدرة العقلية (الذكاء) هي القدرة على التجريد والحكم والنقد والابتكار.

ويمكن رَصْد الصفات التي تساعد على ذلك ما يلي:

- القدرة على استخدام الخبرات السابقة ، لمواجهة المواقف الجديدة بنجاح.
- القدرة على تكوين أنماط سلوكية جديدة لمواجهة موقف جديد ، أو تعديل الأنماط السلوكية القديمة لمواجهة موقف جديد.
- القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء وإدراك متعلقات هذه الأشياء.
- القدرة على الحكم على الناس والأشياء حكمًا صائبًا أو قريبًا من الصواب.
- القدرة على النقد والموازنة والتعرف على العناصر اللازمة للنقد.
- القدرة على التحليل والتفصيل.
- القدرة على الابتكار.

٢ - مجموعة صفات تعود إلى ما منح الله المسئول من صفات تعود إلى القدرة الإيمانية ؛ التي يحركها الإيمان ويرسم حركتها الإسلام ويوجهها الإحسان.

ويمكن الإشارة إلى مفردات ، أو صفات هذه القدرة الإيمانية على النحو التالي:

- يقظة الروح وسرعة استجابتها لما حولها.
- صحوة الوجدان والمشاعر وغَيْرتها على الحق.
- الطموح إلى المثل العليا في كل شيء وعدم الرضا بما دونها.
- قوة الإيمان وسلامة المعتقد من الخرافة والأباطيل.
- الإيمان بأن الدين الإسلامي الخاتم هو أعظم الأديان ، والاعتزاز بالانتماء إليه ، واليقين بأن الله مؤيدٌ مَن يدعو إليه بإخلاص وتجرد واحتساب.
- قوة الإرادة.
- الحس المرهف إزاء تذوق الجمال والقبح ، والإدراك الصحيح للصواب والخطأ.
- الإقبال على العبادة والتشوق إلى كل ما يرض الله - ، وتمنى الجهاد في سبيل الله واعتباره غاية.
- الشجاعة والكرم والصبر.

فكل تلك الصفات لا تصدر إلا عن روح قوية ، ونفس فظة تدرك غايتها في الحياة.

٣- مجموعة صفات تعود إلى ما منح الله لأ الإنسان من قدرة بدنية ، واستعداد جسدي ؛ يمَكّن صاحبه من أداء عمله بسلاسة وقوة وتصميم وإصرار على الإنجاز ، ويمكن أن تحديد صفات خاصة لهذه القدرة البدنية مثل:

- الخلو من الأمراض المعَوِّقَة ، أو المعَجِّزة للإنسان عن القيام بالعمل.
- سلامة الحواس من بصر وسمع وشم وذوق ولمس.
- سلامة الجوارح من العجز والنقص.
- القدرة على العمل والكسب.

- النشاط والحيوية.
- القدرة على مجاهدة النفس والشيطان.
- القدرة على تعلم حرفة للكسب.
- القدرة على الانضباط في: المطعم والمشرب. والملبس والمسكن. والرغبات والشهوات.

ولا تتأتى هذه القـدرة على الانضباط إلا لصـاحب بدن قوى وجسد متين ، نعم ، تحرك هذه القدرة على الانضباط روحٌ قوية ونفسٌ لوامة ، ولكن قوة البدن مما ييسر هذا الانضباط وهو ضروري في كل من يتولى عمل المسئول ، لأنه يربى سواه ، وهو لا يستطيع ذلك إلا أن يكون قويا في ذكائه وفى روحه وفى بدنه ، وقد قال رسول الله ص: « **الْـمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْـمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ** » (رواه مسلم).

ثانيًا: الصفات المكتسبة للمسئول:

الصفات المكتسبة هي التي يستطيع الإنسان أن يتعلمها ويجيدها ، إن كان غير عارف بها أو غير متحل بها أصلًا؟

إن هذه الصفات المكتسبة الواجب توافرها في مسئول المجموعة التربوية كثيرة ومتشعبة إلى حد كبير ، وحسبك بصفات يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لتربية غيره ، وتوجيهه وترشيده ، وتنمية قدراته وتوظيف هذه القدرات لصالح الإسلام ، ولصالح الفرد والجماعة والمجتمع !!! إنها لكثيرة حقًا.

إنها - كذلك - ثلاث مجموعات ، كل مجموعة منها تشتمل على عديد من الصفات ، ولكنها تنتمي إلى جانب معين من جوانب شخصية مسئول المجموعة التربوية ، وتتعـاون فيما بينها لتُحْدِثَ التكامل في هذه الجوانب كلها ، وهى جوانب ثلاثة ، يعود إلى كل جانب منها مجموعة من الصفات ولا يستطيع مسئول المجموعة

التربوية أن يؤدى عمله التربوي في محيط المجموعة التربوية ؛ إلا أن تستكمل شخصية هذه الجوانب الثلاثة ، وما ينتمي إلى كل جانب من صفات. وعلى قدر ما يتوفر في المسئول من صفات في كل مجموعة أو جانب ، على قدر ما يستطيع أن يؤدى عمله التربوي أداء جيدًا.

غير أن المسئول الذي لا يجد في نفسه صفات بعينها في جانب من الجوانب ، يستطيع أن يستكمل هذه الصفات ، وأن يعنى بتلك الجوانب ، حتى يصل بها إلى المستوى الذي يؤهله لتربية غيره من الناس ، على عكس من فاتته الصفات النظرية فإنه لا يستطيع.

المجموعة الأولى من الصفات المكتسبة:

وتعود إلى ما يجب ، أن يتوفر في مسئول المجموعة التربوية من صفات في الجانب الثقافي من شخصيته.

وهذا الجانب ذو شعب ثلاث هي:

١ - الثقافة الدينية العامة ، وتتمثل في الصفات التالية:

- معرفة كافية بالأديان السماوية التي جاءت قبل الإسلام بخاصة أديان الدعوة والرسالة.
- معرفة جيدة بأصول الدين الإسلامي ، وهى كل ما يتعلق بالعقيدة من إيمان بالله وتوحيده ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله وأنبيائه ورسله وكتبه وملائكته ، واليوم الآخر والقضاء والقدر.
- معرفة كافية بأشهر الملل والنحل والأديان.

٢ - الثقافة الإسلامية الخاصة: وتتمثل في الصفات التالية:

- معرفة جيدة بالقران تلاوة وحفظًا وفهمًا.

- معرفة جيدة بالأحاديث النبوية الشريفة حفظًا لبعضها وفهما لها جميعها فهي السنة القولية.
- إحاطة بسيرة الرسول ص الصحيحة فهي السنة العملية.
- إلمام بالفقه الإسلامي من عبادات ومعاملات إلمامًا يزيل الجهل واللبس والوهم.
- دراسة تاريخ الصحابة ي.
- دراسة للتاريخ الإسلامي بعامة وتاريخ الدعوات والحركات التي انتمت إلى الإسلام عبر التاريخ بخاصة.
- معرفة كافية لواقع العالم الإسلامي المعاصر ، وما يحيط به من مشكلات ومعوقات ، وما يميزه من قدرات وإمكانات.
- معرفة كافية بالأقليات الإسلامية ، التي تعيش في ظل دول أو حكومات غير إسلامية ، معرفة تمكن من تصور احتياجات هذه الأقليات المادية والمعنوية.
- معرفة جيدة بالحركات والتيارات المعادية للإسلام ومخططاتها وبرامجها.

٣ - الثقافة العامة في الحياة ، وتتمثل في الصفات التالية:

- معرفة المذاهب السياسية المعاصرة ، وموقف الإسلام منها.
- معرفة المذاهب الاقتصادية ، وموقف الإسلام منها.
- معرفة المذاهب الاجتماعية ، وموقف الإسلام منها.
- معرفة المذاهب والنظريات الثقافية والفكرية وما يتفرغ عنها من مناهج وبرامج ، وموقف الإسلام منها.
- معرفة جغرافية تاريخية لأهم دول العالم المعاصر ، إسلامية وغير إسلامية.

- معرفة بالمنظمات الدولية ، السياسية وغير السياسية ، وبأهدافها وخططها.
- معرفة بالاستشراق والتبشير (التنصير) والصهيونية والاستعمار غير الصريح.
- دراسة الفكر الصليبي وما يفرزه من عداء للإسلام والمسلمين.
- معرفة بأجهزة الإعلام وأهدافها وخططها.
- معرفة جيدة بأنظمة الحكم في العالم ، وتحديد موقفها من الإسلام والمسلمين ، ومعرفة موقف الإسلام منها.

المجموعة الثانية من الصفات المكتسبة: وهى تعود إلى ما يجب أن يتوفر في مسئول المجموعة التربوية من صفات في الجانب العملي من شخصيته ، وهى ذات ثلاث شعب كذلك:

١ - شعبة العمل في جانب الدعوة ، وتتمثل في الصفات التالية:

- العلم الواعي بما يدعو إليه - وهو يدعو إلى الله وإلى الإسلام وإلى الدين الحق -فلا بد له من العلم بذلك قبل الدعوة إليه.
- الفهم والفقه لما يدعو إليه ، وإنما يكون ذلك بإطالة النظر في الكتاب والسنة وتدبر معاني القرآن الكريم ومقاصده.
- ولن يتأتى هذا الفقه إلا إذا استحضر الداعي في نفسه دائما غايته من الحياة الدنيا ، ومكانته اللائقة به بين الناس.
- الإيمان القوى بما يدعو إليه إيمانًا يصدقه العمل ، فليس بلائقٍ دعوةُ الناس إلى شيء لا يطبقه الداعي على نفسه.
- العلم بوسائل الدعوة علمًا جيدًا ، وقد حدد القرآن الكريم من هذه الوسائل: (الحكمة ، والموعظة الحسنة ، الجدال بالتي هي أحسن). وسواء على الداعية أن يدعو - وقد تسلح بوسائل الدعوة تلك - بالكلمة عظة

وخطبة ودرسًا ومقالةً وكتابًا ، والعمل أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وجهادًا في سبيل الله والقدوة والسيرة الحسنة ومطابقة العمل للقول ، فإن كل ذلك مطلوب ويكمل بعضه بعضًا.

٢ - شعبة العمل في جانب الحركة والتنظيم ، وتتمثل في الصفات التالية:

- القدرة على مخالطة الناس والإقبال عليهم ، فليس المربي مَن يُؤْثِر العزلة عن الناس لأي سبب إلا الفتنة العامة - أعاذنا الله منها - ، ومن أين له الناس الذين يربيهم إذا هو اعتزل وانطوى على نفسه؟
- القدرة على التأثير في الناس وجذبهم إليه بمعنى أن يكون مألوفا لديهم إلفًا لهم.
- القدرة على جمع الناس حول الحق ، وحفزهم على التواصي به والتزامه مهما تكن الظروف.
- القدرة على البذل والتضحية من أجل دعوته ، ومن أجل الناس الذين يتحرك فيهم بهذا الدين.
- القدرة على تصنيف الناس إلى مجموعات متعددة من حيث:
  - § قدراتهم وإمكاناتهم العقلية و الإيمانية والبدنية والاجتماعية وغيرها.
  - § مدى إقبالهم على الحق ومدى تمسكهم به وصبرهم عليه.
  - § مدى رغبتهم في بذل الجهد والوقت والمال من أجل الإسلام.
  - § القدرة على الكتمان والسرية.
  - § القدرة على الإدارة والتوجيه.
  - § القدرة على الحسم في حينه ، واللين والرفق في حينه.
  - § القدرة على توظيف الطاقات فيما يجب أن توظف ، فيه.

§ القدرة على معرفة التيارات الموالية أو المعادية للعمل الإسلامي ، لأخذ الحذر من المعادى ، وتأييد الموالى والتقرب منه ، وفتح الحوار معه في المسائل الهامة ، لعل ذلك يؤدى إلى الالتقاء على نفس الطريق.

٣- شعبة الجانب القيادي من شخصيته:

وهى أهم الجوانب في شخصية مسئول المجموعة التربوية ، لأن هذا الجانب هو المتكفل بتوريث الدعوة للآخرين ، وباستمرار الالتزام بها ، وبإيثارها على سواها. وتلك ركائز هامة في شخصية المسئول ، لا يستطيع أن يمارس عمله دونها ، وبالتالي فإن هذا الجانب من شخصيته يتطلب الصفات التالية:

- حسن المظهر التابع لحسن المخبر.
- الانضباط والاتزان في كل أمر من الأمور التي يفعلها أو التي يتركها.
- إعطاء القدوة من نفسه في سلوكه الفردي والاجتماعي.
- القدرة على توريث الدعوة والحركة لأجيال لاحقة.
- مشابهة إخوانه في العمل والإدارة.
- الابتعاد عن روح التسلط وإصدار الأوامر ، بل أخذ الأمور بالرفق والأخوة والمودة.
- القدرة على التحليل والاستنباط.
- القدرة على الحسم واتخاذ القرار بعد المشورة والاستماع إلى الرأي الآخر.
- القدرة على المتابعة الهادئة الهادفة التي تؤدى إلى تقويم العمل وتجويده.
- القدرة على التغيير عند دواعيه ، وعلى الابتكار دائمًا.

الدعامة الثانية في اختيار مسئول المجموعة التربوية:

إعداده وتربيته وفق برنامج متكامل:

إذا أحسن اختيار مسئول المجموعة التربوية من بين أصحاب الاستعداد على النحو الموضح آنفًا ، فإن هذا الذي وقع عليه الاختيار ليقود عملية التربية والتوجيه ، لابد أن يُعَدّ لذلك العمل وفق برنامج متكامل ، يتصف بالجدية والعمق في محتواه الثقافي ، وبالصرامة والالتزام في محتواه السلوكي الأخلاقي ، وبالمرونة وسرعة الحركة في محتواه العملي الميداني ، وبالدقة والتنظيم في مستواه الإداري ، وبالأخوة والمودة في محتواه القيادي ، ولابد أن تُحَدَّدَ له وظيفته.

أولًا: المحتوى الثقافي في برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية::

وهو ما سبقت الإشارة إليه في الصفات المكتسبة في المسئول من الجانب الثقافي الواجب توافره فيه: (الثقافة الدينية العامة ، والثقافة الإسلامية الخاصة ، والثقافة العامة في الحياة) ، وكل هذه الشعب وما تفرع منها من صفات عديدة ، يجب أن تتوفر في مسئول المجموعة التربوية بصورة أشد تركيزًا ، وأعمق فهمًا وفقهًا ، لأنه يُعَدّ ليعطي ويوجه ويربي فلابد له من هذه الصفات على من يربيهم.

وكذلك يجب أن تتوفر له وبقدر كاف من التعمق والتأني ما سبقت الإشارة إليه في الجانب العملي من الثقافة (العمل في جانب الدعوة ، العمل في جانب الحركة والتنظيم ، العمل في الجانب القيادي من شخصيته). وهذه الصفات مطلوبة في عضو المجموعة التربوية ، فما بالنا بالمسئول. إنها ألزم وأوجب ، وبقدر من التعمق والممارسة يتمكن به من أن يوجه غيره ، ويربيه وينمى قدراته ويرعى مهاراته ، ويوظف كل ذلك لصالح الإسلام ولصالح الدعوة.

ثانيًا: المحتوى السلوكي الأخلاقي في برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية:

وأبرز ما يميز هذا الجانب ، هو الجدية والصرامة والالتزام الدقيق بكل آداب الدين ، وما دعا إليه من فضائل الأخلاق وفضائل الأعمال. ولابد هنا من إشارة إلى إطار يتحرك في داخله مسئول المجموعة التربوية ، من حيث السلوك والأخلاق ، هذا الإطار ذو أبعاد أربعة هي:

١ - لا يكتفي في سلوكه وخلقه بأداء الفرائض والواجبات ، وإنما يجب عليه ممارسة النوافل والمستحبات حتى يعطى القدوة ويترك أحسن الأثر.

٢ - لا يكتفي بالابتعاد عن الكبائر والمنكرات ، وإنما يوجب على نفسه الابتعاد كذلك عن الصغائر والشبهات ، لأنه في ذلك المجال يشار إليه ويُحْتَذَى به ، شاء ذلك هو أم أبى.

٣ - لا يكتفي بأن ينتصر لنفسه عندما يقع عليه بغى من أحد ، وإنما يجعل رائده العفو وإصلاح ما بينه وبين خصمه ، تقريرًا للود ، وطمعًا في مثوبة الله لأ.

٤ - لا يكتفي بأن يأخذ ما له ، ويعطى ما عليه وهو مقتضى العدل ، وإنما يلزم نفسه بأن يأخذ أقل مما له ، وأن يعطى أكثر مما عليه ، وهذا مقتضى الإحسان ، ذلك أن تحرى العدل واجب وتحرى الإحسان ندب وتطوع ، والله سبحانه مع المحسنين ويحب المحسنين ، ومسئول المجموعة التربوية في مسيس الحاجة إلى أن يكون الله لأ معه ومحبًّا له.

ومن أبرز الصفات في مجال السلوك والأخلاق ما يلي:

١ - الرفق بإخوانه وبالناس عمومًا.

فجفاء المعاملة وقسوة القلب تفرق الناس من حول الداعي إلى الله لأ.

٢ - الألفة والتودد إلى الناس ، فهذا رصيد جيد ينفق منه ، فتروج تجارته ويكثر المتعاملون معه ، ويحقق ربحًا في الدنيا والآخرة ، تجارةٌ البضاعةُ فيها: الإيمان بالله

ورسوله ، والجهاد في سبيل الله - بالمال والنفس ، والربحُ فيها مغفرة الذنوب ودخول الجنة وسكنى طيبة في جنات عدن ، والربح الدنيوي فيها هي نصر الله له وفتحه عليه.والمؤمن كريم الخلق سهل الطبع ليِّن العشرة محب للناس محبوب منهم فقد قَالَ ص: « **إنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ** » رواه الدارقطني ، وغيره ، وحسنه الألباني).

٣- الصبر عل الناس ومداراة سفهائهم ، وتحمل أخطائهم على أمل العلاج والإصلاح ، وإذا كان ذلك هو خلق المربى مع سائر الناس فهو مع إخوانه الذين يربيهم ويوجههم ألزم وأوجب ، وإن ما يتمتع به مسئول المجموعة التربوية من أخوة وإيمان وحب وإيثار ؛ لجديرة بأن تستوعب أخطاء من يربيهم وريثما يتحول عنها صاحبها إلى الصواب.

ومما يدخل في الصبر: حبس النفس على ما يقتضيه الشرع ، والصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي ، والصبر في الحرب شجاعة ، وفى إمساك الكلام كتمان ، والصبر على المصائب إيمان ورضا بقضاء الله ، وكل هذه الأنواع من الصبر لازمة لمسئول المجموعة التربوية ، تميز أخلاقه وسلوكه ، وتمكّنه من القيام بواجبه في التربية والتوجيه ، بل تمكّنه من معرفة كل ما لدى إخوانه من طاقات وقدرات ليوظفها لصالحهم وصالح الدين الدعوة.

٤- البذل والتضحية ، فقد وضع مسئول المجموعة التربوية نفسه بالنسبة للناس ولإخوانه في موضع مَن يجب عليه البذل والتضحية لهم.

وأول ذلك الكرم - والكرم اسم جامع للأفعال الحميدة - أي توصيل المنافع للناس دون غضاضة ، ويلي ذلك شيء كثير في البذل والتضحية من أجل الناس بالوقت والجهد والمال.

٥- تمثل أخلاق القرآن الكريم والتمسك بها بصرامة والتزام ، واتخاذ الرسول الكريم ص قدوة في كل أمره ، بحيث يصبح مسئول المجموعة التربوية أنموذجًا حيًّا

متحركًا للإسلام ، في أخلاقياته وسلوكه في تعامله مع إخوانه في المجموعة التربوية ، ومع أهل بيته ومع جيرانه وزملائه ، يجعل الإحسان رائده في كل عمل ، والرحمة والعطف على الصغير والضعيف علامته التي تميزه ، والحرص على خدمة الناس وقضاء حوائجهم طابعه العام.

ولئن كان ذلك شاقا فإنه يسير على من يسيره الله له ، وعلى من يريد أن يتصدى لتربية الناس وجمعهم على الحق والهدى ، والسير بهم في طريق أوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وآخره الجهاد في سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، وليكون لهذا الدين هيمنة على كل دين وكل نظام ، أستاذية لهذا العالم المضطرب المحتاج إلى الاستقرار بمنهج الله ونظامه ، وما أطول الطريق وما أحوجها إلى الزاد والراحلة ، والقائد الحق هو الذي لا يُنْضِي راحلته في سفره ، وإنما يأخذها بالرفق واللين ، حتى تستطيع أن تصل به إلى هدفه وغايته.

ثالثًا: المحتوى العملي الميداني في برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية:

العمل الذي يقوم به مسئول المجموعة التربوية يحتاج دائما إلى: حكمة ، وقدرة على التغيير في حينه وقبل ضياع فرصته ، كما يحتاج إلى سرعة في حسم الموقف ، قبل أن يفلت منه ما سنح له من خير ، في مجال تربيته وتعهده لإخوانه ، والسعي بهم في طريق الدعوة علمًا وعملًا وجهادًا وتوريثًا.

ولا يتم عمل مسئول المجموعة التربوية على وجهه إلا إذا اتصف بعدد من الصفات ، تضمن له بلوغ الغاية ، والوصول إلى الهدف ، ومن هذه الصفات ما يلي:

١ - دراسة الواقع الراهن لكل عضو من أعضاء المجموعة التربوية: الواقع الإيماني ، والعقلي ، والبدني ، والاجتماعي ، بدقة وتفصيل ، والمبادرة بإقرار ما هو جيد من هذا الواقع ، وتغيير ما لا يلائم المسيرة في طريق الدعوة ؛ تغييرًا يتسم بالحكمة والإصرار مع التعرف على كثير من البدائل في هذا التغيير.

٢- دراسة الواقع السياسي للميدان الذي يعمل فيه مسئول المجموعة التربوية ، والتعرف على إيجابيات هذا الواقع وسلبياته لاتخاذ الموقف الملائم الذي يحقق له ولإخوانه النجاح والتوفيق فيما يلي:

- تحليل هذا الواقع السياسي من وجهة نظر إسلامية.
- تعديل هذا الواقع بحيث يلائم وجهة نظر الإسلام ، في هدوء وموضوعية وبحث جاد عن أنسب الوسائل للتغير.
- إبراز البديل الإسلامي في هذا الواقع السياسي ، وإلقاء ضوء إعلامي عليه ، من خلال ما يتاح من وسائل الإعلام المناسبة.

٣- دراسة الواقع الأمني في ميدان عمله الدعوي ، والتعامل معه ، بحيث يحقق أكبر قدر من الفائدة ، ويتجنب أكبر قدر من الضرر ، إذ العمل في أمان هو الأصل ، والبحث عن الظروف الآمنة هو اللازم دائمًا.

٤- دراسة واقع الجماعات الإسلامية الأخرى ، ومعرفة مدى ما تبذل هذه الجماعات من جهود ، ومحاولة الالتقاء مع هذه الجماعات فيما هو سائغ شرعًا وعقلًا ، وتجنب الاصطدام بها ، أو الدخول معها في مهاترات وجدل ؛ لأن ذلك يشغل كُلًا عن هدفه ، وهو في الوقت نفسه قرة عين لأعداء الإسلام والمسلمين ، فإن أتيح حوار هادئ هادف حول عمل مشروع ، أو أسلوب عمل جائز ؛ فذلك لا بأس به ، وإن لم يُتَح فالأصل في أي جماعة دعوية أن تحسن الظن بكل جماعة تعمل للإسلام ؛ إلى أن يظهر منها بالدليل ما يخالف ذلك.

وينبغي أن يكون من أدب أي جماعة الدعوية ألا ترد على الشاتم بشتيمة ، ولا على ذلك المسيء بالإساءة ، وإنما تحاول أن تعفو وتصلح دائمًا بين المسلمين ، طمعًا في أجر الله وثوابه. ومن واجب أي جماعة دعوية أن تغضب لله ، لا لنفسها ولا لأفرادها ،

فإن انتهكت حرمة من حرم الله ؛ كان الغضب والانتصار ، وإن انتهكت حرمة بعض أفراد الجماعة كان الصفح والتسامح.

٥ - دراسة واقع التيارات الموالية أو المعادية للعمل الإسلامي ، والتعامل معها وفق خطة الجماعة الدعوية وآدابها ، بنفس الحكمة والسرعة التي لا تفَوّت مصلحة ولا تجلب مضرة.

رابعًا: المحتوى الإداري في برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية:

يجب أن يشتمل برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية من الناحية الإدارية على أمور عديدة من أهمها:

١ - تنمية المهارات التجريدية (الذهنية) لدى مسئول المجموعة التربوية ، أي إقداره على النظرة الشاملة المستوعبة للأمور ، النظرة التي تمكنه من الربط بين أنماط السلوك المختلفة ، والتنسيق بين القرارات العديدة التي تصدر ، وبين الهدف العام للتربية والهدف الخاص لها.

٢ - تنمية المهارات السلوكية لديه ، وهى كل ما يتعلق بسلوكه في ذاته ، وفى اتصاله بالآخرين من أعضاء مجموعته التربوية ، وفى اتصاله بقيادته ، وأدب هذا وذاك.

٣- تنمية المهارات الفنية لديه. وهى كل ما يتصل بعمله كمسئول عن المجموعة التربوية ، من حيث معرفته بوظيفته ، ووصفها وواجباتها ومسئوليته فيها وحقوقه فيها ، معرفة دقيقة تمَكّنه من أداء عمله التربوي الخطير ، من خلال أرض ثابتة واضحة يقف عليها.

٤ - تنمية قدرته على التوجيه ، بحيث ييسر له هذا التوجيه حركة مناسبة توصله إلى الهدف ، وتمكنه من توجيه إخوانه توجيهًا مدروسًا هادفًا هادئًا ، وفق أخلاقيات المسلم وسلوكياته.

٥- تعويده احترام الوقت ، وحسن تقديره له ، سواء أكان ذلك وقته هو شخصيًّا ، أو وقت إخوانه في المجموعة التربوية ، فكل كلام وكل عمل لابد أن ينظر إليه من خلال الوعاء الزمني الذي استوعبه ، ومدى مناسبة هذا الوعاء له ، أو قصوره دونه أو زيادته على الحد المطلوب. وذلك أن الوقت أهم العناصر في العمل التربوي بخاصة ، والعمل الإنساني بعامة.

٦- تنمية قدراته على الانتقاء والاختيار ، تمهيدا للترشيح إلى عمل أكبر أو أهم. إذ مسئول المجموعة التربوية مُطالَب دائمًا بأن يحسن اختيار وانتقاء العناصر الجيدة من إخوانه ؛ لترشيحهم إلى أعمال أكبر أو أهم. وما لم يتم هذا الترشيح فإن العمل التربوي يكون عقيمًا ، والأصل فيه أن يكون ولودًا مثمرًا ، ليستطيع سد فراغ الاحتياجات المتجددة للجماعة الدعوية في مجالات العمل المتعددة.

٧- تنمية قدرته على اختيار رديفه (من يتولى المسئولية بعده) ، بل ورديف رديفه ، وربما رديف رديف رديفه ؛ لأن ذلك من ضرورات نجاح العمل واستمراريته ، إذ ربما حال عائق للمسئول فلا يتوقف العمل وإنما يقوم بعبئه الرديف وهكذا... مع ضرورة استطلاع رأى القيادة في هذا الرديف ، وإقرارها لاختياره.

رابعًا: المحتوى القيادي في برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية:

إن برنامج إعداد مسئول المجموعة التربوية من الناحية القيادية ؛ يجب أن يشتمل على تنمية صفات بعينها في المسئول تعتبر لازمة جدًا له في عمله. مثل صفات:

١- الإيمان بالله ، والإيمان بالعمل لدين الله لأ ، أهدافه ومراحله ووسائله.

٢- الأمانة والقوة.

٣- القدرة على التخطيط والحكم الصائب.

٤- القدرة على اتخاذ القرار.

٥- الذكاء وبعد النظر واللباقة والحكمة وسعة الأفق.

٦- المثابرة والصبر والجلَد والاستمرارية.

٧- فهم دقيق لطابع أعضاء المجموعة التربوية التي يقودها ، ليتسنى له تكليفهم بما يناسبهم.

٨ - القدرة على الابتكار والإبداع في عمله التربوي ، ومما يدخل في ذلك قدرته على التغيير والتبديل حسب ما تقتضيه الحاجة والظروف.

٩- القدرة على تحديد الأهداف العامة ، والأهداف المرحلية لعمله التربوي.

١٠- إدراك الوسائل التي تمكّنه من تحقيق أهدافه بحيث تكون ملائمة ومشروعة ومن شأنها أن تقرها قيادة الجماعة.

الدعامة الثالثة:

متابعة مسئول المجموعة التربوية بعد تسلمه مهمة إعدادها لمعرفة مدى ما حققه ، ويترك ذلك للمسئول عنه ، يتابعه بالأسلوب الذي يراه.

وظيفة مسئول المجموعة التربوية:

إن تحديد وظيفة مسئول المجموعة التربوية بدقة ووضوح ، تساعده على حسن أداء عمله ، بل تساعده على تقويم عمله تقويمًا جيدًا على ضوء أبعاد هذه الوظيفة ومتطلباتها. ومن هذه الوظائف الحيوية ما يلي:

١ - أن يجد إخوانه فيه قدوة تُحْتَذى ، من حيث خلقه وسلوكه ، وما يحب وما يكره ، وإخلاصه لدينه ولدعوته ، وولاؤه لعمله وفكرته.

فليس له أبدًا أن يطالب إخوانه بعمل لا يلتزم هو بأدائه ، ولا ينهاهم عن شيء يأتيه هو ، فإن ذلك يفقده الصفات الأساسية لمسئول المجموعة التربوية. وإذا كانت أول درجة في وظائفه أن يكون قدوة لإخوانه ، فليعلم أن ذلك ليس بالأمر الهين ، فليستعن عليه بتقوى الله لأ والاستقامة.

٢- أن يربط إخوانه بالدين والدعوة والفكرة والمنهج ، ولا يربطهم بنفسه ، أو غيره من الناس ، لأن الأفراد إلى زوال ، والمبادئ في دوام واستمرار ، يربى رجال مبادئ ، لا رجالا يحسنون التبعية لرجال مثلهم.

٣- غرس عميق لمبادئ الشريعة وموازينها ، وحكمها على الناس والأشياء في نفوس أفراد المجموعة التربوية ، بحيث يتحاكمون دائمًا في التعرف على الناس والأشياء ؛ بموازين الشريعة ، لا بما تعارف عليه الناس من موازين ، وذلك أمان من الانحراف عن الصراط المستقيم وضمان للاستمرار فيه.

٤- غرس المحبة والثقة في نفوس أعضاء المجموعة التربوية ؛ ليتحابوا ويتوادوا ، وهو مسئول عن تنامي هذا الحب وتلك الثقة.

٥- اكتشاف مواهب إخوانه ، والتعرف على إمكاناتهم وطاقاتهم ، لتنميتها وتوجيهها وتوظيفها لصالح الفرد والجماعة الدعوية والمجتمع والدين.

٦- تلافي كل نوع من القصور الثقافي ، أو العلمي أو العملي ، أو التنظيمي في إخوانه ، بوضع البرنامج الملائم لتلافى هذا القصور ، ولا ينبغي له أن يغفل عن هذه الحقيقة أبدًا - حقيقة أن في بعض الأعضاء قصورًا - وأن عليه هو أن يتلافى هذا القصور بمودته وأخوته ، وواقعيته وجديته ، وإيثاره الحق على كل شيء.

٧- مشاركة إخوانه في العمل ومساعدتهم فيه ، فإن ذلك من شأنه أن يبث فيهم روح الحماس والجدية والمثابرة والانضباط ، بها صفات مطلوبة فيهم ومطالب بها مسئول المجموعة التربوية ليحققها في إخوانه.

٨- تشجيع الحوار والحرص على الاستماع لآراء كل واحد منهم ، حتى يقول كل ما عنده ، لأن ذلك هو الذي يجعل منهم رجالًا إيجابيين ، قادرين على تكوين الرأي ، ومناقشة الرأي الآخر ، ولا يُقْبل من مسئول المجموعة التربوية بحال أن يربي

إخوانه على أساس أنهم نسخ متكررة من أصل واحد ، مهما كان هذا الأصل جيدًا جذابًا.

٩- ملء فراغ الأوقات عند إخوانه - إن وجدت - ، فإن أسوأ ما يضر الإنسان أن يجد عنده من الوقت ما لا يعرف كيف ينفقه ، إذ يعطى هذا الفراغ فرصة لوسوسات الشياطين - والعياذ بالله - وفى الحق ، إن الأمة الإسلامية بظروفها الراهنة ؛ لا تجد الوقت الكافي الذي تتمكن فيه من النهوض مما هي فيه ، فكيف يكون عند أفرادها فراغ؟ هذا هو الأصل ، ولكن إن وجد الفراغ فعلى مسئول المجموعة التربوية أن يعمل على ملئه بالمفيد النافع ، من القراءة ، والعبادة والذكر ، وعيادة المرض ، وزيارة القبور ، وإعداد البحوث والدراسات ، والتدرب على الحرف النافعة وما إلى ذلك.

١٠- من أبرز وظائف مسئول المجموعة التربوية ، أنه همزة وصل بين إخوانه والقيادة ، سواء أكانت هذه الصلة ذات توقيت منتظم أو غير منتظم ، ويستطيع أن يعد ما بين آنٍ وآخر لقاء لإخوانه مع قيادته ، لتوثيق الرابطة وجمع القلوب على الخير ، وزيادة الحماس والفاعلية في العمل والاستفسار عن بعض الأمور التي تهم الجماعة الدعوية في حاضرها أو مستقبلها.

ثاني عشر:
الرحلة كوسيلة للتربية

وتغلب عليها التربية الجماعية ، وفيها يتاح للمشاركين حرية في الحركة والتريض والتدريب والصبر على بذل الجهد وتحمل الجوع والعطش ، بمقدار لا تسمح به ظروف لقاء المجموعة التربوية.

وإذا كانت المجموعة التربوية يُعْنَى فيها بإنضاج الجوانب الإيمانية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، بأكثر مما يعنى بالجانب البدني الجسدي في الفرد أو المجموعة ، فإن الرحلة هي التي يُعنَى فيها بهذا الجانب البدني الجسدي فالرحلة وسيلة تربوية متممة لوسائل التربية.

والرحلة مهمة لإيجاد الجو الاجتماعي الذي تسوده القيم الإسلامية والانضباط الجسدي البدني طيلة يوم كامل ، يحيا فيه المشاركون في الرحلة حياة إسلامية عملية. ومن الممكن أن تكون الرحلة مرة كل شهر أو أكثر ، وأن تكون - مثلًا - من صلاة الفجر إلى صلاة المغرب. والأصل في الرحلة أن تكون لعدد من المجموعات التربوية ، وقد تكون لمجموعة من الملتزمين الجدد.

والمكان الملائم للرحلة ، هو المكان الخلوي صحراويًا كان أو ريفيًّا ، بشرط أن يكون بعيدا عن المدينة وأن يرتحل إليه ، لأن الارتحال وآدابه وإعداد لوازمه مما تستهدف الرحلة - كوسيلة تربوية - أن تحققه في المشاركين فيها.

وتتنوع الرحلة من حيث المشاركون فيها إلى أنواع:

١ - رحلة لأعضاء المجموعات التربوية.

٢ - رحلة لأبناء أعضاء المجموعات التربوية في الأعمار المتقاربة بإشراف أحد الدعاة.

د - رحلة لبنات أعضاء المجموعات التربوية في الأعمار المتقاربة بإشراف إحدى الداعيات.

هـ- رحلة للدعاة العاملين لنشر الدعوة ، حيث يقسمون إلى مجموعات ، لتغطية القطاعات التي في حاجة إلى الدعاة.

أهداف الرحلة:

أولًا: الأهداف الفردية:

١ - التريُّض وما يترتب عليه من تقوية البدن ، والترويح عن النفس بإذهاب الرتابة الناتجة عن اتخاذ مكان بعينه ، لعقد الاجتماعات غالبًا ما يكون هذا المكان بيتًا من البيوت.

٢ - التدرب على الانضباط في الحضور والانصراف بدقة لإدراك الركب ومشاركته في الذهاب والعودة.

٣ - الاستعداد للرحلة وما تتطلبه من معدات وأمتعة شخصية.

٤ - المشابهة في الترفيه عن النفس والجسم لتجديد النشاط والتعود على العمل الجماعي المنظم.

٥ - التدرب على بذل الجهد البدني ، وتحمل الجوع والعطش والصبر على شهوات النفس والبدن في الراحة والدعة والإقبال على الطعام والشراب.

٦ - التعود على مشابهة الآخرين والتعاون معهم في الإعداد للرحلة وفى القيام ببعض الأعباء فيها شحذًا للهمم وممارسةً لتحمل المسئولية.

٧ - التدرب على إدارة رحلة إدارة كاملة ، ابتداء من التفكير في اختيار المكان والزمان وإعداد المتطلبات ، وانتهاء بكتابة تقرير عنها بعد انتهائها.

ثانيًا: الأهداف العامة للرحلة:

١ - التعرف الدقيق على أعضاء المجموعات التربوية من خلال التعامل معهم في السفر والانتقال ، وهذا الجو الطلق المشبع بالحركة والحرية ، لتكوين فكرة عن كل عضو تتناول ما يلي:

أ- استعداده البدني.

ب- استعداده النفسي والخلقي.

ج- استعداده للتعاون مع الآخرين.

د- قدرته على الالتزام والامتثال والطاعة.

٢- تقوية الصلات بين أعضاء المجموعات التربوية ، وطبع هذه الصلات بطابع إسلامي دقيق على مدى يوم كامل ، ليعيش الأخ ممارسة حقيقية لآداب الإسلام وسلوكياته. مثل:

أ - أدب التعامل مع الآخرين.

ب- أدب التعاون والتآزر.

ج- أدب الطعام والشراب.

د- أدب الصبر وتحمل المشاق.

٣ - تعميق الصلات بين أبناء أعضاء المجموعات التربوية ، أو بين بناتهم عندما تكون الرحلة لمثل هذه النوعية.

٤- التعرف على قدرات بعض أعضاء المجموعات التربوية في المجالات التالية:

أ- مجال الإدارة والتنظيم.

ب- مجال الجندية والقيادة.

ج- مجال الإحساس بأهمية العمل والدقة في تنفيذه.

د- مجال التغلب على المشكلات التي تطرأ ولم تكن متوقعة.

هـ - مجال ألفة الأخ لإخوانه وألفتهم له - أي أن يكون الأخ محبًّا لإخوانه ومحبوبًا منهم.

٥- غرس قيم معينة دعويًّا وحركيًّا وتنظيميًّا ، في نفس أعضاء المجموعات التربوية الإخوة المشاركين في الرحلة ، مثل:

أ- الالتزام والانتماء وما يترتب على كل منهما من تبعات مادية أو أدبية.

ب- السرية والكتمان في عدم إذاعة مكان الرحلة ، أو زمانها ، أو الانصراف منها أو ما تم في أثنائها ، والمسئول عنها ومن يعاونه. (إن كانت هناك حاجة لذلك).

ج - الجدية والحماس في ممارسة أي عمل ، حتى ولو كان تريضًّا أو ترفيهًا في إطاره الخارجي ، لأن ذلك هو الذي يطبع الأفراد على الجدية والحماس في الأمور الأكثر أهمية.

د- بَثّ روح الجهاد في نفوس المشاركين في الرحلة ؛ لأن الجهاد جهد وصبر وطاعة والتزام.

هـ- الدقة والنظام في توزيع الأعمال والتعاون في كل ما يحتاج إلى تعاون.

و- الحب والإيثار ، وذلك بتقوية رغبة كل واحد من المشاركين في الرحلة في أن يبذل الجهد ، ويقوم بالعبء الذي يريح به أحد إخوانه ، وألا يستأثر براحة أو طعام أو شراب دون غيره من أعضاء الرحلة ، فعند تبادل هذه المشاعر بين جميع الأعضاء يزداد الحب في الله بين المشاركين ويحدث التدرب على الإيثار.

٦- تدريب المشاركين على عمل برنامج للرحلة ، وذلك أنهم سوف يُقَوِّمون برنامج الرحلة التي شاركوا فيها ، ويتعرفون من خلال هذا التقويم على ما يلي:

أ- تحقيق الرحلة لأهدافها الفردية والعامة.

ب- ملاءمتها من حيث الزمان والمكان.

ج- ملاءمة برامجها للأعضاء.

د - مدى ما فيها من إيجابيات وسلبيات وبخاصة ما حدث فيها من أخطاء أو تجاوزات.

وبالتالي: فإن كل مشارك يستطيع على ضوء هذا التقويم ، أن يعد هو برنامج لرحلة تحقق أهدافها جميعًا ، وتتلافى ما فيها من قصور أو خطأ أو في تجاوز ، ثم عرض هذا البرنامج المقترح على المسئول للاطلاع عليه وقبوله أو تعديله ثم إقراره. وتلك خبرة حركية تنظيمية لا تُتَعلم ولا يُتَدَرَّب عليها ، إلا في مجالها العملي وهو الرحلة.

٧- تدريب بعض المشاركين على الأعمال القيادية مثل:

أ- جمع المشاركين في مكان معين وزمان معين.

ب- توصيل المعلومات والتعليمات في زمن قصير نسبيا إلى كل من يجب أن تصله المعلومات أو التعليمات.

ج - الإشراف على المتعاونين في العمل ، وتحديد عمل كل منهم بدقة ، حتى لا تتداخل الأعمال ولا يتكل بعض المعاونين على بعض.

د - التدرب على اختيار أمكنة معينة صالحة للرحلة إليها ، وتجميع الناس فيها ، وقضاء يومهم بغير متاعب ، وإنما يكون ذلك بارتياد المكان مسبقًا والتعرف عليه وعلى ما يحيط به من ظروف.

ومعنى ذلك ، أن تكون هناك قائمة بأسماء الأماكن الصالحة للرحلة. معروفة لدى الأخ المراد تدريبه على ذلك.

ويدخل في هذا التدريب استخراج التصاريح اللازمة للقيام بالرحلة من الجهات المعنية ، وكيفية استخراج هذه التصاريح ، وهذا إذا كان مكان الرحلة من الأماكن العامة التي تستلزم تصريحًا مسبقًا.

٨- تدريب بعض الإخوة على الإدارة المالية للرحلة ، كجمع الاشتراكات ، وشراء اللوازم ، أو لسد أي احتياج يطرأ على الرحلة.

٩- تدريب بعض الإخوة على أعمال الإسعافات الأولية ، وإعداد مستلزمات هذه الإسعافات لمواجهة أي طارئ يطرأ على أحد أفراد الرحلة ، حيث يسعف في حينه دون إرباك لبرنامج الرحلة أو مسارها.

١٠- تدريب بعض الإخوة على الإشراف على معدات الرحلة ، من أدوات وطعام وشراب لتوزيعها بدقة على الإخوة في الوقت الملائم والمكان الملائم ، وتحمل المسئولية بالنسبة لأي فرد لم يصل إليه ما يستحقه من هذه المعدات. أي إعداد خازن أمين يجيد خزن المعدات كما يجيد صيانتها ، ويجيد توزيعها على أصحاب الحق فيها.

فالجماعة الدعوية بحاجة إلى تدريب الإخوة على كل هذه الأعمال ، لأن العمل الإسلامي بحاجة إلى ذلك في كل مرحلة من مراحله ، فلابد من أن تكون الجماعة مستعدة لمواجهة هذا الاحتياج في أي وقت.

آداب الرحلة:

لكل عمل في الإسلام آداب حتى ولو كان تريُّضًا أو لعبًا ؛ لأن خلو أي عمل من آداب تحكمه يضيع الفائدة منه ، والرحلة - وإن بدا من ظاهرها أنها رياضة بدنية ولعب - إلا أنها كوسيلة من وسائل التربية تخضع لآداب منها:

١- أن يستحضر كل مشارك في الرحلة نية العبادة لله لأ في هذا العمل ، وأن يُعِدَّ نفسه وقلبه وجوارحه لهذه العبادة.

٢- عقد النية على التقرب إلى الله بهذه الرحلة ، لما فيها من تقوية للجسم لإعداده لحمل أعباء العمل الإسلامي كله ، وعلى رأسه وفى ذروته الجهاد في سبيل الله.

٣- مراقبة الله - في كل ما يقوم به الفرد من عمل في الرحلة ، واحتساب الأجر والمثوبة عند الله لأ في ذلك كله ، ولأن تقوية البدن مطلب شرعي.

٤- التقيد الدقيق بموعد الرحلة ومكانها ، دون تبكير ولا تأخير ودون اعتراض على الزمان أو المكان ، مادام الأمر قد وصل إلى حد التبليغ عن المكان والزمان.

٥- الاستجابة السريعة لكل ما يطلب من عضو الرحلة أن يحضره ، من معدات وملابس وطعام وشراب وغير ذلك ، حتى لا يؤخذ عليه تقصير في أمر من الأمور ، إذ قد ينعكس هذا التقصير على الرحلة كلها فيسيء إليها.

٦- الامتثال والطاعة لكل ما يُطلب من عضو الرحلة أن يقوم به من عمل ، مادام ذلك في غير معصية لله لأ ، إذ لا تتم الرحلة على وجهها إلا بهذا الامتثال وتلك الطاعة.

٧- الاجتهاد والمثابرة والجدية في التعامل مع كل شأن من شئون الرحلة ، صغر هذا الشأن أو كبر ، مع إيثار التعب والجهد على الراحة الدعة.

٨- الإسراع في مساعدة الآخرين ممن يشاركون في الرحلة ، والتعاون معهم فيما كلفوا به وإعانتهم عليه ، بل إيثار هؤلاء المشاركين على النفس في كل عمل من أعمال الرحلة ، ما لم يتعارض ذلك مع تكليف خاص.

٩- عدم إحضار أطعمة فاخرة - مهما كانت ظروف المشارك جيدة من الناحية الاقتصادية - وعدم الإقبال الشديد على الطعام والشراب والراحة ؛ لأن هذا يُفقد الرحلة هدفها في غرس صفات الصبر والتحمل في أعضائها.

١٠- اختيار فترات من الرحلة للتفكر والتأمل في كل ما يحيط بالإنسان من عظيم خلق الله - ، وبخاصة إذا كانت الرحلة خلوية أو ريفية حافلة بالأشجار والمزروعات.

١١- اتخاذ الوقار شعارًا للرحلة وعدم الإسراف في المزاح ؛ محافظةً على هيبة المؤمن وجديته.

١٢- الالتزام بالحدود الشرعية في كل أمور الرحلة ، وبخاصة ما يتصل بالسمر والترفيه إذا تضمن البرنامج المعد للرحلة شيئًا من ذلك.

١٣- التفكير في مقترحات جيدة تزداد بها الرحلة قدرة على تحقيق أهدافها العامة والخاصة ، ويتلافى بها كل سلبية من السلبيات التي يلحظها عضو الرحلة.

١٤- المشاركة في تقويم الرحلة إن كان هناك وقت لجلسة تقويم ، أو الحديث إلى مسئول الرحلة عن تقويمها أو كتابة هذا التقويم وتسليمه للمسئول.

شروط الرحلة:

١- يشترط في كل رحلة أن تحقق الأهداف العامة للرحلة ، وأن يحدد لها أهداف خاصة ، وأن تحقق هذه الأهداف الخاصة كذلك.

٢- يشترط في العدد المشارك في الرحلة ألا يكون قليلًا ، بحيث يكون عشرين فردًا ، وألا يزيد عن خمسين فردًا حتى يمكن تحقيق الفائدة من التجمع ، ولا تضيع فائدة توثيق الروابط إذا زاد العدد عن ذلك ، فضلًا عن احتمال عدم ضبط الرحلة وتحقيق أهدافها.

٣- يشترط فيمن يُعِدّ للرحلة أو يدعو إليها أن يكون أهلًا لهذا العمل القيادي القيم ، تتمثل أهليته في أقدميته في الجماعة الدعوية ، وفى اشتهاره بالالتزام والانضباط ، وأن يكون قد استأذن المسئول عنه ، أخذ منه الموافقة عليها زمانًا ومكانًا وأعضاء.

٦- لا توجه الدعوة إلى رحلة ما إلا إلى فرد يكون على مستوى هذه الرحلة من حيث ما يلي: (برنامجها. المشاركون فيها. ما تستهدفه من أهداف).

ولا ينبغي الخلط في الرحلة الواحدة بين أنواع من المدعوين ، يخشى باجتماعهم ألا تحقق الأهداف لكل منهم.

٧- كل نوع من أنواع الرحلات يجب أن يستوفى العضو المدعو إلى المشاركة في الرحلة للصفات الواجب توافرها في أعضاء هذا النوع من الرحلات.

٨- المعدات المطلوبة من العضو المشارك في الرحلة تختلف كذلك باختلاف تنوع آخر للرحلات مثل:

أ- رحلة للأطفال بنين أو بنات.

ب- رحلة للكبار باختلاف مستوياتهم.

فكل نوع من هذه الأنواع من الرحلات تلزمه معدات تختلف عن النوع الآخر ، ويجب أن يبلغ بها العضو قبل القيام بالرحلة بوقت كاف.

برنامج الرحلة ومساره:

من صميم برنامج الرحلة الاختيار المسبق للمكان والزمان بل وللأعضاء المشاركين في الرحلة. ومنه كذلك تكليف أحد الدعاة بتولي مسئولية الرحلة والإعداد لها ، بمعاونة عدد من إخوانه حسب الحاجة.

ومن صميم البرنامج أن يُطلَب مسبقًا إلى المشاركين إحضار المعدات الخاصة بالرحلة حسب نوعيتها مع المصاحف والأقلام والأوراق وغيرها ، كذلك الشأن في الطعام وسائر المستلزمات.

محتوي البرنامج:

الحد الأدنى الذي يجب أن يشتمل عليه برنامج الرحلة هو ما يلي:

١- كلمة الرحلة يلقيها أمير الرحلة أو مَن يُنِيبه من الإخوة. وهدف هذه الكلمة هو توضيح الهدف العام من الرحلات ، وهدف هذه الرحلة وبرنامجها.

٢- صلاة الضحى وقراءة قدر من القرآن الكريم ، قارئ يتلو ويستمع الآخرون ، أو يتلو كل واحد من مصحفه بحيث لا يزعج الآخرين أو يشغلهم عن قراءتهم التي يقرءون.

٣- ثم يبدأ التنفيذ العملي للبرنامج.

وللبرنامج حد أدنى من الفقرات ما ينبغي أن ينقص عنه ، ومن زاد زاد من الخير بإذن الله لأ وهذا الحد الأدنى هو:

أ- قدر من ترويض الجسم بالحركة والجري وبعض التمرينات الرياضية.

ب- قدر من بذل الجهد البدني الكبير حتى يستفيد الجسم من الحركة والاستمرار فيها.

ج - صبر على الجوع والعطش وتحمل المتاعب الجسدية التي يستدعيها التريُّض.

د- صبر على تحمل أي مشقة أو مكروه يتعرض له أفراد الرحلة.

هـ - موضوع يتحدث فيه أمير الرحلة أو مَن يُنيبه عنه من الإخوة ، بشرط أن يكون مُعَدًّا من قبل ، يعقبه نقاش وتساؤل.

و- قدر من التسلية والمسامرة والترفيه عن النفس والبدن.

ز- أداء الفرائض على مواقيتها مهما كانت فقرات البرنامج ، وإتاحة فرصة لأداء السنن وختم الصلاة.

ح- عقد مسابقات رياضية بين المشاركين لتنمية روح التنافس في الخير.

٤- جلسة لتقويم الرحلة يشارك فيها المشتركون جميعًا ، بقصد التعرف على الإيجابيات والسلبيات في الرحلة وبرنامجها بهدف الوصول إلى الصورة الأمثل فيما بعد.

٥ - كلمة الختام يلقيها الأمير أو من يختاره لذلك من الإخوة ، بحيث يركز فيها على معاني الأخوة والحب في الله ، أو على واجبات العمل الإسلامي ومتطلباته ، أو أي موضوع يزيد الأعضاء من الالتزام والانتماء والانضباط.

٦ - من صميم البرنامج أن يُعِدّ أمير الرحلة تقريرا عن الرحلة يتضمن ما يلي:

أ- تحقيق الأهداف العامة والأهداف الخاصة.

ب- المشاركون في الرحلة ومدى إيجابيتهم في الالتزام والطاعة والانضباط.

ج - البارزون من المشاركين وفى أي أنواع العمل برزت قدراتهم وإمكاناتهم.

د- ملاءمة الرحلة زمانًا ومكانًا.

هـ - مدى قدرة البرنامج على تحقيق الأهداف.

و- السلبيات والأخطاء والتجاوزات التي حدثت في الرحلة.

ز- مقترحات لتطوير الرحلة أو تحسينها يؤخذ بها في الرحلات التالية.

ثم يسلم هذا التقرير للمسئول.

مسار برنامج الرحلة:

١ - البداية بتحديد مكان للتجمع وساعة معينة له.

٢ - الانطلاق إلى المكان المختار بوسيلة المواصلات المتفق عليها.

٣- الوصول إلى المكان ، ثم وضع الأمتعة وعقد جلسة تعارف.

٤ - تناول الإفطار بشرط أن يكون خفيفًا وأن يكون جماعيًّا ، يجمع الطعام كله ثم تقسيمه على مجموعات من الأفراد تأكل كل مجموعة على حدة - على أن يتخلل الطعام مزيد من التعارف ، وطيب الكلام.

وبشرط أن يحدد الأمير وقتا معينا لتناول الإفطار وألا يزيد عن ثلث ساعة.

٥ - صلاة الضحى وقراءة قدر من القرآن الكريم.

٦- التريُّض والتمرينات والتدرب على بذل المجهود البدني الشاق نسبيًّا.

٧- الاستمرار في التريُّض فترة لا تقل عن ساعتين قد يتخللهما مسابقات رياضية.

٨- الاستعداد لصلاة الظهر وأداء الفريضة وختم الصلاة وذلك عند دخول وقت الفريضة مباشرة.

٩- كلمة حول موضوع مختار مُعَدّ مِن قبل ، تدور بعده مناقشة وأسئلة وأجوبة.

١٠- تناول طعام الغداء بشرط أن يكون خفيفًا وجماعيًّا كذلك وفى مدة لا تتجاوز نصف ساعة.

١١ - قيلولة مدتها نصف ساعة فقط.

١٢ - جلسة سمر وترفيه ومسابقات رياضية.

١٣- الاستعداد لصلاة العصر وأداء الفريضة في وقتها وختم الصلاة.

١٤- تدارس لبعض معوقات العمل الإسلامي وتصور للحلول وإزالة المعوقات.

١٥ - عودة إلى التريُّض والجري والتمرينات.

١٦- جلسة للتقويم تنتهي بصلاة المغرب في وقتها.

١٧ - كلمة الختام لأمير الرحلة أو مَن يُنيبه.

١٨ - الاستعداد للرحيل ، وحمل كل عضو لأمتعته مع التخفيف عن الضعيف وإعانته.

١٩- الانصراف في نظام للعودة من حيث بدأ اللقاء.

أمير الرحلة ومساعدوه:

كل مسئول عن عمل من أعمال التربية يجب أن تتوفر فيه الصفات التي تؤهله للقيا بهذا العمل ، وأمير الرحلة- كغيره من المسئولين - يجب أن يكون على مستوى هذه ، المسئولية في توفر صفات عديدة منها:

١ - أسبقية وأقدمية في الجماعة ، مع التزام وحرص أتاح له التمرس بوسائل الجماعة الدعوية في تربية الأفراد ، تلك التربية التي تتطلب العناية والرعاية لكافة جوانب الشخصية في المتربي.

٢ - حسن السمعة والاشتهار بالالتزام والطاعة وتقوى الله لأ.

٣- القدرة على الدعوة والحركة والتنظيم ، وذلك بسعة الثقافة العامة والثقافة الإسلامية والثقافة الدعوية.

٤ - المعرفة الجيدة بإخوانه وبطبائعهم والأساليب المناسبة للتعامل معهم.

٥ - الصبر والأناة والرفق وحسن التصرف في المواقف التي تتطلب حكمة وروِيَّة وحفاظًا على مشاعر إخوانه وأخوتهم.

٦ - القدرة على الكشف عن مواهب إخوانه واستعداداتهم ، ورعاية هذه المواهب والاستعدادات والعمل على تنميتها وصقلها الإسلام في كل مجال من مجالاتها.

٧ - القدرة القيادية التي تتمثل في أمور ، من أهمها:

أ- أن يكون محبوبًا مسموع الكلمة.

ب- أن يكون مهيبًا وقورًا حازمًا.

ج- أن يكون رفيقًا ألوفًا.

د- أن يكون ذا حكمة وأناة.

هـ- أن يحسن اختيار الأفراد والحكم عليهم.

و- أن يجيد توزيع العمل على الأفراد وفق قدراتهم واستعداداتهم.

ز- أن يكون إيجابيًّا يشارك إخوانه ، في العمل ويعد نفسه واحدًا منهم بل يعد نفسه أقلهم.

٨- القدرة على إعداد برنامج للرحلة يتصف هذا البرنامج بالصفات التالية:

أ- الاستيعاب والتكامل في مجاله.

ب- القدرة على تحقيق الأهداف العامة والخاصة للرحلة.

ج- أن يكون في حدود طاقة المشاركين في الرحلة.

د- أن يكون مرنًا قابلًا لأن يحدث فيه من تغيير ما تقتضى الظروف أو الاحتياجات حدوثه.

هـ -أن يكون في كل محتوياته خاليًا من أي شيء يتعارض في قليل أو كثير مع آداب الإسلام وأخلاقه.

٩ - القدرة على تحديد نوعيات من يعاونه في الرحلة ، وأهم هؤلاء المعاونين:

أ- مسئول مالي: يتولى جمع الاشتراكات والإنفاق منها على متطلبات الرحلة وتقدير موازنة بين ما جمعه وما أنفقه.

ب- مسئول إداري: يتولى التبليغ عن الرحلة زمانها ومكانها لا المشاركين فيها ، وموعد الحضور والتجمع ومكانه وموعد الانصراف ومكانه ، وتأمين وسائل الانتقال وتحديد الأنسب منها ، وتحديد ساعات العمل والراحة في الرحلة.

ج- مسئول رياضي: يتولى تدريب المشاركين والتمرينات الرياضية ، والجري وبذل المجهود البدني المطلوب ، وعقد المسابقات الرياضية ، وجلسات الترفيه والترويح عن النفس في ظل آداب ، الإسلام وأخلاقياته ، وهو المسئول كذلك عن المعدات الرياضية اللازمة للرحلة ، وعن أي عمل تحتاج إليه الرحلة يتطلب جهدًا بدنيًّا أو حركة عنيفة ، كما أن عليه تأمين حقيبة إسعاف للرحلة وإسعاف من يحتاج إلى ذلك.

د- **مسئول ثقافي:** يتولى اختيار الموضوعات التي ستطرح للبحث والمناقشة ، ويختار مَن يتحدثون هذه الموضوعات ، يحدد لهم الأوقات المناسبة ويكون مسئولًا عن إدارة الحوار والمناقشات ، كما يكون مسئولًا عن الأذان والإقامة وأداء الفرائض والنوافل وسائر الأمور التعبدية.

وهؤلاء المسئولون المعاونون ينسقون فيما بينهم العمل والوقت وإلاستعانة بالأفراد ، مستهدين برأي أمير الرحلة يشاورونه ويشيرون عليه.

وعند الاقتضاء قد يتولى أحد الأعضاء أكثر من مسئولية ، أو قد تتشعب إحدى المسئوليات بين اثنين أو أكثر حسب الحاجة والظروف.

١٠- القدرة على توجيه المعاونين له أولًا بأول ، وحسن متابعتهم في ما يمارسون من أعمال. كل ذلك في أخوة ومحبة ورغبة في إنجاز العمل على أحسن وجه ، وإنما يكون ذلك بأن يقوم أمير الرحلة بالأعمال التالية:

أ- يختار المعاونين مسبقا - قبل القيام بالرحلة - ويعقد لهم لقاء يحدد فيه لكل واحد منهم عمله وواجباته.

ب- يفتح لهم مجال التساؤلات عن أي شيء يحتاج منهم إلى استيضاح ، ويجب على كل تساؤل ويوضح كل مهمة ويدعو لهم بالتوفيق والسداد.

ج- مطالبة كل معاون أن يعد تقريرًا عن عمله وما واجهه فيه من مشكلات أو معوقات.

د ـ معايير اختيار معاوني الأمير هي نفس معايير اختيار الأمير نفسه ، التي سبق توضيحها.

١١- على أمير الرحلة أن يجعل معاونيه يتبادلون الأماكن والمواقع في الرحلات التالية ، بحيث يتدرب كل منهم على القيام بأعباء المسئولية في مجالاتها المتعددة ، كما أن

عليه أن يختار المعاونين وفق شروط اختيارهم ، بحيث يستوعب أكثر عدد من إخوانه على المدى البعيد.

١٢- أمير الرحلة ومساعدوه يكونون دائمًا في خدمة إخوانهم ، وفى قضاء حاجاتهم ورفع المشقة عنهم ، وهم الذين يحملون الضعيف ومن اعتراه عارض ، وهذا هو الأصل في المسئول الراعي لغيره.

ثالث عشر:
المخيم أو المعسكر كوسيلة للتربية

إن المعسكر يضطلع بمهمة تربوية جليلة القدر ، بل ربما كانت مهمة المعسكر التربوية لا تتوفر لغيره من وسائل التربية:

أهداف المعسكر:

أولًا: التجميع. ثانيًا: التربية. ثالثًا: التدريب.

أولا: التجميع:

ونعنى بالتجميع جمع الناس عمومًا أو الدعاة خصوصًا في مكان يستوعبهم أيًاما وربما أسابيع ، ليسهل توجيههم وتوظيف طاقاتهم وتوطيد العلاقات الأخوية الإسلامية فيما بينهم ، ولتأكيد أن في الجماعة والتجمع على الخير بركة.

وهذا التجميع للناس في المعسكر يتم على مستويات أربعة:

١ - مستوى عام:

يجمع فيه أفراد المسلمين بعامة - وليس بالضرورة أن يكونوا منتمين إلى الجماعة الدعوية - ممن يلتقون على حب العمل للإسلام ، والإحساس بالظروف التي يمر بها الإسلام في الزمن المعاصر ، والضيق بالتيارات المعادية للإسلام وما تكيد به هذه التيارات للإسلام وللمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم.

وهؤلاء يجمعون في المعسكر لترشيد هذا الحب للعمل الإسلامي وتوجيهه وتوظيفه فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير والفائدة. وترشيد الإحساس بظروف الإسلام في العالم المعاصر ، وتحويله من مجرد التذاكر والتباكي إلى حيز العمل والتنفيذ ، وتوظيف هذا الإحساس بعد تنميته فيما يعود على الإسلام والمسلمين بالخير. وتحويل هذا الضيق بالتيارات المعادية للإسلام من هذا الموقف السلبي الذي يكتفي بمجرد

الضيق ، إلى العمل الإيجابي الذي ينكر هذه التيارات ويرد على تحدياتها فيبطلها ، ويفكر بنفس الإيجابية في المستقبل ، وكيف يقوم بناؤه على أرض صلبة قوية نقية من الفتن والدسائس والمؤامرات.

٢ - مستوى دعوي خاص:

يجتمع فيه العاملون أعضاء المجموعات التربوية المنتظمون من منطقة واحدة حينا ، ومن مناطق متعددة حينًا ، لتأكيد الأخوة وتعميق معاني الحب في الله والاجتماع على طاعته ، وتوثيق التعارف والتفاهم وتقوية رباط العقيدة ، وبيان فضل التآخي في الله على طريق العمل للإسلام طريق التواصي بالحق والصبر. مع التوجيه إلى ما يجب أن يكونوا من قوة وجلد وصبر وتحمل وتجمل ، وتبصيرهم بما ينتظرهم في الدنيا من متاعب ومشقات وعداوات ، ظاهرة ومستترة ، وما يدخر لهم عند الله - من أجر ومثوبة بإذن الله لأ.

٣- مستوى دعوي قيادي:

يجمع فيه دعاة قياديون ثقافيًّا أو حركيًّا من منطقة واحدة أو مناطق متعددة ، لتوجيههم في مجالات عملهم عن طريق القادة والكبار من إخوانهم ، وتقوية صلاتهم بقيم بقيادة الجماعة الدعوية غرسًا للثقة ودعمًا للحب في الله ، وإعطائهم فرصة لممارسة الحقيقية لأدب الجندية - على الرغم من أنهم قادة - ولأدب القيادة والتعامل مع الجنود وما يتطلبه هذا وذاك من أدب إسلامي يتطلب واجبات وتبعات مع إتاحة الفرصة أمام هذه القيادات لتطرح على بساط البحث كثيرًا من المعوقات التي يواجها كل منهم في عمله أو مكانه ، للتفكير في الأساليب المناسبة القادرة على إزالة هذه المعوقات.

وربما يُتَّفَق في هذا المستوى من المشاركين على خطط عمل في المستقبل القريب أو البعيد.

٤ - **مستوى دعوي قطري**: يجمع فيه - أحيانا - بعض الدعاة من أقطار عربية أو إسلامية متعددة - على مستوى القيادات منهم - لتدارس شئون الدعوة في تلك الأقطار ، وللتعرف على طبيعة العمل للإسلام فيها ، ولرصد التيارات المعادية للإسلام والمسلمين في كل قطر من هذه الأقطار ، لوضع الخطط المناسبة لمواجهة أثر هذه التيارات وتذليل العقبات التي تعترض طريق العمل للإسلام.

كما تتبادل الآراء في تحديد إطارات التعاون بين الدعاة في قطر بعينه مع غيرهم في قطر أو أقطار أخرى.

وهذا التجميع لا يتم على وجهه الإيجابي إلا في جو المعسكرات والمخيمات ، وما تتجه من سعة في المكان والزمان يعطيها القدرة على استيعاب أكبر عدد من الناس وحسن توجيههم وتحديد أطر التعاون فيما بينهم.

ثانيًا: التربية:

للمعسكر أهداف تربوية منها:

١ - صبغ حياة الفرد بصبغة إسلامية خالية من الشوائب على مدى اليوم كله ليله ونهاره ، لفترة تشتمل على عدد من الأيام أو الأسابيع ، ليتشرب السلوكيات الإسلامية والآداب القرآنية ، وفق منهج خاص تعده إدارة المعسكر وتتابع تنفيذه بدقة متناهية.

٢ - تعويد المشاركين في المعسكر على ممارسة الحياة العسكرية الخشنة ، دعمًا لفكرة الجهاد في سبيل الله لأ ، وما يتطلبه من استعداد وإعداد في البدن والنفس والعقل والدين.

٣ - تبصير الأفراد والقيادات بواجباتهم التربوية إزاء إخوانهم بصورة عملية ولفترة طولية ولعدد أكبر من المشاركين.

فوقت المعسكر أكبر بكثير من وقت المجموعة التربوية والرحلة ، والمشاركون في المعسكر أضعاف أعضاء المجموعة التربوية ، وأكثر من المشاركين في رحلة ، ومع انفساح الوقت وانفساح المكان يكون العمل وتكون الممارسة.

٤ - تعويد المشابهة في المعسكر على أساسيات العمل الإسلامي مثل:

أ- النظام الدقيق في الزمن الطويل.

ب- الصبر على المتاعب والمشقات أطول فترة.

ج- الالتزام بكل صغيرة وكبيرة من الأمور التي ترى إدارة المعسكر ضرورة التمسك به.

د- التعاون والإيجابية بالمشاركة في أعمال المعسكر كلها والتنقل بين أنواع هذه الأعمال لإجادتها جميعًا.

٥- تعرف المشاركين في المعسكر على قيادات الجماعة الدعوية وأهل الفكر والعلم والسابقة ليحدث التواصل بين الأجيال ، وليتم التوريث الدعوي على وجهه.

٧- عقد دراسة مكثفة طوال فترة المعسكر تتناول إحدى القضايا الهامة في العمل الإسلامي وتبادل الرأي فيها مثل:

أ- قضية العمل الإسلامي كيف يبدأ وإلى أي شيء ينتهي؟

ب- قضية متطلبات العمل الإسلامي في الوقت الحاضر.

ج - قضية معوقات العمل الإسلامي وكيفية التغلب عليها.

د - قضية الالتزام.

هـ- قضية الانتماء.

و- قضية العمل الجماعي ومشروعيته.

ز- قضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ح- مكانة المرأة في العمل الإسلامى.

ط- الأقليات الإسلامية.

ي- قضية التيارات المعادية للإسلام وقضايا الساعة المطروحة وأبرزها: الصهيونية ، الصليبية ، الاستشراق ، الاستعمار وألوانه ، الإلحاد ، الشيوعية ، الماسونية ، العلمانية (فصل الدين عن الدولة) ، الانحلال الخلقي ، التغريب ، الغزو الفكري والثقافي ، الوجودية ، الفوضوية ، المذاهب المارقة عن الإسلام كالبهائية والقاديانية وغيرها ، أندية الروتاري ، القوميات مثل: الفرعونية ، الفينيقية ، الطورانية ، العربية ، البربرية.

إلى غير ذلك من الموضوعات التي تتطلب دراستها عددا من المحاضرات على أيام عديدة حيث يسمح المعسكر من حيث زمانه ومكانه بكل هذا وأكثر منه.

ثالثًا: التدريب:

ربما كانت الأهداف التدريبية للمعسكر في إطار إشراف دقيق من قادة المعسكر على هذه الممارسة وتوجيهها وترشيدها أولا بأول.

الجندية بكل معطياتها من:

١ - نظام ودقة وصبر وتحمل وطاعة وثقة في القيادة وإيجابية وتعاون ومسارعة في القيام بالعمل وأخوة والتزام.

٢ - التدريب على التعامل مع القيادات المتعددة في المعسكر ، وتحديد كل علاقة تربط بين تلك القيادة فيه ، وهى دروس ضرورية للعاملين في الحقل الإسلامي.

٣- تدريب بعض الدعاة على تحمل بعض المسئوليات في المعسكر ، والتعرف على أعباء هذه المسؤليات وواجباتها مع تبادل المواقع بالنسبة لهؤلاء القادة ، حتى يتمرس كل منهم على أكثر من عمل لتكون لديه الخبرة الكافية التي تتطلبها ظروف العمل الإسلامي.

ومعنى ذلك ، تكوين قيادات فاهمة لواجبها وعارفة له معرفة عملية تطبيقية ، وهذا في حد ذاته واجب حركي لا يتم العمل الإسلامي إلا به.

٤- التدريب على إعداد المعسكرات ، ومعـرفة متطلباتها المادية والفنية والعلمية ، والتعرف على أهدافها العامة من تجميع وتربية وتدريب مع الإلمام بالأهداف التفصيلية لكل معسكر على حدة. وتلك ثقافة عملية لا يمكن الإحاطة بها إلا في المعسكر وهى ضرورية كذلك لكل داعية عادى أو قيادي.

٥- التدريب على التفرغ الكلى للدعوة مدة أسبوع أو أكثر ، وتعريفهم بمتطلبات الدعوة في هذه المدة الزمنية غير القصيرة ، إيماء إلى أن الدعوة سوف تحتاج منهم في بعض الأحيان ، التخفف من الأعباء العادية في الحياة والإقبال على الدعوة تلبية لمطالبها ، إيثارًا لما عند الله على ما في الحياة الدنيا.

٦- تدريب الدعاة على أعمال الحراسة والأمن لإيقاظ الحذر والحس الأمني فيهم لتوقى المخاطر قبل وقوعها ، ومعرفة الأساليب الأمنية الصحيحة والأخذ بها عند الحاجة إليها ، ولا يوقظ الحس الأمني عندهم مثل مسئوليتهم عن معسكر بما فيه من معدات وأفراد وبرامج ووسائل.

٧- التدريب على التكتم والسرية والمحافظة على كل معلومة صغيرة أو كبيرة وعدم تسريبها إلا لمن هو أَهْلٌ لها ، والأصل في ذلك أن يعد قائد المعسكر تدريبات واختبارات تخدم هذه السرية وذلك الكتمان ، فهما ضروريتان في العمل الإسلامي بل وفى العمل الإنساني بعامة ، فليست هناك فائدة من معلومة تعطى لمن ليس بحاجة إليها أو لمن ليس أهلًا لها.

آداب المعسكر:

١- ينبغي أن تسيطر على المعسكر (المخيم) روح المرابطة في سبيل الله - ، فهو أشبه ما يكون بالرباط ، حيث يتم في هذا المعسكر استعداد الإنسان كل أنواع الاستعداد ليكون جنديًّا من جنود الحق استجابة لما يطلبه منه إيمانه وإسلامه.

٢- استحضار نية المرابطة في سبيل الله بمجرد التوجه إلى المعسكر ، واستجماع كل ما تستوجبه المرابطة من استعداد نفسي وعقلي وبدني ومادي وأدبي ، واحتساب الأجر والمثوبة على ذلك عند الله لأ.

٣- العمل على توثيق التعارف وتعميقه مع كل من يشاركون في المعسكر أو معظمهم إذا تعذر التعرف عليهم جميعًا بهذه الوثاقة ، مع الاهتمام الشديد بتكوين الروابط الفردية بين عدد كبير من المشاركين فيه.

٤- العمل على توثيق صلة الفرد بالقيادة أو القيادات التي تشرف على المعسكر ، أو القيادات الزائرة للمعسكر ، بعقد جلسات خاصة معهم أو جلسات عامة تتدارس فيها القضايا والمسائل التي تهم العمل الإسلامي وتتصل بمتطلباته.

٥ - العمل على توثيق العلاقة بين المشاركين في حمل مسئولية بعينها على مستوى المعسكر ، بعقد لقاءات ومدارسات وتبادل للخبرات ، بقصد إثراء هذا العمل وتحسينه والتعرف على ما في كل مسئولية من تبعات وما يلزمها من وسائل ومتطلبات.

٦- الاهتمام بالتعرف الجيد على المشاركين في المعسكر من أقطار أخرى ، إذ هم شركاء في الدعوة والحركة والهموم والتيارات المعادية والمعوقات للعمل الإسلامي ، ومدارسة هذه الأمور والتفكير لكل أمر في حل مناسب له.

وهناك أمور تعد من الآداب التي يجب أن يتحلى بها كل فرد من المشاركين في المعسكر بشكل ذاتي شخصي دون أن يوجهه إليها أحد من القادة أو المسئولين في المعسكر منها:

١- الالتزام الدقيق بنظام المعسكر في النوم واليقظة والطعام والشراب ، والعمل والراحة ، وكل ما يطلب من جهد في داخل المعسكر ، مع الاستجابة السريعة المرحبة لكل ما تطلبه إدارة المعسكر من كل فرد فيه.

٢- الاهتمام الشديد بتطبيق السلوكيات الإسلامية في كل عمل من أعمال المعسكر - إذ المعسكر صورة عملية للسلوكيات الإسلامية - ابتداء من تسجيل الاسم وانتهاء بالانصراف من المعسكر ، فالأصل الأصيل فئ معسكر الإخوان المسلمين أن يصبغ الفرد بصبغة إسلامية عملية في كل ما يقوم به من عمل في المعسكر تمهيدًا لأخذ هذا الطابع الإسلامي العملي في كل أمور خارج المعسكر.

٣- الترحيب والمبادرة إلى بذل كل جهد بدني يطلب من المشارك في المعسكر ، على كل مستوى من مستويات هذا الجهد في الرياضة أو التنظيف أو الطهي أو الحراسة أو الإشراف أو تأمين الاحتياجات ، إذ القصد من المعسكر أن يكون تدريبًا للدعاة على الحياة العسكرية الشاقة بكل متطلباتها وفق الشريعة ، مع مزيد من الصبر والجلد ورحابة الصدر والرضا بأي جهد أو عناء يتحمله المشارك في المعسكر.

٤- الحرص على تسجيل كل ما يدرس في المعسكر أو يدور حوله من حوار ومناقشة تسجيلًا يمَكّن صاحبه من استعادته عند الحاجة إليه لاستيعابه لأخذ العبرة منه ، سواء أكان هذا التسجيل كتابيا أو على أشرطة تسجيل معينة بشرط مراعاة الظروف الأمنية في كل ذلك.

٥- يجب على كل مشارك في المعسكر أن يكون قد فرغ نفسه من كل مشاغله تماما لهذا المعسكر طوال مدته ، حتى يتعود أن يفرغ نفسه من مشاغل الحياة الدنيا عندما تندبه الدعوة إلى عمل يحتاج إلى تفرغ.

الشروط التي يجب أن تتوافر في المعسكر قيادةً وأفرادًا ومكانًا وزمانًا وبرنامجًا:

الشروط التي يجب أن تتوافر في المعسكر قيادةً وأفرادًا ومكانًا وزمانًا وبرنامجًا كثيرة منها ما يلي:

١- لا يدعو إلى إقامة المعسكر إلا قيادي مسئول بعد مشاورة قيادته في الجماعة وموافقة القيادة على إقامة المعسكر في مكان وزمان ملائمين.

٢- الداعي إلى المعسكر لابد أن تكون أهداف المعسكر واضحة عنده وأن يعمل على تحقيقها في هذا المعسكر وهى كما أسلفنا تجمل في: التجميع والتربية والتدريب.

٣- قيادة المعسكر لابد أن تكون جماعية مهما تكن شخصية المسئول العام عن المعسكر ، لأن التدرب على جماعية القيادة ، والتنسيق بين قادة العمل الواحد يجد في المعسكر مجالًا خصيبًا ينبغي أن يستفاد منه.

٤ - على قائد المعسكر أن يكون مستوعبًا لبرنامج المعسكر محيطًا بأبعاده وأهدافه ومراحله ونوعيات الأفراد الذين يجب عليهم أن يقوموا على تنفيذه. وعلى كل فرد من أفراد المعسكر أن تتوفر فيه الشروط التالية دون تهاون أو تقصير ، وأهمها:

١ - الالتزام الدقيق بتوفير كل ما يطلب منه إحضاره من أدوات ومعدات دون زيادة أو نقص بحيث تكون درجة استعداده للمشاركة في المعسكر كاملة في حدود طاقته وإمكاناته.

٢ - التفرغ لنشاط المعسكر وحده دون الخلط بين نشاط المعسكر وأي نشاط آخر خارج المعسكر طوال فترة المعسكر ، ، هذا يعنى أن مَن دخل المعسكر من الأفراد ما ينبغي أن يشغل عنه بأي نشاط خارجه ؛ لأن الأصل أن لا يغادر المعسكر إلا في نهاية مدته.

٣- يشترط في كل عضو من أعضاء المعسكر أن يشارك في كل عمل من أعمال المعسكر ، بحيث ينتهي المعسكر وقد تدرب على كل نوع من أنواع العمل اللازمة للمعسكر ، ويكون ذلك بالتنسيق مع قائد المعسكر والمسئولين عن الأعمال فيه ، وعلى الفرد أن يحرص على ذلك وألا يضيق أبدًا بتنوع عمله في المعسكر من أدنى الأعمال إلى أعلاها ، إذا اعتبرنا لهذا العمل حدًّا أدنى وحدًّا أعلى. ومَن أنهى مدة المعسكر دون أن يتدرب على معظم أنواع العمل فيه ، فقد فاته خير كثير كان الأجدر به أن يحرص على ألا يفوته.

٤- يشترط في كل عضو من المشاركين في المعسكر أن يكون دائمًا على علم وإدراك لكل قصور يقع في أي عمل من أعمال المعسكر أو مرفق من مرافقه ، وأن يسرع بنفسه لتلافى هذا القصور والإهمال ، مع الحديث الهادئ الموجه الأخوي مع قائد هذا العمل الذي حدث فيه القصور أو الإهمال ؛ فالدين النصيحة.

٥- يشترط في كل مشارك في المعسكر أن يفكر دائمًا في أحسن الوسائل والأساليب التي تحسن الأداء في المعسكر وتجعل البرنامج محقّقًا على وجه جيد ، فليست هذه مسئولية القائد وحده ولا مسئولية القائد ومعاونيه وحدهم بل هي مسئولية كل عضو من أعضاء المعسكر.

٦- يشترط في المدعوين جميعا إلى المشاركة في المعسكر أن يكونوا من نوعية واحدة: من المقربين أو من الإخوة العاملين أو من القياديين ، حتى لا يتشعب التوجيه داخل المعسكر وحتى تكون الفائدة أعم وأعمق.

برنامج المعسكر:

لا يمكن أن نتصور أن كل معسكر له نفس البرنامج الذي يعد لمعسكر آخر ، وإنما الأصل المعمول به في تاريخ المعسكرات في الجماعة أن كل معسكر له برنامجه الذي يخصه ، والذي يمكن من خلاله تحقيق الأهداف الخاصة لهذا المعسكر بالذات مع اشتراط تحقيق الأهداف العامة (التجميع والتربية والتدريب) في كل معسكر ، غير أن الحد الأدنى الذي ينبغي أن يشتمل عليه كل برنامج للمعسكرات أن يكون على النحو التالي:

١- الانضباط الصارم مع نظام الحياة اليومي الإسلامي داخل المعسكر ، بحيث لا يشوب هذا الانضباط شائبة تراخ أو فتور فضلًا عن إهمال أو قصور.

فالصبغة الإسلامية في كل كلام وكل عمل داخل المعسكر ، النوم واليقظة ، الكلام والصمت والعمل والراحة والطعام والشراب والمرح والتَرَيُّض والحركة

والسكون ، وكل شيء يحيط بالعضو المشارك في المعسكر. كل برنامج لأي معسكر لابد أن يشتمل على ذلك الانضباط الصارم.

٢- كل برنامج لأي معسكر لابد أن يحقق هدفًا كبيرًا من الأهداف العامة (التجميع ، والتربية ، والتدريب). فتحقيق هدف واحد من هذه الأهداف الثلاثة العامة مهم في كل برنامج ، ولو أمكن تحقيق هدفين أو تحقيق الأهداف الثلاثة لكان ذلك هو الأصل وهو الأحسن وهو المطلوب.

٣- كل برنامج لمعسكر لابد أن يوضح فيه الهدف الخاص من هذا المعسكر - بعد الأهداف العامة التي سبق توضيحها - وهذا الهدف الخاص الذي يعمل البرنامج على تحقيقه قد يكون واحدًا أو أكثر من الأنواع التالية:

أ- قد يكون هدفًا رياضيًّا بدنيًّا.

ب- وقد يكون هدفًا جهاديًّا إعداديًّا.

ج - وقد يكون هدفًا علميًّا دراسيًّا.

د- وقد يكون هدفًا عمليًّا تدريبيًّا.

هـ -وقد يكون هدفًا حركيًّا تنظيميًّا.

وكل واحد من هذه الأهداف الخاصة مع الأهداف العامة يجب أن يعمل البرنامج على تحقيقها وإلا كان البرنامج قاصرًا ومعيبًا.

ولابد أن نلحظ أن الجمع بين الأهداف العامة وبين هذه الأهداف الخاصة كلها

في معسكر واحد ، عمل غير جدير بالنجاح ، وغير جدير بالقدرة على تحقيق كل هذه الأهداف.

رابع عشر:
الدورة كوسيلة تربوية

وتعنى جمع عدد غير قليل في مكان خاص لتلقى أنواع من المحاضرات والمدارسات والبحوث والتدريبات حول موضوع معين من الموضوعات التي يهتم بها العمل الإسلامي ، بهدف تكثيف بعض المعلومات أو التدريبات التي يكون الدعاة أفرادًا أو قياداتٍ بحاجة إليها لصالح العمل الإسلامي أو لصالح الدعوة والجماعة الدعوية.

والدورة من بين وسائل التربية تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من وسائل التربية ، ومن هذه الخصائص ما يلي:

١ - أنها دراسة مكثفة حول موضوع بعينه علمي أو تدريبي ، بقصد أن يصل الدارس فيه إلى أعمق ما يمكن أن يصل إليه على أيدي علماء من أهل الاختصاص.

٢ - الأساتذة الذين يستعان بهم في الدورات دائما يكونون على مستوى رفيع من التخصص والخبرة في المجال الذي يقومون بتدريسه أو التدريب عليه.

٣- المشاركون في الدورة يجدون فيها وفى المشرفين عليها وفى الموضوعات المطروحة للبحث أنسب الفرص للفهم العميق ، والحوار المثمر والتعبير الدقيق عن عدد من وجهات النظر حول موضوع واحد ؛ وهذا من شأنه أن يعمق الفكر ، وأن ينمى الخبرة ، وأن يصقل المتربي بالحوار الهادف مع العلماء وأهل الخبرة.

٤ - تعد الدورة أسلوبًا تربويًّا جيدًا لتكوين الآراء العلمية الموضوعية ، وهذا من شأنه أن يحفز المشاركين فيهما على تصور النظرة العلمية الموضوعية لما يحيط بهم من مسائل وقضايا تهم العاملين في الحقل الإسلامي.

٥- تعد الدورة فرصة لزيادة الوعي بالقضايا والمسائل الهامة التي تحتاج إلى دراسة متعمقة ولا يتسع لها وقت المجموعة التربوية أو الرحلة أو المعسكر ، لأن لكل واحدة من هذه الوسائل برنامجها الذي قد لا تتاح فيه فرصة لطرح هذه القضايا والمسائل من حيث الظروف ومن حيث الزمن ، أما الدورة فهي مخصصة لهذا بالذات وبذلك تتميز عن سواها من وسائل التربية.

٦- الدورة عمل أساسي مكمل لوسائل التربية الأخرى ، فهي من هذا الجانب ضرورة حيوية يؤدى تجاهلها أو إهمالها إلى قصور في كل وسيلة من وسائل التربية ، بمعنى أن كل وسيلة من وسائل التربية كالمجموعة التربوية والرحلة والمعسكر تحتاج إلى دراسة مكثفة وتدريب عملي لتُخرِج قادة في مجالها ، والدورة هي التي تحقق هذا المطلب أكثر مما تحققه الندوة أو المؤتمر مثلًا ، بل إن الدورة تنفرد وحدها بقدرتها على تحقيق تخرج القادة في كل مجال من مجالات العمل الإسلامي ، فهي المجال الأنسب لتكوين القادة وإعدادهم إعدادًا جيدًا.

٧ - كما تتميز الدورة بأنها تحشد الكفاءات الجيدة والخبراء المتمكنين في مجالات متعددة على صعيد واحد من حيث الزمان والمكان ، وهذا يؤدى بدوره إلى تعميق الصلات وتوثيق الروابط بين هؤلاء الخبراء والمتخصصين ، مما يساعد على إيجاد أنواع من التعاون فيما بينهم ، لخدمة العمل الإسلامي بعامة والجماعة الدعوية بخاصة.

أهداف الدورة:

لاشك في أن الدورة تسهم إسهاما حقيقيا في تأصيل المفاهيم الإسلامية والتأهيل للعمل الإسلامي المدروس ، والتدريب على التنفيذ في كل مجال من المجالات التي تعقد من أجلها الدورة.

ومن خلال هذا يتضح لنا ، أن للدورة هدفا عاما هو: التكوين والإعداد للأفراد أو القادة إعدادًا يقوم على العمل والدرس والحوار من جانب ، وعلى رؤية

النماذج المكتملة والأمثلة الجيدة التي تُحتذَى مما يقدمه القائمون على التعليم والتدريب في الدورة من جانب آخر.

كما أن للدورة أهدافا خاصة كثيرة تتنوع بتنوع المجالات التي تعقد من أجلها الدورة ، ونستطيع أن نشير إلى بعض هذه الأهداف فيما يلي:

١ - إعداد الفرد المسلم الملتزم علميًّا وعمليًّا.

٢ - إعداد القائد وفق ما يجب أن يتوفر فيه من صفات.

٣- إعداد الباحث العلمي في مجالات العمل الإسلامي بتوفير وسائل البحث العلمي وأدواته له وتعريفه بمنهجية البحث العلمي وأهدافه.

٥ - تكوين الوعي والعمق الثقافي لدى الفرد أو القائد.

٦– تكوين الوعي والقدرة على التحليل في مجالات عديدة أهمها:

أ - المجال السياسي.

ب- المجال الاجتماعي.

ج - المجال الاقتصادي.

٧- تكوين الوعي والعمق الإعلامي لدى الأفراد أو القادة.

٨- تكوين الوعي والعمق التربوي لدى الأفراد أو القادة.

٩- تكوين الوعي والعمق والإدراك المستنير في مجالات العمل المتصل بقطاعات متعددة مثل: الطلاب. والعمال. والفلاحين. والنقابات.

١٠- تكوين الوعي والإدراك العميق للتيارات الموالية للعمل الإسلامي ، حتى يمكن التفاهم والتلاحم بينها.

١١- تكوين الوعي والإدراك العمق للمذاهب والنظريات والتيارات المعادية للعمل الإسلامي مثل:

أ - الصهونية ومفرزاتها المتعددة.

ب - الصليبية وأقنعتها المختلفة.

ج - الإلحادية.

د - العلمانية - أي فصل الدين عن الدولة -.

هـ - الانحلالية الأخلاقية.

و - الرجعية والجمود.

١٢ - تكوين رؤية صحيحة ودقيقة للعالم الإسلامي المعاصر.

وكل دورة تعقد لتحقيق واحد من هذه الأهداف أو غيرها مما تتطلبه الحاجات وتقتضيه المتغيرات تكون لها أهداف خاصة ومفصلة تؤدى إلى تحقيق هدفها العام.

مجالات عديدة يمكن أن تعقد لها دورات:

- دورة في أركان الإيمان.
- دورة في الاتباع والنهي عن الابتداع.
- دورة في فقه الجهاد.
- دورة في فقه البيوع.
- دورة في القواعد الفقهية.
- دورة في السيرة النبوية.
- دورة في الشورى.
- دورة في معوقات العمل الإسلامي.
- دورة في فقه الدعوة.
- دورة في الإدارة.
- دورة في فن الإقناع.

- دورة في فن القيادة.
- دورة في التربية الرياضية.
- دورة في الدعوة الفردية.
- دورة في الجندية والقيادة.
- دورة في الانضباط.
- دورة في الأقليات المسلمة.
- دورة في الترشيح لعمل دعوي أكبر.
- دورة في توريث الدعوة إلى آخرين.

برنامج الدورة:

يختلف برنامج الدورة حسب اختلاف نوع الدورة وموضوعها ، وكل برنامج لأي دورة ينبغي أن يحقق الأهداف العامة للدورة ، ثم يحقق الهدف الخاص لموضوع الدورة.

والأهداف العامة لبرنامج أي دورة هي:

أولًا: تحديد الإطار الزماني للدورة ، ثلاثة أيام ، أو أسبوع ، أو أكثر.

ثانيًا: تحديد مستوى الأفراد الذين توجه إليهم الدعوة لحضور الدورة يمكن أن يطبق عليهم البرنامج على نحو متساو متلائم مع مستوياتهم.

ثالثًا: تحديد مكان عقد الدورة وإعداد كل ما يلزم الحاضرين من آلات ومعدات كآلات العرض السينمائي أو الفيديو أو التسجيل الصوتي ، أو غيرها. وأي كتب أو نشرات أو بحوث أو تعليمات مطبوعة - حتى يمكن تنفيذ البرنامج بدقة ونجاح وقدرة على بلوغ الهدف.

رابعًا: الاتفاق المسبق مع المحاضرين المتخصصين في المجال الذي تعقد فيه الدورة وتحديد الجوانب التي سوف يحاضر فيها كل منهم قبل موعد عقد الدورة بوقت كافٍ ، حتى يحقق البرنامج أهدافه كذلك بدقة ونجاح.

خامسًا: إعداد صفحة لتقويم الدورة توزع على المحاضرين مسبقًا وعلى المشاركين في الدورة كذلك.

تلك هي الأهداف العامة لكل برنامج يعد لأي دورة من الدورات ، أما الأهداف الخاصة فلا يمكن التحدث عنها إلا بعد تحديد مجال أو موضوع للدورة ثم تحديد ، الأهداف الخاصة لبرنامج هذا الموضوع بالذات ، لأن كل برنامج لموضوع تختلف أهدافه عن موضوع آخر.

مسار برنامج الدورة:

عند تنفيذ البرنامج لابد من الخضوع لمنهج بعينه في تنفيذه ، والأصل في هذا المنهج أن يقسم على أيام الدورة وفق جدول دقيق يومي ، بحيث يتيح هذا الجدول الفرصة كل الفرصة لتحقيق الأهداف العامة والخاصة للبرنامج ، ويحقق للمحاضرين مديري قاعات البحث والمناقشة فرصتهم الكافية للإدارة الجيدة التي تحقق أهدافهم كاملة ، كما يعطى هذا العمل اليومي الفرصة كذلك للتقويم والمتابعة. وهكذا سائر أيام انعقاد الدورة.

وأقل ما يجب أن يشتمل عليه عمل اليوم من أيام انعقاد الدورة هو:

١ - محاضرة وتعقيب وأسئلة وأجوبة يلقيها ذو خبرة.

٢ - قاعة بحث ومناقشة حول موضوع من موضوعات البرنامج يديرها خبير في هذا المجال.

٣- عرض لبحث معد من قبل ومناقشته يديرها مسئول.

٤ - جلسة تقويم يديرها مسئول وتسجيل فيها أوجه النقد تسجيلًا كتابيًّا.

٥- تدريب على ما ينبغي التدرب عليه وفق ما جاء في البرنامج مع تقويم كذلك لهذا التدريب.

ومن اللازم في تنفيذ البرنامج أن يخصص المسئول عن الدورة وقتا مناسبا قرب الدورة لتلقى آراء المشاركين حول ما يلي:

١ - اقتراحات بدورات أخرى في موضوعات معينة.

٢ - اقتراحات بأمكنة خاصة لعقد الدورات اللاحقة.

٣- تقويم عام مكتوب عن الدورة التي تم العمل فيها.

منظم الدورة ومساعدوه:

يقوم على تنظيم الدورة أحد الدعاة الذين تتوفر فيهم صفات خاصة تمكنهم من القيام بمثل هذه المهام الجليلة ، فإذا كانت الدورة إحدى وسائل التربية ، فإن القائم على تنظيمها بجب أن يكون من المعنيين بمسائل التربية ومشكلاتها عناية تمكنه من الإشراف والتنظيم لهذا العمل الجليل.

وهناك شروط ينبغي توافرها فيمن ينظم إحدى الدورات ، منها ما يلي:

١ - أن يكون تربويًّا علمًا وعملا وممارسة ، بحيث لا تغيب عنه الأهداف التربوية لهذه الوسيلة تلك الأهداف.

٢ - أن يكون مرشحا للقيام بهذه المهمة من القيادة وموضع رضا المسئولين وثقتهم.

٣- أن يكون ذا وزن علمي يؤهله للقيام بهذا ا العمل ، وأن يكون علمه وتخصصه ملائمًا لموضوع الدورة ومجالات البحث فيها.

٤ - أن يكون ذا سابقة في الدعوة وذا خبرة الناس وذا معرفة بإخوانه وذا مسئولية فيهم.

٥ - أن تعون لديه قدرة إدارية وقدرة على الحركة والتنظيم.

٦- أن تكون لديه قدرة على حسن اختيار الناس ودقة في الحكم عليهم وترشيحهم للمشاركة في هذه الدورة التي يتولى تنظيمها أفرادًا أو معاونين له.

٧- أن يكون ذا شخصية قوية قادرة على إصدار القرار والحسم حين الحسم ، ومحبوبًا من إخوانه وموضع تقديرهم واحترامهم.

وهناك شروط لابد أن تتوافر للدورة نفسها لتحقق أهدافها بنجاح ، وتعتبر من شروط الصحة فلا يتم العمل على وجهه إلا بها. وهذه الشروط كثيرة منها ما يلي:

١- حسن اختيار موضوع الدورة بحيث تكون الحاجة إليه ماسة ، حاجة الأفراد وحاجة العمل.

٢- حسن اختيار المكان من حيث قربه أو بعده من المشاركين في الدورة ، من حيث اتساعه وإعداده إعدادًا يلائم تنفيذ البرنامج وبتأمين كل ما يلزم الدورة من معدات وآلات وأوراق ومقاعد وأماكن لتناول الطعام والشراب ، وأماكن للراحة ، ومكان للصلاة وأماكن للمبيت إن كان المشاركون مضطرين للمبيت في مقر الدورة.

٣- حسن اختيار المحاضرين والموجهين ، بحيث يكون تخصصهم مناسبًا لموضوع الدورة ، وبحيث يكونون من الملتزمين ومن أصحاب المكانة في المجال الذي يمارسون العمل فيه. وأن تهيأ لهم وسائل الراحة اللازمة.

٤- حسن اختيار المشاركين في الدورة من حيث مكانهم ومكانتهم في الجماعة الدعوية ومن حيث نوعياتهم: كأن يكونوا طلابًا أو أعضاء هيئة تدريس أو أطباء أو مهندسين أو مدرسين أو عمالًا أو فلاحين ، أو قياديين على مستوى معين من العمل القيادي.

٥- أن يزور الدورة أحد كبار المسئولين في الجماعة الدعوية وأن يشارك بتوجيه ونصيحة.

٦- يستحسن أن يكون لكل دورة مراقب عام على مستوى عال من فقه الدعوة ومن السابقة ومن العلم والمعرفة ، يرصد أعمال الدورة ويشارك في التوجيه والتقويم ، ويرسم أحيانًا مسار الحوار والمناقشة.

٧- يجب إعداد جدول تفصيلي بأعمال الدورة على مستويين:

أ - مستوى المحاضرين والموجهين.

ب- مستوى المشاركين.

وأن يسلم هذا الجدول في مستوييه للمشاركين في كل مستوي قبل انعقاد الدورة بوقت كاف.

٨- تصميم استمارات التقويم وإعدادها للتوزيع على المشاركين في الدورة ، وعلى الحاضرين والموجهين في يوم انعقاد الدورة.

٩- إعداد ورقة خاصة للاقتراحات تسلم لكل مشارك في الدورة ليقترح ما يراه لازمًا للدورات اللاحقة.

ويدخل في تقويم المشاركين أن تكون لهم اقتراحات لتطوير العمل أو تحسينه أو تلافى ما ظهر فيه من عيوب ، وليس من فكر واقترح كمن أخذ الأمور مأخذ العفوية والسلبية.

١٠- عدد المشاركين في الدورة يجب أن يكون مناسبًا للجهد الواجب بذله في إعدادها.

١١- كل من شارك في الدورة كدارس لا يجوز له أن ينقطع عن أي جزء من برنامجها ، فإن حدث ذلك لظرف قاهر لا تُحسب له هذه الدورة وعليه أن يشارك في غيرها في نفس المجال عند انعقادها ؛ وذلك أن الدورة وما فيها تستهدف تلك الأهداف التي أشرنا إليها مكتملة ، فإن حدث حرمان من جزء منها فقد فاتت الفائدة المكتملة ، فعليه حينئذ أن يقضيها في دورة لاحقة مماثلة.

١٢- حسن اختيار الزمان الذي تعقد فيه الدورة بحيث يكون مناسبًا لمجموع المشاركين فيها من دارسين ومحاضرين كأن تكون الدورة لطلاب أو عمال أو مهنيين ، حتى لا يحرم من الدورة أحد لاختلاف ظروفه مع ظروف بعض المشاركين ، والتجانس بين المشاركين في الدورة أساس وأصيل.

١٣- على منظم الدورة أن يتأكد من ملاءمة الظروف الأمنية للدورة من حيث الزمان والمكان والأفراد والحاضرون والزائرون - وذلك إذا كانت الدورة تعقد في ظل ظروف أمنية غير عادية.

١٤- على منظم الدورة أن يتصل بالحاضرين والموجهين والزائرين قبل انعقاد الدورة لاستطلاع رأيهم في المشاركة واستطلاع رغبتهم في الحديث عن الموضوعات المرشحين للحديث فيها ، كما أن عليه أن يستأذن المسئولين الدعويين ويحصل على موافقتهم على مشاركة هؤلاء المحاضرين والموجهين والزائرين.

١٥- على منظم الدورة أن يحسن اختيار مَن يعاونونه في أعمال الدورة ، وأن تتوفر فيهم الشروط العامة التي سبق ذكرها ، وأن تتوفر فيهم الشروط الخاصة التي تمكنهم من الالتزام بالعمل المنوط بهم في الدورة ، كما أن عليه أن يستطلع فيهم رأي المسئولين الدعويين وأن يأخذ الموافقة مسبقًا على أن يشاركوه في قيادة الدورة.

وعليه أن يحدد لكل منهم نوع العمل الذي سيقوم به ومدة الوقت الذي يشارك فيه ، وعليهم هم أن يلتزموا بما عاهدوا منظم الدورة عليه ، وألا يخرج واحد منهم عن عمله إلى آخر ولا عن وقته إلى وقت آخر إلا عند الحاجة الملحة وعند ندب منظم الدورة له لذلك العمل الجديد ، حتى لا تصبح الأمور فوضى ، وحتى لا يشغل واحد من المعاونين نفسه بأكثر من عمل فلا يجيد هذا ولا ذاك.

١٦- على منظم الدورة أن يعقد اجتماعًا مع معاونيه قبل انعقاد الدورة للتفاهم في طبيعة العمل وفى توزيعه حسب القدرات والرغبات ما أمكن ذلك. لأن هذا هو

الإدارة الجيدة والتنظيم المطلوب ، وتحميل أحد الأفراد أعباء رجلين أو ثلاثة معناه عدم الإحسان.

١٧ - لكي تنجح الدورة فلابد لكل قائم بعمل أساسي فيها من رديف يخلفه عند تخلفه وبخاصة في المعاونين والمحاضرين والموجهين والزائرين ، وذلك هو الذي يضمن للدورة - بعد توفيق الله لأ - ألا يتعطل عمل من أعمالها أو يضطرب.

١٨ - من عوامل نجاح الدورة أن تحاط بالسرية عن غير المشاركين فيها ، فليس بمطلوب إعطاء معلومة لمن لا يحتاج إليها ولا لغير مشارك في العمل المتصل بهذه المعلومة.

١٩ - ومن عوامل نجاح الدورة أن ينظر منظمها في تقارير دورة سابقة مماثلة في الموضوع ، فيستفيد من تجربة سبقته ويتلافى أخطاء حدثت دون قصد ، ، ويبدأ من حيث انتهى الذين سبقوه في هذا المجال ، حتى يزداد العمل حنكة وتجويدًا وتطويرًا واستزادة من الخير.

٢٠ - من تمام نجاح الدورة أن تعقد في نهايتها اختبارا للمشاركين فيها تحريريًا ، وأن تضع الأسئلة التي تستوعب بدقة موضوعات الدورة ، والتي تكشف عن قدرات المشارك ومواهبه ، وأن تشتمل على مطالبة المشارك بالإدلاء برأيه الشخصي في قضية أو مسألة لها علاقة بموضوع الدورة ولم تطرح للمناقشة في قاعات البحث في الدورة ، حتى تكون الإجابة على هذه الأسئلة قادرة على تقويم منظم الدورة لمن شارك فيها.

الشروط التي يجب توافرها فيمن يعاونون منظم الدورة:

أولًا: أنواع المعاونين لمنظم الدورة:

يحتاج منظم الدورة إلى أنواع من المعاونين على النحو التالي:

١ - معاون ذو خبرة عالية في مجال الإدارة والتنظيم والضبط والدقة ، معاون أو أكثر. وهذا يتولى الإشراف على جدول الدورة من حيث الأمكنة ومن حيث الأزمنة ومن حيث التنقل ومن حيث الانضباط.

٢ - معاون ذو خبرة عالية في مجال الثقافة والفكر أو أكثر من معاون في هذا المجال ، وهؤلاء يتولون إدارة قاعات البحث والمناقشة وإدارة الحوار وأخذ الرأي والتصويت إن كان الأمر يحتاج إلى تصويت.

٣- معاون يقوم على أمر الأذان والإقامة وإمامة المصلين في الفرائض ، ويتولى الإشراف والتنفيذ للجانب الإيماني في الدورة.

٤ - معاون يقوم على أمر إعداد الطعام والشراب وإعداد أماكن النوم والراحة ويتولى كل ما له صلة بهذه الأمور ، وهذا الأخير قد لا يستطيع لهذه المسئوليات أن يكون مشاركًا في الدورة ، فيستطيع أن يختار دورة مماثلة يشارك فيها كدارس وأجره عند الله عظيم لأنه كان في خدمة إخوانه.

خامس عشر:
الندوة كوسيلة تربوية

الندوة: هى: اجتماع يتكون من عدد محدود من الخبراء والمختصين للإسهام في دراسة موضوع أو مشكلة بحيث يعطى كل واحد منهم رأيه داعمًا إياه بما يستطيع من أدلة وبراهين.

وفي هذه الندوات يمكن أن يُطْرَح للمدارسة قضايا ومسائل لها أهمية خاصة لدى المسلمين أو المشتغلين بالعمل الإسلامي.

و(الندوة) وسيلة تربوية ثقافية فكرية ، تزيد الرصيد الثقافي عند السامع وتعمق فكره حول موضوع بعينه ، وتمكنه من الإلمام بأطراف مشكلة من المشكلات ، والتعرف على أنسب الحلول لها.

أهداف الندوة:

يكاد يكون الهدف الفكري الثقافي للندوة هو هدف الأهداف ؛ لأن المتغيرات في الحياة الإنسانية مستمرة ؛ ولأن مواكبة هذه المتغيرات والقدرة على مواجهتها أمر ضرورى بل بالغ الأهمية.

ولكن مع وضوح هذا الهدف فإن هناك أهدافًا أخرى تحققها الندوة منها:

١ - تكوين وعى ثقافي مستنير عند الحاضرين حول قضية مهمة من القضايا التي تهم المجتمع المسلم في حاضره أو في مستقبله.

٢ - تيسير التعرف على أساليب مناسبة لعلاج مشكلة من المشكلات ، ومن وجهات نظر متعددة ، للوصول إلى علاج هذه المشكلة أو المشكلات.

٣ - تعرف الحاضرين على طائفة من العلماء والمتخصصين في مجالات متعددة ، واستثمار هذه المعرفة وتوظيفها لصالح الدعوة عند الحاجة إليها.

٤ - تيسير التقاء عدد كبير من السامعين والمشاهدين في مكان بعينه ، لما في ذلك من إحداث تعارف وتفاهم وروابط بينهم لخدمة الإسلام والمسلمين.

٥ - جذب جمهور الندوة إلى مكان التجمع ، تمهيدًا لعقد الروابط بهم وجذبهم للعمل من أجل الإسلام.

٦ - عندما يكون الحاضرون في الندوة قد رُوعي فيهم نوعية خاصة كالطلاب أو العمال أو الفلاحين أو المهنيين ، فإن الهدف حينئذ يصبح تكوين رأى عام موحد وفكر مشترك حول القضية التي طرحت للبحث ، لأن ذلك من شأنه أن ينمى ويطور هذه الفئة النوعية التي دُعي أفرادها إلى الندوة.

٧ - عندما يكون الحاضرون في الندوة دعاة عاملين ، أو قياديين على أي مستوى من القيادة ، فإن الهدف للندوة حينئذ يصبح تكوين أفكار خاصة نافعة ، ومطورة للعمل في المجال الذي طرحت إحدى قضاياه للمناقشة مثل:

- قضايا الدعوة الفردية أو الجماعية.
- وقضايا الحركة ومتطلباتها.
- وقضايا التنظيم والإدارة.
- وقضايا المؤهلات القيادية في العمل الإسلامي.

٨ - تعريف الحاضرين بواقع العالم الإسلامي ، عندما يختار موضوع المحاضرة واحدًا من الموضوعات التالية:

أ- الواقع السياسي لبعض بلدان العالم الإسلامي.

ب- الواقع الاقتصادي لبعض بلدان العالم الإسلامي.

جـ- الواقع الاجتماعي لبعض بلدان العالم الإسلامي.

د- الواقع الثقافي لبعض بلدان العالم الإسلامي.

والتعرف على هذا الواقع ليس هدفا لذاته ، وإنما هو هدف لما وراءه وهو البحث عن كل الوسائل التي يمكن أن تمد بها يد العون لبلد من بلدان العالم الإسلامي.

٩- تعريف الحاضرين في الندوة بمقدرات العالم الإسلامي الاقتصادية ، من محاصيل ومعادن ومياه ونفط عند اختيار موضوعات الندوة من هذه الموضوعات ، ليعرف المسلمون حقيقة ما يملكون وحقيقة مايفقدون ، وليدركوا كم يستغلهم أعداؤهم أسوأ استغلال.

١٠- تعريف الحاضرين بالأقليات المسلمة في العالم وكم تعانى في البلاد التي تعيش فيها ، وذلك عند اختيار موضوع للندوة يلقى الضوء على إحدى الأقليات المسلمة في العالم.

برنامج الندوة:

برنامج الندوة يجب أن يخضع عند إعداده لاعتبارات عديدة من أهمها يما يلي:

١ - اختيار المكان وإعداده وتوفير كل الاحتياجات له.

٢- اختيار الزمان وضرورة مناسبته لظروف المشاركين في الندوة من العلماء والخبراء ، ومناسبته لظروف الحاضرين من المدعوين للندوة.

٣- اختيار المشاركين في الندوة بعلمهم وخبرتهم والاتفاق المسبق معهم على هذه المشاركة.

٤ - اختيار جمهور الندوة من الناس عموما ومن الدعاة على وجه الخصوص.

٥ - اختيار الموضوع الذي تدور حوله الآراء في الندوة.

أما البرنامج نفسه فيجب أن يستوفى العناصر الآتية:

١ - الدقة في اختيار الموضوع ، والتأكد من مدى أهميته للناس وللمرحلة التي يعيشها المسلمون ، ويكون ذلك بالتشاور مع الآخرين من أهل الفكر والمعرفة.

٢- التعمق في دراسة الموضوع المختار وعرض وجهات النظر المدعومة بالأدلة والبراهين ، وربما ينفع في ذك التشاور مع العلماء والمتخصصين على نقاط بعينها يركز البحث فيها وتأخذ بروزًا معينًا في الندوة.

٣- إتاحة الفرصة للحوار بين المشاركين في الندوة والحاضرين من الناس ؛ إيمانًا بأن الحوار يُثري الفكر ، وأن الرأي مهما كان صائبًا إنما يستفيد من الرأي الآخر.

ومعنى هذا أن مدير الندوة أو منظمها يجب أن يجعل في برنامجه الزماني للندوة جزءًا من الوقت يتسع لهذا الحوار ، لما له من فائدة كبرى.

٤- الانضباط في بدء الندوة وفى الانتهاء منها وفى الوقت المتاح للحوار والأسئلة ، ومعنى ذلك ضرورة تحديد وقت محدد لكل مشارك من العلماء والخبراء لا يتجاوزه ، وتحديد وقت محدد للحوار والأسئلة يقفل باب الحديث عند انتهائه ، وتحديد وقت للاستعداد للصلاة وأدائها - عندما تتخلل الندوة فريضة من الفرائض - والالتزام بكل ذلك في جدية وصرامة وهدوء وابتسام.

٥- مما يجب أن يشتمل عليه البرنامج تعليق مدير الندوة على كل متحدث من الأساتذة العلماء في وقت محدد كذلك لا يتجاوزه مدير الندوة على الرغم بأنه ميقاتي الندوة.

ولابد أن يكون هذا التعليق متسمًا بما يلي:

أ- البعد عن المجاملة والثناء المباشر لأن هذا يترك للسامعين لا لمدير الندوة.

ب- العمق في تناول الموضوع وهذا يتطلب أن يكون مدير الندوة على مستوى من العلم والتخصص في مجال الموضوع الذي طرح في الندوة للدراسة والمناقشة. وهذا يؤكد ضرورة الدقة في اختيار مدير الندوة أو منظمها ، بحيث يكون على مستوى التخصص الدقيق في الموضوع الذي تنعقد حوله الندوة.

٦- لا يتم برنامج الندوة على وجهه الصحيح إلا أن يشتمل على تلخيص لمجمل الآراء التي طرحت في الندوة ، وأن يسجل هذا التلخيص كتابة أو سماعًا ويعتبر جزءًا من وثائق الندوة.

٧- من تمام البرنامج كذلك أن يسجل كل ما يدور في الندوة ، من دراسة وتعليق وحوار ومناقشة وأسئلة وأجوبة ، تسجيلًا صوتيًّا أو صوتًا مع صورة ثم يُفَرَّغ كتابةً ، ويُعَدّ الوثيقة الأساسية للندوة ، وتلك مسئولية من يدير الندوة ومن يعاونه.

مدير الندوة ومعاونوه:

أولًا: المدير:

أبرز ما يجب أن يتوفر في مدير الندوة هو الجانب العلمي الثقافي ، الذي تكون له صلة وثيقة وعميقة بموضوع الندوة المطروح للمدارسة ، ومعنى ذلك أن شخصًا واحدا مهما كان في الجماعة الدعوية لا يستطيع أن يدير كل ندوة لأنه لا يوجد في الناس من يحيط بكل موضوع.

وإنما يشترط ذلك لأن تعليق مدير الندوة على كل مشارك من أهل العلم والتخصص من تمام الدراسة ومكملاتها ، فلهذا كان ذلك كذلك.

كما يشترط الصلاح والتقوى وحب للناس والألفة منهم ، وأن تكون له مكانة وسابقة في الدعوة.

ومن الشروط التي تخص مدير الندوة:

١ - المكانة العلمية في مجال الموضوع المطروح للمدارسة.

٢ - القدرة على اختيار عناصر الموضوع وإقناع المختصين به.

٣- القدرة على التحاور مع العلماء والمتخصصين.

٤ - القدرة على التعليق الجيد على المشاركين في الندوة تعليقا يثرى الموضوع ويزيد أبعاده وضوحًا.

٥ - القدرة البيانية التي تمكنه من القيام بالمهام التالية:

أ- افتتاح الندوة بكلمة وجيزة هادفة.

ب - تقديم كل مشارك في الندوة تقديمًا مناسبًا.

جـ- التعليق على المشاركين في الندوة تعليقا مدروسًا.

د - إدارة الحوار وتلقى الأسئلة.

هـ - التعليق العام على الندوة كلها بعد انتهاء المشاركين من كلامهم وانتهاء الحوار والمناقشة.

و - اختتام الندوة بكلمة مناسبة.

٦ - القدرة الإدارية التنظيمية التي تؤهله لكي يدير الندوة إدارة جيدة ، وتتمثل الإدارة الجيدة في جملة صفات أهمها:

أ - الهدوء والبعد عن الانفعال.

ب - الحسم والفاعلية.

جـ- البعد عن المبالغة والتهويل.

٧ - القدرة على احتواء المشكلات التي قد تنجم عن اختلاف وجهات النظر ، أو الحوار الساخن أو السؤال المحرج ، وتتمثل هذه القدرة في أمرين:

أ - إرضاء الأطراف المتنازعة بلباقة.

ب - عدم المجاملة على حساب الحق.

٨ - الإشراف الدقيق على تسجيل كل ما دار في الندوة تسجيلا صوتيا أو صوتًا مع صورة ، ثم تفريغ هذه التسجيلات كتابة وعمل تصنيف لهذه المادة على النحو التالى:

أ - كلمة الافتتاح.

ب - تقديم المشارك.

ب - سجل لكلمة المشارك.

د - سجل للحوار والأسئلة والأجوبة على كل مشارك.

هـ - سجل للتعليق على كل مشارك.

و - تسجيل كل المشاركين بنفس الصورة السابقة.

ز - تسجيل التعليق العام في الندوة.

٩ - القدرة على عقد علاقة خاصة بالمشاركين في الندوة لاستضافتهم في مناسبات لاحقة.

١٠- القدرة على ترك انطباع عام جيد في نفوس الحاضرين ، والتعرف على مدى تَقَبُّلهم لما قيل في الندوة وعلى اتجاه تعليقاتهم وأسئلتهم ومشاركتهم في الحوار.

ثانيا: معاونو المدير:

يعاون مدير الندوة أو منظمها عدد من الدعاة يقل أو يكثر حسب حاجة الندوة من حيث عدد المشاركين والحاضرين ، ومن حيث الزمن الذي تستغرقه الندوة ومن حيث ما يُقَدَّم فيها من خدمات للمشاركين والحضور. وهؤلاء المعاونون يجب أن تتوفر فيهم الصلاح والسابقة في الدعوة والألفة بين الناس ، والرغبة في خدمة الناس ومعاونتهم.

وأما الشروط الخاصة التي يجب أن تتوفر فيهم فهي:

١- الثقافة العميقة والخلفية العلمية الجيدة ، لأن تعامله واحتكاكه سوف يكون بالعلماء وأهل الخبرة والتخصص.

٢- الالتزام والأخوة والدماثة وسعة الخلق ورحابة الصدر والقدرة على امتصاص أخطاء الآخرين.

٣ - سرعة الحركة وسرعة الاستجابة لإشارة المدير وتنفيذها بدقة وذكاء.

٤ - الإحاطة التامة بالمكان جغرافيًّا وفنيًّا ، بمعنى معرفة كل صغيرة وكبيرة عنه ، مثل: مداخله ومخارجه وأبوابه وطرقاته وتوزيع الكهرباء فيه ومياهه وسائر مرافقه - حتى يتمكن من التصرف السريع عند الحاجة إلى تصرف في ظرف طارئ.

ويمكن أن يحتاج مدير الندوة إلى ثلاثة أنواع من المعاونين على الأقل حسب طبيعة الندوة ومكان عقدها وهم:

١ - معاون يتولى الإشراف على مرافق المكان والتأكد من سلامتها وأدائها لمهامها (المياه والصرف والكهرباء).

٢ - معاون يتولى إعداد المكان للحاضرين مثل:

أ- المنصة ومقاعدها وأجهزة نقل الصوت وتكبيره وأجهزة الإضاءة عليها.

ب- القاعة ومقاعدها وما يلزم الحاضرين من أوراق وأقلام.

جـ- الإشراف على أجهزة التسجيل ، وإعداد بدائل في حالة تعطل أحد الأجهزة والاستعداد بأكثر من اللازم من الأشرطة لمواجهة أي احتياج طارئ.

٣ - معاون يتولى جمع الأسئلة وتبويبها وتسليمها لمدير الندوة عقب كل متحدث من العلماء والخبراء.

و قد تدعو الحاجة إلى أكثر من ذلك أو إلى أقل ، ومدير الندوة عند اختياره لمعاونيه - وفق هذه الشروط السابقة - فإنه دائما بعد اختيارهم يجب عليه أن يرشحهم لدى إخوانه المسئولين ويزكيهم ما وسعته التزكية إذا كان مقتنعًا بهم وبقدراتهم وإمكاناتهم ، ولكن ليس له أن يخبرهم بهذا الاختيار ، أو يبلغهم ببدء العمل والتعاون معه قبل أن يَرِدَ إليه من إخوانه المسئولين ما يفيد قبولهم لهذه المهمات التي اختيروا للمعاونة فيها.

وعلى مدير الندوة واجبات قبل الندوة وبعدها نشير إليها فيما يلي:

أولا: واجباته قبل عقد الندوة:

١ – ترشيح المشاركين في الندوة وانتظار الموافقة عليهم.

٢ - ترشيح المعاونين له في العمل وانتظار الموافقه عليهم.

٣- عقد لقاء مع أعضاء الندوة والتفاهم معهم على الموضوع وعلى عناصره.

٤ - عقد لقاء مع معاونيه وتحديد عمل كل واحد منهم ومكانه وزمانه والتفاهم معهم على إشارات معينة تغنى عن الكلام عند حاجة المدير إلى قيام أحدهم بعمل معين أثناء انعقاد الندوة.

ثانيا: واجباته بعد عقد الندوة:

١ - توديع المشاركين وشكرهم ومصاحبتهم حتى مغادرة مكان الندوة.

٢ - الإشراف على انصراف الحاضرين وشكرهم على الحضور.

٣- عقد اجتماع مع معاونيه لشكرهم على العمل ومطالبتهم بما يلي:

أ - تقويم الندوة من حيث الإيجابيات والسلبيات وكتابة ذلك في تقريرات.

ب- تسليم ما لديهم من معدات وأجهزة وأوراق وتسجيلات.

٤ - كتابة تقرير عن الندوة يتضمن ما دار فيها ويلحق به كل متعلقات الندوة.

سادس عشر:
المؤتمر كوسيلة تربوية

المؤتمر: مجتمع للتشاور والبحث في أمر ما.

المؤتمر الرسمي: الاجتماعات الرسمية ذات الأهمية من حيث أهدافها ونتائجها المحتملة كإبرام مواثيق أو معاهدات.

المؤتمر العام: يضم عددًا كبيرًا من المشتركين قد يصل إلى مئات ، والاشتراك فيه مباح لجميع المنظمات والأفراد المختصين. ويعقد لمدة محددة لتبادل الرأي في الموضوعات المعروضة عليه وإصدار توصيات تنشر على نطاق واسع.

وتعقد المؤتمرات العامة عادة في فترات دورية بين كل فترة وأخرى سنة أو أكثر.

قد يتوهم بعض الناس أن المؤتمر ليس وسيلة جيدة للتربية. بمعنى أن الوسائل الأخرى تربى بشكل مباشر ومقصود ، في حين أن المؤتمر قد لا يحقق ذلك ، وهذا الوهم يزول عند التأمل في الموضوعات التي تطرح في المؤتمر ، إذ الغالب في هذه الموضوعات أن تضيف إلى الحاضرين في المؤتمر بُعدًا ثقافيًّا ومعرفيًّا قد لا يتاح بنفس المستوى في الوسائل الأخرى ، فهي المعرفة المغربلة التي جاءت نتيجة للبحوث ، والدراسات المتعمقة ، والحوار والمناقشة والاستقرار فيها على الحصيلة لكل هذا.

ولكن ما يميز المؤتمر عن سائر وسائل التربية:

١ - أنه يضم حشدا كبيرا من المشاركين في الدراسة ، غالبا ما يكون كل واحد منهم قد أعد نفسه للمشاركة في المؤتمر ببحث أو دراسة جيدة في الموضوع المعروض في المؤتمر ، وهذا لا يتاح في وسيلة أخرى سواه.

٢ - أنه يضم حشدا كبيرا من الحاضرين المدعوين للاستماع والاستفادة ، ويتيح لهم فرصة جيدة للاشتراك في المناقشة والحوار ، كما يعطيهم الفرصة الجيدة

للتعرف على الآراء الأخرى من جانب ، وعلى آراء الباحثين والدارسين وشخصياتهم من جانب آخر.

٣- أن مدة انعقاده قد تطول في بعض الأحيان ، مما يتيح للدارسين.. والباحثين فرصة عرض بحوثهم ودراساتهم على اللجان المختصة للتداول فيها والانتهاء إلى رأى منخول فيها ، وهو أمر يزيد البحث والدراسة عمقًا وقدرةً على مواكبة المتطلبات.

كما أن طول مدة انعقاده تعطى نفس الفرصة لكل الحاضرين من أعضائه ، لكى يستمعوا إلى أنضج الآراء حول الموضوع وإلى أعمق الدراسات والبحوث.

٤ - أن الموضوع المختار للدراسة والبحث يحشد له من الطاقات والكفاءات العلمية مالا تتاح فرصة حشده في وسيلة أخرى من وسائل التربية.

وغالبا ما يكون هذا الموضوع بحاجة ماسة إلى ما يلي:

أ- تبادل وجهات نظر متعددة حوله.

ب - تعميق بحثه ، ودراسته بوساطة المختصين.

جـ- أخذ الموافقة عليه من أكبر عدد من الناس ، لأهمية ما يترتب عليه عندما يصبح قرارا من قرارات الجماعة الدعوية.

٥ – أن المؤتمر يركز بعمق ودقة على الجانب الثقافي في تربية الأفراد ، ويعطى لهذا الجانب عمقًا واتساعًا لا يتاح بنفس القدر والفاعلية مع الوسائل الأخرى من وسائل التربية ، وواضح ما للجانب الثقافي من أهمية في شخصية من يتصدى للعمل الإسلامي في هذا العصر المستمر في التغير.

٦ - المؤتمر فرصة جيدة لتنشيط الفكر وتلقيحه بأفكار أخرى ، والوصول من وراء ذلك إلى تحليل مقبول للموضوع المطروح للمناقشة ، فضلا عما فيه من مشاركة حية وإيجابية من الحاضرين للباحثين والخبراء ، وكل ذلك يعط دربة لا تتوفر بنفس المستوى في وسيلة أخرى من وسائل التربية.

٧ - المؤتمر يجدد الروابط بين الأعضاء المدعوين من أماكن متباعدة ، ويزيد التعارف عمقا ويوثق فيهم معاني الأخوة ، ويوضح لهم بعض المعالم في طريق العمل الإسلامي.

٨ - المؤتمر يعطى الجماعة الدعوية ثقة كبيرة في إصدار قرار ما بعد أن يكون المؤتمر قد أصدر توصية في موضوع هذا القرار ، كما يساعد في القضاء على الاختلاف بين وجهات النظر حول موضوع بعينه ، وتلك أهداف للجماعة في كل ما تصدره من قرارات ، فضلا عما يتيحه المؤتمر لمبدأ الشورى من ممارسة جيده على أعلى المستويات من جانب ، وعلى أوسع القواعد من جانب ثان ، وعلى أدق التفاصيل من جانب ثالث.

٩ - يعطى الجماعة الدعوية فرصة لطرح سياسة معينة في أي مجال من مجالات العمل في الجماعة الدعوية ، لأخذ الرأي عليها والوصول فيها إلى قرار ، بدلا من استطلاع رأي أفراد الجماعة في أماكن تجمعهم ، لما في ذلك من استهلاك كبير للوقت والجهد والمال.

أهداف المؤتمر:

١ - جمع أكبر عدد من الباحثين والخبراء وأهل العلم والاختصاص في موضوع بعينه من الموضوعات التي تشغل حيز في ساحة العمل الإسلامي ، ليعاونوا ببحوثهم ودراساتهم في الوصول إلى تصور علمي صحيح لهذا الموضوع مع التعرف على أسلوب عملي لتناول هذا الموضوع وإخراجه إلى حيز التطبيق والتنفيذ.

٢ - جمع أكبر عدد من المشاركين المعنيين بالموضوع الذي يبحثه المؤتمر - ولهم حوله تصورات خاصة – ليدلوا بآرائهم في هذا الموضوع ، ويواجهوا بها الآراء المخالفة ليحدث من خلال ذلك الحوار إثراء للموضوع ووصول إلى التصور العلمي الصحيح لأبعاده ، والتعرف على أنسب الأساليب لإخراجه من مجال النظرية إلى مجال التطبيق.

والمشاركون في المؤتمر لا يقلون أهمية عن العلماء الذين أعدوا بحوثا ودراسات فيه ، لأن مقارنة الرأي بالرأي والحجة بالحجة هي التي تنضج العمل ، وتحول بينه وبين الانحراف عن الهدف أو العجز عن الوصول إليه.

٣ - تدريب الباحثين على إعداد بحوثهم قبل انعقاد المؤتمر - تبليغهم بها مسبقا - حتى تتاح لهم فرصة البحث المستأني ، والدراسة المتعمقة والتحليل الدقيق ، ليزداد ذلك نضجا واكتمالا بطرحه في المؤتمر على صعيد تبادل الآراء حول تلك البحوث والدراسات للوصول إلى القدر الممكن من النضج والاكتمال.

٤ - تدريب المشاركين في المؤتمر على إعداد آرائهم مسبقا في الموضوع المطروح للبحث والدراسة في المؤتمر ، حتى يشاركوا بها في إنضاج الآراء الأخرى عند طرح ذلك على بساط البحث ؛ وذاك نوع من تلقيح الآراء لابد منه للوصول إلى أحسن الآراء وأقربها إلى الصواب ، وأقدرها على الدخول في مجال التطبيق.

٥- الدقـة والعناية في اختيار الموضوع الذي يعقد المؤتمر من أجل بحثه ودراسته ، بحيث يكون لهذا الموضوع أهمية خاصة في مجال العمل الإسلامي ، تؤهله لأن يعقد من أجله مؤتمر ، وأن يحشد له من العلماء والخبراء والمشاركين بالرأي والنقاش هذا العدد الكبير ، بحيث يكون هذا الموضوع مما لا يجدي فيه رأى الفرد ، ويحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة والتشاور والحوار.

٦- محاولة تغطية احتياجات العمل الإسلامي من الموضوعات الجديرة بأن تعقد من أجلها مؤتمرات ، وخاصة تلك الموضوعات التي لا يحدث حولها إجماع من المهتمين بالعمل الإسلامي إلا بمزيد من البحث والدراسة والتشاور والحوار ، وما أكثر هذه الموضوعات.

٧ - العمل على تأصيل روح البحث العلمي والتناول الموضوعي لأي قضية من قضايا العمل الإسلامي ، للابتعاد ما أمكن عن التناول السطحي لتلك القضايا ، أو

النظر إليها نظرة تقليدية ربما لا تلائم العصر الذي تعيش فيه هذه القضايا ، فلكل عصر قضاياه ولكل عصر أساليب تلائم علاج تلك القضايا.

٨ - العمل على تأصيل مبدأ حرية الرأي في البحث العلمي ، وتغذيته بالرأي الآخر ، إقناعًا بالأصوب والأمثل واقتناعًا به ، دعمًا لمبدأ الشورى وإقرارا لمبدأ جماعية العمل لا فرديته.

٩- التدرب على العمل الجماعي الذي يقوم به فريق من الناس ، يؤازر بعضه بعضًا ويحاور بعضه بعضًا ، أملًا في الابتعاد ما أمكن عن رأى الفرد في مجال العمل الإسلامي ، لأن هذا الدين قام على الجماعة وعلى وحدة هذه الجماعة ، ونادى بأن المسلمين أمة واحدة.

١٠ - العمل على إيجاد فرصة جيدة للتعارف بين العلماء والخبراء ، والتعرف على وجهات نظرهم حول الموضوع المطروح للمناقشة والحوار ، فإن هذا التعارف يُثْرِي العمل ويُجَوِّدُه.

١١- العمل على تأكيد الأخوة ، وتوثيق الروابط بين الإخوة المشاركين في المؤتمر على كل صعيد من أصعدة المشاركة من خلال معايشتهم لقضية واحدة ، ولقاءاتهم المتعددة في قاعات البحث والمناقشة ، وتجمعهم على الصلوات والعبادة والمشاركة في كافة المناشط في المؤتمر.

١٢- تأكيد ضرورة الأخذ بمبدأ هام في العمل الإسلامي هو: الاستمرار في تطوير العمل الإسلامي وصولًا به إلى الأحسن والأمثل والأقدر ، على مواجهة التغيرات المستمرة في المجتمع الإنساني ، وأنسب طريقة لهذا التطوير هو عقد المؤتمرات.

برنامج المؤتمر:

نعنى ببرنامج المؤتمر: كل المحتوى الداخلي له من نظام وإرادة ، واختيار موضوع وباحثين ومشاركين ومكان وزمان ، ولجان وتوصيات. ولكي يحقق برنامج المؤتمر أهدافه يجب أن تراعى فيه اعتبارات هامة منها:

١ - الدقة في اختيار الموضوع الذي تجرى دراسته وبحثه في المؤتمر ، بحيث تتوفر لهذا الموضوع صفات خاصة أبرزها:

أ - أن يكون ذا تأثير في العمل الإسلامي بعامة وفى عمل الجماعة الدعوية بخاصة.

ب - أن يكون من الموضوعات التي تحتاج إلى بحث ودراسة واستقصاء ، وتبادل آراء وحوار ومناقشة ، حتى تصدر فيه التوصية أو القرار جماعيًّا لا فرديًّا.

جـ - أن يكون الموضوع ممثلا لمرحلة من مراحل العمل الإسلامي أو جزءًا منها.

د - أن يكون من الموضوعات ذات الأولوية في العمل الإسلامي ، بحيث يكون بحثه ودراسته أوْلى وأهم من غيره من الموضوعات.

٢- التدقيق في اختيار المشاركين في المؤتمر ببحوثهم ودراساتهم ، بحيث يكونون من أهل العلم والخبرة والكفاية والاختصاص ، بعيدين ما أمكن عن صفات التعصب والتحجر والتزمت قريبين من صفات العلماء في رحابة صدورهم وانفساح أفكارهم ، وتوسطهم في أمورهم كلها ، وحياديتهم وموضوعيتهم وتقواهم وورعهم ، وغيرتهم على الإسلام والمسلمين.

٣- التدقيق في اختيار المشاركين في المؤتمر بآرائهم ، وما يقدمونه من مقترحات وما يثيرونه حول الموضوع من قضايا وتساؤلات ومحاورات.

٤ - التدقيق في اختيار رؤساء اللجان الفرعية في المؤتمر ، بحيث لا يقلون عن المشاركين في المؤتمر ببحوثهم ودراساتهم.

٥- حسن اختيار المكان الذي يعقد فيه المؤتمر ، بحيث يفي بالحاجات من قاعات بحث ومهاجع وأماكن للطعام ، وغير ذلك مما هو لازم لهذا الجمع الكبير.

٦ - تقسيم الموضوع المطروح للبحث في المؤتمر إلى أجزاء أو فروع ، بحيث تشكل لكل فرع لجنة علمية لها رئيس ومقرر ، وعدد محدد من المشاركين بالرأي ، وعدد محدد من الباحثين الذين يقدمون بحوثهم ودراساتهم للمناقشة.

٧ - تحديد عدة قاعات البحث والمناقشة ، وتخصيص كل واحدة منها لفرع من فروع الموضوع ، وتجهيز هذه القاعات بكل ما يلزم من مقاعد ومنصة ومكبرات صوت وآلات تسجيل وأوراق. وتحديد رئيس لهذه القاعة أو اللجنة ومقَرِّر لها.

٨- يقوم العمل في قاعة البحث (اللجنة) على النسق الآتي:

أ- يفتتح رئيس القاعة العمل فيها بكلمة عن موضوع البحث فيها ، ثم يقدم الباحث للسامعين.

ب - يقدم الباحث بحثه فيعرضه كله أو صورة مجملة عنه للحاضرين - والأصل أن يكون قد نسخ وسلم للأعضاء قبل عرضه بوقت يمكنهم من الاطلاع عليه وتكوين رأي فيه.

جـ - يفتح رئيس اللجنة - بعد التعليق على البحث - المجال للمناقشة وإبداء الآراء في نظام ، يرتب فيه المتكلمون حسب أولوية طلبهم للكلام.

د - عند الانتهاء من الاستماع إلى الآراء والمحاورات والمناقشات تتاح فرصة لصاحب البحث أن يرد أو يعلق أو يجيب على بعض التساؤلات.

هـ - يختم رئيس الجلسة عمل اللجنة ، ويكون المقرر قد سجل كل ما دار فيها بمختلف أنواع التسجيل ، ثم تفرغ هذه التسجيلات في أوراق وينسخ منها العدد اللازم.

٩ - بعد الانتهاء من عمل اللجنة في جلسة أو أكثر ، وفي يوم أو أكثر ، يعقد رئيس اللجنة لقاءً خاصًّا ، يجمع المشاركين ببحوثهم والمشاركين بآرائهم أو بعضهم للتفاهم على توصيات تخص هذا الجزء من موضوع المؤتمر ، يسجله المقرر ، ثم يطلع عليه المجتمعون ؛ فإن أقروه صاغه الصياغة الأخيرة.

١٠ - تشكل لجنة للصياغة العامة ، تضم مقررى اللجان وبعض الباحثين يرأسها مدير المؤتمر ، تتولى إعداد التوصيات وأخذ الآراء فيها ، ثم تصوغها تمهيدًا لإقرارها وإذاعتها.

١١ - لا يتكامل برنامج المؤتمر إلا إذا أتاح فرصة للقاء المشاركين في المؤتمر جميعا في جلسات تعارف وتواد ، منظمه ودقيقة ، بحيث يخرج المشارك في المؤتمر من هذا المؤتمر وقد عرف أكبر عدد من إخوانه ، وتوثقت صلته بعدد لا بأس به منهم ، إذ الدعوة قائمة على التعارف والتحاب في الله.

١٢ - كل برنامج يعد لمؤتمر من المؤتمرات التي تنظمها الجماعة الدعوية يجب أن يستهدف ما يلى:

أ- تجميع أكبر عدد من العلماء والباحثين والمشاركين بآرائهم.

ب- تدريب المشاركين على البحث والدرس وحرية الرأي والحوار البناء والشورى في صورتها العلمية المنظمة.

جـ - تدريب المشاركين على العمل الجماعي وإقناعهم بأن العمل الجماعي أكثر فائدة وأقرب إلى الصواب وأرضى لظروف العمل الإسلامي ، في ظل هذه الظروف التي يواجه فيها العمل الإسلامي أعداء يعملون جماعات لا فرادى.

١٣ – لا ينبغي أن يخلو برنامج أي مؤتمر من استضافة زائر أو أكثر من كبار الشخصيات في الجماعة الدعوية ، وبخاصة من كانت لثقافته الخاصة صلة بموضوع المؤتمر ، واستضافة واحد أو أكثر من قادة الجماعة الدعوية.

١٤ - لا ينبغي أن يخلو برنامج المؤتمر من جلسات روحية ، تجلو النفوس وترقى القلوب ، وتوثق الصلة بين الإنسان وربه ، كما لا ينبغي أن يخلو برنامج المؤتمر من بعض الترفيه المباح ، والجلسات التي تقوم على المسامرة.

مسار البرنامج:

يجب أن يخطو برنامج المؤتمر في طريقه المرسومة له ، بحيث يحقق التنظيم الدقيق والضبط الجيد للعمل كله في المؤتمر ، وإنما يتم ذلك على وجهه إذا رُوعِيَ في مسار البرنامج ما يلي:

١ - تحـديد موضوع المؤتمر وتجزئته إلى أجزاء أو فروع قبل عقد المؤتمر بمدة كافية ، تتيح لإدارة المؤتمر ما يلي:

أ - إخطار العلماء الذين اختيروا بهذا الموضوع وبالفرع الذي يناسب تخصصهم ومطالبتهم بالكتابة.

ب - التفاهم معهم على تقسيم المؤتمر إلى لجان وتحديد مكان كل واحد منهم في هذه اللجان.

جـ - تكليف المشاركين بإعداد آرائهم حول هذا الفرع من فروع الموضوع للمشاركة به في الحوار.

د - ضرورة أن تصل البحوث والدراسات مكتوبة ، وتسلم إلى أمانة المؤتمر قبل انعقاده بوقت يسمح بنسخها.

٢ - تحديد عدد الأيام التي يعقد فيها المؤتمر ، وفقًا لمتطلبات الموضوع المطروح للدراسة ، ومتطلبات اللجان المنبثقة عن الموضوع وعدد الباحثين وما قدموا من بحوث ودراسات.

٣ - يقسم وقت المؤتمر الذي تتم فيه الدراسة العلمية إلى فترتين أو ثلاث على النحو التقريبي التالي:

أ- فترة تبدأ في الساعة الثامنة والنصف صباحًا تنتهي بدخول وقت فريضة الظهر ، يخصص نصفها لعرض البحـوث ونصفها الآخر لإبداء الاراء والحوار والتعليق ، والرد.

ب - فترة تبدأ في الساعة الثالثة أو بعد أداء فريضة العصر ، وتنتهي في الساعة السابعة والنصف تتخللها صلاة المغرب ، يخصص نصفها لعرض البحوث ونصفها الآخر للتعليق والحوار والرد.

جـ - عند الحاجة تعقد جلسة ثالثة تبدأ في الساعة الثامنة والنصف تنتهي في الساعة العاشرة لاستكمال ما فات.

٤ - عقد لقاء يحضره كل المشاركين في المؤتمر ، يفتتحه مدير المؤتمر بكلمة يرحب فيها بهم ويدعو لهم ، وينبغي أن تشتمل هذه الكلمة على ما يلي:

أ- التذكير بأهداف المؤتمر عمومًا وهذا المؤتمر خصوصًا.

ب- تحديد اللجان والإعلان عن أسماء رؤسائها ومقرريها.

جـ - تحديد أسماء المسئولين عن إدارة المؤتمر وتوضيح عمل كل منهم.

٥ - تخصيص اليوم الأخير أو الجلسة الأخيرة في المؤتمر لعملين على جانب كبير من الأهمية هما: أ- انعقاد لجنة الصياغة واتفاقها على التوصيات وعرضها على رؤساء اللجان لتعديلها أو إقرارها.

ب - إعلان توصيات المؤتمر على جميع الحاضرين ويستحسن أن تكون قد نسخت لتوزيعها عليهم مكتوبة.

٦ - تكوين لجنة على مستوى جيد لمتابعة أعمال المؤتمر ، وقياس مدى نجاحه في تحقيق الأهداف العامة والأهداف الخاصة من المؤتمر ، وتلافى أنواع القصور في آلياتها.

٧ - من علامات نجاح المؤتمر وتوفيقه أن يتولد عنه التفكير في مؤتمر آخر ، بدت الحاجة إلى عقده من خلال المحاورات التي دارت في لجان المؤتمر ، بل يعد ذلك من الأمور الضرورية للجماعة ، حتى تتواصل حلقات المؤتمرات ، وتغطى سائر الموضوعات التي تحتاج إلى بحث ودراسة ، لما في ذلك من فوائد عديدة منها:

أ - تجديد الفكر.

ب - تطوير العمل وتجويده.

جـ- مواكبة العلم والبحث.

د - تأصيل روح العمل العلمي في الجماعة الدعوية.

هـ- تأصيل روح العمل الجماعي.

و - غرس المودة والحب في الله بعد التعارف.

٨ - من علامات النجاح والتوفيق لأي برنامج لمؤتمر ، أن يعد فيه ملف خاص بكل ما جرى فيه ، ليكون رصيدًا يُرجع إليه في المستقبل عند الحاجة إليه.

٩ - عقد حفل لختام المؤتمر يحضره جميع المشاركين ، يتحدث فيه مدير المؤتمر عن منجزات المؤتمر في إيجاز ، ويقدم الشكر لكل من أسهم في المؤتمر بجهد ويدعو الله لهم جميعا.

١٠ - على مدير المؤتمر ومن يعاونونه (الأمانة العامة للمؤتمر) أن يعقدوا جلسة خاصة بعد انفضاض المؤتمر ، يُقَوِّمون فيها المؤتمر وما جرى فيه ، ويعدون في ذلك

تقريرًا عاما يُستفاد به عند عقد مؤتمر آخر. ويقوم بصياغة هذا التقرير المقرِّر العام للمؤتمر وتسلم نسخة منه لقيادة الجماعة الدعوية.

١١ - على أمانة المؤتمر العامة أن تحتفظ بأسماء العلماء الذين شاركوا ببحوثهم في المؤتمر وبالبحوث نفسها ، كوثائق لهذا المؤتمر يرجع إليها عند الحاجة.

١٢ - على أمانة المؤتمر أن تعد بيانات بأسماء كل من شارك في المؤتمر ، وبالعمل الذي قام به كل منهم وبدرجة أدائه لهذا العمل.

مدير المؤتمر ومعاونوه:

هؤلاء جميعا هم (الأمانة العامة للمؤتمر) وهى الهيئة التي تشكل قبل انعقاد المؤتمر بوقت كاف ، ويرأسها من اختير لإدارة المؤتمر ، وهى الهيئة التي تتولى الاتصال بالعلماء والمشاركين وتنسق العمل معهم ، كما تقوم بإعداد كل ما يتصل بالمؤتمر من أدوات ومعدات ، وتتابع كل هذا قبل عقد المؤتمر وفى أثناء انعقاده وبعد انفضاضه.

وهذه الأمانة مديرا ومعاونين الأصل فيهم أن يكون كل واحد منهم في مستوى جيد ، وأصيل في مجال التربية والبناء ، وإعطاء القدوة من نفسه وسلوكه. وأجمع ما يقال فيهم أنهم يجب أن يكونوا تربويين قياديين من أهل العلم والكفاءة والسابقة في الدعوة ، وممن تثق فيهم قيادة الجماعة الدعوية.

أبرز مهام مدير المؤتمر:

١- اختيار رؤساء اللجان المنبثقة عن المؤتمر ، واختيار أعضائها من بين العناصر المشهود لها بالكفاءة العلمية والتربوية والقيادية ، واستشارة قيادة الجماعة الدعوية فيهم وأخْذ الموافقة.

٢ - عقد لقاء مع هؤلاء المختارين قبل انعقاد المؤتمر بوقت كاف للتشاور وتبادل الآراء.

٣- اختيار مقرري اللجان بالتفاهم مع رؤساء اللجان.

٤ - اختيار المعاونين له في مختلف مناشط المؤتمر وهم أمانة المؤتمر.

٥ - افتتاح المؤتمر ومتابعته.

٦ - اختتام المؤتمر وتقويمه.

معاونو مدير المؤتمر:

يحتاج مدير المؤتمر إلى عدد من المعاونين قبل انعقاد المؤتمر يشكلون (الأمانة العامة للمؤتمر). ويتنوعون حسب الأعمال التي يقومون بها على النحو التالي:

١ - رؤساء اللجان الفرعية ومقرروها.

٢ - المقرر العام للمؤتمر.

٣- مسئول عن الأعضاء عند قدومهم ، وإخطارهم باللجان التي وزعوا عليها ، وتحديد أماكن هذه اللجان لهم.

٤- مسئول إداري يمد اللجان بما تحتاجه من كل ما يساعد على إنجاز العمل.

٥- مسئول عن الجوانب الإيمانية والعبادية في المؤتمر.

٦- مسئول عن إعداد أماكن النوم وأماكن الطعام وأماكن الراحة والترفيه المباح.

٧- مسئول مالي عن المؤتمر يضع له ميزانية متكاملة.

٨- مسئول عن إعداد الطعام وتقديمه في الأوقات المحددة له.

٩- مسئول عن جلسات التعارف والترويح والنشاط الرياضي إذا وجد لهذا النشاط مجال.

١٠- مسئول عن أمن المؤتمر وحراسته وضبطه ونظامه.

وكل واحد من هؤلاء قد يستعين بآخر أو آخرين حسب ظروف العمل ومتطلباته. كما أن هؤلاء المعاونين قد يزيد عددهم عن ذلك ، وقد ينقص حسب الظروف والاحتياجات كذلك.

الفَصْلُ التَّاسِعُ

من مجالات التربية

- أولًا: التربية الجهادية.
- ثانيًا:التربية الأمنية في العمل الإسلامي.
- ثالثًا:التربية الوقائية في العمل الإسلامي.
- رابعًا: التربية الذاتية.
- خامسًا: التربية الحياتية.
- سادسًا: التربية السياسية.
- سابعًا: التربية الاجتماعية.
- ثامنًا: التربية الدعوية.

أولًا: التربية الجهادية وجوانب الإعداد للجهاد في واقعنا المعاصر

ما معني التربية الجهادية؟

التربية الجهادية تعني تأصيل الروح الجهادية لدى الفرد والجماعة ، وجعل هذه الروح وشيجة الربط بين سائر الاهتمامات والعنوان الرئيسي لها ، تعني إيجاد الإنسان الذي يعيش من أجل الإسلام. الإنسان الذي يدرك عظمة دوره وخطورته ودقته ، فهو لا يتوانى يهيئ نفسه ويستعد للقيام بهذا الدور على أكمل وجه. الإنسان المعلق قلبه بالله وبالآخرة ، فهو لا يعيش لدنياه مُقَدّمًا فضول الوقت والجهد لآخرته ودعوته. الإنسان المتلهف إلى الشهادة في سبيل الله لأ.

إن التربية الجهادية هي التربية التي تجعل الإنسان كائنًا ما كان اختصاصه وعمله مجاهدًا في سبيل الله ، مسخرًا اختصاصه للجهاد في سبيل الله. فهو عالم ومجاهد ، وهو طبيب ومجاهد ، وهو كاتب ومجاهد ، وهو مهندس ومجاهد ، وهو معلم ومجاهد ، وهكذا يكون الجهاد السمة المميزة والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعًا.

إن التربية الجهادية توجب إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بأمرين أساسين:

أولًا: الاهتمام بالنفس بربطها بالله والشوق إلى لقائه والموت في سبيله ، وبالتالي صونها عن كل ما يركن بها إلى الأرض وشهواتها ، ولو كان حلالًا طيبًا ، وبذلك تكون نفسًا مجاهدة.

ثانيًا: الاهتمام بالجسد ليكون معافى قويًّا يمتلك كل إمكانات الدفاع والهجوم وخبرات الدفاع والهجوم ، وبخاصة في عصر تعددت فيه هذه الخبرات والعلوم.

والمسلمون اليـوم في بعض الأقطار يواجهون احتلالًا وغزوًا عسكريًا في عقر دارهم ، وغزوًا فكريًا وأخلاقيًا في كل ديارهم ، وساعد الأعداء في ذلك بطانة السوء والمنافقين من أبناء المسلمين الذين رُبُّوا على عين الغرب وتسلطوا على أزِمَّة الحكم في

أكثر بلدان المسلمين وحكموا بقوانين الشرق والغرب ورفضوا الحكم بشرع الله لأ ووالوا أعداءه وعادوا أولياءه.

وفي ظل هذه الظروف لم يترك الله العزيز الرحيم الحكيم العليم هذا الغزو العسكري أو الفكري بلا مدافعة ؛ بل اصطفى من عباده المؤمنين طائفة تقوم بالحق وتدافع الباطل على ضعفها وقلة إمكانياتها ؛ وهذا مصداق قوله ص: « **لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** » (رواه البخاري).

وهذه الطائفة منتشرة في الأرض ومتنوعة المهام فمنهم العلماء الربانيون الذين يصدعون بالحق ويعلمون الناس أمور دينهم. ومنهم المربون والدعاة الذين يدعون الناس إلى الخير ويحذرونهم من الشر ، ويجوبون القرى والمدن لنشر التوحيد والخير بين الناس ، ويستخدمون في ذلك جميع الوسائل المتاحة التي تساعد على ذلك من: المحاضرات والندوات ، والدورات الشرعية ، والتأليف ، والأشرطة النافعة ، إلى غيرها من الوسائل.

ومنهم الآمِرون بالمعروف والناهون عن المنكر الذين يحتسبون على الناس ويغيرون المنكرات بقدر استطاعتهم. ومنهم المرابطون على الثغور الذين يجاهدون العدو الكافر الذي استحل ديار المسلمين ويدفعونه بقدر استطاعتهم.

ومع وجود هذه الفئات التي تقوم كل واحدة منها بنوع من أنواع الجهاد إلا أن الفساد والباطل والغزو العسكري والفكري أكبر بكثير من جهد وإمكانات هذه الفئات ، وقد تخلو بعض ديار المسلمين من هذه الفئات تمامًا [١٥].

---

(١٥) نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام النووي قوله: « يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ جَمَاعَةً مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَنْوَاعِ الْـمُؤْمِنِينَ مَا بَيْنَ شُجَاعٍ وَبَصِيرٍ بِالْحَرْبِ ، وَفَقِيهٍ ، وَمُحَدِّثٍ ، وَمُفَسِّرٍ ، وَقَائِمٍ بِالْأَمْرِ بِالْـمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْـمُنْكَرِ ، وَزَاهِدٍ وَعَابِدٍ ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمَعِينَ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمْ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ = = وَافْتِرَاقُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ وَأَنْ يَكُونُوا فِي بَعْضٍ مِنْهُ دُونَ بَعْضٍ ،

وفي ضوء السنن الربانية ، وفي ضوء الواقع المعاصر يمكن القول بأن الجهاد مع الكفار والصراع مع الباطل وأهله أصبح أمرًا حتميًا لاسيما جهاد الدفع حيث فرض على المسلمين فرضًا ولا مناص منه - كما هو الحاصل اليوم في أفغانستان والشيشان وكشمير وفلسطين التي احتلها العدو الكافر - ووجب على أهل تلك الديار الدفاع عن دينهم وديارهم وأعراضهم بكل ما استطاعوا من قوة. كما وجب على المسلمين الذين يلونهم نصرتهم وعدم خذلانهم وإسلامهم لأعدائهم الكفار.

وما دام أن جهاد الكفار وإخراجهم أو صدهم عن ديار المسلمين أصبح أمرًا مفروضًا - سواء ما كان من هذه البلاد محتلًا أو ما كان مهددًا بالاحتلال والغزو - فماذا يجب أن نعد لهذا الجهاد من الإعداد بمفهومه الشامل؟

والجواب على هذا السؤال في الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: إن الجهاد بمعناه العام لا يسقط عن المسلم المكلف ؛ فمن مراتب الجهاد جهاد النفس والشيطان وهو الممهد لجهاد الكفار ، والجهاد بهذا المفهوم لا يسقط عن أي مسلم.

بل إن جنس جهاد الكفار فرض عين إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد والسنان - وذلك حسب القدرة والاستطاعة - وما وراء الجهاد القلبي ذرة إيمان. والجهاد القلبي يعني البراءة من الكفار ، وبغضهم ، والتربص بهم ، وتحديث النفس بغزوهم ، والإعداد لذلك ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ص: « **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ** » (رواه مسلم).

وجهاد النفس والشيطان هما الأصلان لجهاد الكفار ، والانتصار على الكفار في ساحات القتال هو نتيجة للانتصار على النفس والشيطان قبل ذلك. بل إن جهاد النفس

وَيَجُوزُ إِخْلَاءُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ بَعْضِهِمْ أَوَّلًا فَأَوَّلًا إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى إِلَّا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ بِبَلَدٍ وَاحِدٍ فَإِذَا انْقَرَضُوا جَاءَ أَمْرُ الله ». انظر: فتح الباري (١٣ / ٢٩٥).

والشيطان يستغرق العمر كله ؛ إذ لا بد منه قبل منازلة الكفار ، وأثناءها ، وبعدها.

الوقفة الثانية: الإعداد الإيماني قبل الجهاد لا يعني ترك جهاد الدفع حتى يكتمل هذا الإعداد: إن القول بضرورة الإعداد الإيماني قبل جهاد الكفار لا يعني ترك جهاد الكفار وقتالهم في جهاد الدفع حتى يكتمل الإعداد الإيماني. إن هذا لا يقول به عاقل ؛ بل إنه يصادم مقاصد الشريعة في حفظ الضرورات الخمس. إن جهاد الدفع يجب أن يهب المسلمون له بالحالة التي هم عليها سواء كانوا في ضعف من الإيمان وتفريط في طاعة الله لأ أو كانوا في ضعف مادي ؛ فإذا لم يندفع العدو عن الديار والحرمة والدين إلا بقتاله وجب ذلك على المسلمين بما تيسر من القوة دون اشتراط للقدرة ، والقوة الإيمانية ، إذ لا بد من التفريق بين جهاد الطلب الذي يشترط فيه الإعداد المادي والمعنوي وبين جهاد الدفع الذي لا يشترط فيه ذلك.

ولا يعني عدم اشتراط العدة الإيمانية أو المادية في جهاد الدفع التفريط فيها ، بل يجب الدفع بما تيسر منهما مع الاهتمام بهما أثناء القتال والسعي لتقويتهما قدر المستطاع ؛ فقد يستمر الدفاع شهورًا أو سنوات ، فحينئذ يجب السعي أثناء القتال لتوفير القدرة المادية وإعداد المقاتلين إيمانيًا بوضع البرامج العلمية والعملية لتقوية هذا الجانب ؛ لأثره العظيم في الثبات والصبر ونزول نصر الله لأ ، وهزيمة الكفار ودفعهم عن ديار المسلمين وحرماتهم. وإن الحاجة لتشتد في مثل الظروف الراهنة التي يهدد فيها الكفار بالهجوم على ما تبقى من ديار المسلمين.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن أجواء الجهاد في سبيل الله لأ من أفضل البيئات التي يعد فيها المجاهدون إيمانيًا وتربية وزهدًا وتضحية ، وهذا شيء مشاهد ؛ فما حصل عليه بعض المجاهدين من التضحية وتزكية أعمال القلوب والزهد والإخلاص في سنة من سنوات الجهاد لم يحصل عليه غيرهم إلا في عدة سنوات.

الوقفة الثالثة: معنى الإعداد الإيماني أو المعنوي للجهاد في سبيل الله:

ماذا معنى الإعداد الإيماني - أو المعنوي - للجهاد في سبيل الله لأ؟

والجواب أن يقال: لقد ثبت عن النبي ص أنه قال: « **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ** » (رواه مسلم). وإن المتأمل في أحوالنا اليوم وطريقة تفكيرنا ومعيشتنا وتعاملاتنا ليرى ضعف العزيمة عندنا في إعداد النفس للجهاد وتحديثها بالغزو على جميع المستويات إلا من رحم الله - ؛ فمجرد نظرة سريعة إلى اهتماماتنا ، وما يشغل قلوبنا نرى أنها ليست اهتمامات مجاهدين. وكذلك أسلوب معيشتنا وما يشتمل عليه من الترف والترهل ، وحب الدعة والراحة ، والركون إلى الدنيا ، وضعف الصلة بالله تعالى ؛ كل هذا لا يتفق مع حقيقة تحديث النفس بالغزو وإعدادها للجهاد ، ومن كانت هذه حاله فهو من أول الفارين عن الجهاد عندما ينادى إليه.

إن (تحديث النفس بالغزو) الذي ينجي من شعب النفاق لا يكفي له أن يحدث الإنسان نفسه أنه سيغزو ويجاهد ويكتفي بهذا الحديث النفسي وهو متكئ على أريكته مشحون قلبه بدنياه ، كلا ليس هذا هو التحديث المنجي· إنما تحديث النفس بالغزو يعني أمورًا عملية لا بد من العزيمة عليها من الآن ، وهذا هو معنى الإعداد الإيماني أو المعنوي.

إن الجهاد في سبيل الله عز وجل عبادة عظيمة تحتاج إلى صبر ومصابرة ؛ لأن فيها من المشاق والتضحيات ما لا يوجد في عبادة غيرها لكنها خفيفة ولذيذة على من اصطفاهم الله - لنصرة دينه وإعلاء كلمته. ولما كان الجهاد فيه ما فيه من المشاق وبذل المال والنفس في سبيل الله لأ أصبح الاستعداد له بالإيمان والإخلاص والمتابعة والصبر وقوة الصلة بالله لأ أمرًا لا بد منه وإلا خارت القوى وانحلت العزائم. ومن ذلك أَمْرُ الله - لنبيه ص بقيام الليل الطويل استعدادًا لتحمل القول الثقيل وتبليغه للناس وتحمل

أعباء الرسالة ؛ 7 8 (! " # $ % & ') (* + , - .
/ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :)(المزمل: ١-٥).

كما أن الإعداد الإيماني قبل الجهاد ضروري لتحقيق النصر على الأعداء عند ملاقاتهم والثبات عند قتالهم ؛ 7 8 (! " # $ % & ')
: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *)
(G F E D C B A @ ? > = < ;
(النساء: ٦٦-٦٨).

والإعداد الإيماني علمًا وعملًا وحالًا يباعد بين المجاهدين وبين المعاصي والذنوب أو الميل إلى الدنيا والتي هي من أسباب الخذلان والهزيمة. وذكر البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه قال: باب: عمل صالح قبل القتال ، وقال أبو الدرداء: « إنما تقاتلون بأعمالكم ».

والأصل في الإعداد الإيماني للمجاهدين ما ذكره - في سورة التوبة من صفات المؤمنين المجاهدين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ؛ 7 8 (إِنَّ ٱللَّهَ © مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ µ ´
¶ ¸ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ
بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾)
(التوبة: ١١١).

ثم عقب على هذه البيعة بصفات المؤهلين للجهاد الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله لأ فقال 8 (! " # $
% & ') (* +
, - . 0 1)(التوبة: ١١٢).

ولكن الجهاد في سبيل الله ليس مجرد اندفاعة إلى القتال ، إنما هو قمة تقوم على قاعدة من الإيمان المتمثل في مشاعر وشعائر وأخلاق وأعمال ، والمؤمنون الذين عقد الله معهم البيعة ، والذين تتمثل فيهم حقيقة الإيمان هم قوم تتمثل فيهم صفات إيمانية أصيلة ، هذه هي الجماعة المؤمنة التي عقد الله معها بيعته ، وهذه هي صفاتها ومميزاتها:

توبة ترد العبد إلى الله ، وتكفه عن الذنب ، وتدفعه إلى العمل الصالح. وعبادة تصله بالله لأ وتجعل الله - معبوده وغايته ووجهته. وحمدٌ لله على السراء والضراء نتيجة الاستسلام الكامل لله لأ والثقة المطلقة برحمته وعدله. وسياحة في ملكوت الله مع آيات الله الناطقة في الكون الدالة على الحكمة والحق في تصميم الخلق. وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر يتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة. وحفظ لحدود الله يرد عنها العادين والمضيعين ، ويصونها من التهجم والانتهاك.

هذه هي الجماعة المؤمنة التي بايعها الله على الجنة ، واشترى منها الأنفس والأموال ، لتمضي مع سنة الله الجارية منذ كان دين الله ورسله ورسالاته ؛ قتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وقتل لأعداء الله الذين يحادّون الله ؛ أو استشهاد في المعركة التي لا تفتر بين الحق والباطل ، وبين الإسلام والجاهلية ، وبين الشريعة والطاغوت ، وبين الهدى والضلال.

وليست الحياة لهوًا ولعبًا. وليست الحياة أكلًا كما تأكل الأنعام ومتاعًا. وليست الحياة سلامة ذليلة ، وراحة بليدة ورِضًى بالسلع الرخيصة. إنما الحياة هي هذه: كفاح في سبيل الحق ، وجهاد في سبيل الخير ، وانتصار لإعلاء كلمة الله لأ ، أو استشهاد كذلك في سبيل الله لأ ، ثم الجنة والرضوان.

الوقفة الرابعة: جهاد النفس ومراتبه:

الأصل في الإعداد الذي يسبق جهاد الكفار هو جهاد النفس والشيطان. والمعركة معهما مستمرة ومتواصلة منذ بلوغ المسلم سن التكليف إلى أن يوافيه الأجل. فهو إذن جهاد لا يتقيد بوقت ، بل هو مطلوب قبل ملاقاة العدو وأثناء ملاقاته وبعد ملاقاته. والنصر على الأعداء في معارك القتال مرهون بالانتصار على النفس والشيطان في معركة الجهاد معهما.

والمطلوب في الإعداد المتمثل في جهاد النفس: أربعة جوانب مهمة:

١ - أن يجاهدها على تعلم الهُدى ، ودين الحق الذي لا فلاح لها ، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها عِلمُه ، شقيت في الدَّارين.

٢ - أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجردُ العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

٣ - أن يجاهدها على الدعوة إليه ، وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهُدى والبينات ، ولا ينفعُهُ علمُهُ ولا يُنجيه من عذاب الله.

٤ - أن يجاهدها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله لأ ، وأذى الخلق ، ويتحمَّل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرَّبَّانيين ؛ فإن السلف مُجمِعُونَ على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًا حتى يعرف الحق ، ويعمل به ، ويُعلِّمه.

تداخل مراتب جهاد النفس بعضها مع بعض:

إن ما ذُكِرَ من جوانب الإعداد ومراتبه (العلم والعمل والدعوة والصبر) لا يعني البقاء في مرتبة بحيث لا ينتقل منها إلى التي تليها حتى تستكمل التي قبلها. إن هذا غلط وفهم خاطئ لتحقيق مراتب الإعداد. والمطلوب الأخْذ بالمراتب كلها وتكميل ما لم يكمل منها ؛ فمجاهدة النفس وإعدادها بالتعلم والتبصر في الدين لا يعني ترك

مجاهدتها بالعمل الصالح ، ومجاهدتها بالدعوة إلى الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على ذلك كله. وكلما علم العبد شيئًا من دين الله - جاهد نفسه للعمل به والدعوة إليه والصبر على العمل والدعوة معًا. والمسلمون اليوم - وبخاصة من يهمهم أمر هذا الدين - لديهم رصيد لا بأس به من العلم يبدؤون به الإعداد ويُحَوِّلون فيه هذا العلم إلى عمل ودعوة ؛ أي إنهم لا يبدؤون الإعداد العلمي وهم خلو منه ؛ بل إن لديهم من العلم قدرًا جيدًا ، وحينها يطالبون بالجهاد للعمل بهذا العلم وتكميل ما ينقصهم من العلم العيني لو وجد نقص في ذلك.

والمقصود أن المربين لن يجدوا أنفسهم أمام أفراد لا علم عندهم ، بل العلم موجود والحمد لله ، والمطلوب تكميله في نفس الوقت الذي يحصل فيه المجاهدة بالعمل به والدعوة إليه.

تفاوت المتربين في تحصيل مراتب الجهاد ، والعناية بالمبرزين منهم:

يتفاوت المتربون الذين يُعَدُّون للجهـاد في الأخذ بهذه المراتب وتكميلها وإتقانها ، وليس مطلوبًا أن يكونوا في مرتبة واحدة ، وإنما المطلوب التأكيد عليها والسعي لمجاهدة النفس في الأخذ بها. مع التأكيد على ضرورة العناية بطائفة من الذين يعدون أنفسهم للجهاد ، والذين تظهر عليهم علامات الصدق والجد والإخلاص والهمة العالية لتكميل هذه المراتب.

فهؤلاء وأمثالهم ينبغي أن يكون لهم شأن آخر في الإعداد ، وأن لا يُتَسامح معهم كما يتسامح مع غيرهم ، وإنما يُطلب منهم تكميل هذه المراتب قدر الإمكان ؛ حتى يكونوا على قدر من العلم بالشريعة والواقع يؤهلهم لتربية أنفسهم والتأثير على الناس ، ويكونوا على قدر كبير من: العمل الصالح ، والإخلاص ، والصدق ، والتوكل على الله لأ ، والزهد في الدنيا ، والتقرب إلى الله لأ بالطاعات فرضها ونفلها ؛ حتى يتحملوا الشدائد ويكونوا قدوات لغيرهم في العلم والعمل ، ويكونوا على قدر كبير من

الدعوة والتأثير في الناس وبيان الحق والباطل لهم ، وعلى قدر عظيم من الصبر يتحملون به ما يواجههم من الأذى والابتلاء من الكفار والمنافقين وأصحاب القلوب المريضة.

وهذه الفئة من الدعاة والمجاهدين ضرورية لأنها بمثابة القاعدة الصلبة التي يثبتها الله لأ عند الشدائد ، ويثبت بها الصف الإسلامي من التفكك والاضطراب عند النوازل. وهذا هو الذي قام به النبي ص أثناء الدعوة والإعداد في العهد المكي ؛ حيث قام بتربية هذه الفئة من المسلمين ورباها بالعلم والعمل والتجرد والإخلاص والصبر والتوكل على الله لأ ، فصلب عودها وثبتت أمام البلاء والمحن ، وكانت القاعدة الصلبة التي قام عليها سوق الدعوة والجهاد ، وفتح الله لأ بها الدنيا ، وحمى بها بيضة الإسلام من الأعداء المتربصين.

الحذر من اختراق المنافقين للصف المسلم ، وتبوّئهم للمراتب العليا فيه:

وهو مرتبط بما قبله ؛ وذلك من جهة التأكيد على ثمرة مهمة من ثمار الإعداد القوي للقاعدة الصلبة ؛ ألا وهي تحصين الصف المسلم أثناء الإعداد وأثناء الجهاد من المنافقين الذين يُظْهِرون الصلاح وحب الدعوة والجهاد حتى يخترقوا صفوف الدعاة والمجاهدين ويصلوا إلى مستويات متقدمة في التوجيه والتأثير.

وهدفهم من الاختراق أمور خطيرة من أهمها: زعزعة الصف من داخله ، وبث الشقاق والفرقة بين الدعاة والمجاهدين ، ومن أخطر أهداف الاختراق: الاطلاع على خطط الدعاة وأسرار المجاهدين وإيصالها إلى أوليائهم من الطواغيت والكفرة حتى يقطعوا على الصف المسلم أهدافه ويعرضوا أهله للبلايا والمحن.

لذا وجب على المتصدرين للدعوة والإعداد والتربية الحذر الشديد من هؤلاء المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر؛ قال الله لأ في التحذير منهم ومن غيرهم: (j i h g f)(النساء: ٧١). وإن المتأمل في تاريخ المسلمين في

القديم والحديث ليرى أنه ما من مأساة وانتكاسة أو محنة وقعت بالصف المسلم إلا وكان للمنافقين يد فيها ، ولذا فإن من أهم ما ينبغي الحرص عليه في الإعداد للجهاد الحذر من المنافقين وتحصين الصف من اختراقهم.

ومن أهم وسائل التحصين الاهتمام بالقاعدة الصلبة ، وحسن إعدادهم وتربيتهم ولو طال الزمان ، وأن لا يصل إلى مستوى التوجيه والإعداد إلا من صهرته التربية وظهر صبره وفضله وتقواه وصدقه ، وأن يحرص على التربية الجادة ودقة الاختيار ، والحذر ممن كان له تاريخ في النفاق ولو صلح بعد ذلك ، وكذلك الحذر من كل من ارتفع اسمه فجأة في أوساط الدعاة ، ومعرفة السبب في اشتهاره هل هو عمله أم أن جهات أخرى تولت هذه المهمة؟! فينبغي الحذر من أمثال هؤلاء فلا تسند إليهم مسئوليات مهمة في الدعوة والإعداد.

يُقبَل في مستويات التربية الجهادية من عموم المجاهدين ما لا يُقبَل من قادتهم:

إن المراتب السابقة من مراتب الإعداد للجهاد في سبيل الله لا تعني أن تتوفر بتمامها في كل الأفراد ، ولكن المطلوب توفرها بقوة في القاعدة الصلبة الذين هم قادة الناس وقدواتهم ، وهم أصحاب التوجيه والتربية.

أما من سواهم فإنه يقبل منهم الحد الأدنى ، ولا يتشدد معهم في توفر كل صفات المجاهدين فيهم ، نعم لو اكتملت هذه الصفات في الجميع لكان هو الأفضل والمطلوب ، لكن طبائع البشر وما يتعرضون له من ضعف وفتور تأبى ذلك. ومع ذلك فتستمر التربية والتزكية ، والمقصود الإشارة إلى أنه مع التأكيد على ضرورة التربية والإعداد إلا أن ذلك لا يعني أن لا يشارك في الدعوة والجهاد في سبيل الله لأ عندما يفرض على الأمة إلا من ليس عليه ملاحظات أو هفوات.

بل قد يخرج للجهاد من هو متلبس ببعض الذنوب وبعض ما يقدح في كمال إيمانه الواجب لكنه يجاهد نفسه على ترك ذلك ، ويستمر النصح والتوجيه له في جميع

الأوقات بل إنه قد يخرج صاحب البدعة التي دون الكفر مع المجاهدين إذا احتاج المسلمون إلى ذلك ؛ كأن يهاجَمون في عقر دارهم وهم على قلة من العدد والعتاد.

ولو لم يخرج للجهاد في سبيل الله - إلا الكُمَّل من الناس لتعطل الجهاد وتسلط الكفار على المسلمين وساموهم سوء العذاب ، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد العظيمة.

وكذلك من هم في موطن التوجيه والقدوة والمسئولية ؛ فمع أنه لا يسعهم ما يسع غيرهم ممن هم دونهم إلا أنهم ليسوا معصومين ، وصدور بعض الهفوات أو الذنوب لا يقدح فيهم ولا ينقص من منزلتهم إذا كانت ذنوبًا طارئة يرجعون منها ويتوبون ولا يصرون. 7 8 (Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d) (الأعراف: ٢٠١).

أنواع الإعداد المادي وضرورة وجوده بجانب الإعداد الإيماني:

الإعداد الإيماني للمجاهدين يحتاج إلى جهد وزمن طويلين ، وهو الأساس الذي ينطلق منه المجاهد وتحقق به غايات الجهاد ، وهو ما ينقصنا اليوم ؛ حيث نعيش حياة الترف والترهل ، والركون إلى الدنيا ، وضعف الإيمان ، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضعف الصبر والتحمل والانتصار على النفس في هذه المجاهدة والإعداد هو طريق النصر على الأعداء في ساحات القتال ، والعكس صحيح ، أما الإعداد المادي والجسدي فإنه يتحقق في وقت يسير إذا قيس بالإعداد الإيماني.

ونظرًا لما تعيشه بلدان المسلمين اليوم من تسلط الأعداء وتهديداتهم مما يجعل الجهاد أمرًا مفروضًا على المسلمين للدفاع عن الدين والمال والعرض ؛ وذلك في البلدان التي يحتلها العدو الكافر ، أو أنه قريب الحدوث في البلدان التي يهددها العدو الكافر ويلمح بغزوها واحتلالها.

إنه نظرًا لذلك فلا بد من الإشارة إلى الإعداد المادي والجسدي بأن يكون له حظ من الإعداد ؛ وذلك في خط موازي للإعداد الإيماني والمعنوي ؛ يسيران جنبًا إلى جنب دون أن يقطع أحدهم الآخر أو يؤخره.

والأصل في الإعداد المادي قوله 8 (وَأَعِدُّواْ © مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ´ µ ¶ ¸ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)(الأنفال: ٦٠) ، ومن أهم جوانب هذا الإعداد ما يلي:

١ - الإعداد المالي:

وهو من أهم جوانب الإعداد المادي ؛ فهو عصب الدعوة والجهاد ، ولا تكاد تخلو آية من الآيات التي تحض على الجهاد إلا ويذكر الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس بل يقدم عليها. وإذا تأملنا آية الإعداد الآنفة الذكر وجدنا في خاتمتها ذكر النفقة ، مما يدل على أهمية المال في الإعداد المادي للجهاد. والتفريط في توفير المال للجهاد في سبيل الله تفريط في الأخذ بأسباب النصر.

ولذا وجب السعي في توفير مصادر مالية ثابتة لدعم الجهاد والإعداد له ؛ وذلك بإقامة المؤسسات الاقتصادية ، وبث روح البذل في الأمة وبخاصة الموسرون فيها ، وإقامة المؤسسات الخيرية التي تعلم وتدعو وتدعم المحتاجين من المسلمين المهاجرين والمستضعفين.

٢ - الإعداد الإعلامي:

حيث لا يخفى على أحد ما للإعلام اليوم من أثر كبير في التعريف بالإسلام الحق والتعريف بأهله ، وكذلك ما له من الأثر في فضح الباطل والتحذير منه ومن أهله ؛ بحيث تستبين للناس سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين. كما لا يخفى ما للإعلام من دور في التعريف بالجهاد والمجاهدين ، ونقل أنباء انتصارات المسلمين وهزائم

الكافرين ، والاستفادة من الإعلام في الحرب النفسية ضد الكفار ، ورفع معنويات المجاهدين والمسلمين بعامة ؛ حيث إن أسلوب الحرب النفسية عن طريق الإعلام أصبح من الوسائل المهمة في تحطيم معنويات ونفسيات الأعداء وهزيمتهم.

فإذا لم يكن للمسلمين - سواء في إعدادهم للجهاد بالدعوة والبيان أو أثناء قتالهم الكفار - وسائل إعلامية قوية ومؤثرة فإن تفريطًا كبيرًا قد حصل في الأخذ بأسباب العدة للجهاد والانتصار على الأعداء.

٣- الإعداد الجسمي:

المطلوب من المسلم أن يعتني بجسمه في جميع الأحوال ؛ فيعتني بصحته وكل ما من شأنه تقوية الجسد وشدته ، وتحمله للمشاق ، وشظف العيش ؛ فقد قال رسول الله ص: « **الْـمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْـمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ** » (رواه مسلم). والقوة هنا تشمل قوة الإيمان والنفس والجسم ، وقد تعوذ الرسول ص من العجز والكسل ، فإذا كان هذا في الأحوال العادية ، فكيف بمن يعد نفسه للجهاد؟ بل فكيف بمن غزاه الكفار في عقر داره أو حاموا حول دياره؟! كما هو الحال اليوم في أكثر بلدان المسلمين.

إن الأمر في حقه يكون آكد وأوجب ؛ لأن الأجسام الضعيفة المترهلة المترفة التي أخلدت إلى الراحة والإسراف في أنواع الطعام والشراب والأثاث لن تلبي نداء الجهاد ؛ وذلك لما فيه من الشدائد والجوع والجراحات ، الأمر الذي لا تطيقه الأجسام المتنعمة المترهلة المترفة.

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة ينبغي أن يهتم بها المربون والمهتمون بالإعداد للجهاد ؛ منها:

أ- تجنب فضول الطعام والشراب والنوم لما في ذلك من التَرَفُّه ، ولما فيه من الأدواء والأمراض للأجساد والقلوب.

ب- تقوية الجسم بأنواع الرياضة المشروعة ؛ كالمشي الطويل وصعود الجبال ، والسباق ، والسباحة ، وركوب الخيل ، والدفاع عن النفس ، وغير ذلك مما فيه تقوية الجسم وتعويده على تحمل الشدائد.

ج- تعويد النفس على صوم النفل ؛ فهو في المقام الأول عبادة عظيمة محبوبة لله لأ ، وفيها من المصالح والحكم ما ذكره الله - في كتابه من أنه يورث تقوى الله لأ ، كما أن فيه تعويد النفس على الصبر والتغلب على شهواتها وتقوية إرادتها.

ووسائل تقوية الأجسام كثيرة ، لكن هذا هو الحد الأدنى الذي ينبغي لمن يعد نفسه للجهاد أن يأخذ به في حال الأمن والسلام.

أما في حال الحرب والتهديد فلا بد من الأخذ بالفقرة التالية:

٤ - الإعداد بالتدريب على الرماية بأنواعها:

عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ص وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، يَقُولُ: (وَأَعِدُّواْ ۝ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) ، **أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ** » (رواه مسلم).

ويكون التدريب على الرماية واجبًا وفرض عين في حال ما يكون الجهاد عينيًا بأن يُهاجَم المسلمون في عقر دارهم.

أخطاء بعض المجاهدين لا تعني خطأ الجهاد ، ونصحهم يكون مع الولاء لهم حتى لا يستغله المبطلون في رد الجهاد:

إن المجاهدين بشر كغيرهم يخطئون ويصيبون ، ولا عصمة لأحد بعد الأنبياء ، ولكن ينبغي الحذر كل الحذر عندما يكون هناك حاجة إلى ذِكْر هذه الأخطاء والتناصح حولها أن لا تكون في منابر عامة قد يفهم منها التعريض بالجهاد والمجاهدين ، وقد يكون إبرازها في المنابر العامة مقصود لذاته من قِبَل أعداء الدين وأعداء الجهاد والدعاة والمجاهدين ؛ وذلك ليوظفوها في مخططهم الماكر في القضاء على الدعاة

الصادقين وتعطيل شعيرة الجهاد والاحتساب.

وفي عدم الانتباه لمآلات الكلام عن أخطاء المجاهدين مفسدة كبيرة قد يجد المتحدث نفسه متورطًا في الإسهام مع أعداء الدين في عرقلة الدعاة والمجاهدين في إحياء الأمة من سباتها. وقد يجد نفسه وهو لا يشعر في خندق الطواغيت من الكافرين والمنافقين.

ولو وجد الداعية نفسه مضطرًا للتعليق على بعض الأخطاء فيمكنه أن يتحدث عن ذلك بعبارة لا يستطيع الإعلام الماكر ومَن وراءه أن يستفيدوا من ذلك في الوصول إلى مبتغاهم ؛ وذلك كأن يثني على المجاهدين وأثرهم في إحياء الجهاد والعزة ودورهم في الدفاع عن بلدان المسلمين وأعراضهم ، ودورهم في إرهاب الكفار ، في الوقت الذي يتولى بالنقد والفضح تلك الأنظمة الطاغوتية التي تتولى الكفار وتضع نفسها في خندقهم في مواجهة الدعاة والمجاهدين. ثم يشير بعد ذلك إلى ما يراه من ملاحظات وأخطاء قد تصدر من بعض الطوائف الجهادية ، وإن كان هناك ثمة عذر يشير إليه ، وإن لم يجد فيضعها في حجمها الطبيعي ، ويتوجه بالنصح للمجاهدين بعبارات مضمونها الود والشفقة والنصح والولاء.

إنه متى كان الحديث بهذه النفسية ، وبهذا الحذر فلا أظن الإعلام الماكر سيسمح لأحد من الدعاة فضلًا عن أن يدعوه ويبرزه للناس ليقول هذا الكلام في منابره.

كما أن المجاهدين لن تُجرح نفوسهم من هذا الداعية الذي هذا مقصده وهذا طرحه ، ولن يتهموه بأنه من المخَذّلين أو أنه من الذين يُعَرِّضون بالمجاهدين ويشمتون بهم.

ثانيًا:
التربية الأمنية في العمل الإسلامي

يرصد أعداء الإسلام لأجهزتهم الأمنية التي تكيد وتتآمر على الإسلام وعلى العالم الإسلامي النصيب الأوفى والأكبر في ميزانياتهم.

والإعداد الأمني ضرورة حتمية للعمل الإسلامي من جوانب كثيرة ، منها:

١ - فهو يعينها على معرفة ما يجري حولها ، وما يُخَطَّط لها ، وبذلك لا تكون في غفلة ، أو تفاجأ بالنازلة وهي في سبات عميق.

٢ - ويساعدها على اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة كل أمر والتصرف حيال كل خَطْب ، فلا تروعها المفاجأة ، وتأتي على بنيانها من الأساس.

٣ - ويحفظها من اختراق (الأفراد) لصفها الداخلي ، فلا يتسلل إليها جاسوس أو عميل.

٤ - ويحفظها من اختراق (الأفكار والسياسات) لنهجها ، فلا يتسرب إليها فكر غير فكرها ، أو سياسة غير سياستها ، ولا تحكمها إلا الخطط التي ارتضتها لنفسها ، سواء كان هذا الاختراق مخطّطٌ له من قبل أعدائها ، أو ناتج عن مراكز قوى لديها أو لدى أصدقائها.

٥ - ثم هو يعين على حفظ أمنها عمومًا ، وأمن أفرادها ومستنداتها وممتلكاتها... الخ.

أخطاء تعرض الكيان الدعوي للخطر:

ومن خلال استقراءٍ للواقع الحركي ، ولتاريخ العمل الإسلامي ، يتبين أن هنالك مجموعة من الأخطاء ، والتي تتكرر هنا وهناك معرضة الحركة الإسلامية للخطر. ومن هذه الأخطاء:

١ - التصرفات الفردية غير المنضبطة: كأن يقوم فرد ما من أفراد الكيان الدعوي أو مجموعة بتصرف فردي يتسبب في كارثة حركية ، وهنالك عشرات الأمثلة يمكن أن تُسَاق على هذه الظَاهرة من واقع العمل الإسلامي المعاصر ، والتي تسببت في أكثر الأحيان بتعريض الكيان الدعوي برمته إلى محن أخرت العمل الإسلامي عشرات السنين إلى الوراء ، وأوقعت فيه جراحات ثخينة على كل صعيد ، كل ذلك بدون ثمن ومن غير أن تتحقق للإسلام والحركة مصلحة ما.

* فهناك أفراد يرتبط تصرفهم بمشاعرهم وعواطفهم وليس بسياسة الحركة ومناهجها ، فهم متطرفون حيال كل قضية ، يفسرون الحكمة والتعقل على أنه جبن ، وينظرون إلى التخطيط والأخذ بالأسباب على أنه ضعف في الإيمان ، وهكذا... هؤلاء خطرهم على العمل الإسلامي والحركة كبير ، ولذلك كان لا بد من التحفظ حيالهم.

* وهنالك أفراد يرتبط تصرفهم - إلى حد كبير - بمصالحهم ، فهم مع الدعوة ما دامت مُوافقة لمصالحهم ، وقد ينقلبوا أعداء لها متآمرين عليها مكيدين لها ، إذا ما تصادمت مع هذه المصالح ، وفي كثير من الأحيان يلجأ هؤلاء إلى تلمس أسباب ومبررات شرعية يُخْفون بها حقيقة الأمر.

* وهنالك أيضًا أفراد يوضعون في موضع المسئولية قبل نضجهم واكتمال جوانب شخصيتهم ، وقبل أن يوضعوا على المحك والتجربة التي لا تضر بالحركة ، إن مثل هؤلاء يكون نموهم غير طبيعي ، ويكبرون في الدعوة دون أن تكبر الدعوة فيهم وعليهم.

إن هؤلاء مآلهم أحد أمرين:

أ - إما أن يعمدوا إلى تسخير الدعوة وفق أهوائهم وتبعًا لمصالحهم.

ب- وإما أن يتركوا الدعوة ويبيعوها بثمن بخس مشترين بذلك عرضًا من الحياة الدنيا زائلًا.

* ثم إن هناك أفرادًا يفكرون دائمًا بصوت مرتفع ، لا يحفظون سرًّا ، ولا يكتمون أمرًا ، ولا يفرقون بين ما يجوز طرحه هنا وما لا يجوز ، وبين ما يمكن أن يقال هنا ولا يقال هناك !

إن هؤلاء لا يمكن أن يوصف مدى أثرهم وخطرهم على العمل والدعوة ؛ لأن ذلك مرتبط (باللسان) الذي تكب حصائده الناس على مناخرهم في النار يوم القيامة. ولقد أمرنا رسول الله ص أن نمسك علينا ألسنتنا ؛ لأنها قد تكون سببًا في هلكتنا في دنيانا وآخرتنا.

٢ - الانشقاقات الداخلية:

والانشقاقات الداخلية يمكن اعتبارها من الأسباب المدمرة للحركات ، الماحقة لها ، إن لم تتمكن من تطويقها وتحسن الاستفادة منها.

فالانشقاقات باعث على تفتيت الصف وتشتيت الكلمة.

والانشقاقات باعث على إضعاف الحركة وإنهاكها.

والانشقاقات باعث على إغراء الخصوم باختراقها وضربها وتصفيتها.

والانشقاقات - فوق هذا كله - باب كبير يلج منه الشيطان إلى النفوس ، فيشوه إيمانها ، ويفسد أخلاقها ، ويعبث بكل قيمها.

٣ - الوقوع في أيدي الأعداء والبوح بأسرار الكيان الدعوي:

فهنالك نوعيات معينة من الأفراد تستهين بالإجراءات الأمنية ولا تكلف نفسها الأخذ بأسباب الحيطة والحذر ، وقد يقدر الله أن يسقط هؤلاء بيد جهة عدوة ، فإذا بهم ينهارون ويتلاشون ، وكأنه لم يكن بحسبانهم أن يتعرضوا لأية فتنة أو ابتلاء ، وسرعان ما يبوحون بكل شيء ، ويكشفون كل شيء! نسأل الله - الثبات والسلامة.

وإن مما يعرض العمل الإسلامي والدعوة لخطر شديد في حال وقوع الأفراد في أيدي أعداء الإسلام يتعلق بمدى ما لديهم من معلومات ، وكلما كثرت معلوماتهم

اشتد خطرهم ، ولهذا كان من مصلحة الدعوة أن يعطى الفرد بحسب الحاجة ؛ لأن فضول المعلومات سينقلب بلاء عليه وعلى دعوته.

اختراق العمل الإسلامي وأنواعه:

والعمل الإسلامي معرض - كتنظيم وحركة - لأنواع شتى من الاختراقات ، وهو مستهدف من خصومه - وما أكثر خصوم الإسلام - لعمليات الرصد والمراقبة ، مما يفرض عليه مزيدًا من الوعي والتنبه والحذر والحيطة.

واختراق العمل الإسلامي من قبل خصوم الإسلام قد يكون من طرق وجوانب متعددة ، منها:

١ - الاختراق بواسطة الأشخاص:

كأنْ يُكلف شخص أو أكثر بالانخراط في الكيان الدعوي والتسلل إلى المواقع المتقدمة فيه ، وهذا ما يفرض على الكيان الدعوي - وبخاصة في الظروف الصعبة - أن يعتمد قاعدة (التضعيف ثم التوثيق) في التعامل مع الناس وقبول عضويتهم ، فلا تكون الأبواب مشرعة لكل وافد كائنًا ما كانت ثقافته ومركزه الاجتماعي ، ولا بد من اختبار الفرد طويلًا ووضعه في دائرة الضوء قبل أن يتم التواثق والتعاون والتكليف.

٢ - الاختراق بواسطة الأفكار:

كأن يُكلف فرد أو مجموعة بحمل أفكار معينة وغريبة وطرحها مع أفراد الكيان الدعوي ، لحمل الكيان الدعوي - مع الزمن - على تبنيها تحت ضغط المعجبين بها ، أو بقصد إحداث البلبلة والتشتت بين أفراد الكيان الدعوي الواحد.

وقد يكون هذا الاختراق من أشدها أذى ، حيث يمكن أن يعرض المسار كله للانحراف عن الخط الأصيل.

ولهذا كان لا بد من مناعة في التربية الفكرية والحركية ، ولا بد من وضوح لفكر الدعوة وأهدافها وخصائصها ، ليسهل على أفراد الكيان الدعوي التمييز بين الغث

والسمين ، بين الصحيح والغلط ، بين الحق والباطل ، بين ما هو من الإسلام وما هو مرفوض منه.

٣- الاختراق أو الاحتواء بواسطة الدعم:

وقد يكون الاختراق أحيانًا مخبوءًا غير مكشوف ، وقد لا يتضح وينكشف بسهولة وبسرعة ، وهذا النوع من الاختراق أو الاحتواء قد يحدث في أكثر الأحيان عن طريق سيطرة (رأس المال أو النافذين ماليًّا) سواء كانوا أفرادًا في الكيان الدعوي أو أصدقاء له.

وهذا ما يفرض على الدعوة أن تراجع نفسها باستمرار وتراقب خطها وتصرفها وسلوكها لمعرفة ما إذا كان محكومًا بشرع الله ومصلحة الإسلام ، أم متأثرًا - ولو إلى حد - باعتبار من هذه الاعتبارات.

ثالثًا:
التربية الوقائية في العمل الإسلامي

يرى البعض أن كثيرًا من المشكلات التي تبرز على ساحة العمل الإسلامي وفي نطاق الدعوة يتسببها أسلوب ونمط من الممارسة خاطئ ؛ لأنه في كثير من الأحيان يكون ردة فعل لفعل الآخرين ، ولكونه لا يهتم بالوقاية من المشكلة لتلافيها وإنما يتصدى لمعالجتها بعد بروزها وتناميها.

ويرون أن هذه الظـاهرة تتكرر على ساحة العمل الإسلامي وتتكرر معها المأساة ، مأساة الوقوع فيما وقع فيه مَن سبق دونما استفادة من التجربة ، مأساة الاستدراج لمخططات الغير ومواقف ومعارك الغير ، مأساة السقوط في أسْر المشكلات التي يتسببها الغير. وبذلك يبقى العمل الإسلامي مرتهنًا لفعل الآخرين ومخططاتهم وخططهم دون أن يأخذ المبادرة ليكون هو صاحب الفعل لا سواه.

هذا في الجانب الحركي مما يجرى على الساحة الإسلامية أما الجانب التربوي فإنهم يرون أنه ليس أحسن حظًا منه ، فالعملية التربوية – في رأيهم - لا تزال قاصرة ودون القدرة على تكوين الجيل الإسلامي المنشود.

والسبب الرئيسي في نظرهم إنما يعود إلى أن النظرية التربوية تعتمد نمط العلاج لا الوقاية.

ما معنى الوقاية والعلاج؟

الشائع والمعروف في عالم الطب أن المرض يسبق العلاج وأن الوقاية تسبق المرض ولهذا قالوا: « درهم وقاية خير من قنطار علاج ».

والطب الوقائي في الإسلام يقوم على قواعد أساسية من التحصن من شأنها أن تكسب الجسم مناعة ذاتية تقيه غوائل العدوى والأمراض الوافدة وميكروباتها وفيروساتها المختلفة.والفرق كبير بين أن نترك الإنسان ليصاب بالمرض ثم نسعى

لمعالجته وبين أن نقية من المرض أصلًا.

إن معالجة مريض (السل) التي تستمر وسطيًا حوالي سنة ونصف تكلف المريض والدولة أموالًا وإمكانات كبيرة إضافة لما يعانيه المريض من العذاب والخطر بينما لا تتطلب وقايته من التدرن سوى لقاح يكلف بضعة قروش.

ولقد أدرك الحكماء القدامى هذا الفرق وكذلك الأمم الحديثة فأولوا الجوانب الوقائية الاهتمام الأول في كل التدابير الصحية.

وقائية الإسلام عامة:

وإذا كان الإسلام وقائيًا في مجال (الطب الجسدي) فإنه كذلك في كل المجالات الأخرى. فهو وقائي في مجال العقيدة ؛ فاطمئنان القلوب ثمرة من ثمرات معرفة الله تعالى وذكره ، والقلوب المتصلة بالله لأ الذاكرة له لا تعرف القلق الذي تعيشه المجتمعات غير الإسلامية والذي أورثها الأمراض العصبية المختلفة ودفع بها في طريق الجريمة والانتحار إلى الدرك الأسفل.

وهو وقائي في مجال العبادة ؛ إذ أن الاستقامة والبعد عن الفحشاء والمنكر ثمرة من ثمرات الصلاة والصوم وغيرها. فالعبادة وإن كان مقصدها التوجه إلى المعبود بالطاعة التزامًا لأمره وطلبًا لمرضاته ، فإن لها مقاصد أخرى تابعة تدخل في صلب عملية التكوين الوقائي للفرد والجماعة ، فعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِى الْجَعْدِ قَالَ: « قَالَ رَجُلٌ: « لَيْتَنِى صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ » ، فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ص يَقُولُ: « **يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا** ». (رواه أبو داود ، وصحَّحَه الألباني).

والإسلام وقائي في مجال التشريع ؛ إذ أن الأحكام الشرعية من شأنها تنظيف المجتمع من الموبقات ، والعقوبات الإسلامية زاجرة رادعة لمن تسول لهم نفوسهم ارتكاب المنكرات ومن شأنها أن تحفظ المجتمع سليمًا معافَى.

النهج العلاجي مرض مزمن:

إن اعتماد النهج العلاجي في عالم الأبدان كما في عالم الأرواح ، وفي نطاق الفرد كما في نطاق الجماعة ، وفي إطار السلوك الفردي كما في إطار العمل الدعوى والحركي ، من شانه أن يتسبب في فقدان المناعة الذاتية والمكتسبة وتعَوُّد الإدمان العلاجي ، وفي هذا خطر كبير وشر مستطير.

والبنية الحركية كالبنية البشرية تحتاج لكي تواجه الظروف الصعبة إلى مقومات ذاتية تمكنها من تجاوزها وتخطيها بسلام وأمان. وكل بنية حركية تدخل معترك الصراع أو تتدرج إليه قبل الأوان وقبل أن تمتلك مقومات الصمود تكون قد حكمت على نفسها بالإعدام. وشأنها في ذلك شأن الجاهل الذي يرمى نفسه إلى لجة البحر قبل أن يتعلم السباحة لأنه يكون قد حكم على نفسه بالغرق.

ومن هنا سر اندثار كثير من الحركات التي قامت ثم بادت لأنها استعجلت الشدائد قبل أن تتهيأ لها واعتمدت مواقف وسياسات غير قادرة عليها ورفعت شعارات وهي خاوية الوفاض من مضمونها فدخلت النفق المظلم حيث تتكاثر وتزدحم المشكلات ولا من مناعات كافية أو علاجات شافية.

إن الحركة - أية حركة - عندما تتخطى حجمها ولا تلتزم حدها وتعلن من الطروحات ما يفوق طاقتها وقدرتها تكون قد فقدت المناعة وسقطت في دوامة الاستنزاف ووقعت بين فكي المرض والعلاج إلى ما شاء الله.

أما النهج الذي يعتمد على تفعيل القدرات الذاتية وإيجاد المناعات الخاصة واكتساب الطاقات الوقائية ابتداء وقبل دخول معترك الصراع وحقول التجارب فإن من شأنه أن يحفظ البنية سليمة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة كما من شأنه أن يوفر الطاقات من أن تهدر بلا طائل ويعمل على خفض نسبة الخلل إلى الحدود الدنيا.

إن مثل ذلك كمثل جيش كامل التجهيز كامل التعبئة والتدريب قيادته على قدر كبير من الوعي وبعد النظر وتقدير الأمور ، تعرف قدرات العدو وحِيَله العسكرية ، تعرف سلاحه وتكتيكاته ، المعتمدة متأهبة لجبه كل المفاجئات آخذة بكل الاحتياطات.

إن هذا الجيش بما أخذه من أسباب وقائية ودفاعية أقْدر في المقياس المادي على النجاح وتحقيق النصر من آخر عادى التجهيز أو ضعيفه وعديم الوقاية والحيطة.

فالحيطة هي السلامة أو هي الواسطة لتحقيق السلامة. إنها الاحتياط ضد الطوارئ والمفاجئات من أي نوع كانت ومن جميع الاتجاهات وإنه واجب كل مسئول (وجماعة) أن لا يُؤخَذ أبدًا على غرة.

والحيطة التي هي لغة الاحتياط للطوارئ من كل نوع ومصدر ، والتي هي عمليًا عبارة عن مجموع وحاصل لعدد من التدابير والإجراءات الاحترازية والتحضيرية وكذلك نتاج (لتكوين) الفرد والجماعة وهي كمبدأ إستراتيجي وتكتيكي في مقدمة المبادئ (العملية) الأساسية من حيث الأهمية والأسبقية.

تستدعى الحيطة قبل كل شئ معرفةً بالخطر وتقديره حق قدره وتحديدًا لنوعه ومصادره واتجاهاته وتحضيرًا للوسائل العلمية والمادية من أجل تجنبه ومقابلته.

إنه لا مباغتة أبدًا حيث تكون الحيطة جيدة وشاملة ومستمرة دون انقطاع ، ولما كانت المباغتة نصف الطريق إلى النصر فالحيطة التي تحول دون وقوع المباغتة هي أيضًا نصف الطريق إلى النصر.

وفي نطاق العمل الإسلامي وحياة الدعوة والداعية الوضع متشابه فالحركة التي تأخذ بكل أسباب الإعداد العقائدي والفكري والتربوي والحسي وتكون مناهج التربية عندها وقائية ، وتصوغ قراراتها ومواقفها في ضوء المنطق الذي يفرضه الشرع وفق الأولويات والقدرات والظروف المتاحة ، ووفق ما تريد هي ، لا وفق ما يريده العدو ، وفي الزمان والمكان والكيفية التي تناسبها هي ، لا وفق ما يفرض عليها

لاستدراجها وإجهاضها. هذه الحركة تكون مالكة لزمام نفسها وقواها وخطواتها ونهجها بعون الله لأ غير منساقة أو مستدرَجة أو محتواة أو مخترَقة وتكون بعيدة عن دوامة الاستنزاف واحتياجات العناية الطبية اليومية الفائقة.

ولنسمع إلى اللفتات القرآنية في صميم هذا المعنى حيث 7 8 (f g) (o n m l k j i h (النساء: ٧١). و 7 8 (= > ? @ A B C D E F G H (النساء: ١٠٢).

الوقاية التربوية أو التربية الوقائية:

التربية عمومًا عملية بناء الفرد والمجتمع وفق صيغة قائمة على مفاهيم عقائدية وأخلاقية محددة ، فإذا كانت التربية إسلامية كان ارتكاز هذه الصيغة على مفاهيم الإسلام العقائدية والفكرية والسلوكية.

والعملية التربوية في الإسلام تستهدف بناء الشخصية وبناء الفرد والمجتمع وفق هذه المفاهيم تماما ومن غير مداخلات أخرى ؛ فإذا تحقق ذلك كان بناء الشخصية الإسلامية بناء متكاملًا ومتوازنًا ووقائيًا ، الشخصية التي تمتلك مناعة ذاتية تحفظها من السقوط في المتاهات والانحرافات والوقوع في فخ الأهواء والنزوات.

إن ملاحظة أن تكون العملية التربوية وقائية من شأنها خفض نسبة المشكلات والآفات في حياة الفرد والجماعة إلى الحدود الدنيا ، وبالتالي خفض نسبة الطاقات والأوقات التي تُهدر وعلى كل المستويات إلى الحدود الدنيا كذلك.

إن الساحة الإسلامية عمومًا لا تزال تعانى من إخفاق مناهج التربية ومن بروز وتنامي ظواهر مرضية كثيرة والاعتبارات في هذا الشأن كثيرة منها:

١ - إن العملية التربوية تتم وسط بيئة منحرفة لا تساعد على إنجاح العملية وإنما تتسبب بإجهاضها وإفشالها.

٢- إن هذه البيئة بما تمتلكه من إمكانات التأثير المختلفة التعليمية والإعلامية وغيرها تجاوز أثرها الشريحة المراد تربيتها إلى النهج التربوي نفسه وإلى آلية التربية نفسها.

٣- إن عملية التربية لا تزال تراكمية الأسلوب لا تقوم على نظرية متكاملة الحلقات والمفردات متناسقة الأدوار والخطوات فهي تقليدية المنحى شأنها شأن البرامج التعليمية (المدرسية أو الجامعية) مما يفقدها القدرة على تحويل هذه المفاهيم إلى واقع مُعَاش وإلى ممارسات سليمة وإلى مواقف ومبادرات ذاتية صحيحة في شتى المجالات.

إن بروز كثير من الآفات المرضية في بنيتنا التربوية والحركية ومن خلال الممارسات والتجارب المختلفة كسقوط الأعضاء وخسارتهم والنزعات الفردية القاتلة والظواهر العنيفة والتطرفية المدمرة والنزعات النفعية والمصلحية المؤذية والمشاريع غير المدروسة والانشقاقات في البني التحتية والفوقية والعصبيات المحلية والإقليمية وعدم تفعيل الدور المؤسسي وضعف التأثير في المحيط والفشل في بناء البيت المسلم وتراجعية القدوة الحسنة يؤكد وجود خلل ما في النهج التربوي.

إن عملية التربية حتى تكون فاعلة وجذرية ووقائية يجب أن تعتمد أسلوب (التخلية ثم التحلية والترقية) أي قاعدة (التضعيف ثم التوثيق) وبعبارة أوضح قاعدة تدمير القديم وبناء الجديد أي إزالة رواسب الماضي وإعادة بناء الشخصية وفق الأسس والأوليات الشرعية.

إن العملية التربوية يجب أن تبدأ بعد كشف الحالة التي عليها الفرد لمعرفة: أفكاره وكيف يفكر ، تصرفاته وكيف يتصرف ، علاقاته ومن يعاشر ، مشاكله ومسبباتها ، ميوله وغرائزه ومدى تحكمه فيها ، نقاط القوة والضعف عنده ، مكامن الخير والشر فيه بعد ذلك يمكن تحديد المنهج موضوعًا وكيفية. وكل عملية تربوية تتم خلاف ذلك لا تحقق إلا تراكمات جديدة في شخصية الفرد قد تصيب حينًا ولكنها تكون فاشلة في غالب الأحيان لأن الجديد بنى على اعوجاج القديم.

إن على الحركة الإسلامية أن تعيد النظر وبشكل جذري في العملية التربوية يجب أن تتحسس الواقع بما فيه من أمراض وعلل أن تدرس التجارب التربوية ومدى نجاحاتها وأن تستيقن من مدى جدارة المناهج المعتمدة لترى في النهاية إن كانت هذه المناهج تتكافأ مع عملية تغير الواقع أفرادًا وحركة والارتقاء به إلى المرتجى.

وها هنا مثال واحد من الظواهر المرضية في الواقع الحركي الإسلامي المعاش وهو ما يحدث أحيانًا مع بعض الأفراد في بعض الأماكن من مرض الانفصام بين السياسة والتربية ، والخلاف بين العاملين في الحقل السياسي وبين العاملين في الحقل التربوي ، ولعل السبب الرئيس لذلك هو أن العاملين في الحقل السياسي انقطعوا عن المجالات والاهتمامات الشرعية والتربوية فكرًا وممارسةً ، وأن العاملين في الحقل التربوي انقطعوا عن المجالات والاهتمامات السياسة والاجتماعية فكرًا وممارسة كذلك.

وقد يكون المفهوم السياسي والنظرية السياسية غير مبنية على أدلة شرعية والمفاهيم الشرعية والمناهج التربوية غير مرتبطة بالواقع السياسي أو ملاحِظة له.

إن النظرية التربوية يجب أن تستهدف ومن خلال أي منهج يوضح ومفردات تعتمد وتصنف تكوين الجيل الإسلامي المنشود. ومن مواصفاته:

- أن يكون متفقهًا في شرع الله لأ ملتزمًا به.
- أن يكون فاعلًا في مجتمعه وبيئته بأفكاره وسلوكه ومواقفه وطروحاته.
- أن يعيش هَمَّ الإسلام والحالة الإسلامية في كل شؤونه.
- أن يكون واعيًا لزمانه وعصره مدركًا لما يجرى حوله. فهو إن كان مكلفًا بحيازة ما يجب أن يعرف من الدين بالضرورة فإنه مكلف كذلك بحيازة ما يجب أن يعرف من (العصر) بكل أحواله السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية وغيرها بالضرورة كذلك.

إن نجاح العملية التربوية ليس فقط في اختزان المعلومات والثقافات والعلوم المختلفة وملء الأدمغة بالمعارف ، بل في تفعيل هذه جميعًا لتؤدى كل معرفة دورها الصحيح في عملية التربية والتكوين الوقائيين.

إن نجاح هذه العملية يرتبط كذلك بمدى قدرة المربى على تحديد نقطة البدء في التكوين ؛ لأن البداية الصحيحة تحقق النهاية الصحيحة وفي كثير من الأحيان يكون منشأ الفشل في مجال التربية ناجمًا عن كون المربى لم يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ.

إن مثل ذلك بناء (العمارات والدور) فإن أقيم البناء من غير سَبْرٍ لأغوار الأرض ومعرفةٍ بطبيعتها وتربتها وخصائصها وما يلزمها من عمق الأساس ومئونة الحديد والأسمنت وخلافه كان بناء ضعيفًا معرضًا للانهيار والسقوط لدى أدنى اهتزاز.

فالعملية التربوية يجب أن تبدأ إذن بعد كشف الحالة التي عليها الفرد ويجب أن تكون وفق نظرية تربوية متناسقة المفردات والعلوم والمعارف والثقافات وبواسطة مُرَبٍّ يملك إمكانيات التربية ويملك قوة النظر والفراسة في الناس فيتناولهم من حيث يستجيبون ويتأثرون ويخاطبهم من حيث يسمعون ويفهمون.

وفي معظم الأحيان يعود الفشل في الحقل التربوي إلى الأمور التالية:

- إن المربى لم يستكشف شخصية الفرد ومفردات تكوينه السابقة ليبنى على أساسها.
- إن المربى لا يملك المقومات التي تساعد على التربية.
- إن المادة التربوية لم يحسن اختيارها فيتعطل بالتالي مفعولها.
- إن بناء الجديد كان في الفراغ أو على أساس غير سليم أو فوق تراكمات لم يجر رفعها وإزالتها.

شواهد من الواقع:

ذكر الأستاذ فتحي يكن / ، وهو من رموز جماعة الإخوان المسلمين - شواهد يمكن أن تساق على فشل النهج التربوي والعملية التربوية منها:

١- أن شابًا (ناصريًا) كان مهووسًا بالرياضة التحق بأحد نوادينا الرياضية وكان ذلك مدخلًا لاجتذابه إلى إحدى الحلقات الدراسية ، هذا الشاب بقى في الحلقة الدراسية قرابة عامين حفظ خلالها بعض قصار السور والأربعين حديثًا النووية ، وتعلم بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالطهارة والنجاسة ونواقض الوضوء وموجبات الغسل وفرائض الصلاة وسننها.

والحقيقة أن هذه المفردات على قيمتها الذاتية لم تكُن هي المادة التي يحتاجها ابتداءً. لم تكن المدخل الصحيح لعملية التغيير في أفكاره وتصوراته ومعتقداته ؛ ولذلك بقى ناصري العقيدة ناصري التفكير ناصري السياسة والتوجه وإن بقى مقيم الصلاة محافظًا على الشعائر الدينية.

وفي ظرف من ظروف المفاصلة الجذرية بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه الناصري كان هذا الشاب في أقصى موقع من مواقع الناصرية تطرفًا وإسفافًا.

من النماذج التي يمكن أن تساق على النهج النبوي في المتابعة التربوية من المربى أن رجلًا قال لرسول الله ص: « **مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ** » ، فأنكر ذلك رسول الله ص وابتدره على الفور بما يصحح عقيدته وينقيها فقال: « **جَعَلْتَ لِله نِدًّا ، مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ** » [(رواه أحمد والبخاري في (الأدب المفرد) وغيرهما ، وأورده الألباني في (السلسلة الصحيحة رقم ١٣٨)]

٢- شخص آخر تبوأ على الساحة الإسلامية مناصب قيادية مرموقة مع أنه كان معروفًا بحب الزعامة والدوران في الذات منذ حداثته. المنهج التربوي التراكمي لم يستهدف استئصال العلة وإنما غلّفَها. والتخطيط الحركي بدل أن يعمل على تحجيم

التطلعات الشخصية لديه عمل على بعثها وتناميها.

فرُشح إلى منصب زعامي كان بالنسبة للحركة غلطة العمر وبالنسبة إليه قاصمة الظهـر كل ذلك بالرغم من التحذير النبوي الوقائي والذي أشار إليه رسول الله ص ، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ت قَالَ: « دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ص أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: « يَا رَسُولَ الله ، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ: « **إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ** » (رواه البخاري ومسلم).

٣- وشخص آخر تعهدته الدعوة صبيًا يافعًا حتى بلغ من خلالها وبتشجيع منها مراتب اجتماعية وعلمية عالية ، كان مصابًا بداء العظمة والغرور منذ الصغر ومعروفًا بنزعة فردية قاتلة لم تعمد مناهج التربية إلى معالجتها واستئصالها ولم تتعد العناية به جانب التكوين العلمي والثقافي والخطبي.

ولذلك كبر في الدعوة وكبر داؤه وعندما استفحل أمره وزاد خطره تحرك المعنيون للعلاج ، ولكن بعد فوات الأوان وبعد أن بلغ مرحلة اللاعودة ، هذا الإنسان لم يتورع عن أن يمتد لسانه على مَن علّمه الكلام بالنقد والتجريح.

وهكذا تتكاثر الظواهر الفاجعة على مسرح الدعوة من جراء فشل العملية التربوية وعدم ملامسة المنهج التربوي ومفرداته مكامن العلة وجذور الداء والذي لا يمكن تحديده من غير اعتماد لصيغة التصفية (التخلية) ثم التحلية والترقية ومن غير استئصال للأدران السرطانية المتشبثة بعقلية الفرد ونفسيته.

إن عملية (التصفية أو التخلية) التي تسبق مرحلة التربية والترقية تتفاوت موضوعًا ونهجًا بين شخص وآخر وذلك بحسب ما لدى كل فرد من سابق تصورات وأفكار وعادات وطباع ومشكلات ، وبحسب ما عنده من استعدادات للتلقي والانفعال ، وفي هذه الحالة والمرحلة لا يمكن أن تكون وحدة التوجيه والعطاء ناجحة.

أما إذا استوى الجميع بعد عملية التصفية وتَمَّ اجتثاث رواسب الماضي ومخلفاتها من حياتهم فيمكن أن تتم مرحلة التربية والترقية وفق منهج واحد وبنجاح ؛ شرطَ أن تنتظم مفردات المنهج نظرية تربوية كاملة وقدرة على التربية فاعلة.

إن المنهج التربوي يجب أن يستهدف بناء العقلية الإسلامية والنفسية والإسلامية اللتين تتكون منهما الشخصية الإسلامية وأن تحقق مفردات المنهج خدمة هذا الهدف بشكل أساسي.

فالدراسات القرآنية: يجب أن تؤدى دورًا أساسيًا في خلق الشخصية القرآنية يأخذ منها المسلم الفكر لعقله والنور لقلبه والقوة لإرادته والوقاية لنفسه من وساوس الشيطان وإلقاءات الهوى ، يعيش القرآن في أحواله كلها وكأنه المَعْنِيُّ بالخطاب والتكليف والترغيب والترهيب.

الدراسات القرآنية يجب أن تتعدى في مؤداها وأثرها حدود الحفظ والتلاوة على أهميتها وقيمتها إلى تحقيق عملية صياغة الشخصية القرآنية.

والتكاليف العبادية: يجب أن تؤدى نفس الغرض وتصب في ذات الاتجاه اتجاه تكوين وصياغة الشخصية الإسلامية وفق ما شرع الله لأ فلا تكون العبادة طقوسًا جامدة وحركات راكدة ميتة لا روح فيها ، وإنما تكون مدخلًا لتجديد الإيمان وتقويته وتزكية النفس وترقيتها وتهذيب الجوارح وضبط النزوات وحب الخيرات والمكرمات.

والدراسات الفقهية: يجب أن يكون الباعث من ورائها التفقه في الدين لكي تحقق معاني العبودية الحقة لله لأ وامتثال أمره والاحتكام إلى شرعته والتزام شريعته على علم ودراية وهدى ونور وبذلك تتحقق معايشة الإسلام في كافة شؤون الحياة الخاصة والعامة السياسية والاجتماعية الأخلاقية والمعيشية والاقتصادية وفق أحكام الشرع وبعيدًا عن متاهات الهواء والمصالح وفي هذا قوة وتكامل المفعول الوقائي في شخصية المسلم.

من هنا كان اختلاف دراسة الفقه بين بيئتي: المعهد والدعوة بين الجامعة والجماعة مادة وأسلوبًا وغاية.

والفارق هنا إنما يتمثل في كيفية تفعيل الدور الفقهي والتربية الفقهية في بناء الشخصية الإسلامية فالغاية يجب أن تتجاوز تحقيق القدرة على الفتوى والاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية وقوة النظر في الدليل الشرعي إلى استقامة الأعمال وصلاحها واستنهاض النفوس من غفلتها والوقوف بها عند حدود الله -.

ودراسة السيرة النبوية: يجب أن تكون للتأسي والاقتداء وليس للمعرفة والعلم المجردَيْن ، ونحن حين نفعل ذلك فإنما نذعن لتكليف رباني وأمر إلهي إذ هو القائل -: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١) ، و G F E D C B A @ ? > 8 7 t s r q p) 8 7 و(L K J I H)(آل عمران: ٣١). u v w I y z | { ~ ٱلْعِقَابِ) (الحشر: ٧).

وحُسْنُ الاقتداء سببٌ من أسباب حُسْنِ الاهتداء مما يعين على اتقاء مواطن الشر واجتناب مواقع الضر والتزام سبل الخير. وقد قيل: « قُل لي من تعاشر أقُلْ لك مَن أنت ». فكيف إذا تحققت صحبة خير الأنام وسيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد بن عبد الله ص. إنه الخير كله والأمان كله والهداية كلها والوقاية جميعها.

يجب أن نعيش مع رسول الله ص سيرته وسنته: في عبادته ومعاملته ، في سكوته وكلامه ، في شرابه وطعامه ، في نومه وقيامه ، في حُكمه وقضائه لنحاول قدر الاستطاعة أن نفعل كما فعل ولو بنسبة أقل وقدر أدنى ؛ لأنه المعصوم ص ولسنا كذلك ، ولكونه ص نبي ونحن أتباعه ، ولكونه لا ينطق عن الهوى وما كثر الهوى فيما ننطق !

وحتى نعيش مع رسول الله ص ونتابع خطاه ونتحرى سنته لا بد وأن نحبه كما أحب أصحاب محمد محمدًا وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا من كل شئ وإلا كنا معنيين بقوله 8 (K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f h i j k l) (التوبة: ٢٤).

وإن من يتمعن في النهج التربوي القرآني ، ويجرى مسحًا للآيات التربوية يجد أن التركيز إنما ينصب على البناء الوقائي للفرد وللمجتمع ، وعلى تقوية المناعة المكتسبة لدى الناس ، تداركًا للأمور والمشكلات ، وتحوطًا منها ، واتقاء لشرها قبل وقوعها.

إن النهج القرآني يعمد إلى تجنيب الفرد والمجتمع كل الأسباب والعوامل المرضية والمؤدية إلى المرض ، سواء كانت عقيدية أو نفسية أو فكرية أو جسدية أو خلقية حتى يكون الأصل في حياة الناس العافية وليس المرض ، وحتى لا يتحول المجتمع كله بفعل الأمراض والمشكلات المختلفة إلى (مصح أو مستشفى) كما هو الحال اليوم.

كل المجتمعات البشرية اليوم مجتمعات موبوءة عليلة لأنها فقدت مقومات الوقاية فاستشرت فيها الأمراض والعلل بلا حدود ، فالعافية في هذه المجتمعات استثنائية ، وأهل العافية قلة ، وهذا بعكس ما عليه المجتمع الإسلامي ، حيث العافية هي الأصل والمرض هو الشذوذ.

إن جولة سريعة في الرياض العطرة من كتاب الله تعالى تؤكد لنا وقائية النهج القرآني ، من خلال عدد من محطات الإنذار المبكر ، التي من شأنها شد الانتباه ، والأخذ بكل أسباب الحيطة والحذر لضمان عدم الإصابة بالمرض والوقوع في العلة ، ومن ذلك الوقاية من الشرك ، وقاية الأنفس والأهل من النار ، والوقاية من الشح والبخل ، والوقاية من العدو ، والوقاية من الربا والخمر والميسر وقول الزور ، والوقاية من الظن ،

والوقاية من الآفات الجنسية بسبب الفواحش أو إتيان المرأة في المحيض ، والوقاية من الخلاف والتفرق.

والنهج النبوي كالنهج القرآني ساء بسواء لأنه ترجمة وتفصيل له فهو من جانب يؤكد النمط الوقائي ومن آخر فصل في التدابير الوقائية ويوسع مساحتها وحجمها.

والمتتبع لخطوات النبوة عبر السيرة والسنة يجدها ذاخرة بالتدابير والتوجيهات والوصايا الوقائية على كل صعيد مما يؤكد أن عملية التربية في الإسلام تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها ، وتقي الأفراد والمجتمع منها قبل وقوعها. وبذلك تبقى البيئة الإسلامية معافاة من الأمراض والعلل والمشكلات والآفات التي تفتك بسائر البيئات الأخرى.

ومن النصوص النبوية في مجالات التربية الوقائية تجد نصوصًا وقائية في اجتناب الموبقات ، والدخول على النساء ، وفتنة الدنيا وفتنة النساء ، والتفرق والخلاف ، والظن والحسد ، والغيبة والنميمة والكذب.

نماذج من الآفات الحركية وعلاجها الوقائي في الإسلام:

أولًا: الانهيار الكامل للحركة:

ومن نماذج الآفات الحركية أن بعض الحركات تتعدى إصابتها حدود الانقسامات والانشقاقات فتصاب بالانهيار الكامل وقد تندثر وتصبح أثرًا بعد عين.

ثانيًا: الانشقاقات الداخلية في الحركات:

تعتبر الانشقاقات الداخلية من أخطر الآفات التي تصيب الساحة بهدم الحركة واستنزافها وإجهاضها من الداخل ، قد لا تقوى معاول الأعداء مجتمعة أن تنال من الحركة ما بقيت محصنة من داخلها وقد تجهز عليها فتنة داخلية فتجعلها هباء منثورًا.

أسباب هذه الظاهرة:

وإذا قمنا بدراسة موضوعية دقيقة لاستكشاف الأسباب التي تقف خلف هذه الظاهرة لخرجنا بجملة أمور منها:

١ - ضعف المستوى التربوي:

فهنالك خلل ما يجب أن يدفع لاستكشافه ومعالجته فقد يكون من المنهج التربوي ، وقد يكون من المربّي وقد يكون من الاثنين معًا ، ونجاح التربية مرتهن بسلامة المنهج وصلاحية المربى معًا.

وقد يتأتى ضعف المستوى التربوي من قصور في التخطيط أو خلل في خطط العمل بحيث يتضخم جانب من جوانب العمل على الجوانب الأخرى ، وقد يكون بسبب استنزاف الحركة في معارك جانبية لا طائل تحتها ولا فائدة منها أو قد تستهلك كثيرًا من طاقاتها في مشاريع لا تقع في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والأولوية.

إن ضعف المستوى التربوي هو الخرق الذي يمكن أن تدلف منه كل العلل والأوبئة والمشكلات إلى جسم الحركة وهو الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام الفتن.

فهو المناخ المناسب للآفات المساعدة على حصول الهزات والانقسامات في حياة الأفراد والجماعات والحركات ، كالغيبة والنميمة وتتبع العورات والنقد الهدام والتشكيك والإرجاف وعدم التماس الأعذار وعدم التبين والتعصب للرأي والمكابرة والعناد ، وطرح الخلافات فيغير مواطن طرحها وإنشاء المحاور وتحريكها وتحويل الخلافات المبدئية إلى خلافات شخصية إلى ما هنالك من آفات وعلل لا تُبْقى ولا تذر.

إن ضعف التربية يعنى تدنى مستوى التقوى والورع ، يعنى ضعف قوامة الشريعة على السلوك والأعمال والأقوال والتصرفات عمومًا ، وهذا يؤدى بالنتيجة إلى السقوط في حبائل الشيطان وشراك الهوى ومضلات النفس الأمارة بالسوء مما فيه هلكة الفرد والجماعة.

إن ضعف التقوى والورع مدخل إلى الترخص واستصغار الذنوب والتساهل مع النفس مما يؤدى في النتيجة إلى ارتكاب الموبقات والكبائر تحت شعارات ومبررات وعناوين عريضة كلها في الحقيقة من تلبيس إبليس.

٢ - احتراف النقد والغيبة والنميمة:

ومن عوامل الفتن التي تشق الصفوف وتنقض الغزل وتأتى على البنيان احتراف النقد وامتهان الغيبة والنميمة وتتبع العورات وتطاول الألسن وشيوع ذلك وانتشاره واستساغته وعدم استرذاله بحجة تصحيح الأوضاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا الداء العضال ابتليت به الحركات الإسلامية على امتداد الساحة محليًا وإقليميًا ودوليًا وكان من نتيجته في كل حين: إحباط النفوس وتصدع الصفوف وفقدان الثقة وانكشاف الضعف أمام العدو.

٣- اهتزاز الثقة بالقيادة:

ومن العوامل المساعدة على تصاعد الحركات وحدوث الانشقاقات اهتزاز الثقـة بالقيادة بما يجرح جدارتها وأهليتها أو ينال من استقامتها ومصداقيتها لدى القاعدة. وقد لا يترتب على هذا الأمر شئ خطير وشر مستطير لو أن هذه القيادة أَخْلَتْ موقعها لغيرها وانسحبت من تلقاء نفسها إذن لسلم البنيان من الأذى والتصدع.

غير أنه في بعض الحيان يحدث العكس فيتشبث القائد بمنصبة ويستغل موقعة أبشع استغلال ؛ فيقيم المحاور ويحرك الصراعات ويديرها ويحول مجاري الخلافات لينجو هو ولو هلكت الجماعة بكاملها !نعوذ بالله - من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وفي حالة أخرى قد تكون القيادة فيها مظلومة والخروج عليها محض افتئات وافتراء وتعسف ومع كل ذلك فإنه يحسن بالقيادة أن تحيل القضية إلى جهة ثالثة لفصل الخطاب ، فتكون بذلك في مأمن من اللوم والعتاب ، وأبعد عن الشبهة والحساب.

إن القيادة كي تبقى بالمعنى الصحيح لا بد وأن تكون في منأى عن الشبهات وبخاصة ما يتصل منها بالشؤون المالية وعليها أن تتصف بالزهد والبعد عن كل ما يشتم منه رائحة النفعية.

٤ - نشوء مراكز قوى مختلفة:

ومما يتسبب بالشقاق والانشقاق قيام مراكز قوى متعددة في الحركة إضافة إلى ضعف في القيادة يحول بينها وبين ضبط النزاعات وتحقيق التوازنات ولجم النوازع والتطلعات وحسم الخلافات والصراعات.

وأسباب نشوء مراكز القوى متعددة وكثيرة فقد يطغى الجانب السياسي ويتعاظم شأن القائمين به أشخاصًا وممارسات ، ومن الأسباب وجود عوامل الكبر والغرور في النفوس أو حب العظمة وتسلق جدران الزعامة بأي ثمن فإذا توافق ذلك مع ظرف من الظروف قويت هذه العوامل ونمت وبلغت مرحلة اللاعودة حيث يصاب أصحابها بداء العتو والشموخ الذي أصيب به إبليس حين ((* + , - . / 0 1 2)(الأعراف: ١٢).

إن حدود اعتراض الأفراد على سياسة ما أو موقف ما يجب أن ينحصر في المجالات التالية:

أ- أن تكتنف مسألة ما بشبهة مما يعرضها للمفسدة ، فإن على الأفراد في هذه الحالة واجب التبين والتنبيه ليس إلا.

ب- أن يختلف على تقدير تحقق أو عدم تحقق مصلحة ما ، فهذا وإن كان من حق القيادة فليس من ضير على الأفراد من التنبيه ولفت النظر.

ج- أما حق الأفراد في معصية القيادة وعدم طاعتها فينحصر في حال معصيتها القطعية ، والثابتة لله لأ وعدم وجود أي مبرر شرعي لمواقفها وممارساتها وقيام الحجة عليها في ذلك.

٥ - فشل الحركة أو هزيمتها:

ومما يتسبب بالخلاف والشقاق ، ويفضي إلى الانشقاق فشل الحركة في قضية ذات أهمية ، أو انهزامها في معركة ، وبخاصة إذا تمحور السبب بالقيادة ، وكانت أصابع الاتهام مشيرة إليها وحدها ، فهنا تتحرك في النفوس أهواءها ويبتعث ما دفن من سقطات وأخطاء ، وكأنها فرصة العمر وسانحة الدهر يجب اهتبالها ! فتُنْسَى في تلك اللحظة المعاني الشرعية كلها... فلا موضوعية ، ولا تثبت ، وإنما هوى متحكم ونفوس مشرئبة ، وفتنة هائجة يرتع فيها إبليس على هواه والعياذ بالله - !

رابعًا: التربية الذاتية

إن أول مسئوليات الإنسان هي مسئوليته عن نفسه ، ، فكل إنسان وُلد فردًا ، وكُلف فردًا ، وسيُقبر فردًا ، ثم يبعث فردًا ، وسيقف بين يدي الله لأ فردًا ليس بينه وبين الله ترجمان ، وسيُسأل كل فرد: ماذا عمل ، وماذا قدم؟ 7 8 (إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا) (مريم: ٩٣ - ٩٥) ، ومن ثم فحري به أن يعنى بتربيتها وإصلاحها.

والتربية الذاتية هي ذلك الجهد الذي يبذله الشاب من خلال أعماله الفردية ، أو من خلال تفاعله مع برامج عامة وجماعية لتربية نفسه ؛ فهي تتمثل في شقين:

الأول: جهد فردي بحت يبذله الشاب لنفسه.

الثاني: جهد فردي يبذله من خلال تفاعله مع برامج عامة.

التربية الذاتية (الفردية) ليست هينة ولا هي سهلة ، فهي تحتاج إلى الصبر على شوائب الطريق وفقد الرفيق ، والمثابرة على إعداد النفس ، والسير على ذلك بخطىً ثابتة متدرجة متكاملة ، حتى يصبح للشخص في مستقبله شأن أي شأن ، ويكون له في هداية غيره نصيب أي نصيب.

ولا منهج في تربية النفس وإعدادها مثل منهج المصطفى ص ؛ فسيرته أصل من أصول التربية الذاتية التي ينبغي الرجوع إليها ، واستلهام الدروس والعبر منها لإعداد النفس وتربيتها تربية ذاتية جادّة ، مبنية على أسس شرعية متوازنة ، بعيدًا عن الاجتهاد الممزوج بالعواطف والحماس في الإعداد والتكوين.

وإن المتأمل للسيرة النبوية ، يجد أن الله لأ قد أعدّ رسوله ص وهيأه منذ بزوغ فجر الدعوة وبداياتها الأولى ، لتكون الأساس والمنطلق له ، ولمن آمن معه ، ولمن بعده إلى قيام الساعة.

أسس التربية الذاتية:

الأساس الأول: الإعداد العلمي:

فإن كل عمل وكل دعوة لا تقوم على العلم دعوة ناقصة فيها من الخلل والقصور الشيء الكثير ، وقد تُفسِدُ أكثر ممّا تُصلِح ، وقد تجلب على الدعوة عواقب وخيمة وآثار موجعة.

والفقه في الدين يتطلب نفسًا جادة طموحة ، تتحمل مشاق تعلمه ، ومعاناة طلبه ، وتعب تحصيله. وهو مطلب ضروري ومُلِحٌّ للبناء الذاتي للشاب المسلم.

والتحصيل العلمي مطلب لا غنى عنه لأي داعية يُعِدُّ نفسه ويُهيئها لنفع أمته ؛ ليكون بصيرًا في دعوته ، عالمًا بما يدعو إليه ، قويًا في حجته ، مثمرًا في عمله ، ناجحًا في أسلوبه ، ثابتًا في مسيرته.

وإذ كان ثمة قدر من العلم الشرعي لا غنى عنه لمن يتصدى لأمر الدعوة ، فإن كل علم بعد ذلك يمكن أن ينفع هذه الأمة ويعلي شأنها هي بأشد الحاجة إليه ، وإذا كانت أمتنا بحاجة إلى العلم الشرعي ، فإنها بحاجة - أيضًا - إلى العالِم في الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والفلك والذرّة وغيرها... ، وتلك العلوم وأمثالها ضرورة لا غنى عنها لنهضة الأمة وتقدمها ، والكل على ثغر من ثغور الإسلام بحسب مكانه وأثره.

الأساس الثاني: الاستعانة على عقبات الطريق بالعبادة:

الاستقامة على هذا الدين بلا تردد ولا انحراف ، والصبر على عقباته وتكاليفه يحتاج إلى زاد ووقود يشحن الطاقات ويغذي القلوب للاستمرار والثبات ، ولا وقود كقيام الليل وترتيل القرآن بالأسحار.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا ؛ ولكنه يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا ، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فماله والنوم؟ وما له والراحة؟ وما له

والفراش الدافئ ، والعيش الهادئ ، والمتاع المريح؟!

الأساس الثالث: المثابرة في الدعوة:

هذا الإعداد بالعبادة المتواصلة من (الذكر وقراءة القرآن وقيام الليل) كان بمثابة الزاد والوقود المُعين للاستمرار على الطريق ، وتَحَمُّل الكيد والإيذاء الذي ينتظر الرسول ص ومن آمن معه. ولهذا فقد كُلف ص أثناء هذا الإعداد بالنبوة.

وقد شاء الله - أن يكون هذا هو طبيعة الطريق ، فهو طويل وشاق ، مملوء بالأشواك والصعاب ، فهذا الطريق لا تتحمله إلا نفوس الرجال ، ولا تقوم به إلا همم الصادقين الأبطال.

صفاء الابتداء:

تلك الأصول المهمة في التربية والإعداد الفردي تدل دلالة أكيدة على أهمية البدايات الأولى في الإعداد والتنشئة. ومن القواعد المسلّم بها: أن المقدمات إذا صحت أعقبها نتائج مثمرة باهرة. فالتربية الذاتية الناجحة متعلقة في بداياتها ، وإذا صحت تلك البدايات وروعيت أولوياتها ؛ أعقبتها نتائج مشرقة. وكما قيل: من كانت بدايته متعبة كانت نهايته مشرقة.

أما الإعداد الفوضوي الذي لا يلتزم بسلم الأولويات ولا يقوم على أسس ثابتة منهجية ، فهو إعداد عاطفي هش ، لا يحقق غاية ولا ينتج ثمرًا ، وسرعان ما يمل ويفتر صاحبه. ولهذا قيل: الفتور بعد المجاهدة من فساد الابتداء.

جوانب التربية الذاتية:

الجانب الأول: الصلة بالله لأ: وهذا أهم الجوانب وآكدها ، فكل ما بعده إنما هو ثمرة ونتيجة له ، ومن وسائل تحقيق ذلك: عناية الإنسان بالفرائض واجتناب المعاصي ، ومحاسبة النفس على ذلك ومبادرتها بالعلاج حين التقصير ، وبعد ذلك استزادته من النوافل كنوافل الصلاة ومنها قيام الليل ، ونوافل الصدقة والصيام والتلاوة والذكر ، والتحلي بالأخلاق الإسلامية

الجانب الثاني: العلم الشرعي: ووسائل تحصيله لا تخفى علينا إما من خلال الدراسة النظامية ، أو من خلال مجالس العلم وحلقاته المقامة في المساجد ، أو من خلال الأنشطة الشبابية حيث تقام فيها دروس علمية وحلقات علمية ، أو من جانب البحث الفردي الذي يبذله صاحبه ، من خلال القراءة والإطلاع ، أو من خلال الاستماع للأشرطة العلمية والدروس العلمية.

الجانب الثالث: التربية على العمل: إن الإنسان في حياته الخاصة حين يريد إتقان نشاط أو حرفة معينة ، كالسباحة ، أو قيادة السيارة - على سبيل المثال- حين يريد ذلك فإنه لا يقتصر على الجانب النظري ، وعلى سؤال من يجيدونها ، بل يعتني بالتدريب والممارسة ، والمهارات الدعوية كذلك فهي تُتقن من خلال التدريب والممارسة.

وسائل التربية الذاتية:

الوسيلة الأولى: الصلة بالله لأ: كما أن الصلة بالله لأ من الجوانب التي ينبغي أن يعنى بها المرء في تربيته لنفسه ، فهي وسيلة من وسائل تربية النفس.

وبالإضافة إلى الاعتناء بالفرائض والبعد عن المعاصي ، والاجتهاد بالنوافل لابد من السعي لتطهير القلب من التعلق بغير الله لأ ؛ فصلاح القلب مناط تربية الصلة بالله لأ ، بل هو مناط النجاة يوم القيامة ، قال الله لأ على لسان إبراهيم ؛: (5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F)(الشعراء: ٨٧ - ٨٩).

وحين تصلح حال الإنسان مع الله ، وتقوى صلته بربه تستقيم سائر أموره.

الوسيلة الثانية: القراءة والمطالعة: وهذا أيضًا عنصر مهم من عناصر التربية الذاتية ، فأنت تقرأ في كتب الرقائق ما يرقق قلبك ويزيل قسوته ، وتقرأ في كتب الأخلاق والآداب ما يصلح سلوكك ، وتقرأ في كتب أهل العلم ما يزيدك علمًا ، وتقرأ في تراجم العلماء ما يزيدك حماسة للعلم والدعوة والبذل لدين الله لأ.

والقراءة تنمي أفق الإنسان ، وتفكيره ، وتزيد من قدرته على حل المشكلات ،

فالقراءة تنمي كافة الجوانب وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها قاصرة على الجانب العلمي وحده.

الوسيلة الثالثة: حفظ الوقت والاعتناء به: ويتأكد هذا الأمر في حق من اشتغلوا بدعوة غيرهم وتربيتهم ؛ فهذا العمل يأخذ عليهم زبدة أوقاتهم ، لكن الاعتناء بتنظيم الوقت والحزم مع النفس في ذلك مما يعينهم على أن يوفروا لأنفسهم قدرا من الوقت كان يضيع سُدى ؛ فيستثمروه في تربية أنفسهم والرقي بها ، إن استغلال الوقت مهارة وقدرة يحتاج الداعية أن يربي نفسه عليها ، وليست مجرد اقتناع من الإنسان بأهمية الوقت.

الوسيلة الرابعة: التفاعل مع البرامج العامة: إن هناك برامج عامة يتلقاها الشاب مع إخوانه ، كالدرس العلمي والمحاضرة وخطبة الجمعة واللقاءات الجماعية ... إلى غير ذلك ، وهذه البرامج تحتاج منه إلى أن يتفاعل معها ، من خلال التركيز والاستيعاب ، ومن خلال أخذ النفس بالعمل والتطبيق بعد ذلك.

الوسيلة الخامسة: الجماعية: لابد من الجماعية في التربية الذاتية ، وكيف يكون ذلك؟ إن بعض الشباب يقول: عَلَيَّ أن أنعزل وحدي لأهتم بتربية نفسي ، وهذا غير صحيح فالجماعية مهمة للتربية الذاتية لأمور:

أولًا: هناك أمور جماعية لا يمكن أن تؤديها إلا من خلال الجماعة ، كمشاعر الأخوة والتعاون والإيثار والصبر على جفاء الآخرين.

ثانيًا: من خلال الجماعة تجد القدوة الصالحة وهي مهمة للتربية.

ثالثًا: من خلال الجماعة تجد القدوة السيئة وهي أيضًا مهمة للتربية ؛ فحين ترى فردًا سيء الخلق تدرك كيف يخسر الآخرين ، ومن ثم تدرك شؤم سوء الخلق ، وترى إنسانًا كسولًا فتدرك أثر الكسل والتفريط ، إذًا أنت تحتاج إلى القدوة السيئة لا تلازمها وتعاشرها لكن عندما ترى هذا النموذج تجتنبه.

رابعًا: اكتشاف أخطاء النفس ، وترويضها ؛ فالإنسان الذي يعيش في عزلة يكون في الأغلب إنسانًا حادًا في تعامله مع الآخرين ، مثاليًّا في أحكامه وفي المشروعات التي يطرحها وعندما ينتقد الآخرين وعندما يوجههم ، فهو مهما امتلك من القدرات تبقى لديه جوانب قصور واضحة ، من خلال العزلة والسياج الذي فرضه على نفسه ، ومن هنا نقول لابد من الجماعة في التربية الذاتية.

الوسيلة السادسة: الثقة بالنفس: وذلك بأن يشعر الشاب أنه قادر على أن يرقى بنفسه إلى درجات الكمال البشري ، أما الكمال المطلق فلا يمكن أن يصل إليه البشر إطلاقًا ، فالذي لا يثق بنفسه لا يمكن أن يصنع شيئًا ، ولا يمكن أن يرتفع بها أو يرتقي بها.

ولابد مع الثقة بالنفس من مقت النفس بجانب الله لأ حتى تتجنب طرفي الإفراط والتفريط ، فالثقة بالنفس تعني أن يعلم الإنسان أنه قادر على أن يفعل هذا الشيء ، وأن يتحمل المسئولية حين تقع عليه ، لكن ذلك لا يعني أن يصاب بغرور وإعجاب ، بل ينبغي أن يعلم أنه مقصر وأنه مذنب وأنه مخطئ.

وحين يجمع بين الأمرين سيدفعه ذلك إلى بذل الجهد والمشاركة الدعوية ليكون في ذلك تكفيرًا لذنبه ، ورفعةً لدرجاته عند الله لأ.

الوسيلة السابعة: محاسبة النفس: وذلك بأن يحاسب الإنسان نفسه قبل العمل وأثناءه وبعده ، وأن يداوم على محاسبة نفسه في كافة جوانب حياته ؛ فالمحاسبة هي التي تُعرِّف الإنسان بعيوب نفسه وجوانب ضعفها ، وهي التي تعينه على علاجها.

فينبغي أن يضع الفرد المسلم المحاسبة نصب عينيه استعدادا للسؤال وترقبا لما بعده من أهوال ، والمحاسبة هي ذلك الميزان الدنيوي الذي يستخدمه المرء المسلم لتصحيح مساره وتعديل سلوكه مستضيئا في ذلك بهدي الكتاب والسنة.

وتعد منزلة المحاسبة من أفضل المراتب لأنها تحتاج إلى مراقبة دائمة ومجاهدة

مستمرة للنفس الإنسانية ، ومن فوائدها أيضًا أنها تربي الضمير في داخل النفس وتنمي في الذات الشعور بالمسئولية ووزن الأعمال والتصرفات بميزان دقيق هو ميزان الشرع.

الوسيلة الثامنة: اتخاذ القدوة:

مهما يكن لدى المرء من طاقات وقدرات ومواهب ومهما يكن لديه من وسائل وأساليب يستثمرها لتربية ذاته وتزكيتها فإنه لا يستغني بأي حال من الأحوال عن وجود قدوة من بني جنسه تكون له نبراسا وهاديا في سيره إلى ربه ، وتؤثر القدوة تأثيرا كبيرا في تكوين شخصية الفرد وصقلها حيث أن الإنسان ميال بطبعه إلى التقليد والمحاكاة.

مستويات القدوة:

نظرا لتشعب مجالات القدوة في التربية الإسلامية ، يمكن تصنيفها إلى المستويات التالية:

المستوى الأول: وهو الاقتداء المطلق بالنبي محمد ص في جميع أفعاله وأقواله وأحواله إلا ما كان من خصوصياته ص ، وهذا المستوى هو الأسمى والأعلى والأمثل الذي ينبغي أن يتخذه الفرد لتربية نفسه وتزكيتها وبهذا الاقتداء يكون الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة وبدونه يكون الخسران المبين.

المستوى الثاني: وهو أقل درجة من المستوى الأول ويتمثل في الاقتداء بسلف هذه الأمة من عظمائها ومجدديها الذين كان لهم دور بارز في مجريات التاريخ. فإذا كان لدى الفرد ميل إلى نوع من أنواع النبوغ كالعلم أو العبادة أو الدعوة أو التخصص في أي علم من العلوم فيحتاج أن يكون أمامه مثل بارز في هذا المجال يسير على خطاه ويقتفي آثاره.

والقدوات في هذا المستوى لا تعد ولا تحصى وتختلف باختلاف التخصصات والمجـالات. ولا تقتصر الأمثلة على الصحابة ي بل يتعدى ذلك إلى من جاء بعدهم ، فهناك مثلًا عمر بن عبد العزيز في العدل ، والإمام الشافعي في العلم ، والإمام أحمد في الثبات على الحق والعقيدة الصحيحة ، وابن تيمية في العلم والجهاد معًا ، وابن القيم في التربية ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى الله ، وهناك ابن النفيس في الطب ، وابن خلدون في علم الاجتماع وابن رجب في المواعظ... وهكذا.

إن هذا النوع من الاقتداء يلبي رغبة فطرية موجودة لدى الإنسان الذي يتطلع إلى تحقيق ما وصل إليه أولئك الأفذاذ أو يزيد.

المستوى الثالث:وهو الاقتداء بمن يستحق أن يكون قدوة في الخير والصلاح من الأحياء المحيطين بالإنسان في بيئته. فحرص المرء على اختيار شخص استجمع قدرًا كبيرا من الفضل والتقوى يكون قدوة له ويحاكيه في أمور الخير والهدى ويرجع إليه في السراء والضراء مستفيدًا من عقله ورأيه ومشورته فيما يلم به من أحداث ومواقف وتغيرات. كما يحرص على معاشرته لاكتساب تجاربه وخبراته والاستفادة منها في تربية ذاته.

وينبغي أن يكون الضابط في اختيار القدوة في هذا المستوى أن يكون ممن تعلق فؤاده بالله تعالى ولم يغفل عنه وأخلص في العلم والعمل.

ولأهمية هذا النوع من القدوة كان العلماء الأوائل يحرصون على اتخاذه لتربية ذواتهم فيلازمون مشايخهم وينقادون إليهم صابرين مطيعين.

المستوى الرابع: ويقع في هذا المستوى كل المعاشرين من الصحبة والرفقاء حيث أن الإنسان بطبعه ميال إلى الاستئناس بغيره والاتصال برفقة أو جماعة يشاركها أفراحها وأتراحها ويعيش في كنفها مؤثرًا ومتأثرًا بالقيم والمبادئ والصفات التي تتميز بها تلك الرفقة أو تلك الجماعة ، ومن هذا المنطلق اعتبر هذا المستوى مجالا من مجالات

القدوة لما له من تأثير على شخصية الفرد سلبًا وإيجابًا.

وإذا أراد أمرؤ أن يربي نفسه فليختر الرفقة التي تذكره بالله إذا نسي وتدله على الهدى إذا غفل وتعينه إذا فعل طاعة أو دل عليها.

هناك ضوابط ومحاذير يجب أن تراعى عند اتخاذ القدوة كأسلوب من أساليب التربية الذاتية منها:

١ - أن كل قدوة يؤخذ من أفعاله وأقواله البعض ويترك البعض إلا صاحب المستوى الأول في القدوة وهو نبينا محمد ص ؛ لأن البشر يخطئون ويصيبون إلا الأنبياء ‡ فإنهم معصومون.

٢ - يترتب على ما ذُكِر في الضابط الأول أن تعرض أعمال القدوات وأحوالهم وأقوالهم على الكتاب والسنة ليرى مدى قربها أو بعدها عنهما فيؤخذ الموافق ويترك المخالف إن ظهر وتبين.

٣ - لا ينبغي أن تفنى شخصية الفرد فناء مطلقا وتذوب في شخصية القدوة من المستويات الثلاثة الأخيرة كما يحدث عند بعض فرق الصوفية ، وخاصة في الأمور الجبلية مثل طريقة المشي والكلام واللبس وما شابه ذلك ، بل إن بعض الأمور الاجتهادية يحسن بالفرد أن يكون له رأي مستقل تبرز إمكانياته وقدراته وشخصيته.

٤ - لا يعني تقسيم هذا الأسلوب إلى عدة مستويات أنه يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر ، ولكن الواجب استعمال كل مستوى في زمانه ومكانه المناسب.

الوسيلة التاسعة: السؤال والحوار:

إن هذا الأسلوب من الأساليب التي لا يستغنى عنها الإنسان الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير ، وهو في حياته اليومية يجد نفسه في حوار أو سؤال مع جيرانه أو أصدقائه أو أهله أو غيرهم ، والمرء في حياته العادية يحتاج إلى هذا الأسلوب كي يشعر بالراحة والطمأنينة ، فما هو دور كل منهما كأسلوب من أساليب التربية الذاتية

؟ وكيف يمكن توجيهها لتحقيق هذا الغرض؟

١ - السؤال:

كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء ، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة ، ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل ، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال.

وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال ، كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين ، خاصة إذا كان المسئول من أهل الخبرة والاختصاص.

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل ، فسكوت الإنسان على جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب ، لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب.

ويحمل بالسائل أن يتأدب بآداب السؤال فلا يرفع صوتًا ولا يقاطع متكلمًا ، ويراعي اختيار الألفاظ المناسبة في غير ما تكلف ، ثم ينتظر الإجابة في تواضع واحترام وينصت لفهمها واستيعابها.

ومن عود نفسه على السؤال زادت ثقته بنفسه وشعر بالطمأنينة والارتياح لمعرفة الإجابة عما كان يجول بخاطره ويشغل ذهنه ، وإن لم يجد الإجابة لدى المسئول فحسبه أنه بذل وسعه ، وربما يعاود السؤال في مناسبة أخرى.

٢ - الحوار:

هو نوع من الحديث يتم بين شخصيتين ـ على الأقل ـ يتبادلان فيه وجهات النظر ، ولكل منهما فرصة متكافئة في طرح الآراء والرد عليها ، وعادة ما يتسم الحوار

بالهدوء والرزانة بعكس الجدل المتميز بالمخاصمة ورفع الصوت ، وقد تتضح أثناء الحوار مفاهيم خاطئة أو أمور غامضة أو أسئلة حائرة لا يجد لها أحد المتحاورين أو كلاهما إجابة حتى يكون الحوار.

ولكي يحدث هذا الاقتناع لابد من إخلاص النية والتجرد للوصول إلى الحق بغض النظر عن الأهواء والشهوات أثناء الحوار مع الآخرين أو حتى مع النفس.

وليس الوصول للحق هو الهدف الوحيد من الحوار بل إن هناك أهدافا أخرى منها استعادة المعلومات ومراجعتها لتثبيتها بدل أن تبقى رهينة العقول. وفي ذلك يقول الزهري: « إنما يذهب العلم بالنسيان وترك المذاكرة ». ويقول آخر: « مطارحة ساعة خير من تكرار شهر ».

التربية الذاتية ومفاهيم خاطئة:

لاشك أن الإنسان حينما يفكر في موضوع معين ويعتني به ويتفاعل معه ، قد يكون لديه خلل أو فهم خاطئ نتيجة مبالغته في النظرة إلى هذا الموضوع ، ومن هنا كان لابد من الإشارة إلى بعض المفاهيم الخاطئة التي قد تتبادر للذهن من خلال سماع هذا الموضوع ، أو من خلال تفكيرنا بحاجتنا إلى التربية الذاتية.

أولًا: استقلال النفس:

فقد يشعر بعض الشباب أن أمامه الآن حشد من الأدلة والمؤيدات في إقناعه بتربية نفسه ، فيقـول: ما دمت أدرك عيوبي أكثر من غيري ، وما دمت مسئولا مسئولية فردية ، فأنا لست بحاجة إلى الآخرين ، لست بحاجة إلى أن أحضر إلى مجالس العلم فبإمكاني أن أحَصّله بنفسي ، ولست بحاجة إلى مشاركة الشباب الصالحين في برامجهم ، إلى غير ذلك وهذا خطأ فالناس بحاجة إلى التعليم ، وبحاجة إلى التربية وقديمًا قيل: من كان أستاذه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه ، فمن أراد أن يتعلم العلم من خلال الكتب وحدها لا يمكن أن يبلغ الغاية ، فلابد له من رفقة صالحة يعينونه على طاعة الله -.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ب قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ص أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ الله ص أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْـمُرْسَلَةِ » (رواه البخاري ومسلم).

فإذا كان الرسول ص يستفيد من لقائه بجبريل وهو رسول الله أفضل الخلق فغيره من باب أولى. إذًا فحديثنا عن التربية الذاتية وأهميتها لا يعني إطلاقًا استقلال الشاب ، فمع التأكيد على التربية الذاتية وأهميتها فيجب التأكيد أيضًا على الجماعية.

ثانيًا: التفريط في الدعوة:

ومن المفاهيم الخاطئة للتربية الذاتية: التفريط في الأعمال الهامة بحجة تربية النفس ، فبعض الناس يقول: « أريد أن أتفرغ لكي أربي نفسي وأتعلم وأستزيد من العلم ، ثم بعد ذلك يمكنني أن أقوم بالدعوة إلى الله لأ ».

إن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم لا يسمح لنا بهذا التباطؤ والتأخر ، وأهل الشر يبذلون جهودًا جبارة في سبيل نشر باطلهم ، وهب أننا قلنا للشباب جميعًا يجب أن تتفرغوا للعلم وحفظ القرآن وللإبداع فيه ثم تنزلون إلى الميدان ، فمن سيتولى تربية هؤلاء الشباب ، ومن سيقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن سينفق على المحتاجين والضعفاء ، ومن سيقوم بالجهاد في سبيل الله -.

إن الشاب الذي تفرغ حينما يتخرج بعد ذلك سيحتاج إلى طريقة للتعامل مع وقته ، وإلى تضحية لم يكن اعتاد عليها فيكون من الصعب عليه أن يعمل هذه الأعمال ، لا يعرف كيف يتحدث مع الآخرين ، لا يعرف المشكلات لم يعرف ولا كيف يواجهها.

والأمر يحتاج إلى اعتدال ، فلا يسوغ أن نهمل الدعوة والإصلاح بحجة تربية أنفسنا ، وفي المقابل لا يسوغ أن نهمل أنفسنا ، فلنؤت كل ذي حق حقه.

خامسًا: التربية الحياتية

الأصل هو أن العمل ضروري لكسب المعيشة وتحقيق المستهدفات الأخرى في الحياة. والعمل له أيضًا وظيفة اجتماعية ونفسية ؛ فهو يسبغ على صاحبه قيمة معينة ، ويساعده في تحقيق الذات ، ويعطيه جملة من المشاعر الإيجابية نحو نفسه ونحو الآخرين. وفي المجتمع العربي والإسلامي نجد الدين الإسلامي والتراث ومختلف أدوات التنشئة من مناهج تعليمية وبرامج إعلامية وغيرها تحرّض على العمل وتدعو إلى احترامه.

ويعتبر العمل واجبًا إسلاميًا على كل فرد ؛ حيث إن قواعد الإسلام ، وسلوك الأنبياء والصالحين تشير إلى وجوب العمل في مختلف أشكاله. فقد عرف الأنبياء ‡ قيمة العمل على هذا النحو ؛ حيث كان موسى ؛ أجيرًا ، ومحمد ص تاجرًا مع عمه أبي طالب ، ثم لحساب خديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها ، وكذلك كان راعيًا للغنم.

ولا يجوز لنا أن نستهين بأي مهنة أو حرفة مهما بدت ضئيلة القيمة ؛ فإنها في النهاية لها أهميتها في حركة الحياة ، ولا تستقيم الحياة بدونها ، والعمل الذهني مثله مثل العمل العضلي كلاهما ضروري لحركة الحياة ولا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر.

وقد كان أنبياء الله جميعًا يمارسون بعض الحرف وفي مقدمتها رعي الغنم ، ولم يقلل ذلك من قيمتهم ومكانتهم. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ت عَنِ النَّبِىِّ ص قَالَ: « **مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ** ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: « وَأَنْتَ » ، فَقَالَ: « **نَعَمْ ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ** ». (رواه البخاري). (القراريط: جمع قيراط وهو من أجزاء الدينار).

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ت عَنْ رَسُولِ الله ص قَالَ: « **مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِىَّ اللهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ** ». (رواه البخاري).

إن الإنسان - كما أكدت دراسات الروح المعنوية في الصناعة ، ودراسات الإشباع الاجتماعي المهني - لا يعمل لمجرد الحصول على الأجر أو لمجرد الحصول على الطعام والمأوى ، وإنما بجوار ذلك الهدف فهو يعمل لإشباع مجموعة من الحاجات ، كالحاجة إلى الأمن ، والاحترام ، والتقدير ، والحاجة الفسيولوجية ، والحاجة إلى تحقيق الذات وسعادتها.

وإذا كانت الإنسان في هذه الحياة يقوم بإعمار الأرض ؛ 7 8 (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود:٦١) ، فإن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل من أجل البلوغ إلى تحقيق الهدف. فالحياة بلا عمل موات ، والإنسان قد أعطاه الله من القوى والطاقات ما يجعله قادرًا على قيادة سفينة الحياة بالعمل الجاد المنتج الذي يعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم.

ومن شأن العمل أن يؤدي إلى تطوير الحياة. ومن خلاله يحصل الناس على أقواتهم فيزرعون ويحصدون. والحياة سلسلة من الأعمال متصلة الحلقات ، والذي يقعد عن العمل مع القدرة عليه لا يستحق الحياة ؛ لأنه بذلك يصبح عبئًا على غيره ، ويصير طفيليًا على الحياة ذاتها ؛ فالقعود عن العمل كسل ممقوت.

والإسلام - بنصوصه وروحه - دستور ونظام ، وعقيدة وشريعة ، والإسلام عمل للدارين: الآخرة والأولى ، وهما في الإسلام موصولتان. والفقه الإسلامي شقان متكاملان متلازمان: عبادات ومعاملات ، فإلى جانب أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ، نجد أحكام الشراكة والمزارعة والمساقاة والمضاربة والوكالة والكفالة والحوالة إلى آخر هذه الأمور التي تتصل أوثق اتصال بالحياة الدنيا ، والتي تستوعب الأبواب الكثيرة للمعاملات ، ونجد أوامر بالوفاء بالعقود وبأداء الأمانات إلى أهلها ، وبرد المظالم ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

والعمل قيمة ينبغي الحرص عليها ؛ فالأخذ بها يؤدي إلى التقدم والارتقاء ، والتخلي عنها يؤدي إلى التخلف والجمود والموت.

والعمل بقصد الاكتساب فرض عين على المسلم ؛ لأن إقامة الفرائض تقتضي حتمًا قدرة بدنية ونفسية ، وهذه لا تتأتى إلا بطعام ونفقة ، وما لا يُتَوَصَّلُ إلا به إلى إقامة الفرائض يكون فرضًا ، كما أن العمل للاكتساب للإنفاق على العيال من زوجة وأولاد فرض عين كذلك ؛ لأن إنفاق المرء على زوجته وأولاده مستحق عليه ، وإنما يتوصل إلى إيفاء هذا المستحق بالكسب.

التربية الحياتية والعمل:

نشأت حركة التربية الحياتية نتيجة لمشاكل اقتصادية واجتماعية أجبرت القائمين على المؤسسات التربوية على البحث في إيجاد مجتمع يُلِمُّ أفراده بالمهارات والخبرات المعيشية. كما أن الاهتمام الذي تبديه المجتمعات المتطورة بالحركة يرجع أيضًا في أساسه إلى الافتراض القائل بأن شباب العصر الحالي لم يعد يرغب في القيام بشتى الأعمال بدرجة الأجيال السابقة.

والتربية الحياتية تبحث في ربط الدراسات النظرية في المراحل التعليمية وما بعدها بالعالم الوظيفي وإبعاد العزلة الحالية الموجودة بينهما ، وتركز على المشاركة الفعلية للمنزل ، والمجتمع بمؤسساته المختلفة في إكساب الأفراد المعرفة والمهارات الوظيفية.

كما تحاول «التربية الحياتية» أن تسهم في تنمية مهارات العلاقات البشرية وفي المحافظة على الصحة العقلية والبدنية ، كما تحرص في الدرجة الأولى على الإلمام بالمفاهيم لدى أصحاب العمل والتي تدور حول العلم والتكنولوجيا ، بالمهارات والاتجاهات الكامنة والمستخدمة لدى أصحاب العمل والتي تعتبر ضرورية لسوق العمل.

إن هدف التربية الحياتية ليس العمل في الدرجة الأولى ، بل تهيئة التلاميذ للحياة المعيشية باكتساب المعارف والمهارات والاتجاهات التي تساعدهم على القيام بأدوارهم الحياتية.

إن تعلم الصناعات والحرف والأعمال اليدوية والتقنية ، مطلب شرعي قبل أن تكون ضرورة حضارية وأرضًا خصبة للعمل الدعوي.

ويمكن تطوير أداء العمل المهني والتقني وتسخيره لصالح الدعوة وإقامة بناء المجتمع الإسلامي على أصول ثابتة وأسس حضارية من خلال القنوات والاعتبارات الآتية:

١ - الإخلاص في العمل يجعل العمل الدنيوي قربة وعبادة إلى الله - وهذا بدوره حافز لمضاعفة الجهد والإنتاج.

٢ - إيجاد الشخصية الإنسانية الصالحة المسلمة السوية التي تؤدي عملها وتقدر دورها التنموي في المجتمع الذي تعيش فيه وتتعامل معه.

٣ - التوصل إلى جهود علماء المسلمين في مجال ترسيخ قيمة العمل المهني ، ومن ثم إبراز هذه المجهودات في هذا المضمار ؛ إذ استطاعت النظرة الإسلامية من خلال هذه المجهودات أن تفتح ذراعيها لجميع التجارب الإنسانية الصالحة.

٤ - إذا أدرك الإنسان حقيقة الإيمان وجد باعثًا من داخل نفسه يدعوه إلى العمل في مجالات الحياة المختلفة ليقوم بمهمته في الأرض ، وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة مرهونة بعمله ، ولا مجال في الإسلام أن يعيش المسلم على الأماني.

٥ - سد الاحتياجات المعرفية والمتطلبات من الطاقات المهنية والفنية التي تحتاجها الأمة لتنفيذ خططها الإنمائية في شتى مجالات الحضارة الإنسانية وتطبيقاتها العملية.

٦ - الإسهام في تطوير المجتمع وزيادة إنتاجية المنتجين للعمل على تقليل نسبة البطالة المبطنة والواضحة.

٧ - التخصص في الأعمال يعني المهارة لدى المختصين ؛ وهذا بلا شك يعني أن إنتاج المتخصص فيما تخصص به أجود من إنتاج غير المتخصص ، وفي هذا العصر

تبرز وتتأكد أهمية التخصصات التقنية والفنية في تجويد الإنتاج الذي حض عليه الرسول ص بقوله: « **إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذَا عَمِلَ أحَدُكُمْ عَمَلا أنْ يُتْقِنَهُ** » (رواه أبو يعلى ، وحَسَّنه الألباني).

٨- القيم الإسلامية للعمل تجعل المجتمع يرتكز على قاعدة صلبة من الدراسات العملية والتطبيقية القادرة على التعامل مع التكنولوجيا ومنجزاتها تعامل المدرك لأسرارها والعالم بمكنوناتها.

٩ - قيمة احترام العمل وتقديره تخلِّص الأمة الإسلامية من الافتقار إلى موارد الغذاء والآلات والمصنوعات ؛ فاحترام العمل وتقديره وإتقانه والنظر إليه بصفته مبدًا إسلاميًا سبب رئيس وطريق قوي لبناء الاقتصاد والتقدم العلمي ، واللبنة الأولى في إصلاح القيم السلبية تجاه العمل والعمال.

١٠ - إن إدراك الإنسان لمسئوليته عن نفسه وسعيه وكسبه ومجتمعه وعن مواهبه أيضًا وملكاته واستعداداته العقلية والجسمية النفسية يجعله يعمل بروح عالية فيما يعود على نفسه ومجتمعه ووطنه وأمته بالخير ، ورفع مستويات ذلك من الناحية المادية والمعنوية ، كما يجعله مجالًا خصبًا للدعوة.

١١ - إتقان العمل من قيم الإسلام التي تعد من أهم أسباب نجاح الصناعات التقنية الحديثة.

١٢ - ومن آثار القيم الإسلامية أنها يوجب الاهتمام بالعمل المهني والفني والتقني ؛ إذ سيسهم ذلك في الحد من نمو القوى العاملة غير المسلمة ، كما يؤدي الاعتماد على قوة العمل الإسلامية إلى رفع درجة تأهيلها للتكيف مع المتطلبات التقنية الحديثة.

١٣ - إدراك قيمة المسئولية يوجب على المسئولين تحديد احتياجات المجتمع الإسلامي تحديدًا واضحًا وفق إستراتيجية مرسومة على المدى الطويل تراعي النواحي

التنموية والتطورات الحضارية ؛ لتتضح الرؤية تمامًا ، وتتحدد الأهداف الكمية والنوعية ، وتأتي الخطط المرحلية وافية بحاجات المجتمعات الإسلامية.

سادسًا: التربية السياسية

التربية السياسية هي: إعداد المواطن الصالح للمجتمع المسلم ، الذي يعرف واجباته فيؤديها تقربًا لله لأ ، ويعرف حقوقه فيطالب بها بالطرق المشروعة ، ومن المسلمات أن الإنسان لا يعيش بدون مجتمع ، والمجتمع سابق على الفرد ، فلا يوجد الفرد إلا ضمن مجتمع ، ولا يستطيع الفرد أن يحقق وجوده الإسلامي إلا ضمن المجتمع ، وثلاثة أرباع الفرائض والواجبات الإسلامية لاتتم بدون مجتمع مسلم.

إن التربية السياسية تعد بين الأمور التي لا تلقى إلا القليل من الاهتمام في البيوت وفي المدارس وفي وسائل الإعلام. وربما كان هذا امتدادًا لرؤية أسلافنا للدولة ؛ حيث كان السائد أن الدولة المسلمة عبارة عن كيان يجسد المبادئ الإسلامية بشكل آلي وبدهي ، أو أنها على أقل تقدير عبارة عن أداة تنفيذية بيد المبادئ والأخلاق الإسلامية ، ومن ثم فإن تحسُّن التدين في المجتمع سيعني بصورة تلقائية تحسُّن أداء الدولة ، وتحسُّن التعامل معها إلى جانب تحسُّن تعاملها مع الناس.

وهذه النظرة مفرطة في التبسيط والتفاؤل ؛ فالدولة كيان مستقل ، له طبيعته وخصائصه ، وهو يتمفصل مع المجتمع في معظم الأحيان ، ويلتقي معه في أحيان أخرى. ومن وجه آخر فإن شيئًا آخر في هذا السياق يحتاج أيضًا إلى تقييد ، وهو الرؤية التقليدية للإنسان والتي كانت تقوم على افتراض أن الإنسان يولد سيدًا حرًا كريمًا عقلانيًا في ممارساته ومواقفه.

إن هذه المعاني الجليلة تُغرس في نفوس الناس وعقولهم من خلال التربية ومن خلال استهداف السياسات الإدارية والقانونية لتكوين المواطن الصالح المدرك لمسئولياته وحقوقه.

لا يكمن جوهر التربية السياسية في حث الناس على ألاَّ يسكتوا على الظلم ، وألاَّ يعبروا عن نزعاتهم الفردية بطريقة غير مسئولة أو حثهم على اتباع القوانين والنظم

السارية... إنما يكمن في تعميق بعض المفاهيم الأساسية عبر ممارسة رجال الدولة ، وعبر البيئة التربوية التي توفرها البيوت والمدارس.

ولعل من أهم تلك المفاهيم الآتي:

١- التمسك بالحق القطعي الواضح والمنافحة عنه وحمايته والتضحية من أجله ، والاستمرار في محاصرة الشر والباطل الصريح بالطرق المشروعة وفي إطار الآداب الإسلامية السامية.

٢- التسامح تجاه الأمور الخلافية ، واحترام التعددية في الرأي ، ما دام التباين في وجهات النظر في إطار المدلول العام للثوابت والقطعيات الإسلامية.

٣- تعزيز روح الحوار والتفاوض والمجادلة بالتي هي أحسن ، واعتماد النقاش في بث الوعي أساسًا في تغيير الموقف والأوضاع والاتجاهات بعيدًا عن القسر والتخويف والإكراه.

٤- حين يختلف أهل العلم في مسألة من المسائل ؛ فإن للحاكم المسلم أن يختار القول الذي يرى فيه ما يحقق المصلحة العامة في مرحلة من المراحل ، واختياره يقطع النزاع على المستوى العملي التنفيذي. أما على المستوى العلمي ؛ فإن لكل عالم ولكل فرد الاحتفاظ بما أوصله إليه اجتهاده.

٥- لا تستطيع الدولة أن تعمل وفق آراء كل الناس ، وإلاَّ فإنها لا تكون مركزًا للتسويات وتنظيم الأولويات وتوازن المصالح.

٦- لا يمكن للدولة أن تلبي حاجات كل الناس مهما استهدفت ذلك وعملت من أجله ؛ وذلك لأن إمكانات الدولة - مهما كانت قدراتها عظيمة - تظل في نهاية الأمر محدودة ، وطموحات الناس غير محدودة. وقد تعوَّد الناس على مدار التاريخ أن يعملوا باستمرار على تحويل المرفهات والثانويات إلى حاجات أساسية عبر الإغراق في التنعم. لكن الذي يجب على الدولة النهوض له ، ومن حق المواطنين المطالبة به هو

العدل والإنصاف والنزاهة وتحقيق أكبر قدر من تكافؤ الفرص بين الناس.

٧- لا تستطيع أية دولة أن تقطع الجدل حول بعض تصرفات رجالها وحول بعض سلوكهم الشخصي. ومن واجب الناس في هذه الحالة التثبت والتبين ، وعدم المسارعة إلى تصديق كل ما يشاع. وعلى القضاء أن يمارس دوره في الحفاظ على المصلحة العامة والبت فيما هو موضع نزاع.

٨- يجب على الفرد الامتثال للتنظيمات والقوانين التي تسعى إلى تحقيق الخير العام ، ما دامت في إطار المباح والمشروع.

٩- حفظُ المال العام وصيانةُ المرافق العامة ، وتكثيرُ الأطر التي تقدم خدمة عامة للناس مسئوليةٌ أخلاقيةٌ وحضاريةٌ في ذمة الدولة والمجتمع.

١٠- للدولة حقوق على المواطن ، وللمواطن حقوق على الدولة ، حقوق الدولة واجبات على المواطن ، وحقوق المواطن واجبات على الدولة. ويجب على كل طرف أن يؤدي ما عليه إذا أراد أن ينال ما يعده حقًا له.

١١- في إطار الدولة الواحدة لا يصح لأي شخص أن يتصرف على هواه فيما يعدّ شأنًا اجتماعيًا عامًا ، وينبغي أن تضاف الحقوق المشروعة للأقلية ، كما ينبغي عليها أن تنزل على حكم الأكثرية. وعن طريق الحجة والبرهان والنقاش الحر ، يمكن لكل جهة أن تقنع الجهات الأخرى بوجهة نظرها.

١٢- التشاور واستمزاج الآراء واكتشاف المواقف والتوجهات ، والعمل على الاستفادة منها ومراعاتها ، هو العمل الذي يبدأ ، ولا ينتهي ؛ لأنه يشكل حجر الزاوية في الممارسة السياسية.

إن التربية على هذه المبادئ والمفاهيم - ومبادئ أخرى على شاكلتها - سوف يخفف من حدة ثنائية الدولة/المواطن ، ويوسع أرضية التبادل ، ويساعد على تحقيق أكبر قدر ممكن من المصالح المشتركة ، كما يساعد على نهوض المجتمع المسلم واستقراره ؛

لكن التربية حتى تؤتي ثمارها تحتاج إلى صبر ومثابرة ، وتحتاج قبل ذلك إلى البذل والتضحية.

المسجد والتربية السياسية:

للمسجد مكان الصدارة في المجتمع المسلم ، وللمسجد وظائف متعددة في المجتمع المسلم أولها وأهمها إقامة الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام ، والوظيفة الثانية للمسجد التربية الإسلامية (الإيمانية والعقلية والسياسية والجسدية...) ونشر العلم ، وتعليم المسلمين ما ينفعهم في آخرتهم ، ثم ما ينفعهم في معاشهم. وعندما انطلق العلم من المسجد كان مباركًا خالصًا لله لأ ، ومن ثم نشأت الكتاتيب في المساجد ، ثم تحولت إلى مدارس وجامعات.

وفي المسجد تعقد المؤتمرات لمناقشة أحوال الأمة وما يواجهها من مشكلات ، وفيه تتخذ قرارات الشورى وفيه يجتمع أهل الحل والعقد لرسم السياسة العليا للمجتمع ، كما كان في عهد رسول الله ص ، والخلفاء الراشدين ي.

ومن المسجد كان العلماء يسيرون الجيوش المسلمة للدفاع عن المسلمين ، فهذا ابن تيمية والعز بن عبد السلام O يقودان المسلمين لمواجهة التتار ، وحتى أثناء الحملة الفرنسية على مصر كان علماء الأزهر يقودون المسلمين في مصر لمواجهة الفرنسيين مثل عبدالله الشرقاوي ، والإمام أحمد الدردير ، وكان للأزهر دور كبير في ثورة (١٩١٩) ضد الإنجليز ، ووقفت الدوريات العسكرية الإنجليزية أمام الأزهر لتمنع العلماء والطلاب من المظاهرات.

التربية السياسية في المسجد:

للصلاة فوائد كثيرة منها التربية السياسية التي تربي الفرد المسلم ليكون مواطنًا صالحًا في المجتمع المسلم ، فالمسجد له أهمية كبيرة في تماسك المجتمع ليبقى حيًا كالجسد الواحد كما وصفه رسول الله ص عندما قال: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ**

بالسَّهَر وَالْحُمَّى » (رواه البخاري ومسلم). وكيف يتراحم المسلمون إذا لم يرَ بعضهم بعضًا !!؟ لذلك كانت صلاة الجماعة ليلتقي المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة ، ويعيش الفرد المسلم متفاعلًا مع المجتمع ، ولا ينعزل عنه.

إن أهم رسالات المسجد لقاءات المؤمنين في رحابه خمس مرات يوميًا في عبادة وتذاكر وتراحم ، وتعاون ، متماسكين كصفوفهم في الصلاة ، ويتعلم المسلم في المسجد الكثير ، ومنه اتباع النظام والتعود عليه ، عند تسوية الصفوف ، القدم بالقدم ، والكتف بالكتف ، كما يتعلم التواضع ، فالفقير بجوار الغني ، كتف بكتف ، وقد يكون الإمام أقل الناس مالًا ، والمأموم أكثر منه ثراء.

هناك أحاديث كثيرة تحض المسلمين على صلاة الجماعة في المسجد ؛ لأن في صلاة الجماعة طاعة لله لأ ورسوله ص ، ثم تربية روحية ، وتربية سياسية ينتج عنها التكافل الاجتماعي والتوادد والتراحم ، حتى يصبح المسلمون كالجسد الواحد.

ولصلاة الجماعة في المسجد قيم ومعاني إسلامية كبيرة وكثيرة ، منها هذا الموقف العظيم ، حيث يصطف المصلون خلف الإمام ، والإمام أقرؤهم لكتاب الله ، وليس أغناهم ، أو أعظمهم جاهًا ، أو أشرفهم نسبًا ، وكلهم ينفذون تعليماته رغبة في ثواب الله لأ ، يتابعونه ولايسبقونه ، يركعون بعد أن يركع ، ويسجدون بعد أن يسجد ، يطيعونه طاعةً لله لأ ، ورغبةً في ثواب الله لأ عندما يقبل صلاتهم.

وقد يدخل المسجد مسبوق أقرَأُ من الإمام ، فيلتحق بالجماعة حالًا ، وقد يدخل المسجد أمير والإمام شاب يافع فيلتحق بالجماعة فورًا ، وينفذ أوامر الإمام في الصلاة ، لأن المسلم يعلم جواز إمامة المفضول ، وما أعظم هذا المعنى في المجتمع المسلم ، فالإمام في الصلاة وهي أعظم شعائر الإسلام يجوز أن يكون مفضولًا ، وفي المصلين خلفه من هو أفضل منه ، وأحق منه في الإمامة ، ومع هذا تجوز إمامة المفضول ، وصلاة الجميع صحيحة مقبولة إن شاء الله. فمتى ينتبه المسلمون إلى هذا ، فينظرون إلى الإمامة أي إمامة بأنها تكليف وليست تشريفًا ، والمهم أن يوجد إمام ، فلا صلاة جماعة بدون

إمام ، ولا مجتمع مسلم بدون إمام. وإمام مطاع يتقرب الناس إلى الله بطاعته كما يتقرب المصلون إلى الله بطاعة إمامهم في الصلاة. وينظر إليه المواطنون في المجتمع ، كما ينظر المصلون إلى إمام الصلاة.

وقد يخطأ الإمام إمام الصلاة بالقراءة فيرده أقرب المصلين إليه ، بصوت لا يكاد يسمعه غيره ، وما أشبه هذا بتقديم النصيحة إلى أمير المسلمين ، فالأمير يخطأ لأنه بشر ، والمسلم مأمور بنصيحة الإمام ، ولا خير في أمة لا تنصح لحاكمها ، ومسئولية العلماء والمصلحين في نصح الحكام أكبر وأعظم ، ومن آداب النصيحة أن تكون سرًا ، قال بعضهم: « من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبَّخَه ، والمؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير ».

خطبة الجمعة والتربية السياسية:

ومن أكبر جوانب التربية السياسية في المسجد خطبة الجمعة ، عندما يكون الخطيب كفؤًا لها ، حيث يجتمع لصلاة الجمعة مالا يجتمع في صلاة الجماعة ، وكثير من المسلمين يتقاعسون عن صلاة الجماعة ، ولكنهم يحضرون صلاة الجمعة ، وأمام هذا العدد الكبير فإن الخطيب الداعية يستطيع أن يبث الوعي السياسي في أذهان المسلمين من خلال خطبة الجمعة ، عندما يعالج قضايا الساعة معالجة إسلامية ؛ محددة بكتاب الله وسنة رسوله ص ، ومن نافلة القول أن للإسلام حكم في كل قضية مستجدة ، ويجب أن يعرف المسلمون حكم الإسلام فيها ، وخطبة الجمعة من أعظم الوسائل لتعريف المسلمين بحكم الله لأ في تلك المستجدات.

المسجد والانتماء:

يبحث الفتى عن الرفقة لأنها تغذي حاجة نفسية ملحة عنده ، وينتقي أقرانه من الفتيان المشابهين له في الطباع ، ويختارهم ممن يكثر لقاؤه بهم ، وأقران المسجد يلتقي بهم خمس مرات في اليوم والليلة ، بالإضافة إلى درس تحفيظ القرآن ، ومن خلال هذه المعايشة ينتقي الفتى المواظب على المسجد أقرانه من رواد المسجد.

وليتمكن العاملون في المسجد من الإشراف على هؤلاء الفتيان تشكل لهم مجموعات تربوية مسجدية يشرف عليها الإمام والمدرس ومن يعاونهم من أهل الحي ، وتهدف هذه المجموعات المسجدية ، إلى توفير جماعة أقران صالحة للفتى ، حيث يمارسون أنشطتهم ضمن المسجد ، وتحت إشراف العاملين فيه.

وعندما ينتمي الشاب إلى المسجد يكون انتماؤه إسلاميًا ، ويسد الطريق على الأحزاب العلمانية ، والهيئات الملحدة ، وغيرهم التي تخرب عقائد الشباب.

سابعًا: التربية الاجتماعية

إننا نعيش في مرحلة كونيّة فريدة ، بسبب ما أحدثته ثورة الاتصالات والبثّ الفضائي من تداخل واختلاط بين البيئات الثقافية المتباينة. كان الناس في الماضي يربّون صغارهم في بيئات مغلقة ، ووفق معايير ومفاهيم تربوية محدّدة وخاصة ، ولهذا فإن الأطر التربوية السائدة كانت في موضع إجماع ، أو ما يشبه الإجماع. ومن ثَمَّ فإن الأزمات التربوية كانت تفسَّر على نحو دائم على أنها بسبب مشكلات في التنفيذ وقصور في التطبيق ليس أكثر. النماذج والقدوات في المجتمعات المختلفة كانت ترمز باستمرار إلى نجاح الأصول التربوية المشتركة وتغري بالدفاع عنها.

لا يعني هذا كله بالطبع أن الأمور كانت على ما يرام ، كما لا يعني أن التطورات التي قلبت تلك الأوضاع رأسًا على عقب كانت من الشر الخالص ، لكن ذلك يعني أننا أمام فرص وتحدّيات جديدة. أما الفرص فتتجلّى في كسر العزلة التي كانت سائدة بين الشعوب المختلفة ، وكسر حدّة البرمجة المحلية - والتي تتسم غالبًا بالتشوّه والقصور - للعقول والنفوس كما تتجلّى في توفّر قدر هائل من الخبرات المتقدمة والمطلوبة لتحقيق قفزات نوعية في تنمية الأفراد والمجتمعات ، إلى جانب إنعاش حاسّة المقارنة.

أما التحدّيات فتتجسد أساسًا في إضعاف المحاور والأسس التي كانت تقوم عليها التربية في المجتمعات الإسلامية ، مما أدّى إلى نوع من الانقسام في الوعي ، وإلى إرباك عام في الأساليب التربوية الموروثة.

في حال الانفتاح وتعدد المحكّات والنماذج التي تتم الإحالة الشعورية واللاشعورية عليها ، تكون المشكلة الجوهرية في فقْد الأرضية المشتركة ، مما يدفع في اتجاه التناحر والتفكّك الاجتماعي ، يحدث كل هذا في الوقت الذي يتمّ فيه تهميش سلطة الدولة والمدرسة والأسرة والمجتمع لصالح سلطة المال والإعلام. أي إن التربية تواجه تحدّيين في وقت واحد: سحب الكثير من الصلاحية والتأثير من المؤسسات

التربوية المهمة ، وصيرورة الأسس التربوية موضع جدل ونزاع واعتراض. وهذا شيء خطير للغاية.

في حالة كهذه يكون علينا أن نستنبط من عقيدتنا وثوابتنا محاور أساسية ننسج حولها مئات المفاهيم والرموز التربوية ذات الدلالة الاجتماعية ، ونحاول نشرها وتعميمها على أوسع نطاق ممكن. ومن اليسير على التربية أن تنجح فيما أخفقت فيه السياسة والاقتصاد والإعلام والتعليم.

استطاع علماؤنا القدامى من خلال نظرهم الثاقب ، واستقرائهم لمجمل أحكام الشريعة الغراء - أن يستنبطوا مقاصد أساسية سموها (الكليات الخمس) ، وهذه الكليات هي: حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والعِرْض ، وحفظ المال. وأوجدوا بعض الترتيبات بين هذه الكليات ، حيث يُضحَّى بالأنفس من أجل حفظ الدين ، ويُضحّى بالمال من أجل سلامة الأنفس والأعراض. ولم يتحدث الأصوليون عن هذه الكليات بوصفها منطلقات وأسسًا لتربية اجتماعية راشدة ومتماسكة ؛ لأن هذا كان خارج اهتمامهم واختصاصهم. لكن نستطيع نحن اليوم أن نقوم بذلك من أجل جَعْل تربيتنا الاجتماعية أشد تمحورًا حول قطعيّات الشريعة ، وأشد استجابة لمقتضيات التديّن العميق.

إن التربية الاجتماعية على أساس هذه الكليات ، توفّر لنا الحدّ الأدنى من وحدة الاتجاه ، ووحدة المعايير التربوية ، فالمسلم مطالَبٌ بالمحافظة على تديّنه والتزامه من خلال ممارسة الشعائر. ومطالَبٌ أيضًا بالدفاع عنه بالوسائل المشروعة والممكنة وبالمجادلة عن مبادئه وأدبيّاته. وهو في الوقت نفسه مطالَبٌ بأن يساعد إخوانه المسلمين على الالتزام من خلال تقديم العون لهم ، ومن خلال أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. والمسلم مطالب بالمحافظة على نفسه من خلال توفير أسباب الصحة ودفع الأذى والضّرر عنها. وهو مطالب بالمحافظة على نفوس المسلمين. وعليه أيضًا أن يحافظ على عقول المسلمين وأعراضهم ، وأموالهم ، كما يحافظ على عقله وعرضه وماله.

تصوّر مربِّيًا يتحدث في تفاصيل تربوية تتعلق بالجانب العقلي ، ماذا سيقول؟

سيقول لمن يربيهم: العقل نعمة كبرى من الله - وشكر هذه النعمة يكون في المحافظة عليها واستخدامها على أحسن وجه ممكن. الكذب حرام ؛ لأنه يؤذي العقل إذ يمدّه الكاذب بمعلومات خاطئة. والمسكرات ، والمخدرات تؤذي العقل ؛ لأنها تضعف ارتباطاته السببيّة. التقليد يؤذي العقل؛ لأنه يحرمه من التفتّح ومن التحفيز على إبداع آراء ونظريّات جديدة ... إنه يقول هذا في مجال التربية الفردية.

فإذا أراد المربي لمس الجانب الاجتماعي قال: بيع المسكرات وتهريب المخدرات حرام ؛ لأن على المؤمن ألاّ يُلحق الضرر بإخوانه المسلمين ، وألاّ يساعدهم على الوقوع في المعاصي. ويقول أيضًا: إن الكذب على الناس ينطوي على نوع من الغشّ والخديعة لهم. وعلى المسلم كما يكره أن يُخدع من قبل الآخرين أن يتجنّب خديعتهم ، وهكذا.

وتصوّر باقي المربين في البلدة يتحدثون بهذه المفاهيم أمام الصغار ، ماذا يعني هذا؟ إنه يعني أن المربين صاروا يتحدثون لغة واحدة ، وصاروا يؤكدون على مفاهيم واحدة. ويعني أيضًا توليد وحدة فكرية وشعورية عظيمة ورائعة ، إن العولمة تنشر معاني الأنانية والخلاص الشخصي. أما التربية القائمة على الكليات الخمس فإنها تؤكد للناشئة أن الخلاص إما أن يكون جماعيًا أو لا يكون ، وإنّ من غير الممكن للمسلم أن يعيش آمنًا هانئًا في جزيرة يحيط بها الشقاء من كل مكان.

وإن الترتيب بين الكليات الخمس ينطوي على مغزًى تربوي كبير؛ إنه يشكّل خطًا أساسيًا في الرؤية الإسلامية للكثير من جوانب الحياة. إن فداء الدين بالنفوس والأموال يعني الارتباط المطلق بالهدف السامي والنهائي لوجودنا على هذه الأرض ، وهو الفوز برضوان الله لأ وفداء النفوس بالأموال يعني التعزيز لمركز الإنسان في الكون ، ويعني الرد على الهجمة المادية الحديثة التي تجعل من المال المحور الأساس للحياة ، وتجعل من الإنسان أداة لتحقيق المزيد من الثراء لأصحاب الحظوة والنفوذ.

ثامنًا:
التربية الدعوية

لاشك أن الدعوة مهمة سامية ، فضلها كبير ، وأثرها عظيم ، وبالتالي فلا يصح فيها التخبط والارتجال ، ولا يقبل في أعمالها أن تبنى وتؤسس على الانفعال ، ولا ينبغي أن تكون ناتجة عن ردود الأفعال ، بل يجب أن تؤسس على أسس صحيحة واضحة ، وعلى معالم منهجية راسخة.

ولا شك أيضا أن المنهجية قضيه مهمة ، إذ أنها ترسم الطريق ، وتحدد المعالم ، وتعيّن المراحل ، وتساعد على التقويم ، وتحد من الأخطار ، وتجمع بين المتفرقات ، وتنظر الى ما وراء الأحداث ، وترسم من خلال المعطيات صورًا للمستقبل ، لها حظها من التخبط والاستعداد للعمل التي ينبغي أن لا تغفل في مسيره الدعوة على مستوى الأفراد ، وعلى مستوى الجماعات ، والمؤسسات والهيئات ، وعلى كل مستوى من المستويات.

وها هي بعض الأسس في التربية الدعوية التي قد غابت أو تغيب بصورة أو بأخرى في بعض الممارسات الدعوية ، ومن خلال هذا الغياب والخلل ، تنتج كثير من الآثار السلبية.

الأساس الأول: الله والإسلام لا الذات ولا الهيئات:

فلا بد في مسيرة الدعوة بدءًا ، وانتهاء ، وفي أثنائها ، وفي كل لحظة من لحظاتها ، ومرحلة من مراحلها ، وممارسة من ممارساتها ، أن يكون الهدف واضحًا ، والغاية محددة ، فلا بد أن ندرك أن معرفة الهدف والغاية أعظم أساس ، وأول ركن ، ولا بد من التأكيد قولًا ، وحالًا ، وعملًا.

إن الغاية من هذه الحياة كلها ، ومن الدعوة أيضًا على وجه الخصوص ، هو رضوان الله - ، وإن الهدف هو تحقيقه ، وتحصيل المصلحة الإسلامية ، التي تعود على

الأمة الإسلامية بالنفع العاجل والآجل.

فلا دعوة للأشخاص ، ولا غاية مقصودة للهيئات أو الجمعيات ، بمعنى أنه ينبغي أن لا تكون الغاية هي الدعوة للشخص ، أو الارتباط به ، أو التزكية للنهج ، دون أن نربط بأن هذه كلها إنما هي مجرد وسائل ، وأن الغاية التي نسعى إليها من وراء ذلك ، أن تحصل رضوان الله - ، وأن نحقق أو نحصل المصلحة الإسلامية ، لماذا؟

لأننا لم نراعي هذا الجانب ؛ فإن توجهنا قد يكون منصرفًا لكسب رضا فلان ، أو يكون هدفنا هو تأييد جهة معينه ونصرتها ، ولو كان في ذلك تحصيل مصلحه أدنى ، مع إمكان تحصيل المصلحة العليا للإسلام ، ولو كان في بعض الأحيان تفويت مصلحة عامة ؛ لأجل تحصيل مصلحة شخصية ، أو بأي صورة أو أخرى.

لا بد أن ندرك أن كل أمر من الأمور المعينة المشروعة ، ينبغي أن يكون وسيلة ومعبرًا لتحقيقه الغاية العظمى ، والهدف الأكبر ، والمقصود المهم من حياة الإنسان في هذه الدنيا ، وأعني بهذا الأساس أمرًا بديهيًا معروفًا ، فالإخلاص لله لأ هو جوهر هذا الدين ، وعندما نمارس العمل الدعوي فلا بد أن نربط القلب بالخلاق - ، ولا بد أن نربط المشاعر ، والغايات ، والمطامع ، والمطامح بما عنده سبحانه من الأجر والمثوبة ؛ لأن ذلك يساعد على التجرد من حظوظ الدنيا.

الأساس الثاني: المنهج لا الأشخاص:

وهذا الأساس يرتبط بالذي قبله ، ولكن الأساس الأول ترتبط به الأسس الأخرى كلها ، وإن من أهم أسس التربية الدعوية ، أن نربط المدعوين بالمنهج ، وأن الأشخاص مهما كان لهم من قدم راسخة في العلم ، ومن كعب عالٍ في البلاء لهذا الدين ، ومن رتبة متقدمة في البذل ؛ فإن المنهج الرصين الأصيل الثابت الذي لا يتغير في كتاب الله لأ ، وسنه النبي ص.

ومن آثار ربط الإنسان أو المدعو بالمنهج لا بالأشخاص: أنه يسلم من خطأ الداعي إذا وقع في خطأ ، ويسلم من ضعفه ، وانتكاسه ، وارتكاسة ، إذا ضعف وتخلى عن أمر الدعوة ؛ فإن حال الإنسان يتقلّب.

الأساس الثالث: الصواب لا الأخطاء:

فينبغي علينا عندما نربي في محاضن الدعوة ، أن نعلم الواردين إلى هذه المحاضن والمقبلين عليها ، أن نعلمهم الصواب ، وأنه واحد لا يتعدد ، بشكل مفصل ، ودقيق ومعمق.

بمعرفة الصواب تكفي مؤنة أعداد الأخطاء ، إلا ما يحتاج إليه ، بمعنى كما يقول أهل العلم في العلم: بأن نعلّمه في أول الأمر قولًا وحدًا يعرفه ، ويعرّف دليله ، ويعرّف استنباطه ، ثم له بعد ذلك أن يعرف أقوالًا أخرى ، فيحسن التمييز ، ويتقن التقويم.

أما إن جئته في المسألة لأول وهلة بأقوال أربعة أو خمسة ، ولكل منها دليل ، وأصحاب المنهج الأول ينقضون أدلة أصحاب المنهج الثاني ، وأصحاب المنهج الثاني ينقضون أدلة المنهج الثالث ؛ فإنه يخرج مشوّش الفكر ، لم يقع في المسألة على شيء يعمل به ، أو يطمئن إليه ، أو يحفظه ويفقهه.

لذلك الإثبات دائما أقوى في تحقيق العلم من النقل ، فعلى سبيل المثال: إذا أردت أن تصف قلمًا ، فتقول: « إن لون هذا القلم أزرق » ، فقولك: قلم أزرق يعني بأنه ليس بأسود ، ولا أحمر ، ولا أخضر ، إلى آخر كل الأنواع المنفية.

فهذا الإثبات يغنيك عن تفصيل كل تلك الوجوه من النفي ؛ فإنك تحتاج أن تقول: إن هذا القلم ليس بأبيض ، ولا بأحمر ، ولا بأخضر ، وتحتاج أن تعدد الألوان كلها ، وسيبقى اللون الذي يحار العقل بعد ذلك في تحديده وتعيينه.

و إذا أردت أن تُعَرّفَه بالأخطاء فليكن ذلك على طريقتين:

- القواعد الجامعة المُعَرِّفَة بالأخطاء والانحرافات: فإن أمر الأخطاء لا نهاية له ، لكنها ترجع إلى قواعد جامعة مانعة ، يجمعها في أمرٍ صحة الاعتقاد ، وسلامة العبادة ، فلا انحراف في الاعتقاد ، ولا ابتداع في العبادة ، وتجمع هذه الكليات كما ورد تفصيلها في الآيات ، والأحاديث من كلام أهل العلم الذين أشاروا إلى ذلك.
- أن يُعَرَّف بما يُظَنّ أنه متعرض له: فإن كان على سبيل المثال سيغادر الى بلد يروّج فيها مذهب شيوعي ، أو اشتراكي ، أو رأسمالي ، أو كذا ، أو أنه في بيئة يشيع فيها مذهب كذا أو كذا ، أو سلوك كذا أو كذا ، حينئذ يمكن تنبيهه على الأخطاء.

الأساس الرابع: الاستقلالية لا التبعية:

وهذا مشكله يقع فيها كثير من الشباب أيضًا عند الرغبة في الدعوة ، والاندفاع لها ، وعند المتابعة للمدعو ، والحرص عليه ، تجده يحوطه من كل جانب فلا يجعله يسمع إلا ما يريد ، ولا يقرأ الا ما يختار له ، وإذا استيقظ من نومه وفتح عينيه ، وجده أمامه ، ولا يتركه في لحظه من لحظات النهار ، حتى يودعه الى بيته او فراشه في آخر الليل.

ماذا يقصد بهذا ؟ يقول: أريد أن أعمق فيه معاني الدعوة ، وأن أجنبه ما قد يقع له من الأخطاء ، أو ما قد يتأثر به من الانحرافات ، أو السلوكيات ، أو ما قد يلقيه له غيري من أمور لا أحبها ، أو منهج لا ارتضيه.

وهذه القضية قضية خطيرة جدًا ، للآتي:

١ - ليست هي في المقدور ، ولا في المكنة أن صلحت ومكنت في وقت ، فلا يمكن في غيره قد تحفظه وتحافظ عليه ، وتحوطه وتحميه ، وتحمل رشاشك عن يمينه وعن يساره ، فإذا بالعدو الذي تظنه ، أو الخطر يأتيك من الأمام ، فتتقدم فيأتيك من

الخلف ، وإذا جاز ذلك في وقت من الزمن ؛ فإنه بعد زمن أو وقت آخر لا يجوز.

٢- سيكون من وراء هذا الحديث ، والقرب والرعاية في أول الأمر سرور وفرح من هذا المدعو ، ثم سينقلب ذلك إلى تبرم وضيق ، ثم إلى انفجار لا يمكن أن يبقى على صله ولا يسيره بعد ذلك.

و من اخطر هذه المز الق في هذا الشأن:

هو إن هذه الشخصية تكون شخصية متَّبعة لا استقلالية ، ذيلًا لا قائدًا ، إذا أراد أن يتكلم نظر يمينًا أو يسارًا ، يبحث عمن يلقنه الكلمة ، وإذا أراد أن يقف موقفًا ، أو يمارس سلوكًا ، لا يستطيع هذا ، كما نسميه نحن الذي يربى في البيوت تربيه الدلال ، أو نسميه من أبناء النعمة ، أو كذا ، يقولون: يخاف عليه أهله من النسيم أن يجرح وجنته ، أو يخافون عليه من أقل القليل ، فهذا كما يقولون: هو أقرب إلى الأنوثة منه إلى الرجولة ، وفي الوصف الدعوي: يصح مثل هذا الأمر حيث نرى هذه الشخصية غير قادرة على الاستقلال بشيء مطلقًا.

الأساس الخامس: وجوب لا نفل:

إن الأساس أن نرسخ في نفوس المدعوين إن الدعوة أمر واجب وحتم لازم ، ليست مجرد نفل أو تطوع ، أو مجرد إضافة في التطوعات التي يبتغي بها رضوان الله لأ ، وتأكيد ذلك وتأصيله ، فيعلم المرء أن الدعوة لم تتم بها الكفاية في مجتمعات المسلمين مطلقًا ، للحاجة الواسعة الكبيرة ، وذلك لما حلّ بالمسلمين من تغريب ، وابتعاد عن دين الله لأ ، ولما يقع أيضا من مؤامرات وكيد الأعداء ، وما يسلطونه على الأمة من غزو وسبل ، يهدفون منها إلى صرف المسلمين عن دينهم ، وإشغالهم بهذه الدنيا ، وتسهيل سبل الانحراف لهم ، كل ذلك معلوم ينبغي أن يكافئه هذا الاستشعار لهذا المعنى في هذا الجانب.

الأساس السادس: قوة لا رخاوة:

إن إدراك المرء لوجوب الدعوة يجعله يتعامل معها تعاملًا مختلفًا عن كونها أمرًا عارضًا ، فنجد أنه ينام ملء جفنيه ، ويأكل ملء بطنه ، ويرتاح يفكر إن كان يمكن أن يقول كلمة ، أو أن يقضي حاجة من الحاجات ، وإلا فلا بأس أن يؤجل هذا وذاك.

ولا بد لنا أنه إن لم يكن أمر الدعوة له أولوية ، وإن لم يكن له في القلب منزلة عظيمة ، إنْ لم يكن له وَقْد جمْر في القلب ، فصاحبه لا يطمئن له قلب ، ولا يغمض له جفن ، ولا يرتاح له جنب ، ولا يهنأ له طعام ، حتى يؤدي الدعوة لله لأ. يمحو بها الغشاوة والجهل عن عقول المسلمين ، ويدفع بها الأذى والمنكر عن مجتمعاتهم ، ويرفع بها الصد والترس الذي يدفع به عنهم أذى أعدائهم ، وسهامهم المتوالية. إن لم يكن عنده ما يؤرقه في ليله ونهاره ، ويجعله مهمومًا يحمل الدعوة فوق عاتقه ، مع كل نَفَس من أنفاسه ، يذكرها ويجعل لها في كل كلمة من كلماته حظًا ، وفي كل درهم من دراهمه نصيب ، وفي كل خطوة من خطواته حظًا. إن لم نكن كذلك نكون غير ناجحين في تمكين هذه الدعوة في نفوس أولئك المدعوين.

الأساس السابع: حكمه لا تهور:

وكثيرة هي صور الحماس المندفع في صفوف الشباب ، فإذا سمعوا انتقادًا صارخًا فرحوا به ، وأعظموا شأن قائله ، دون أن ينظروا في التقويم الشرعي من حيث صحته وصوابه وخطأه ، ودون أن ينظروا في موقعه من الحكم الشرعي ، هل يصح أن يقال ، أو لا يصح أن يقال ، أو يصح أن يقال في موضع دون موضع ، ودون أن ينظروا أيضا إلى الآثار المترتبة على تلك الكلمة ، هل يعقبها خير أكبر منها ، أم تترتب عليها مفسدة أعظم.

إن النفوس تتوق إلى شيء من الاندفاع ، ويكون ذلك أكثر ما يكون في أول الأمر وابتدائه ، عندما يقبل المرء على الخير بعد إدبار ، وبعد أن ينضم إلى صفوف

الدعوة.. بعد أن كان من المعرضين المتقولين ، أو المناوئين المحاربين ، فتجده مندفعًا اندفاعًا يفقد فيه كثير من الأمور المهمة.

الأساس الثامن: فقه لا جمود:

ينبغي أن نحيى في مجالات الدعوة الفقه والبصيرة ، لا الجمود والتحجر ، ليست قضايا المعايشة والدعوة ، والمصلحة الإسلامية الراجحة ، قضايا محسومة ، وإنما فيها كثير من مراتب الاجتهاد ، فينبغي أن نعرف هذه المراتب ونفقهها ، فلا يكون عندنا هذا الخلط الذي يُخشى منه ، وتترتب عليه الكثير من الآثار الغير محمودة ، ولذلك قد ورد في تراجم البخاري: كتمان بعض العلم خوفًا من الجور والقتل ، شرط أن يكون هذا العلم ليس من الأحكام.

الأساس التاسع: الائتلاف لا الاختلاف:

فإن أساس هذا الدين ، وأعظم أسسه أنه يجمع أصحابه وأتباعه ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويعقد بينها بآصرة العقيدة رباطًا ووثيقًا لا تنفصم عُراهُ ، ولا ينبغي أن تكون الاختلافات الفقهية الاجتهادية ناقضة لعرى هذه الرابطة الوثيقة التي تجمع. فالاختلاف أو تباين النظر في الاجتهادات مع تحري الصواب ، لا ينقض عرى المحبة ، والائتلاف.

والتباين في وجهات النظر من غير معرفة آداب الحوار والمناظرة ، كل ذلك لا يؤسس إلا الفرقة في الصفوف ، والتنفير في القلوب. ولا شك أن هذا مما ينبغي أن ينأى عنه المسلمون كلهم ، فضلًا عن الدعاة والصالحين من شباب الصحوة ، ومن أرباب الدعوة ، ولكن - للأسف - قد ترى صورًا تجعل أي اختلاف في رأي عادي مثلًا يؤدي إلى الاختلاف: فلو أراد الأفراد - مثلًا - أن يأكلوا طعامًا ، ورأى أحدهم أن يأخذ الطعام من هذا المكان ، ورأى الآخر من غير هذا المكان ، دبّ بينهم اختلاف ، ونشب بينهم نزاع ، فضاقت النفوس لماذا ؟

لأنها لم تتربَّ التربية الدعوية المطلوبة في سعه الصدر ، والتماس العذر ، وإحسان الظن ، وقبول الرجوع إلى الحق ، وإتاحة الفرصة للمخطئ أن يعتذر ، دون أن يكون الهدف هو أن نقيم عليه الحجة ، وأن نلبسه ثوب الخطيئة ، وأن لابد أن يبرأ منها ، ويتوب عنها ، ونحن نبقى نصمه بها كأننا نريد أن تبقى معه الدهر كله ، حتى تلج معه في قبره.

الأساس العاشر: الورع لا الاعتداء:

أن تربى الأجيال الدعوة على الورع ، وهذا الورع يعصمهم من الجراءة في الفتوى ، ويعصمهم من التجرؤ في الاجتهاد ، والقول على الله بغير علم ، ويعصمهم - أيضًا - من نقد وتجريح الأشخاص ، والهيئات ، والمؤسسات ، كما يعصمهم من النظرة المتشائمة التي لا ترى خيرًا بل إنما تكرس دائما نظرة السوء ، كل ذلك لا يوجد عندما تتربى النفس على الورع ، فيحجم الإنسان عن الاعتداء.

الأساس الحادي عشر: دوام لا انقطاع:

فليس المهم الكثرة ، ولا مراعاتها ، وليس المهم القدرة والاندفاع ، وإنما المهم الدوام والاستمرار. فينبغي أن نشيع من خلال التربية الدعوية أن الدعوة معك إلى القبر كما 7 8 (R S T U V) (الحجر: ٩٩) ، وكما طبق النبي ص ذلك ، فكان على فراش الموت وفي آخر لحظات حياته ص فلم يُوصِ بأهله ولا بماله ، ولا بزوجاته ، ولا بدوره ، ولا بشيء من ذلك ، وإنما كان يقول: « **الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » (رواه أبو داود ، وصحَّحه الألباني). ، وكان يقول: « **لَا تَجْعَلُوا قَبْرِى عِيدًا** » (رواه أبو داود ، وصحَّحه الألباني). إلى غير ذلك مما كان يوصى به إلى آخر نفس وآخر لحظه من لحظات حياته ص.

والاستمرارية تعتمد على كثير من الأسس التي سبقت ؛ من أساس الارتباط بالغاية ورضوان الله - ، وحصول المثوبة ، ومن أساس الفهم الصائب ، ومن أساس

القوة لا الرخاوة ، كل ذلك أمور مساعدة معينة في هذا الباب ، وليس ذلك فحسب ، بل يرى الداعية نفسه مطالبًا بأن يورّث الدعوة من وراءه من خلال الجيل الذي يربيه ، ومن خلال الجيل الذي يدعوه ، أنه يختار من بين أولئك من يجد فيه النجابة ، والذكاء ، وصفاء السريرة ، وذكاء القريحة ، فيعطيه ما لا يعطي عيره ، ويبثه مالا يبثه غيره ، ويحَمِّله من المهمات ، والواجبات ما لا يُحَمِّل غيره ، فكأنه يريد أن يصل أسباب الدعوة وجهودها ، بعد أن يقضي نحبه.

الفصل العاشر

التكامل والتوازن في التَّربية

لماذا المطالبة بالتربية المتكاملة المتوازنة:

يجب أن تكون التربية متكاملة ، وأن تكون متوازنة في الوقت نفسه ، سواء على مستوى الأفراد أو على المجتمع ككل. فالله - خلق الإنسان بجوانب كثيرة متنوعة (جسم ، وعقل ، ومشاعر ...) وحينئذ فالمنهج التربوي الذي يريد أن يرقى بهذا الإنسان ينبغي أن يكون متوافقًا مع فطرة هذا المرء ، ولهذا صار أي تشريع للبشر من غير المصدر الشرعي محكومًا عليه بالفشل والبوار ؛ لأنه تشريع صادر من البشر. وغالبًا ما ترى تشريعات البشر وآراءهم تأخذ جانبًا على حساب جانب آخر ، وغالبًا ما تخل بهذا التكامل أو هذا التوازن في شخصية المرء ، إذن فالتكامل والتوازن هو الذي يتوافق أصلًا مع خلق الإنسان ومع فطرته التي فطره الله لأ عليها.

فمثلًا حين نربي الناس على الخضوع وعلى التسليم لكل الآراء التي تطرح عليهم أيا كان مصدرها ، ونطلب من الناس أن يعطلوا عقولهم ، وألاّ يفكروا مطلقًا فيما يُقال لهم ، إننا حينئذ نعطل هذا العقل الذي خلقه الله لأ له ، وما خلقه الله - إلا لحكمة ، ولو كانت أمور الناس تستقيم على التقليد والتبعية لَخَلَق الله لأ لنخبة من الناس عقولًا دون عقول سائر الناس حتى يخضع بعضهم لبعض ويكونوا تابعين لغيرهم.

أما وقد خلق الله - العقول للناس جميعًا فهذا يعني أن تُرَبَّى العقول ، وهذا يعني أن يربى الناس على أن يستخدموا عقولهم ويحكّموا عقولهم داخل الدائرة الشرعية التي لا تخرجهم عن حدودها.

وأي تربية تسعى إلى تكتيم حريات الناس وعقولهم وتفكيرهم فإنها تعارض الفطرة ، وأي منهج يخالف الفطرة فإنه يحمل بين طياته الهلاك والبوار.

وحين نأخذ منهجًا تربويًّا يتعامل مع جانب العقل والمعرفة وحدها ويغفل عن جانب الوجدان في نفس الإنسان ، يعيش في تناقض يحكم عليه بالفشل والبوار ، كما هو الحال في المجتمعات الغربية المعاصرة ، وقل مثل ذلك في أي منهج يتعامل مع جانب واحد من جوانب الإنسان.

التوازن والتكامل سنة الله في الحياة:

فالجنون مثلًا نتيجة لعدم توازن القدرات العقلية والحسية ، والصرع العضوي من أسباب زيادة الكهرباء في دماغ الإنسان ، وفقر الدم أو ضعفه يحصل عن عدم توازن كريات الدم الحمراء والبيضاء في الدم ، ثم إن زيادة سائل الأذن قد يتسبب في حالة إغماء لدى الإنسان ، هذه بعض النتائج التي يخلّفها عدم التوازن في الكائن البشري ، وهناك عشرات الأمثلة الأخرى على ذلك.

أما عدم التوازن في الكون والحياة فهي أكثر من أن تحصى ، إن تغير نسبة الأكسجين في الهواء تجعله ملوثًا وقد تجعله سمًّا قاتلًا ، وتغير المعادلة المتوازنة في دوران الأرض والشمس والأفلاك ينتج عنه كثيرٌ من الأمور أقلها اختلال نظام الليل والنهار ، وتعاقب الفصول وما يؤدي ذلك من أضرار على الإنسان والحيوان والنبات وعلى الحياة بكاملها.

الشرع قائم على الوسطية والتكامل:

إن شرْع الله لأ قائم على الوسطية في كل الأمور: الوسط في الاعتقاد ، الوسط في العبادة ، الوسط في السلوك ، فشرْع الله لأ قائم على هذه القاعدة.

وهو كذلك تبدو فيه ظاهرة التكامل معلمًا بارزًا ؛ فما من مجال من مجالات الحياة إلا وللشرع فيه حُكم ، فإنك ترى للشرع حُكمًا في معتقد الإنسان ، وترى للشرع حُكمًا في تعامل الإنسان مع غيره ، وترى للشرع حُكمًا في عبادة الإنسان ، ترى له حُكمًا في

سلوكه ، وترى له حُكمًا في أخلاقه ، وفي الاقتصاد والسياسة وحياة الناس الاجتماعية وعلاقاتهم .... إنك لا تجد بابًا من أبواب الحياة إلاّ وفيه حُكم واضح للشرع ، وهذا يعني أننا أمام شرع متكامل.

إذًا حينما نريد أن نربي الناس على هذا الشرع ينبغي أن نربيهم تربية متكاملة ومتوازنة ؛ ولهذا أنكر الله على بني إسرائيل الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض: (H I J K L N O P Q R S T U V W X Z [\ ] ^ _ a b c d e)(البقرة: ٨٥).

ومن إعجاز القرآن أن حذَّر الله - نبيه ص من صورة نراها في واقعنا فحين أمر الله نبيه ص أن يحكم بشرع الله فقال 8 (وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ) ، قال لأ بعد ذلك: (µ ¶ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ) (المائدة: ٤٩) ، وكأن هذه الآية تنطق بواقع القرون المتأخرة ، وأن هناك من يساوم على بعض شرع الله فيأخذ بعض شرع الله ويرفض بعضه ، فينادي بالاحتكام إلى شرع الله لأ في باب من أبواب الحياة ، ويرفض بعد ذلك سائر الأبواب.

إن هذا دليل على أن هذا الشرع جاء للحياة كلها ، وهذا يعني أن أي منهج تربوي يريد تربية الناس على خلاف هذا المنهج فهو منهج غير متكامل وغير متوازن ، ومعارض لهذه القاعدة الشرعية التي لا تنخرم وتراها في كل حكم شرعي في سائر أبواب الحياة.

كثرة التحديات التي تواجه الأمة:

الأمة الإسلامية تواجه تحديًا تربويًّا من أبواب شتى ؛ فالشباب يعانون من تخطيط ماكر وغزو مدبر ، وكذلك الرجال والنساء ، والصغير والكبير بل حتى الطفل المسلم تُعد له أفلامٌ وتُكتب له قصصٌ ومجلاّت يقصد منها تربيته تربية تحرفه عن المنهج الشرعي.

وحياة الناس في عقيدتهم ، وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فيها تحديات ؛ فنحن نواجه تحديًا شاملًا ، تحديًا متكاملًا في جوانب الحياة كلها ؛ لخلع الأمة عن دينها ثم تربيتها على غير شرع الله لأ ؛ فالتربية التي تهدف إلى إنقاذ جيل الأمة ، والوقوف في وجه هذا التيار الوافد ما لم تكن آخذةً بالتكامل والتوازن فإنها حينئذٍ لن تكون مؤهلة للمواجهة ، ولن تكون مؤهلة لصدّ هذا السيل الجارف من الغزو الذي تواجَه به الأمة.

من صور التكامل والتوازن في المجال الفردي:

أولًا: في التعامل مع نصوص الشرع وأحكامه:

إن من التكامل والتوازن في التربية هو أن يُربَّى الفرد على التوازن في التعامل مع نصوص الشرع وأحكامه ؛ فالغلو صفة ممقوتة مرذولة بالعقل ويأباها ويرفضها الشرع ، والإهمال والتجاوب مع رغبات النفس وشهواتها لا يسوغ أن تكون بديلًا للغلو. إننا حين نربي أبناءنا على الفوضى والتساهل في الأحكام الشرعية والتفلّت منها ، فإننا نربيهم تربية غير متوازنة تربية متطرفة إلى جانب دون جانب ، وإننا حين نربيهم على الغلو والمبالغة فإنها هي أيضًا تربية غير متوازنة.

ثانيًا: التكامل والتوازن في تربية ومحتوى الشخصية:

إن التربية التي نطالب بها الأبوين لابنهما ليست أمرُه بالصلاة فقط ، ونهيه عن سائر الأخلاق السيئة فقط ، وإن كان هذا أساسًا ومبدأ هامًا من مبادئ التربية ، فالتربية السليمة لابد أن ترعى صحة الابن ، إنه لا يسوغ أبدًا أن تهمل الأم ابنها أو طفلها

الصغير أو طفلتها تجاوبًا مع داعي النوم الذي يدعوها للراحة ، ولا يسوغ أبدًا أن تكون المكالمات الهاتفية والحديث مع بنات جنسها مدعاةً لانشغالها عن صبيتها ورعايتهم ، والأب كذلك هو الآخر.

ثالثًا: مراعاة جوانب الشخصية المختلفة:

إن المرء له جوانبه العقلية وجوانبه المعرفية وجوانبه الوجدانية ؛ فالتربية السليمة ينبغي أن ترعى هذه الجوانب كلها ، إننا بحاجة إلى أن نعيد إلى النظر في مناهجنا التربوية ، هل هي تغطي هذه الجوانب التربوية أم لا؟

رابعًا: التكامل والتوازن في الجانب الواحد:

وفي الجانب الواحد نحتاج إلى تكامل وتوازن ؛ فالتربية العلمية - على سبيل المثال - بحاجة إلى أن تكون تربية متكاملة متوازنة ، وهذا يعني أن تتنوع التخصصات ، وأن يتربى الشاب ، على أن يحمل رصيدًا متكاملًا وخلفية علمية متكاملة مما يحتاج إليه في مرحلته وسنّه ، ويعني ثانيًا - أيضًا - أن يتعلم أدوات البحث ووسائله ومراجعه ، ويتعلم المنهج العلمي الصحيح ؛ فلا يكون التعليم قاصرًا على شحن ذهنه بالمعلومات فحسب ، وحين نمعن في مراجعة التربية المعرفية وحدها نجد أن هناك شرخًا واضحًا في هذا الجانب وخللًا واضحًا في رعاية التكامل والتوازن فيه ، فما بالكم بسائر الجوانب الأخرى.

فحري بجيل الصحوة أن يتربى تربية متكاملة ، تربية تعنى بالعبادة الحقة والصلة بالله والعناية بالجانب العلمي والمعرفي ، والعناية بالجانب العملي والدعوي والتطبيقي وأن تكون تربية متكاملة ترعى هذه الجوانب كلها.

التكامل والتوازن على مستوى المجتمع:

فالتكامل والتوازن مطلوب على مستوى المجتمع ككل ، وهذا يشمل:

أولًا: رعاية كافة فئات المجتمع:

وذلك يعني ألا تكون التربية خاصة بفئة دون فئة ، فمن المهم أن نعنى بتربية النشء ، وتربية الشباب ، وتربية طلاب العلم ، وأن تصرف جهود كبيرة في ذلك ؛ لكن حين نغفل عن تربية قطاع مهم من قطاعات المجتمع ، عن تربية المرأة والفتاة ، وعن تربية الطفل فإن هناك إخلالًا بالتكامل.

ثانيًا: التكامل بين المؤسسات التربوية: وذلك بأن تتكامل الجهود وتتضافر في كامل المؤسسات التربوية من المنزل والمدرسة والإعلام والمسجد ؛ فلا يليق أن تربي المدرسة الشاب تربية يسمع نقيضها بعد ذلك في الشارع ، ويراها في وسائل الإعلام؟ إننا نعيش ازدواجية تربوية فيسمع من خلال المنبر في خطبة الجمعة حديثًا يرى نقيضه في الشارع ، ونقيضه في النادي ، ونقيضه في وسائل الإعلام ، ونقيضه في المنزل ، يسمع حديثًا في المدرسة ثم يرى نقيضه بعد ذلك في سائر المؤسسات! إن مثل هذا السلوك لا يعدو أن يُخرج لنا جيلًا يعيش في حلقات مُفرغة.

وحين نكون جادين في تربية الجيل ، فلتتكامل مؤسسات التربية كلها في المجتمع لتسير في خط واضح واحد يتفق مع عقيدتنا الإسلامية ، ومع منهجنا ، ومع هوية الأمة ، وحينئذٍ نرى الثمرة اليانعة بإذن الله -.

ثالثًا: التكامل داخل المؤسسة التربوية الواحدة:

إننا نرى على - سبيل المثال - في المنزل - وهو الدائرة الأولى من دوائر التنشئة الاجتماعية - تناقضًا تربويًّا بين قطبي الأسرة ، بين الأب والأم ؛ فالأب له كلمة تخالف كلمة الأم ، والأم لها منهج يخالف منهج الأب ، وكيف نتصور شابًّا صغيرًا أو فتاةً صغيرةً ترى التناقض وازدواجية التوجيه داخل البيت من الأم والأب؟

وقد يكون هناك خلاف بين الأب والأم حول بعض الوسائل أو الأساليب التربوية ، وقد يكون بينهم خلاف حول بعض الحلول لبعض المشكلات ، وهذا أمر طبعي بل ينبغي أن تختلف وجهات النظر ؛ لكن هذا شيءٌ ، وبروز هذا الخلاف على السطح شيءٌ آخر ، هذا شيء ، والتعامل مع الطفل من خلال الاختلاف شيءٌ آخر.

رابعًا: التكامل بين الوسائل التربوية:

إننا وللأسف في مجالات كثيرة لا نحسن إلا أسلوبًا واحدًا: أسلوب التوجيه المباشر أسلوب الأمر والنهي ، أسلوب الترهيب والوعيد والعقوبة ، من الأب الذي يكافئ ابنه ويثني عليه حين يحسن؟ ومن الأستاذ الذي يكافئ تلميذه حين يبدو منه موقفًا يستحق المكافأة والثناء؟

وحين نستخدم العقوبة فإننا ينبغي أن نستخدم بالقدر نفسه - أيضًا - الثناء والثواب ؛ وحين نستخدم الترهيب فإننا ينبغي أن نستخدم بالقدر نفسه الترغيب ؛ وحين نستخدم التوجيه المباشر فإننا ينبغي - أيضًا - أن نستخدم بالقدر نفسه التوجيه غير المباشر ؛ إننا نفتقر كثيرًا في مؤسساتنا التربوية في المدرسة والمنزل- بل ربما في الدرس التربوي في المسجد - نفتقر إلى التكامل بين الوسائل والأساليب التربوية ؛ فلا نكاد نجيد إلاّ أساليب محدودة ، والأساليب المحدودة ربما تصب في قالب واحد ولا شك أن هذا سوف ينتج لنا تربية نشازًا.

وسائل تعين على تحقيق التكامل والتوازن:

أولًا: التخطيط والإعداد:

مَنْ مِنَ الأمهات والآباء يجلس مع نفسه ويفكر تفكيرًا هادئًا في واقعه مع ابنه وابنته؟ وكيف يمكنه التعرف على مشكلاتهما وكيف سيتعامل مع هذه المشكلة وتلك؟ وكيف سيوفق في هذا الهدف أو ذاك؟ والأستاذ والمربي أيًّا كان موقعه كم يأخذ منه التفكير والتخطيط والترتيب للعملية التربوية؟ حينئذٍ ندرك سر الخلل ؛ وأنه صادر عن تصرفات مرتجلة لم يسبقها تخطيط وتقعيد من قبل.

ثانيًا: وضوح الأهداف واتفاقها مع الأهداف الشرعية:

فينبغي أن نرسم أهدافًا نريد أن نصل إليها ، وهذه الأهداف يجب أن تكون أهدافًا منضبطة مع الضوابط الشرعية ؛ فالتربية التي تدعو إلى تكوين المواطن الصالح تربية لا تخالف المنطلقات الشرعية ؛ لأن الأمة الإسلامية أمة واحدة لا تعرف الحدود ولا تعرف الحواجز ، وحين نربي أبناءنا وبناتنا على الإقليمية وعلى العنصرية ، على أن يوالي ويعادي على المعايير القبلية والإقليمية والوطنية ، فإن ذلك هدف غير شرعي.

وأخطر من ذلك حين تتطور القضية على المستوى الفكري وعلى مستوى ما يطرح في الساحة ، فيربى الناس على التعلق بالقومية ، وبالشعارات الوطنية ، إن هذا يخرج لنا أمة متناقضة أمة متناحرة.

وحين نربي بناتنا وأولادنا على أن يكون همهمّ الأول هو تحصيل المادة ، وحين نربيهم على أن يكون هم التعليم هو تحصيل الشهادة فهذه أهداف مرفوضة ، وأهداف لا تتوافق مع أهداف الشريعة التي يريدها الله لأ أن تخرج المسلم العابد المتجرد لله لأ.

ثالثًا: المراجعة المستمرة:

إنما ينبغي أن نراجع كثيرًا من مناهجنا التربوية ، وأن نراجع الأساليب والوسائل التي نستخدمها في بيوتنا وفي مدارسنا ومؤسساتنا التربوية ، وكل عمل تربوي نرسمه فهو جهد بشري لا يستغني عن المراجعة والتصحيح ، وحين نرفض المراجعة فإن هذا يعني أن نبقى على ما نحن عليه من أخطاء ونبقى على ما نحن عليه من زلاّت وهفوات.

رابعًا: عدم الاستجابة لردود الأفعال:

إن غالب حالات الخلل الذي ينشأ في رعاية هذا الجانب إنما هي ردة فعل واستجابة لأفعال تولد الانحراف. والإنسان حينما يكتشف في تربيته لنفسه أنه قد وقع في خطأ فركّز في جانب على حساب آخر ، فإنه غالبًا ما يجنح إلى ردة الفعل فيغلو الطرف

المقابل ؛ إنه قد يرى غيره ممن يعتني بالعبادة على حساب طلب العلم الشرعي وعلى حساب الدعوة ، فيرى أن هذا خطأ ، فيعالج هذا الخطأ بخطأٍ آخر ؛ فيهمل جانب العبادة ويهمل التقرب إلى الله - ، ويعيش قاسي القلب ليس له حظ من عبادة الله لأ.

وقل مثل ذلك في سائر الجوانب ، فينبغي أن نحذر ونحن نعالج أخطاءنا من ردود الأفعال ، وأن نحذر أيضا ونحن نعالج أخطاء الآخرين من ردود الأفعال ، وأن تكون مواقفنا متزنة.

a :

الأول: حين ندعو إلى التوازن في التربية ، فندعو الشاب إلى أن تكون له صلة بالله لأ والعبادة ونصيب من العلم الشرعي ، ونصيب من الدعوة إلى الله - ، وإنكار المنكرات ونصيب من أبواب الخير ، فإن التوازن ليس مرادفًا للتساوي والتعادل ، فهذا لا يعني أن يحمل من كل شيء قدرًا متساويًا ، فإن الناس طاقات ومواهب وقدرات ، ثم إن الأمة الإسلامية تحتاج أبوابًا كثيرة قد تؤدي إلى أن يربى بعض الناس على جانب ، وأن يعنى بعض الناس بجانب ويتأخرون في جانب آخر.

وحين ندعو إلى التوازن فإننا لا ندعو بالضرورة أن تكون النسب متساوية ومتعادلة ، إنما التوازن يعني على سبيل المثال أن لا تكون عبادة الإنسان على حساب عنايته بالعلم الشرعي ، وأن لا يكون طلبه للعلم على حساب عنايته بصلاح قلبه ، أو على حساب دعوته ، وقل مثل ذلك في باقي الجوانب.

الثاني: الدعوة إلى التكامل والتوازن لا تعني إهمال التخصص ؛ فالناس خلقهم الله لأ متفاوتين في عقولهم وقدراتهم ، كما رُوِي عن الإمام مالك / أنه قال: « رُبَّ رجل فُتِح له في الصيام ولم يفتح له في الذكر ، ورُبَّ رجل فُتح له في العلم ولم يفتح له في الجهاد ، وما أظن أن ما أنا عليه دون ما أنت عليه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر ».

فلابد من التخصص ولا بد من أن يعنى فلان بجانب من الجوانب ، وقد يكون على حساب غيره ، ولكن هذا التخصص ينبغي أن يكون بقدر لا يخرج المرء عن القدر المشترك الذي ينبغي أن يكون عند الناس جميعًا.

إذن فالتكامل والتوازن لا يعني إهمال التخصص ولا يعني إهمال القدرات الشخصية التي قد يفوق فيها فلان من الناس عن غيره ، ولا يعني أن تكون الأمور كلها بنسبٍ متعادلة. لكن الذي اشتغل بالعلم والتعلم - على سبيل المثال - وصرف فيه نفيس وقته ، وهو على خير ولا يليق به أن يهمل جانب العبادة وحقه منها إهمالًا واسعًا بحيث يؤدي به إلى قسوة القلب ، وأن يكون بعيدًا عن ما ينبغي أن يكون عليه سمت أهل العلم ، وقُلْ مثل ذلك فيمن يدعو إلى الله - ويحتسب في إنكار المنكرات العامة.

الباب الثامن

العمل العلمي

الباب الثامن
العمل العلمي

تُجْمِع العديد من الدراسات التي تعنى بالشان المستقبلي للعالم العربي الإسلامي على أن التغيير الثقافي هو أحد أسس تغيير الواقع ، وهو ما يعني بشكل واضح أن هذا التغيير المنشود لا يمكن أن يكون شرقيًا ولا غربيًا ، ولكنه تغيير ينطلق من خصوصيات الأمة ومقوماتها المحلية.

ويدفعنا القول بخصوصية الأمة ومقوماتها إلى تسطير بعض المبادئ التي من المفترض أن ينطلق منها كل عمل ثقافي يراهن على تحقيق بعث حضاري للأمة الإسلامية. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- التركيز على المبادئ والخصوصيات الأساسية للأمة الإسلامية.
- الحرص على تحقيق الإقناع لدى الناشئة بمقومات الأمة وخصوصياتها.
- بناء وخلق الدافع الذاتي الذي يحول الاقتناع بالأفكار إلى أعمال ميدانية ملموسة.
- العلم بالوسائل الموصلة إلى الغايات والفصل فيها بين ما هو شرعي جائز وما هو غير شرعي.

ومن شأن هذه الوسائط أن تعمل على:

- تقوية النسيج الاجتماعي ارتكازًا على البعد الديني وعلى أخوة المسلمين ووحدة عقيدتهم.
- نشر ثقافة التعمير ومحاصرة ثقافة اللامسئولية والميوعة المنتشرة والمزدادة تناميا يوما بعد يوم ، حتى نخرج عن أَسْر الفكر والسلوك الغربيين.
- العمل على إعلان المواقف من القضايا الطارئة أو القديمة.
- شحذ الفعالية الروحية لدى المرء.

الفصل الأول

مقترحات للدورات العلمية

الدورات العلمية هي دروس علمية متخصصة في القرآن وعلومه ، والتفسير ، والتوحيد ، والحديث ، والفقه ، والدعوة وأصولها ، والسيرة النبوية ، والأصول ، والعربية والآداب العامة ، تقدم فترة زمنية محددة لأفراد متقاربين في المستوى العلمي والدعوي. وتهدف هذه الدورات في جملتها إلى رفع المستوى العلمي والوعي الدعوي لدى الدعاة والداعيات ، وتصحيح المسار ، وترشيد العمل.

وإن من أعظم نعم الله علينا في هذه الأزمان قيام كثير من هذه الدورات العلمية ولقد نفع الله بها ، وصار الإقبال عليها يتزايد عامًا بعد عام.

وهاهنا بعض المقترحات للدورات العلمية ؛ رغبة في النهوض بها ، وعموم الفائدة منها. وهذه المقترحات منها ما يعود على المنظمين المستضيفين لها ، ومنا ما يعود على القائمين بها والمشاركين فيها ، ومنها ما هو مشترك بين أولئك.

وإليكم هذه المقترحات دون ترتيب ، أو تخصيص ؛ إذ بعضها قد يكون داخلًا في بعض.

١ - العناية باختيار الموضوعات الملائمة ، والكتب المناسبة ، فلكل فئة ما يلائمها ، ولكل بلد ما يناسب أهله.

٢ - الحرص على تكثيف الدعاية للدورات ؛ حتى يكثر مرتادوها.

٣- تسجيل الدورات ، ونقلها عبر الإنترنت ؛ لأن ذلك أبقى للأثر ، وأعم للفائدة ، وأدعى لحضور المشايخ ؛ لأنهم ربما يعتريهم الملل إذا كان العدد قليلًا ، فإذا علموا أنها تُنقَل عبر الإنترنت تشجعوا ، ونشطوا.

٤ - الحرص على التنسيق في الدورات ، حتى لا يقع التكرار في دورات البلد

الواحد ، أو البلدان المتقاربة.

٥- التجديد في الدورات ، كعقد الدورات المتخصصة في بعض العلوم والموضوعات التي تدعو الحاجة إليها ، ويقل الطرح لها ، كوضع دورات في علوم البلاغة ، ودورات في تصحيح النطق والقراءة والإملاء ، ودورات في ممارسة الخطابة ، ودورات في التدرب على على الكتابة والأساليب الإنشائية الراقية ، حتى يكون لدى المشاركين قدرة على الكتابة السليمة ، والأساليب المحكمة ، والتحريرات العالية ، ويكون لهم قدرة على الخطابة ، والإلقاء ؛ إذ هي من أعظم أسلحة طالب العلم ؛ فلا يليق به أن يعري منها.

ثم إن في ذلك توسيعًا لدائرة الفائدة ؛ حيث تحصل المشاركة من عدة طوائف من المتخصصين في شتى الفنون.

٦- أن توضع دورات متخصصة في البحث العلمي ، وطرائقه ، وكيفية التعامل مع الكتب ، وما إلى ذلك.

٧- أن تكثف الدروس في أدب الطلب ؛ إذا هو زينة الطالب ، وبهجته ؛ فلعل القائمين على الدورات يعنون بهذا الجانب ، ويجعلون له نصيبًا من جهدهم المبارك ؛ بحيث يكون ضمن موضوعات تلك الدورات في تدريس كتب في هذا الشأن مثل: اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ، والجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع للخطيب - أيضًا - ومثل الأخلاق والسير لابن حزم ، ورفع الملام لابن تيمية ، وكتاب الجامع من بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني ، وكتاب أدب الطلب للشوكاني ، وكتاب حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد ، وغيرها من الكتب في هذا الشأن.

فتدريس مثل هذه الكتب ينير الطريق لطالب العلم ، ويدله على أصول المكارم ، ويضاعف فائدته ونفعه للناس ؛ لأن أخلاقه أثر علمه ، وموطن القدوة فيه.

٨- الإعلان عن وضع امتحان في نهاية الدورة لكل كتاب أو موضوع يلقى ، ويكون الامتحان تحريريًا ، ويتم تصحيح الأسئلة ، أو يكون الامتحان شفهيًا ، ومن ثم يتم إعلان النتيجة ، وإعطاء الإجازات العلمية على ذلك.

٩- تنظيم الحضور ، والانصراف وذلك عبر الكشوفات التي يتم من خلالها كتابة اسم المشارك ، حتى يُتأكد من حضوره.

١٠- يحسن بالمنظمين للدورة أن يرسلوا برنامجًا مقترحًا للشيخ المشارك قبل الدورة بفترة خصوصًا إذا كان قادمًا من خارج البلد الذي تقام فيه الدورة ؛ بحيث يوضع له برنامج مقترح يفصَّل من خلاله ما سيقوم به من نشاط طيلة أيام الدورة ، ويعطى فرصة التعديل ، والزيادة والنقصان ؛ إذا قد تكون مدة الدورة أسبوعًا أو أكثر أو أقل ، ومع ذلك لا يكون للشيخ إلا ساعة من نهار أو ليل ، وبقية الوقت يذهب دون استفادة منه.

١١- العناية براحة الشيخ ، وإعداد السكن الملائم بحسب القدرة. والحرص على التنسيق معه ، واستقباله ، وإعداد كل ما يعينه على أداء ما هو بصدده.

١٢- وضع المرغِّبَات في الدورة خصوصًا إذا كانت الدروس متصلة ببعض ، وذلك كإعداد وجبات خفيفة بين الدروس ، وكالعناية بالقادمين من بعيد ، على أن يضبط ذلك بأوقات محددة حتى لا يكون الأمر فوضى.

ومما يحسن في هذا الصـدد أن تُعَدّ بعض الجوائز والمحفزات التي تتخلل الدرس ، بحيث توضع أسئلة فيما مَرّ ذِكْره في الدرس ، ومن يجيب عليها يعطى جائزة ؛ فذلك مما يطرد السآمة ، ويبعث على حضور الذهن.

١٣-يحسن بالآتي لإلقاء الدورة أن يفيد البلد الذي أتى إليه ، فلا يقتصر على إلقاء الدروس فحسب ، بل يحسن به أن يملأ وقته بنفع البلد وأهله ؛ فإذا كانت الدورة في أيام الدراسة فليحرص على زيارة المدارس ، وإلقاء الكلمات فيها ، وإذا كانت في

الإجازة فليحرص على زيارة الدوائر الحكومية ، والمراكز الصيفية والسجون ، وغيرها من أماكن تجمعات الناس.

١٤-وليحرص على إلقاء خطبة الجمعة ؛ لأن الناس يحضرون الجمعة بكثرة ؛ فجميل أن يشارك القادم في هذا المجال.

١٥- ويحسن بالمنظمين أن يرتبوا للقادم زيارات لأهل العلم ، والفضل والإحسان ؛ لإشعارهم بمنزلتهم ، وتشجيعهم على بذل المزيد من الجهد ، والمال ، وما إلى ذلك.

١٦-ويحسن بهم - أيضًا - أن يعقدوا المجالس العلمية التي تكون فيها المشاورات والمطارحات.

١٧-ويحسن بالشيخ القادم أن يصطحب معه بعض طلابه ؛ لتدريبهم على إلقاء الكلمات ، ونفع الناس على أن ينسق مع المنظمين للدورة ؛ ليسهلوا مهمة أولئك ؛ وبهذا تحصل الفائدة من جهتين: من جهة تدريب أولئك ، ومن جهة نفعهم وتوجيههم للناس.

ولكي تنجح هذه الدورات لا بد من الإعداد الجيد لها قبل إقامتها بوقت كاف ، ويشمل هذا الإعداد:

١ - تحديد المكان والزمان المناسبين.

٢ - معرفة نوعية المستفيدين وعددهم بشكل تقريبي.

٣- معرفة التكلفة المادية المطلوبة ومدى قدرة المؤسسة على توفيرها ، تسجيل الملتحقين برسوم رمزية لتوفير الكتب المشروحة ووسائل الراحة المتاحة ، ويوضع في الحسبان طلبة العلم من غير المقتدرين ، وكيفية تسهيل الاستفادة لهم من الدورات المقامة.

٤ - تسجيل كافة احتياجات الدورة ، وتوفيرها قبل بدء الدورة.

٥- إعداد مقررات الدورة المزمع تدريسها ، تقوم على إعدادها لجنة علمية متخصصة ، وتوزعها على المدرسين المشاركين في إقامة الدورة ، وتكلفهم بالإعداد المدروس في وقت مبكر.

٦- ولتحسين مستوى أداء الدورات وزيادة أثرها وفاعليتها ينبغي أن تكون الدورة الشرعية معدة ضمن خطة علمية عامة ، ويراعى توزيعها على مستويات يكمل بعضها بعضًا ، ويخضع القبول في كل منها لشروط وضوابط ، وتجرى امتحانات للدارسين يحدد على ضوئها مدى استفادة الدارس ، وأهليته للانتقال إلى المستوى التالي.

٧- الحرص على متابعة الدارسين واستثمار نتائج الدورة وإيجابياتها ، ومن ذلك مثلًا: رعاية المتميزين من الدارسين واختصاصهم بمزيد عناية وتوجيه.

الفَصْلُ الثَّانِي

دورات حفظ السنة

مرت الأمة في القرون المتأخرة صور من الجمود الفقهي والتقليد المذهبي ، ولم تزل بعض صورة قائمة في هذا الزمان على أشكال وهيئات عديدة ، وقد بقيت السنَّة النبوية حبيسة الكتب والحواشي ؛ حيث تتصدر المتون ومختصرات المذاهب قوائم دروس طلبة العلم ، ومحفوظاتهم ، وبقي حفظ السنَّة مما تقصر النفوس عنه ولا تجسر على الإقدام عليه.

فقد كان النص النبوي بعيدًا ، ولا يُسأل عنه بعد معرفة قول الإمام أو الشيخ. وكان حفظ متون الفقهاء نصًا وضبطًا ، وحفظ فروق النسخ وإفناء بعض الأعمار بها ، في مقابل معرفة النص النبوي بالمعنى - إن عرف - مع التشنيع على حفظه وضبط لفظه.

وساد الانشغالُ بعلوم الآلة كالنحو وأصول الفقه - مثلًا - انشغالًا يلهي عن مقصود دراستها ، والتبحرُ بها ، بل ومعرفة شواذ الأقوال فيها ؛ بل ربما الانشغال في بعض الفنون التي غدت عند المسلمين بالية كعلم المنطق والفلسفة.

كل ما سبق هو بعض أنماط ذلك الجمود.

وفي الطرف المقابل تجد أدعياء العقل والعصرنة ممن غلا في نبذ الجمود وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، وسعى في نبذ السنة كليًا أو جزئيًا تحت مسمى العقلانية والتنوير والعصرانية!

كان من صور هذا الجمود بُعْدُ طلاب العلم - بل جملة من العلماء في العالم الإسلامي وحَمَلَة الشهادات العليا - عن الاهتمام بالسنَّة ، حفظًا وتحقيقًا واستدلالًا ، وتقديم خلافات المذاهب وشواذ الأقوال على نصوص الوحيين ، وعدم الاكتراث بالنص.

وهذا الجمود لم ولن يبقى طيلة الزمان. ففي العقود الأخيرة بدأت تظهر على الساحة العلمية اهتمامات بالسنة النبوية ، دراسة وتحقيقًا وتخريجًا واستدلالًا وحفظًا.

وكانت جهود عدد كبير من علماء أهل السنة جهودًا غيرت وجهة كثير من طلاب العلم ، وأعادت هيكلة هذه المنهجية. كان الاهتمام بالدليل ومعرفة صحته من ضعفه ، وتكاتف الجهود لتنقيح السنة والعودة إلى أُمَّهات الكتب الأولى ، هذا كله كان مؤشرًا واضحًا لحجم هذه العودة المباركة.

وقد نحت كليات وأقسام السنة بالجامعات الإسلامية هذا النحو في رسائلها الجامعية ، في تحقيق كتب السنة وتنقيحها. بل الرسائل الشرعية في التفسير والفقه كان مَرَدّ أحكامها للدليل ، وكانت أحاديثها تُخَرَّج من كتب السنة المطبوعة والمخطوطة.

وبقي حفظ السنة في هذه السنين للمشتغلين به سائرًا في فلك المختصرات ، مثل: (المنتقى) للمجد ابن تيمية ، و (بلوغ المرام) لابن حجر و (عمدة الأحكام) للمقدسي و (الأربعون النووية) للنووي ، بل وحتى كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وفي العقدين الأخيرين ظهر مشروع حفظ السنة النبوية من معدنها الأول (كتب الأصول: البخاري ومسلم والسنن الأربع ومسند أحمد ونحوها) سواء بأسانيدها أم مستبعدًا منها الإسناد والمكرر مما يكون عائقًا للطالب عن الحفظ.

وكان حفظ هذا ضربًا من الخيال لا يفكر أحد فيه! وكانت الجهود في حفظه في البداية فردية ، حيث تعود إلى مشاريع لبعض العلماء هنا وهناك ، ونوادر من العلماء الذين أفنوا أعمارهم في هذا. وهي الآن في هذين العقدين توجه علمي وليس اجتهادًا فرديًا.

وحين يحقق المشروع نجاحه على أرض الواقع تتحفز النفوس إليه ، وتجسر الهمم عليه. وفي بلد الله الحرام - بعد تجارب عديدة في كثير من البلاد - ظهر هذا

المشروع عيانًا يراه من دخل المسجد الحرام العاكفُ فيه والبادي ؛ حين برز نموذج حفظ السنة على هيئة مشروع علمي متكامل ، واضح المنهج ، نير المعالم.

وكانت هذه الدورات تحت إشراف رئاسة شؤون الحرمين الشريفين ، وبدعم من جملة من أهل اليسار في البلاد. وقامت على نمط هذه الدورة مثيلات كثيرة تقام في فصل الصيف في بلاد ومدن عدة ؛ حيث أقيمت بالمدينة النبوية والرياض ومدن القصيم والمنطقة الشرقية وجدة واليمن والسودان وغيرها من بلاد الله المباركة ؛ جزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وها هنا نموذج من هذه المعالم:

دورة حفظ السنة بمكة المكرمة:

قام مشروع حفظ السنة بمكة صيف سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وألف ؛ حيث أقيمت تجربة قبل ذلك لعدد من الطلاب في العام الذي قبله ، وختمت بنجاح.

وفي تلك السنة ١٤٢٢هـ بدأت أول دورة لحفظ السنة ، وهيئ للطالب كتابه ومسكنه وطعامه وشرابه ، وبقي متفرغًا سبعين يومًا لهذا المشروع. وكانت مسيرة الدورة تبدأ بتسجيل الطالب عن طريق موقع الدورة على الشبكة العنكبوتية: (الوحيان) www.Alwahyain.net.

وتحدد للطلاب مواعيد مقابلتهم واختبارهم في حفظ القرآن أولًا ، ثم أهلية الطالب للدخول في الدورة من جهة سنه وسلوكه ومستواه العلمي وتقديره الدراسي ، وتزكيات المشايخ له.

وعند القبول يبَلَّغ الطالب بموعد بداية الدورة ، ويطلب منه أن يكون بمكة قبل موعد بداية الدورة بيوم. يتوزع الطلاب على حِلَق متعددة ، كل حلقة فيها عدد من المسمِّعين والمحفِّظين. وكل حلقة من هذه الحِلَق هي أشبه بالدورة الصغيرة ، ولهذه الحلقة مشرف ونائبه وبضعة مسمِّعين ، وقريب من عشرة طلاب.

ومع بداية الأسبوع يبدأ الطالب في حفظ وِرْدِهِ اليومي عشرين صفحة ليتمها مائة وعشرين يوم الخميس. وتُجري إدارة الدورة بحضور المشرف العام على المشروع الشيخ يحيى بن عبد العزيز اليحيى اختبارًا أسبوعيًا يوم الجمعة لهؤلاء الطلاب تكرم المثابر ، وتستبعد المتهاون ، كما ترفع أسماءهم على لائحة في الفندق الذي يسكنه الطلاب وأمام كل اسم تقدير الطالب ونتيجة اختباره.

ثم يعود الطلاب مع مطلع الأسبوع التالي ليكملوا المشوار. ويستمر الاتصال بجملة من هؤلاء الطلاب في مدنهم وقراهم ليبقوا على صلة بالعلم ، ويعانوا على المراجعة.

وللطالب بعد إشراقة الشمس وقبل غروبها طيلة مدة الدورة استراحة محارب ، يجلس مع مشرف حلقته ، وهو يشرب شيئًا من السواخن تعيد له نشاطه ، وتجري أحاديث تربوية وعلمية ، تجدد العزيمة ، وتعيد الهمة.

كما تشجع الدورة الطلاب على صيام يومي الإثنين والخميس في جانب من الطرح التربوي والتعاون على البر والتقوى.

ويتراوح عدد المرتبطين بالدورة من طلاب ومشرفين ومساعدين بما فيها عوائل بعضهم بين المائة إلى المائة والخمسين إلى المائتين ، هم نخبة مختارة ، وصفوة منتقاة.

ويعد هذا المشروع رائدًا في مجال نشر السنة ، حيث تُهَيَّأ نفوس الطلاب ، ويُفَرَّغون من أي انشغال ؛ فالسكن مهيأ ، والطعام والشراب معد في أوقاته ، والصحبة ترفع عزيمته وعزمه.

وبالتجربة فإن انصراف الطالب عن الشواغل ، واعتياد ذهنه على الحفظ جعل بعضهم ينهي ورده اليومي عشرين وجهًا من قبل أن تشرق الشمس! إن في نفوس الشباب من الطاقات الفائقات ، والعزائم اللزائم ، والمقدرات المهدرات أمرًا عجبًا.

مذاكرة المحدثين في دورة الصحيحين:

لم نعش يومًا بين أكناف المحدِّثين ولا زاحمنا أكتافهم ، ولم يسبق لنا سماع مذاكرتهم ، ولم نقف معهم خلف سواري المسجد أو عند بابه نتذاكر الحديث حتى يطلع الفجر. وكم يتمنى المسلم أن لو عاش بينهم وشنَّف مسمعه بحديثهم.

وفي رحاب هذه الدورة المباركة كانت في نهاية كل أسبوع مذاكرة مع الشيخ يحيى بن عبد العزيز اليحيى ، يتدارس فيها الطلاب الأحاديثَ ، ويتذاكرونها سويًا.

كانت المذاكرة في صالة فسيحة يجلس فيها عدد من طلاب الدورة فيسأل الشيخ: هات أحاديث ابن مسعود في كتاب الإيمان ، وهات أحاديث ابن عمر في كتاب الطهارة ، وهكذا.

وربما سألهم الشيخ: حديث: (ثلاث للمهاجر) من رواه؟ وحديث: (لكل نبي دعوة) من رواه؟ واذكر الحديث الذي يليه والحديث الذي قبله. وهكذا.

ويبقى الطالب في هذه المذاكرة ساعة أو ساعتين. ومن حضر المذاكرة واستمع للطلاب أحس كأنه يعيش بين ابن معين ، وأحمد بن حنبل ، والقطان ، والبخاري. وإنما حياة العلم مدارسته.

من حفظ سريعًا وراجع سريعًا: ضبط سريعًا:

تتوارد على ألسنة كثيرين عبارة: (ما حُفِظَ سريعًا نُسِيَ سريعًا) ، في حين أن بعض الدراسات تؤكد أن عامل الضبط في الحفظ هو قوة التركيز والمراجعة أول الحفظ.

وهذا ما شاهده القريب والبعيد من الدورة ؛ فإن كثيرًا من طلاب الدورة كان قد أتم أكثر من ثلاثة آلاف حديث ، وقد قدر أن يراجعها في قريب من أسبوع. وبعضهم في فصل دراسي أو سنة.

كل هذا مؤشر على أن هناك نوعًا ما ؛ تغافل عن قدرات الحفظ لدى شباب الأمة ، وكم على ظهر الأرض من نوادر وجواهر.

ولم تكن الدورة تخلو من مشاريع المراجعة سواء ما كان منها في داخل الدورة أم في خارجها ، ويسعى القائمون على أن يبقى طلاب الدورة على اتصال بأحد المشرفين ليكمل مراجعته في بلده.

نماذج ونوادر:

لم تخلُ هذه الدورة في مسيرة السنوات الأربع الماضية من نوادر يعجب الواحد منا لشأنهم ، ويحقر نفسه عند عزمهم.

وكان رأس هذه النوادر الشيخ يحيى اليحيى ؛ فكان يعدّ أحاديث الصحيحين كأنما يعد أبناءه ، الأول فالأول.

وكانت في هذه الاختبارات نماذج فريدة ، منها:

أحد الطلاب في الخامسة عشرة من عمره كان يأتي برؤوس الأحاديث في كتاب الأدب أو كتاب الطهارة أو نحو ذلك من آخر حديث لأول حديث وكأنه يعد من العشرة للواحد. وآخر كان قد أتم في يومٍ قريبًا من سبعين صفحة. وطالب قد حفظ مختصر الصحيحين في خمسة وثلاثين يومًا ، ثم اختبره الشيخ بمائة سؤال فلم يخرم من إجابتها شيئًا. ولم يزل في أبناء هذه الأمة نفر ليس بالقليل تُعقد عليهم الآمال ، ويُرجى عليهم الظفر بإذن الله.

وفي هذه الدورات نخب من الواجب على الأمة أن لا تستهين بهم ، وأن توليهم اهتمامًا ورعاية ، وأن تعي أن النوادر من أبنائها ينبغي أن لا يشغلوا في الدنيا بتحصيل لقمة العيش ، أو الركض لأجل البقاء في أي بلد كان ذلك الشاب ولأي عرق انتسب.

وهذه المشاريع في حفظ السنة وما يتبعها ويلتحق بها من دورات في التفسير والعقيدة ونحوها من الفنون هي قريب من الجامعات المصغرة والتي إن أُوليت اهتمامًا وتكاتفت الجهود فيها ، وصحت النيات في إقامتها ، وصدقت النفوس مع الله فيها ؛ فإن الله - تعالى - ولي حفظها ورعايتها ، وإخراج ثمراتها وإثمارها.

الفصل الثالث

نحو تدريس فعّال
نظرة إلى معاهدنا العلمية

ومعاهدنا العلمية: مؤسساتنا التربوية والتعليمية كالجامعات الإسلامية والمؤسسات الدعوية مرورًا بمدارس التعليم العام ، والمعاهد العلمية التابعة للجامعات الإسلامية ، ودروس المساجد والدورات العلمية المختلفة التي ينظمها علماء ودعاة الصحوة.

ثمة أمور تدعونا للحديث عن واقع معاهدنا العلمية التعليمي:

- أهمية المراجعة المستمرة لطرقنا ووسائلنا التعليمية والتربوية ، مع التنبيه على أن حديثنا عن هذه المعاهد المباركة ليس إلا نقدًا للذات ومحاولة لتصحيح المسار.
- اعتماد كثير منها على التلقين مما أنتج طلابًا ضعيفي العزم غير قادرين على البحث والتحليل ، ولن تستطيع مدارسنا وجامعاتنا فعل شيء ذا قيمة إلا إذا كفّت عن تلقين المعلومات.
- الفوضوية والعشوائية في طلب العلم ؛ فهذا يقرأ في شروح الألفية وهو لم يتقن الآجرومية ، وذاك يتدارس مباحث الطحاوية قبل المرور على كتاب التوحيد أو الواسطية. . وهكذا.
- في زمن ضعفت فيه الهمة وكثرت فيه الملهيات يصرُّ المعلمون على التدريس بنفس الطريقة التي تعلموا بها دون مراعاة لاختلاف الزمان ، وتدني الهمم ؛ فمن الصور الشائعة لنا جميعًا: « قراءة المعلم خلف مكتب مائل أمام الفصل ، حيث يصل للطلاب صوت المعلم ، بينما

يغط الطلاب أو بعضهم في نوم عميق!!.

- ومما يزيد الطين بلة غفلة كثير منهم عن أهمية التنويع والتجديد في طرح وتدريس العلوم الشرعية أو عدم قناعتهم بذلك ، وزعمهم أن الحديث عن (تقنيات التعليم) وطرق التدريس ضرب من الهذيان والكلام الفارغ ، بل هو تقليد للكفار وإعجاب بهم!! فهؤلاء هم السلف حازوا العلم ونشروا العلوم ولم يقرءوا ما كتبه (رونتري) عن تكنولوجيا التعليم ، ولا ما كتبه (بلوم) عن الأهداف ؛ فنحن على خطاهم نسير وبهداهم نقتدي!!

والجواب عن ذلك من عدة أوجه:

أولًا: أن الحكمة ضالة المؤمن ، وإذا كان في كلام القوم ما ينفعنا فلماذا لا نستفيد منه ؟

ثانيًا: زماننا يختلف عن الزمان الذي عاشه أسلافنا ، بل المتتبع لأحوالهم يلحظ اختلافهم في طريقة تحصيل العلم ؛ وهل قال أحد: إن ابن عباس ت ، و ابن حنبل ، و ابن حجر ، و ابن إبراهيم - رحمة الله عليهم أجمعين - طلبوا العلم بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب ؟! ثم أين همم هؤلاء من همم أبنائنا؟!

ثالثًا: إن من تمام التبليغ أن ننشر العلم بصورة لا تخالف الشرع وتناسب روح العصر ، وهل من أداء الأمانة أن تُدَرَّس الرياضيات والفيزياء والأحياء ونحوها باستخدام أفضل الوسائل التعليمية مع توظيف أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا التعليم من بحوث ودراسات ، بينما نظل على الأسلوب التقليدي التلقيني ؟

رابعًا: على الرغم من أن أكثر الدراسات الأكاديمية في هذا الباب هي دراسات غربية إلا أن أغلبها مفيد ونافع ، بل كثير مما ذكروه إسلامي أصيل ؛ إلا أن السلف لم يفردوه في كتابة مستقلة ؛ فأنت لا تجد لهم حديثًا مفصلًا عن (التخطيط الجيد لعرض

الدروس) ، أو التصريح بأهمية (تحديد الأهداف) أو (التقويم) ، لكنك تجد مفهوم ذلك وأكثر مبثوثًا في كتبهم. وما أحوجنا إلى دراسة متخصصة تجمع شتات هذا الموضوع (تقنيات التعليم) من كتب علمائنا وأئمتنا.

لذا كان لزامًا علينا أن نسعى لتفعيل دروسنا.

لكن ما هو التدريس الفعّال ؟!

التعليم الفعّال هو التعليم الذي ينتج عنه تعلّم فعّال! والتعلم الفعّال هو الذي تتوفر فيه السمات الآتية:

١ - أن تدوم آثاره ونتائجه ، بعد دخوله وجدان المتعلم.

٢ - أن يستفيد منه المتعلم في حياته ، ويطبقه في أرض الواقع.

الفصل الرابع

حِلَق العلم ودورها
في تخريج العلماء الذين نبحث عنهم

إن حامل العلم إذا قَصَر نفسه على حِلَق العلم ، وحبس نفسه بين الكتب ، وأسر نفسه لطلابه ومريديه ، لم يكن من الربانيين الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فلن تكون لديه القدرة على تمييز مَن الأَوْلى بصغار العلم ، ومن يحتمل كباره ، وسيعجز عن نقل الأمة من مرحلة تلقي صغائر المسائل ، إلى مرحلة تلقي كبارها.

ويُخرج لنا انعدام أو فقد شيء من صفات القيادة وخصائصها ، حَمَلة للعلم عجزة ؛ نعم عجزة! عجزة عن الجهر بالحق ؛ لأنهم درسوا علومًا أفرغت في عقولهم دون أن تجاوزها إلى قلوبهم وأخلاقهم وأعمالهم ، فتمر بالأمة أزمات ، فلا يقتصر عجزهم في مواجهتها على اتخاذ مواقف عملية جريئة ، بل حتى في المواقف العلمية يقفون عاجزين حائرين عن الصدع بكلمة الحق ، فتتخبط الأمة ، ولا تخرج من شفاههم كلمة حق تبرئهم أمام الله لأ.

وهاهنا بعض اللفتات التي تسهم في وضع الحلول لمشكلة القصور في تخريج العلماء القادة الذين نريد ، والتي يمكن أن نرجعها إلى الطريقة التي تعلم بها أو تربى عليها حملة العلم أولئك ، وأُسُّ الحل ورأسه أننا بحاجة إلى إعادة صياغة الأنشطة العلمية التقليدية: حِلَقًا ، أو محاضرات ، أو دراسات أكاديمية لتحويلها إلى برامج شمولية تخرج لنا علماء قادة ربانيين:

١- لا بد من تحويل الحِلَق العلمية المتناثرة إلى برامج شمولية من الناحية العلمية أولًا ، ومن النواحي التربوية الأخرى ثانيًا. فأما من الناحية العلمية ، فلا بد أن تراعى قضية التدرج ، والتكامل ؛ فالتدرج حتى لا يقفز الطالب إلى مرحلة أعلى قبل أن يهضم المرحلة التي تسبقها فينمو نموًا ذهنيًا علميًا طبيعيًا ، أما التكامل فإنه لا يقتصر في

تعليم الطالب على فن واحد ، أو يضخم له جانبًا من العلوم على حساب الجوانب الأخرى.

إنّ حلق العلم المنتشرة في كثير من البلاد الإسلامية حلق مباركة لا شك في ذلك ، لكن الدراسة المنهجية تتفوق عليها بمراعاة هذا التكامل الضروري ؛ فعلى الأقل أن يكون كبار العلماء على وعي من غياب التكامل الذي ينتج تلك النتائج السلبية ، فإذا رأوا أن أكثر الطلاب مثلًا يقرؤون في العقيدة ، مع إهمال غيرها من العلوم ، وجهوهم لدراسة علوم أخرى كالتفسير ، والفقه ، والأصول ، واللغة ونحو ذلك ، بل إذا رأوا أن الطلاب أغرقوا في دراسة أبواب علم من العلوم ، كما نشاهد من الكثير عند دراسة أبواب الإيمان من العقيدة ، دون دراسة جميع مباحث العقيدة ، أو كما نرى الطلاب يغرقون في دراسة أبواب الطهارة والصلاة دون أن يتمكنوا من دراسة جل أبواب الفقه من الجهاد ، والبيوع ، والنفقات ، والقضاء ، وغيرها.

إذا رأوا تلك المشكلات - بل يجب عليهم أن تكون لديهم القابلية على الرؤية ، والمراجعة ، والاهتمام بما يجري ، على الأقل في مجالهم العلمي - إذا رأوا تلك المشكلات يجب عليهم أن ينبهوا غيرهم من العلماء إلى التفطن إلى هذه القضية ؛ كما أن عليهم أن يوجهوا الطلاب إلى ضرورة تلك الدراسة الشاملة.

أما من الناحية التربوية فلا بد أن يضيف الشيخ إلى الدراسة النظرية بعض الجوانب التربوية مع تلاميذه بأن يربط لهم العلم النظري بالواقع وكيفية تطبيقه ، ثم يمزج المسائل العلمية بالقلوب والإيمان ، ويحرك بواعث الخُلُق الحسن من خلال الموضوعات العلمية التي يتناولها ؛ ناهيك عن مزجها بالواجب تجاهها المتمثل في العمل على تطبيقها ، والجهاد في الدفاع عنها.

٢- لِمَ لا نفكر جديًا بالخروج عن النمط التقليدي في حِلَق العلم التي عليها المعوَّل الأكبر لإخراج العلماء القادة ؛ حلقة فيها شيخ يتكلم ، وتلاميذ يستمعون ، وقد يتاح لهم الفرصة للسؤال في آخر تلك المحاضرة أو الدرس ، فلِمَ لا نفكر بالانتقال إلى

طريقة حديثة في التعليم بأن تتاح الفرصة للطلبة للتحضير ثم إلقاء الدرس ، وإتاحة الفرصة للحضور أن يسألوا ويناقشوا في حضرة الشيخ والشيخ يصحح ويوجه ، وكذلك من الخروج عن الطريقة التقليدية في التعليم استخدام الوسائل الحديثة التي ارتبط استخدامها بالعلوم الأخرى: إدارية أو هندسة أو غيرها.

إن فوائد هذه الطريقة كثيرة جدًا ، منها أنها تعوِّد الطالب على تحمل المسؤولية ، كما ترسل له رسالة واضحة بأن دورًا ما سيأتي لتلقي وتشارك وتعطي بدل أن تأخذ ، كما أنها تجعله أقدر على البذل والعطاء ، إضافة إلى أنها تثبت المعلومات بصورة سريعة ، بالإضافة إلى أن استمراريتها يمنح الطالب شيئًا من الروح القيادية مع بعض مهاراتها.

٣- من أكبر ما ينقص بعض حملة العلم تصورهم لكثير من مسائل واقعهم تصورًا دقيقًا ، وهذا كما أسلفنا خلل يؤدي إلى عواقب سيئة ؛ فكيف يخرجون بأحكام عن مسائل لا يتصورونها ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، ومن أهم أسباب ذلك أن كثيرًا منهم حبس نفسه بين الكتب العلمية دونما قراءة لأحداث تاريخه الذي يعيش فيه ، وعاش رَدَحًا من الزمن بعيدًا عن الفهم العميق لمشكلات أمته التي هو أحد أفرادها ، بل هو أحد أهم أفرادها.

وإذا شخَّصنا أسباب هذا الداء عرفنا العلاج المتمثل في جعل دراسة الواقع العقدي ، والسياسي ، والاقتصادي ، جزءًا لا يتجزأ من البناء العلمي لعلماء المستقبل. لِمَ لا ندرّس في حلق العلم شيئًا من أصول السياسة ، ونتفًا من تاريخ الصراع بين الغرب والإسلام ، وموقف المذاهب الهدامة من الدعوات الإسلامية ، وأطرافًا من الأساليب الحديثة في الحرب على الإسلام؟

وحتى في الحلق العلمية نفسها نحسُّ أن قصر الشيخ نفسه على الدرس دونما تعرض ولو بالذكر لشيء من المشكلات الرئيسة التي تمر بالمسلمين في تلك الأيام يرسل رسالة غير مباشرة قوية التأثير مفادها عدم الاكتراث بتلك المصائب ، أو أن البحث عن حلولها ليس من شأننا ، أو أن تخصصنا هو ما بين أيدينا ، وغير ذلك من الرسائل

السلبية المدمرة للبناء القيادي للشخصية العلمية.

فلو جعل الشيخ افتتاحية الدرس ، أو ختامه للتعرض لبعض الأخبار ونقدها لكان في ذلك خير كبير ؛ إنه يولد لدى الطالب ضرورة الحرص على الاهتمام بشأن المسلمين ؛ ناهيك عن أنه يوسع آفاقه ومداركه ، وأهم من ذلك كله أننا سنجد بعد برهة من الزمن ، وشيء من الخبرة والحنكة في تطبيق هذا ، سنجد في تلك الحلق العلمية التي يشرف عليها حملةٌ للعلم كبارٌ نقاشًا جادًا لمشكلات الأمة التي تمر بها بدل أن يُجعل نقاش تلك الأمور في السراديب التي تقود إلى أنفاق مظلمة ، فلا حرية في نقاشها ، ولا إشراف من العلماء أصحاب الخبرة العلمية والعملية عليها ، والنتائج نراها بأعيننا.

كما أن من فوائد ذلك أننا نشيع جوًا من الحرية الصحية التي يحتاج إليها أي مجتمع يريد بناء نفسه بناءً صحيحًا متحررًا من ضغوط القهر أو إملاءات السلطة ، وفي نفس الوقت نقطع الطريق على الطامعين الذين يستغلون تلك الأجواء المتوترة للهجوم علينا ، أو المطالبة بتغييرات ليس لها علاقة أصلًا بالحرية ، أو المشاركة في تسيير دفة الأمة.

٤ - ومن الأمور التي تعين على إزالة ظاهرة التقوقع التي أصابت كثيرًا من طلبة العلم ، فأصابتهم بالعجز عن فهم كثير مما يجري حولهم ؛ فضلًا عن المقدرة على إيجاد حلول مناسبة لتلك المشكلات: الكف عن امتداح منهج التقوقع هذا بحجة أن فلانًا لم يعرف سوى العلم ، وفلان العالم لا يحسن شراء زجاجة من طيب ، والعَالِم الآخر كان في مرحلة الطلب يغلق الأبواب على نفسه ولا يخرج إلا إلى الصلاة ، وآخر وضع نفسه قيد الإقامة الجبرية حتى يحفظ تقريب التهذيب ، ونحو هذا.

قد تكون هذه التصرفات لائقة في أوقات عز الإسلام ونصره ، أو لبعض الناس دون بعضهم ، لكن أن تُمتدح وتُصور على أنها المنهج الذي ينبغي أن يسلكه طالب العلم ، فيحلم بها الطلاب ، ويقلدون هذه الأفعال دونما فقه ومراعاة لتغير الأحوال والظروف ، بل دون مراعاة لواجب الوقت ؛ فتلك مشكلة.

٥- من المتقرر في الأذهان والنفوس أن الطلبة يتطلعون إلى شيخهم على أنه قدوة لهم ، قصدوا ذلك أو لم يقصدوه ، أراد شيخهم ذلك أم أبى ؛ فإذا كان الشيخ يدرس طلابه آيات وأحاديث الأمر بالمعروف والنهي عن النكر ، ويرونه قاعدًا في أواخر صفوف المواجهة ، لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ؛ فكيف ستكون ردود أفعالهم؟ بل كيف سيَنْشَئون ، أو يُنَشّئون؟ سينشأ لدينا بعد مدة من الزمن جيل من حَمَلة العلم قاعد ، بل مشلول جبان ، ليس لديه القدرة على إنكار منكر ، أو الأمر بمعروف ، فضلًا عن أن يكون لديه القابلية لتغيير واقعه.

لكن قارن حال هؤلاء الطلاب حينما يرون شيخهم في المحافل العامة يجدُّ ويجتهد: يخاطب هذا ، وينصح هذا ، ويتحدث مع هذا ، يراسل الرئيس والأمير ، ويذهب إلى الملأ ينكر عليهم في مجامعهم ، يرونه فعّالًا مبادرًا كما كان الرسول ص.

٦- ومن أهم الصفات في الشخصية القيادية القدرة على الإدارة ، والتنظيم والانطلاق نحو الهدف ، والمبادرة ، والتعامل مع الظروف الصعبة ، وغيرها ، وكل هذه مهارات نبوية ، لكن علماء المسلمين أغفلوها في هذا الوقت ، وأغفلوا إبراز جوانب السيرة التي عُنيت بها ، في الوقت الذي تلقَّفها غير المسلمين وتفننوا في الحديث عنها ، وتطبيقها ، وتطويرها ، وتقريبها للناس بلغة مناسبة.

فإذا كان الحال كذلك - أي أن تلك مهارات نبوية ، وأنها أساسيات مطلوبة في الشخصية القيادية - فلِمَ لا نوليها عنايتنا بأن نجعلها من صُلب اهتمامات المؤسسات التعليمية ، وحِلَق العلم ، وبرامج التربية ، بل نقول: لِمَ لا نَصُوغ حِلَق العلم بطريقة توفر أو تهيئ اكتساب تلك المهارات وتعليمها لطلبة العلم؟

٧- تقديم شيء من تلك المهارات على شكل دورات إدارية في الإدارة والقيادة لحملة العلم وطلبته الذين يتصدون لتدريس الناس وتعليمهم.

٨- ولا بد للشيخ كذلك من أن يمزج درسه العلمي بجوانب تطبيقية تمس الواقع ، كأن يتحدث عن بعض المشكلات التي تواجه المسلمين عمومًا أو تمس أهل البلد أولئك ، وحبذا أن يستشهد على صحة كلامه بتحليلات خبراء ذلك المجال ، ولو ذكر مصادره في استقاء تلك المعلومات لكان مفيدًا جدًا ليرى الطلاب عمليًا ضرورة الاهتمام بأمور المسلمين ، وأهمية عدم العزلة والانفراد.

الباب التاسع

الدعوة العامة

الباب التاسع
الدعوة العامة

إن الدعوة العـامة عالم خصب من الجهود والأفكار والأعمال ، وأكثر ما يُمْتع فيه أنه سهل التنفيذ سريع الأثر. وهذان هما المقصدان الأساسان في الدعوة العامة.

إن الدعوة العامة ليست تربيةً عميقة الأثر ، ولكنها رسالةٌ متنقلة يحملها الداعية الميداني إلى كل مكان ، إنه لن يعاني كما يعاني المربي ، لأنه ليس مخاطَبًا بالنتيجة ومحاسَبًا عليها كذاك ، ولكنه يحمل قضية الإسلام كدين يجوب بها في كل مكان ، إنه يخاطب كل البشر ، يدعو كل الطوائف ، ينصح كل الناس ، يحاور كل الأجناس ، يتداخل مع كل الأنواع والأصناف.

عُدَّتُه ما تعَلَّمَه من العلم ولو كان قليلًا ، فهو ينصح من يراه لا يصلي لأنه يعرف أن ترك الصلاة من كبائر الذنوب ، وينصح شـارب الدخـان لأنه علم دليل حرمته ، ويحارب المخدرات ومن يتاجر فيها لأنه تبين له وجه الخطر والشر على المجتمع منها ، يواجه التبرج والسفور باعتباره رذيلة تهدد عفة المجتمع ومثله ، يجابه الانحلال في أجهزة الإعلام لأنه يعلم خطر ذلك على البناء الخلقي للمجتمع.

إن مثل هذه القضايا يحملها كل مسلم أينما حل أو ارتحل ، ونحن نطالب كل مسلم ألا يقف موقف المتفرج ، بل يبادر إلى الصدع بالحق في كل ميدان ، ليحاور زملاءه في العمل ، ليحاور المدرس تلاميذه ، ليحاور طالب الجامعة أصدقاءه ، ليحاور الراكب في المواصلات من معه من الركاب ، ليحاور المسلم أقرباءه في كل زيارة أو مناسبة اجتماعية ، ليحاور المسلم كل من حوله من الناس.

إن هذه الدعوة الدءوب هي التي ستجعل الإسلام قضية المجتمع ، وهي التي ستحيي في الناس عاطفة التدين ، وتصرف اهتماماتهم إلى المعالي ، ومثل هؤلاء الدعاة في كل ميدان هم الذين يحددون للمجتمع أولويات اهتماماته ، وهم الذي يصوغون الرأي العام إن جاز التعبير.

إن المطلوب من المسلم الذي يمارس الدعوة العامة ألا ييأس من النتائج ، وألا يقنط من التخاذل ، فهو لا يدعو ليهدي ، ولكنه يدعو لتكون كلمة الله لأ هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

إن المُتَصَوَّر في هذه الطريقة أن نستثير اهتمامات الناس بالدين ، لا أن نصل بهم إلى نقطة معينة في الالتزام بالدين ، فالعملية الدعوية التي تفرز إنسانًا ملتزمًا بالدين عملية معقدة ، وهي أشبه بالدورة التي يلتقط فيها المدعو من كل بستان زهرة حتى تتكون لديه باقة من الأزهار إن أعجبته جمعها وزين بها بيته ، فيعلم الداخل أن ذلك المدعو قد أعجب بتلك الأزهار ، إذ لو لم تعجبه لما زين بها بيته.

وقضايانا التي ندعو الناس إليها أشبه بتلك الأزهار ، فيتلقى المدعو زهرة في مكان عمله ، حتى إذا ركب وسيلة المواصلات وجد من يقدم له زهرة أخرى ، فإذا أفضى إلى الشارع الذي يسكن فيه وجد من جيرانه من يقدمه له أخرى ، ثم إذا عرج على دكان ليشتري شيئًا وجد داعية في الدكان يهديه زهـرة رابعة ، ثم إذا دخل البيت قد يجد ابنه الملتزم يبادر إليه بزهـرة خامسة ، ثم تتوالى الأزهار على ذلك المدعو حتى تتم الهداية بتوفيق الله -.

والناس من حولنا يرون بساتين الصـحوة في كل مكان ، منهم من يجفـل ويخاف ، فيرقب من بعيد ، فهذا يحتاج إلى تشجيع ، ومنهم من يشك ويظن الظنون ، فهذا يحتاج إلى إقناع ، ومنهم من اقتنع ولكنه واهن العزيمة فهذا يحتاج إلى دفعة ، ومنهم من اقتنع واندفع ولكنه انتكس وملّ ، فهذا يحتاج إلى شحنة.

وكلما تعمَّقْتَ في فهم أسرار الحركة الاجتماعية الدعوية ، ستعلم أن الدعوة العامة من أكثر طرق الدعوة تأثيرا في المجتمع. ومن باب الاحتراف في خدمة الدين ينبغي لكل من تصدى وسيتصدى للدعوة العامة أن يتسلح بعُدّة هذه الدعوة ، وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

والحكمة وضع الأمور في نصابها ، والموعظة الحسنة هي التي لا غلظة فيها ، والجدال بالتي هي أحسن هو ما كان مثمرًا ، لا الجدال العقيم الذي أمر النبي ص بتركه.

الفصل الأول

الدعـوة العامة
المفهـــوم والتأصيـل

تعريف الدعوة العامة:

الدعوة العامة هي: العمل الدعوي الموجه لعموم المسلمين من خلال فئة مخصوصة بتحقيق أهداف محددة.

أي أن المقصود بالدعوة العامة هي: كل الجهود الدعوية على اختلاف صورها وأشكالها من كلمة مسموعة أو مكتوبة ، أو صورة عملية أو مشروع إسلامي أو غير ذلك ، يقصد بها ، أو توجه أساسًا إلى عموم المسلمين دون أن يكون فيها قصد بتخصيص فئة بعينها كفئة طلبة العلم ، أو فئة التجار أو فئة الاقتصاديين أو فئة الإعلاميين بل تخاطب المسلم بوصفه مسلمًا أيًا كان نوعه أو أيًا كان نوع تفكيره رجلًا أو امرأة صغيرًا ، أو كبيرًا عالما أو عاميًا.

ويُعنَي بهذا العمل ويقوم عليه فئة مخصوصة ، وهم الذين انتدبوا أنفسهم للدعوة إلى الله لأ ونذروا جهودهم لتقديم الخدمات الإسلامية التي من خلالها يتم نشر الدعوة والترغيب في هذا الدين وبيان محاسنه ومزاياه ، ويقصد من خلال هذا العمل الدعوي تحقيق أهداف معينة يرجى أن تؤثر في عموم المسلمين تأثيرًا إيجابيًا.

أصالة الدعوة العامة:

العمل الدعوي العام أصل أصيل في هذا الدين ؛ فإن النبي ص بُعث إلى الناس كافة ، لم يبعث إلى فئة بعينها ولا إلى طبقة تتميز بخصائص في علمها أو شكلها ؛ بل بُعث إلى كل أحمر وأسود ، وإلى كل صغير وكبير ، وإلى كل رجل وامرأة ، وإلى كل عالم وعامي ، إلى عموم الناس كلهم على اختلاف مشاربهم وتفاوت قدراتهم واختلاف

إمكانياتهم.

وتشريعات الإسلام نفسها تدل على أن هذا الدين العظيم دين لكل الناس جميعًا ، ولذلك نجد الصلاة - وهي الركن الثاني من أركان الإسلام - هي صورة من صور عموم هذا الدين وشموله ، فليست الصلاة للعلماء دون الجهلاء وليست لأصحاب العقول الذكية دون غيرهم ، بل نجد الصف الإسلامي يتمثل كاملًا في هذه الصلاة صغارًا وكبارًا رجالًا ونساء. إلى آخر من نرى من طبقات المجتمع والشعب في أي بيئة من البيئات الإسلامية ، ولذلك تتجسد في هذه الصلاة معاني عموم هذا الدين ، كما تتجسد فيه معاني الوحدة الإسلامية فالقوي إلى جوار الضعيف والغني إلى جوار الفقير والعالم إلى جوار العامي ، وهكذا.

والحج أيضًا موسم جمع المسلمين الأعظم ، فنرى فيه أيضًا عموم هذا الدين إذ يدعى إليه كل مسلم على وجه الأرض ليؤدي هذه الفريضة وهذا الركن من أركان الإسلام ، وإذا تمثلنا وتأملنا في سيرة المصطفى ص ؛ فإننا نجد التطبيق الأمثل والأكمل لهذا الدين وللدعوة الإسلامية يتجسد في هَدْيه ص فعلًا وفي حديثه الذي بلغنا قولًا ، فلا نجد فيما بلغنا عنه ص إلا كل شمول وكمال ، فقد خاطب الصغار والكبار وتعرض لشأن المرأة المسلمة وأحكامها وما ينبغي لها.

كما ذكر العلم وضوابطه والحث عليه كما بيّن أمر الإنفاق والبذل وذكر ما يتعلق في حياة الناس في اقتصادهم ومعاشهم وما ينبني عليه ذلك مما يتعايشون به من زيارات وعلاقات اجتماعية وغير ذلك ، وكان ص يضرب في كل غنيمة بسهم وفي تراثه وهديه وحديثه كل ما يتصل بمناحي الحياة ، وكل ما يتصل باحتياجات الإنسان ، ففي كتاب الله وسنة رسول الله ص خطابٌ للعقول المفكرة ، وإحياءٌ للقلوب المخبتة ، ومناجاةٌ للنفوس واشتياقها ، وتلبية لحاجات الجسد وتغذية لاحتياجات الروح ، كمال شامل وعموم لا يدع شاردة ولا واردة إلا أتى عليها وألمّ بها في أصول عامة وكذا في بعض تفصيلات كثيرة خاصة ، ومن هنا يكون لهذا الدين صلاحيته لكل زمان ومكان.

ولذلك جمع هذا الدين عبر تاريخه الطويل الأسود والأحمر والأعجمي والعربي ومن يكون في أقصى الأرض شرقًا ومن هو في أقصى الأرض غربًا ، ولذلك لا بد أن نفهم أن هذا الإسلام غذاء وواحة ودوحة للبشر جميعًا للكافرين الذين ماتت قلوبهم لتحيى وتستنير بهذا الدين والإسلام ، للمذنبين ليقبلوا عليه فيتطهروا ويستغفروا ، لمن يريدون أن يعمروا هذه الحياة فيعملوا ويضربوا في مناكبها ويبتغوا من فضل الله ورزق الله - ، لمن يريدون أن يعمروا علاقات الود الإنسانية فإذا بهم يجدون منهجًا متكاملًا في هذا الشأن ، وهكذا ينبغي أن نعرف هذا الدين فلا نقصره على فئة ولا نوجهه إلى نوعية من الناس فقط ثم نحرم كثيرًا من أبناء هذه الأمة والملة ومن غيره من نور هذا الإسلام ومن حيويته وروائه وعطائه وكماله وشؤونه.

من أعلام الدعوة العامة:

ها هنا أمثلة من بعض أعلام هذه الأمة من كبار علمائها ودعاتها ، لنرى أن الواجب هو أن تكون دعوة الإسلام عامة ، وأن يندرج كل احتياج تحت هذا الأمر. فقد كانوا أئمة للعامة ، يتصدون لإرشاد كل الناس ، فيتزايد حب القلوب لهم تدريجيًا ، ويرون فيهم القدوة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، فيتبعونهم ، ويمتثلون أمرهم.

١ - هذا إمام أهل السنة الإمام أحمد / كان كما وُصف (رجل عامّة) كان يجيب السائل ويعلم الجاهل ، ويحضر الولائم ويشارك في الجنائز ويعيش مع الناس في كل لحظة من لحظات حياته ، فيرون فيه القدوة الحية التي تمثل العالم العامل والداعية المجتهد والمسلم في سائر صوره وأحواله.

ولذلك لننظر أثره عندما كان على هذا النحو وعلى هذه الصورة عندما وقعت الفتنة في خلق القرآن وابتلي بها أعلام وأعلامها ، وجاء الدور على الإمام أحمد / ، وكان في السجن وجاءه بعض أصحابه يقول له: « لو قلت قولًا لا تغضب به ربك وتحمي به نفسك لكان أوفر لك وأدعى الى انتفاع الناس » ، أي لو قلت قولًا يكون فيه تورية ؛ بحيث كما قال بعضهم أقوالًا خرجوا بها من الفتنة والمأزق ولم يثلموا دينهم ولم يقولوا

قول الباطل ، لكن الإمام أحمد قال لهذا الرجل: « انظر إلى من ورائك؟! » ، فنظر الرجل إلى شرفة المكان فإذا جماهير غفيرة من المسلمين أكثرهم يحمل ورقته ودواته ينتظر ما يقول الإمام أحمد ؛ ليدونوه وينتشر شرقًا وغربًا وتقتدي به الأمة وتأتسي ، قال: « وإني أخشى وأربأ بنفسي أن أكون سببًا في إضلال هؤلاء ».

فهذا نموذج عندما كان هذا الإمام رجل عامة يخاطبهم ويوجه الدعوة لهم.

٢- وابن الجوزي ورد في ترجمته أنه كان يحضر مجلس وعظه سبعون ألف وكان المبلغون يعدون بالمئات لأنه لم تكن هناك ميكرفونات فكان بين كل مسافة ومسافة مبلغ يكرر القول ، وكان مجلسه يعقد في بغداد في حرم دار الخلافة أي في فنائها والنساء في الشرفات والناس يملئون الطرقات ، قال بعض المترجمين وقل أن أنهى حديثه ووعظه بل كثيرًا ما كان ينقطع لبكائه أو لبكاء الحاضرين ، فانظر إلى أثر هذا الرجل وهو يقول كما ورد في ترجمته تاب على يدي نحو مائة ألف نفس ودخل إلى الإسلام من اليهود والنصارى على يدي نحو مائة ألف نفس ، فانظر أثر الداعية إذا كان يحتك بالناس ويخاطبهم وبعضهم يكون معهم في مشاعرهم وسائر مناحي وأحوال حياتهم ومعاشهم.

٣- ووصفوا الأوزاعي بأنه: (كان رجل عامة).

٤- ومثله المحدث الثقة الفقيه أبو إسحق الفزاري ، قالوا: كان رجل عامة، وهو الذي أدَّب أهل الثغور الإسلامية التي في أعالي بلاد الشام والجزيرة تجاه الروم ، وعلمهم سنن النبي ص ، وكان يأمر وينهي ، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه.

٥- وخالد بن عبد الله الواسطي ، أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري ، وصفوه بأنه كان (رجل عامة).

فحلِّلْ هذه التعريفات ، تجد أنهم كانوا دعاة ، يعلمون الناس ، لم يحملهم علمهم على حصر أنفسهم بين الجدران بل كانوا ينزلون إلى الجموع ، ويقودونها في

مواقفها السياسية ، كما قاد الإمام أحمد جموع الخير في معارضة الجهمية والمعتزلة الذين أرادوا حرف عقيدة الأمة ببدعة خلق القرآن ، ونازع الدولة كلها حين أرادت فرض البدعة بالقوة ، حتى نصره الله - بالمتوكل ، إذ كان المتوكل صحيح العقيدة ، فبدل جهاز الدولة ، وطهره من المبتدعة ، وأخمد أمرهم وكبته.

والمقصود بالعامة جمهور الناس ، المثقف منهم والأمي ، لا الاصطلاح الحادث الذي يعني الجهال. ولم يكونوا رحمهم الله بالذين ينسون الأعراب وأهل الأرياف حين يقودون أهل المدن ، بل كانوا يلمسون أهمية وحدة عقائد ومواقف هؤلاء وهؤلاء ، فيرصدون لهم شيئا من جهودهم وأوقاتهم.

هذا الإمام الزهري زعيم المحدثين ، ربي أجيالا من أهل الحواضر الإسلامية ، وجعلهم أئمة في الحديث ، وما كان ذلك يكفيه، بل كان ينزل بالأعراب يعلمهم ، يحفظ من بقي صحيح العقيدة ، ويتلطف مع من نجح أهل البدع في حَرْفِه ، فيرجعه إلى التوحيد. وجدد آخرون سيرة الزهري فمنهم من كان يدخل القرى والضياع ، ويعظ لأهل البوادي، تقربا إلى الله لأ.

الدعوة المعاصرة بين التخصيص والتعميم:

التخصيص والاصطفاء المقصود به أن الدعوة تتوجه لمن تختارهم وتصطفيهم ممن لهم مميزات خاصة وملكات متميزة ، فتجد الاختيار يقع على النابه الذكي أو المُقْبِل المتحمس والمثقف الواعي ، فإذا اختيرت هذه النوعية وُجِّهَ لها منهج مكثف فيه تربية عالية وعلم غزير وثقافة شاملة وتدريب متواصل ، ثم يهدف هذا العمل إلى إعداد جيل متميز يحمل تبعات الدعوة وينذر نفسه لنشرها ؛ وهذا لا شك أنه أمر جيد مطلوب ، لكن عندما يغلب هذا الجانب غلبة كبيرة فيضيع معه جانب دعوة العامة ومخاطبتهم والتأثير فيهم ، أو عندما يكون هذا الجانب هو الوحيد فحسب ولا يلفت النظر ولا يبذل شيئًا من الجهد للجانب الآخر فهنا لا شك أن هناك خللًا كبيرًا وسلبيات كثيرة لا بد من الإشارة إليها والتنبيه عليها.

وقبل الإشارة إلى هذه السلبيات ينبغي لفت الانتباه إلى إيجابيات نهج الدعوة الاختيارية ، إن هذا النهج من مزاياه أنه ثابت الخطى ثابت المنحى ، وئيدُ الخطى لا تستثيره الأحداث العابرة ولا تستفزه عن مرسوماته العواطف الثائر ، ولذلك يبقى فيه الأصالة والقوة ، ثم إنه من مزاياه أنه ينشئ جيلًا قويًا ونوعيات متميزة لها آثارها القوية والوطيدة إذا نزلت بعد ذلك إلى ساحة عامة الناس ، وكذلك من مزاياه أنه يوجد في أولئك الأفراد تأصيلًا علميًا وتميزًا ثقافيًا نوعيًا عندما يصطرع أهل الحق مع أهل الباطل.

فإن لأهل الباطل تميزًا في بعض تخصصاتهم وإبداع في بعض أساليبهم ، ولا بد لمقارعة الباطل من إعداد نوعيات متميزة ونماذج لها قدرات وإمكانات تستطيع أن تصرع الباطل بهذه النوعية وأن تنافس أرباب الباطل في مخاطبة الناس وفي قيادة هذه الحياة ، هذا ما يتعلق بدائرة التخصيص والاصطفاء.

الجانب المقابل هو التعميم والانفتاح والمقصود هو أن لا نغفل جانبًا إغفالًا كاملًا وأن لا يطغى جانب طغيانًا كبيرًا على الجانب الآخر ، وأن الدعوة تحتاج إلى الجانبين معًا وأن الاهتمام بأحدهما على الآخر هو السلبية ، ولذلك لو تأملنا فإننا ربما نقول إن جانب الانتقاء والاصطفاء مناسب لخطوات الابتداء وأن جانب التعميم والانفتاح لازم من لوازم التقدم والارتقاء.

سلبيات التركيز على الدعوة الاختيارية فقط ، وإهمال الدعوة العامة:

١ - **الجمود الجماعي**: فهذا النهج يعيق عن التفاعل مع الأحداث والتكيف المرن مع متطلبات المرحلة واغتنام الفرصة السانحة المتاحة التي قد لا تتكرر أو لا تعود. إن هذا النهج يكثف الدعوة لهذه الفئة في أوساط معزولة وعبر خطاب متميز فلا يتأثر ولا يتفاعل مع الواقع.

٢ - **العزلة الشعورية**: فهذا النهج يجعل الدعوة معزولة عن الجماهير مجهولة عند عموم الناس وهذا النهج في غالب الأحوال يواجه المجتمع بما يؤصل أو بما يسمى

بالعزلة الشعورية التي يبالغ فيها أحيانًا ، وتكون قائمة على الاستبراء والتنزه من أعراف الناس وأخطائهم والبعد عنها استعلاءً واستبراءً ، فلا يكون هناك ذلك الاحتكاك ولا ذلك الامتزاج فيبقى خير هؤلاء الناس بعيدًا عن بقية إخوانهم ويبقى تميزهم غير ذي تأثير في بقية المجتمع المسلم.

٣- عزل المجتمع عن إنكار المنكر: فالإغراق في هذا النهج يحول الدعوة إلى مجرد حركة خاصة بالمثقفين وتهمل قطاعًا عريضًا من المجتمع ؛ بل ربما يتحول هذا النهج بأربابه وأصحابه إلى اتجاه فكري يكثر من البحوث الفقهية ويتوسع في النظريات الدعوية دون ملامسة للواقع ولا مخاطبة للجماهير ولا ممارسة عملية لأمر إنكار المنكر والأمر بالمعروف.

فبعض الشباب الخَيِّر الذي عنده علم وتميز والتزام قد يَمُرُّ في أثناء طريقه إلى الصلاة بفئام من الناس عاكفون على لهو وعبث لكنه يترفع عنهم في مواصلة شعورية يتوهم أو يرى أنهم ليسوا هم الذين يخاطبهم في دعوته! بل هناك نجباء وأذكياء وصفوة أنقياء أتقياء ، هم الذين يبذلون لهم جهده ويفرغ لهم وقته وبالتالي يمر على كثير من الأحوال المنحرفة والأوضاع الشاذة دون أن ينبس ببنت شفه ودون أن يلفت النظر إلى خطأ.

وهذا له سلبيات أخرى كثيرة منها أن الناس يستقر في نفوسهم أن هذه الأخطاء مقبولة ولا اعتراض عليها من جهة الشرع ؛ لأنهم يرون أخيارًا لا يعترضون عليها ، ويؤصَّل ذلك المنكر ويقام له بنيانٌ شامخ ، ويجعل الناس ضاربين في اللهو والغفلة والسهو دون أن يجدوا من يوقظهم أو من ينبههم.

٤ - الجدال الداخلي: إن هذا النهج يوجد باستمرار جدلًا داخليًا في صفوف الدعاة ؛ يتعلق بالاختلاف حول قضية الاصطفاء والانتقاء والترخص في شروط الاحتواء ؛ فإن بعضًا من الناس عندما يكون هذا هو تصورهم يرى أن فلانًا نجيبًا ألمعيًا ذكيًا يمكن أن يكون لبنة من لبنات الدعوة الصالحة ولكن الآخر يقول إنه يقصر عن

ذلك وإن عنده من الترخصات والتجاوزات مالا يجعله كذلك ، إذا اجتهد الأول ومارس الدعوة مع ذاك ثم نجح في بعض أموره أو كذا كان الآخر على طرف نقيض لا يقبل بذلك ويرى في ذلك ترخصًا وتساهلًا وتميعًا في المنهج الاصطفائي الانتقائي.

وبالتالي يحدث دائمًا وباستمرار نوع اختلاف على المقياس الذي جعلناه عاليًا كيف يكون ، لأنه لا يمكن أن نضع قالبًا معينًا وشروطًا معدودة نريد أن تتوفر في كل من نوجه له الدعوة وفي كل من يسير في ركابها ويلهج بذكرها وينشر علمها ويجاهد في سبيلها ؛ فإن الناس متفاوتون قطعًا ولا يمكن أن يكون الكمال فيهم على حد واحد ولا المواصفات والملكات فيهم على حد وتيرة واحدة بحال من الأحوال.

٥- **تضارب وهمهمة:** إن هذا النهج أيضًا يوجد تضاربًا عند الأفراد الذين يسيرون في طريق الدعوة عندما يرون الحاجة الملحة في الواقع ويرون بعدهم عنه ، فإن بعض أولئك الذين تبنوا من واقع اجتهاد دعوي أن يبذلوا جهدهم ووقتهم وفكرهم لفئة متميزة من الناس يمرون على المنكرات ويشاهدون تغير الأحوال ويرون المصائب التي تحل بالأمة ويريدون أن يبذلوا شيئًا من وقتهم وجهدهم في هذا الميدان ليعلّموا الجاهل ويقضوا الغافل ، لكنهم عندئذ يواجَهون بأن منهجهم أو أن إخوانهم على هذا الطريق يرون أن في هذا صرفًا فيما هو أدنى وأقل دون ما هو أعلى وأهم ، فإما أن يمشي في هذا المسار ويرى أنه خالف نهجه أو يريد أن يجمع بين الاثنين ويرى في ذلك اضطرابًا وحيرة وهذه كلها لا شك أنها من ألوان ذلك القصور.

٦- **ثغرات في البرج العاجي:** إن في هذا النهج إتاحة فرصة لتيارات الفساد المعادية للإسلام من العلمنة والتغريب وغيرها أن تنتشر بين عامة الناس ، لماذا؟ لأن الدعاة تفرغوا لفئة مثقفة من الشباب الذين يدرسون في الجامعات أو المدارس الثانوية أو غير ذلك ، وتركوا العمال والفلاحين والكبار في السن والنساء والأطفال نهبًا للتيارات المفسدة.

وهذه التيارات لها جذور راسخة في المجتمعات الإسلامية والعربية وتملكت شؤون الحكم دهرًا طويلًا وقبضت على أزِمَّة الإعلام ومخاطبة الناس بصور شتى ووسائل متعددة ، فما تزال تغسل أدمغتهم وتميت قلوبهم وتحرف سلوكهم وتبعدهم عن هذا الدين ، بل تجعل في نفوسهم وأفكارهم عداءً لهذا الدين ، وتشويهًا لصورته وشبهات بعضها فوق بعض ، فلا يعود لهم صلة بهذا الدين إلا الانتساب فحسب ، كما نرى من شأن الأجيال التي عاشت دهرًا طويلًا تحت وطأة هذه التيارات التي خاطبت عقولها ، وأوجدت لها الملاهي في أوقات فراغها ، والتي سهلت لها أو قامت لها ببعض الخدمات المادية الحياتية ، ولذلك ويبقى الدعاة حينئذ في تلك الأبراج العاجية يخاطبون فئة من الناس ويُنَظِّرون ويفكرون وربما يتجاوز أن نقول أنهم يعيشون في أوهام والساحة تموج بهذا الفساد والإفساد.

٧- **اللغة الداخلية**: إن هذا النهج يُفقد أربابه القدرة على مخاطبة العامة ، فتجد الواحد منهم ضليعًا في العلم فصيحًا في البيان لكنه لا يُحْسِن الأسلوب الذي يخاطب به عامة الناس ، ولا يعرف اللغة التي تناسبهم والأمثال التي تروج بينهم والوقائع التي يمارسونها في حياتهم ، فكأنه عندما يتحدث إليهم يتحدث بلغة أجنبية عنهم يحتاجون إلى مترجم يترجم لهم ما يقوله هذا العالم النحرير أو الداعية الخطيرة ، لماذا؟ لأنه لم يعايش واقع الناس ولم يتعود على مخاطبتهم ولم يعرف كما قلت طبائع حياتهم وسلائقهم وكلماتهم وأمثالهم وعاداتهم وتقاليدهم وما يتعلق بشؤونهم بشكل عام.

إن من القصور في مثل هذا النهج أنه لا يعوّل على جماهير الأمة وعامة الناس في شيء ، ولا يُشْرِكْها في التحدي والمواجهة للطغيان وتحقيق التغيير الإسلامي ، والأجود من ذلك لأن يكون هذا التحدي والنصيحة ضمن مشروع متكامل وفي نطاق خطة تشمل عموم الناس وتستخرج طاقاتهم ، والأجود من ذلك أن يكون هناك جماهير تتفاعل مع هؤلاء الدعاة ومع متطلبات الدعوة وشؤونها وهذا هو الذي ينبغي أن يكون.

فوائد الدعوة العامة:

أولًا: الفوائد التي تعود على الداعية نفسه:

الفائدة الأولى: التكوين:

فإن الداعية الذي يخاطب العامة لا بد أن يكوِّن نفسه ، أن يحضِّر درسه وأن يُعِد خطبته وأن يرجع إذا سأل في مسألة لا يعرفها إلى كتب الفقه أو إلى أهل العلم ليعيد الجواب إلى السائل ، وهذا كله تكوين من واقع المعاناة ، لو لم يكن عنده حاجة ولا اختلاط بالناس لما احتاج إلى أن يقرأ ولا إلى أن يحضِّر ولا إلى أن يبحث ليفتي أو ليجيب ولا إلى شيء من ذلك كله.

الفائدة الثانية: التهذيب والتقويم:

فإن التربية بالخلطة والمعاناة من أهم أنواع التربية ، فإن كان ضيق الصدر يتعود على الحلم والأناة عندما يحتك ويختلط بالناس ، وإن لفت نظره بما قد يقع فيه من خطأ إنما يكون إذا كانت العيون ناظرة إليه وهو شاخص أمامها.

ثانيًا: الفوائد التي تعود على المجتمع:

الفائدة الأولى: التوجيه والتعليم:

وعامتهم يحتاجون إلى تعليم وإلى توجيه لم يتعلموا في مدارس لم يتعلموا في حلقات العلم لم يتخرجوا من كليات شرعية يحتاجون إلى من يبصرهم بأحكام الدين ومن يوجههم له وهذا يتم من خلال الدعوة العامة.

الفائدة الثانية: التصويب والتقويم:

فإن لبيئات الناس أفكارًا منحرفة وممارسات خاطئة وأمورًا يظنون ـ أحيانًا لا بأس بها ، ويرون أنها لا حرمة فيها وهنا يأتي الدور في تقويم هذه الأخطاء بالأسلوب الحسن وبالدليل الواضح والحجة الدامغة وبالأسلوب الذي يشجع ويرغب في فعل الخير وترك الشر.

الفائدة الثالثة: التحرك العملي:

للإسهام في القضايا الإسلامية كثيرًا ما كان الناس يعانون عندما يستمعون للخطيب وهو يحَمِّسُهم ويشعرون بعد ذلك بالعجز وأنهم لا يستطيعون أن يقوموا بعمل ، أما اليوم من خلال الدعوة العامة فيمكن بعد أن يخطبهم الخطيب أن يدعوهم للتبرع نصرة لإخوانهم وهناك هيئات ومؤسسات دعوية توصل هذا الدعم ، كذلك من الممكن عندما يخاطبون في أمر ما أن يكون لهم دورًا ومساهمة.

فالدعوة العامة تحوِّل الشعور إلى صورة عملية وهذا في حد ذاته يرفع كفاءة الناس ورغبتهم في الخير وجدهم في العمل بدل من أن يكونوا مستمعين فحسب ليس لهم هم إلا أن يسمعوا ، فإذا تحركوا ولم يجدوا مجالًا ماتت بعد ذلك هممهم أو أصيبوا بالإحباط الشديد ورأوا أنه لا أمل لإصلاح الأحوال ودب اليأس في قلوبهم ، فالدعوة العامة بصورها المختلفة المتعددة تحرك الناس ليس بنظريات وأقوال بل بعمليات وأعمال.

الفائدة الرابعة: المرجعية المؤهلة:

فإن العامة إذا برز الدعاة لهم وخاطبوهم ووثقوا وشعروا بالثقة والاطمئنان أن هناك من يرجعون إليه إذا أشكل عليهم أمر أو إذا عرض لهم سؤال أو إذا وقعت مشكلة ، فوجود الدعاة وانتصابهم وتحركهم مع العامة يُوجِدُ عند العامة هذه الثقة والاطمئنان والشعور بأن هناك من يرجعون إليه ومن يبثون له شكواهم ويعرضون له مشكلاتهم ويطرحون عليه أسئلتهم ، بينما لو كان الدعاة مقتصرين على النجوى فيما بينهم وخيرهم مقصور على فئات معينة فإن الناس يظلون هكذا بلا مرجع يرشدهم وبالتالي إما أن لا يهتموا بهذه القضايا والمشكلات وإما أن يخبطوا فيها خبط عشواء بعيدًا عن الإرشاد الديني والتوجيه الدعوي.

الفائدة الخامسة: منافسة تيارات الفساد:

الدعوة العامة نوع من المنافسة لدعوات أخرى لا تنادي بهذا الدين ولا تلتزمه نهجًا للحياة ولا حكمًا لسائر أوجه نشاطات الحياة ، فلذلك هناك كثير من الاتجاهات العلمانية والقومية والتغريبية وغير ذلك من الأنواع كلها تخاطب عامة الناس تقول له: إننا نقدم لك عبر هذا المنهج الغذاء والدواء والمصالح المادية والقضايا الاقتصادية وغير ذلك ، وتداعب عقله وتخاطب فكره بأن هذا المنهج هو الذي ينفع هو الذي يفيد وهو اللازم لهذا العصر وهو الذي يبرزنا كقوة حضارية وهو الذي يحسن صورتنا أمام المجتمعات الأخرى الغربية والشرقية إلى غير ذلك ، ينبغي أن يكون لسان الدعوة مخاطبًا للعامة حتى يمنع عنهم هذا التيار ويكسبهم إلى صف الإسلام.

الفائدة السادسة: استخراج الطاقات:

فإن الناس طاقات كامنة إذا خوطبوا تحركت طاقتهم ، فذلك يقول أنا مستعد أن أنذر جهدي وكثيرًا من وقتي لله لأ صرِّفوه كيف شئتم يا أرباب الخير ويا أهل الدعوة ، أنا من الممكن أن أكون مكثرًا لسواد المسلمين إذا أردتم أن أنكر المنكر فأنا لا أحسن الكلام ولا أعرف الأدلة لكني أذهب معكم ، فبدلًا من أن تكونوا عشرة فلتكونوا عشرين واحد متكلم أو عشرة متكلمون وعشرة مؤيدون ، لا شك أن هذه طاقات كبيرة قد يكون بعضها قليلًا وبعضها كبيرًا لكنها تُستَخْرَج من خلال هذه الدعوة العامة.

الفائدة السابعة: الحياد النافع:

وهو الحياد دون أن يكون هناك اصطفاء أو أخذ لكثير من المكاسب مثلًا بعض الناس متلبس بالمعاصي وفي ذهنه كثير من الشبهات ، لا أقل من أن يكون للدعوة العامة فائدة أن تجعله محايدًا إن لم يكن في صف الإسلام فلا أقل أن لا يكون في صف يعادي الإسلام وهذا في حد ذاته مكسب كبير.

إن أعداء الإسلام وأهل الباطل استطاعوا أن يجعلوا من أبناء المسلمين مَن هم محاربون للإسلام والمسلمين بكل جهدهم وطاقتهم وعن قناعة وليس أحيانًا عن عمالة بل عن قناعة ، تجده يقول بعض الأفكار ويدعو إلى تحرير المرأة ويدعو إلى الاختلاط في التعليم وكذا وكذا ليس عن عمالة بل عن قناعة ، أفكار غُرِسَتْ وألقِيَتْ في ذهنه وعقله واقتنع بها بعيدًا عن التذكير والدعوة والإرشاد ، فلا أقل من أمثال هؤلاء أن يعرفوا الخطأ وأن يقفوا على صف الحياد إن لم يكونوا مع الإسلام والمسلمين.

الفائدة الثامنة: التهيئة لجيل الاصطفاء:

فإن هذه الدعوة العامة ستوجد بين الناس وعيًا وعلمًا وحماسة ثم ستستطيع الدعوة أن تنتخب من بين من توفرت عندهم الحدود الدنيا للعلم والحماس والغيرة على الدين ، من يُصْطَفَوْن ليكونوا أكثر علمًا وأكثر حماسة وأكثر بذلًا في سبيل الله لأ وفي سبيل هذه الدعوة.

مفاهيم خاطئة:

المفهوم الأول: التنفير من العامة والتقليل من شأنهم:

بعض الناس أو بعض الشباب على وجه الخصوص إذا قلت لهم لماذا لا تعظ أولئك القوم يعني ذوي قرابتك أو أهلك أو كذا ، قال ماذا يفعلون هؤلاء عامة وجهلة لا يفهمون ولا يدركون ولا يمكن أن يعملوا شيئًا ، وبهذا ربما يسقط تسعة أعشار الأمة الإسلامية لأنها كلها في هذا الجانب تحوي على هذا الوصف أو قريبًا منه. وأنت لا تدري ربما تجد من بين الصفوف تلك العملة النادرة التي تبحث عنها ولا تعرف طريق الوصول إليها.

المفهوم الثاني: إساءة الظن بأحوال العامة وعدم مراعاة ظروفهم:

فإن بعض الدعاة يقول العامة في ضلال ، العامة أكثر ما عندهم يعني عادات وتقاليد سيئة ، أكثر ما عندهم ممارسات عقائدية منحرفة ، بهذا التعميم وهذا الشمول.

المفهوم الثالث: طلب الاستجابة مع وقف العطاء:

وهو أننا نطلب من العامة دون أن نعطيهم ، يقول خطبت فيهم خطبة عن التدخين وكذا ما استجابوا أو دائمًا يفعلون كذا ولا يفعلون كذا ، ما الذي أعطيتهم إياه حتى تطالبهم بهذه النتائج؟! لا بد أن يكون العطاء أكثر ولا بد أن نتصور أن الاستجابة أقل ، هذا أمر بَدَهي. أما أن تقول أني خطبت خطبة في موضوع معين وتريد أن ينصلح حال الأمة ، لو كان الأمر كذلك لصلح حال الأمة منذ زمن طويل ، لأنه ما خلا زمن إلا وفيه مُذَكِّرٌ ومُبَيِّنٌ للحلال والحرام.

لا بد أن نعرف أننا نحتاج إلى بذل جهد بأية صورة كانت من كلمة ومشاركة ومشروع وخدمة وإغاثة وكل شيء حتى يحصل ذلك التأثير ، فإن جذور الباطل ما ترسخت عند الناس ومفاهيمه ما عشعشت في أدمغتهم إلا عبر وقت طويل وجهود مكثفة وأعمال ضخمة أثرت ذلك التأثير البليغ.

المفهوم الرابع: التعجل في طلب النتائج:

فلا بد أن نعرف أن تغير الظواهر الاجتماعية من أبطأ الأمور.

الفصل الثاني

مجالات الدعوة العامة

المجال الأول: المجالات الشرعية:

أي التي فيها منابر ذات طابع شرعي ، وأولها وأبرزها منبر المسجد للأئمة والخطباء ، الذين أصل عملهم مع عامة الناس ، فإذا غفلوا عن ذلك وفرغوا جهدهم ووقتهم لغيره فمن سيكون لأولئك العامة ، ولنعلم أن العامة هم الأكثرية وأن العامة في الوقت نفسه لهم التأثير الأكبر في كثير من مجريات الأمور العامة في حياة الناس.

الخطيب عندما يتحدث يخاطب عددًا غير قليل من الناس ، فربما يحضر الإنسان درسًا جيدًا ويلقيه على فئة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة خمسة أفراد أو عشرة أفراد ، ولكنه عندما يرتقي منبره في الجمعة ويلقي هذا الدرس مع ما يناسب حال الناس يستمع إليه بدل الخمسة خمس مائة وربما في بعض الأحوال وبعض البلاد بدل الخمسة خمسة آلاف ، فانظر إلى عظمة التأثير في هذا الجانب إذا أحسن الداعية والدعاة استغلاله ومخاطبة الناس.

بالنسبة للعامة والمسجد له صور شتى يمكن أن يجعل بها تأثير الدعوة في صفوف العامة عظيمًا ؛ فإن الدرس الجيد المحضر المتقَن له أثره في تبديد الجهل وفي التعريف بأحكام الشرع ، والخطبة المؤثرة البليغة التي تستجيش عواطف الناس لها أثرها في توجيههم وفي قصرهم عن الشر وبعدهم عن الباطل وفي دفعهم وتحميسهم للخير ، ثم فوق ذلك كله لا بد أن يكون للمسجد رسالته الكاملة ، وهناك صور شتى تبين لنا هذا النموذج.

هناك - على سبيل المثال - ليؤدي المسجد دوره في تأثيره على عامة الناس اللقاءات التي تأتي في المناسبات ، عندما يجعل المسجد هو موضع الالتقاء يلتقي فيه أهل

الحي جميعًا - فقيرهم وغنيهم ، صغيرهم وكبيرهم - ويلتقون في ظلال المسجد يستمعون إلى كلمات وإلى نواحٍ اجتماعية ، ويأخذون بعض الهدايا ، ويقدمون بعض الكلمات ، ويشاركون في بعض المشاركات ، لا شك أن لهذا تأثيرًا كبيرًا ، وكذلك من خلال خدمة المسجد لأهل الحي بالصور المختلفة المتعددة عبر الخدمة والمساعدة المادية والمساعدة المعنوية ، وتفقّد أهل الحي وتعهدهم بالنصح والإرشاد.

ومن خلال الوسائل الدعوية المتاحة من كتاب وشريط وغير ذلك ، لا شك أن هذه المخاطبة تأتلف عليها قلوب كثيرة من قلوب عامة الناس وتتحرك بها همم كثيرة كانت ضعيفة أو ميتة في بعض الأوقات والأحوال ، كما أنها تجعل أصوات كثير من العامة تهتف باسم الإسلام وتطالب به كخيار وحيد لها في هذه الحياة ، ويبقى لهذا الإمام أو لهذا الخطيب الدور البارز إذا أحسن وأتقن عمله ؛ فإنه يكون هو الذي يجيب على سؤال الحائرين والذي يحل المشكلات ؛ فإنه إذا كان قريبًا من الناس ومؤثرًا فيهم إذا عرض لأحدهم سؤال فإنه يتوجه إليه وإذا عرض لأحدهم مشكلة أراد حلها بين يديه ، وإذا كانت هناك مناسبة سعيدة كان على أول قائمة المدعوين ؛ وبالتالي يمتزج بالناس ويشعرون بأثره فيهم وقدوته بينهم.

وربما يبالغون فيطلبون منه أمورًا لا يحسنها ولا يتقنها فيما ليس من اختصاصه وليس من شأنه ، ولكن ذلك يدل على حسن ظنهم فيه ، وعظيم حبهم له وكمال تعلقهم به وعظمة تأثيره فيهم ، وأنه إذا قال لهم بعد أن يؤثر فيهم هذا التأثير افعلوا كذا كانوا مستجيبين ، لا تفعلوا كذا كانوا ممتثلين ، وهذه لا شك أنها القدرة المهمة التي نحتاجها لكي نعرف أن في الأمة أفرادًا كثيرين يستمعون لنداء الله لأ ويستجيبون لأمره بمجرد أن يُذَكَّروا به.

المجال الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: سواء كان عبر مؤسسات رسمية أو عبر جهود فردية بالأساليب والضوابط الشرعية. ومن فوائد هذا المجال:

١ - يُعرف أن هذا منكر فلا يعود المنكر معروفًا ولا المعروف منكرًا.

٢ - أنه يدفع صاحبه إلى الاستتار بالمنكر دون الجهر به.

٣ - أن يجعل صاحب المنكر في وضعٍ مُزْرٍ مُخْزٍ لا يشجع الآخرين على أن يقتدوا به ولا أن يسيروا في إثره.

٤ - أنه يُشعر هذا الداعي بأنه ينتصر لدين الله لأ.

أما إذا رأينا المنكر تلو المنكر وغضضنا البصر ، وأخرسنا الألسنة ؛ فإن القلوب تموت ، ولا يصبح فيها غيرة لدين الله لأ، ولا شك أن قناة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قناة مهمة تبقى بنبض الحياة الإسلامية في المجتمع المسلم قبل أن نحتاج بعد ذلك أو بعد فترة من الزمن كما حصل في مجتمعات إسلامية كثيرة. نحتاج أن ندخل المجتمع كما ندخل المريض الذي يوشك على الموت إلى غرفة إنعاش ، نأتي له بأجهزة التنفس وبالدم وبالتغذية ؛ لأنه يوشك أن ينتهي وأن يموت وأن يودع الحياة الإيمانية الإسلامية بسبب ركام المنكرات التي لم تجد من يقول عنها إنها منكرات.

ولذلك لا شك أن أثر الدعوة العامة في هذا الميدان مهم جدًا ، ولا بد أن يكون للاحتساب وجوده العملي وتعاون بين الناس عليه وتضافر للجهود في ميدانه ومجاله ولا شك أيضًا أن هذا يأخذ صورًا عديدة بالنسبة للناس ، إذا أحسن الدعاة هذا العمل فربما ينطلقون من المسجد ليزوروا بعض الذين هم بجوار المساجد يجتمعون على باطل ولهو ، ولا يقومون إلى الصلاة ومن الممكن أن يحتسب أيضًا أهل المسجد أو الجيران على جيرانهم فيزورونهم ليدعوهم إلى أن يشاهدوهم في صلاة الفجر.

إن المجتمع لا بد أن يتحرك حركة عملية لا تحتاج إلى ذلك العلم الغزير ولا إلى السلطة القوية بل هي مجرد النصيحة والهدية باللطف والباقة واللياقة ، فيكون في ذلك أثره في توسع الدوائر ؛ فإن من الناس من عنده خير كثير ، لكن عنده ضعف شديد يحتاج إلى من يقول له قم فيقوم ومن يقول له تعال فيأتي ، ولكن النفس كسولة وداعية إلى الدنيا وملذاتها وغافلة عن حقيقة صلاحها ونفعها ، فإذا وجد هذا الأمر تحرك الناس تحركًا إيجابيًا.

كذلك مراكز الدعوة الرسمية وغير الرسمية التي يمكن أن تبث في الناس روحًا جديدة وعلمًا يحتاجون إليه ويفتقرون إليه وتوعية هم في أمس الحاجة إليها عبر المحاضرات وعبر الندوات وعبر البرامج الاجتماعية المشجعة ؛ لأن صور الدعوة ليست خطبة وليست كلمة وليست أحكامًا فحسب ، بل هي كل منحى من مناحي الحياة يمكن أن يكون فيه صورة من صور الدعوة.

وهناك صور أخرى كثيرة مثل واجهات كثيرة عبر المسجد من خلال تحفيظ القرآن ، عبر العلماء من خلال الفُتيا والاستفتاء ، كل ذلك يربط عامة الناس ، كثير من الناس من يسأل ويستفتي وكثير من الناس يأتي يُشكل عليه أمرًا يحتاج فيه إلى حل قضائي من مشكلات الطلاق ومن مشكلات الميراث وكذا ، كل هذا إذا ربط العلماء والدعاة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والخطباء والأئمة إذا ربطوا وارتبطوا بعامة الناس لا شك أن التيار كله سيتوجه إلى خير وإلى الإسلام بإذن الله -.

المجال الثالث: الإعلام:

الناس اليوم يتأثرون تأثرًا كبيرًا بالإعلام ، فأكثر ما في أدمغتهم من الأفكار إنما هو نتاج هذا الإعلام وأكثر ما في قلوبهم من الزيغ والضلال إنما هو من شبهات ذلك الإعلام وأكثر ما في نفوسهم من الشهوات والملذات والتهييج للغرائز والمحرمات من أثر هذا الإعلام ، فأين حظ الدعوة من هذا الإعلام حتى تخاطب الناس وتشكل أفكارهم وتصوغ مشاعرهم وتوضح لهم مسارهم؟

وإذا كان الخطيب يخاطب ألفًا من الناس فإن كاتب الصحيفة يخاطب عشرات الآلاف ، ولذلك قد يكون لمقالات تنهج أو تنتهج النهج الإسلامي وتتبنى الفكرة الإسلامية تأثير كبير على نوعية من الناس ، فليس كل الناس أرباب المحاضرات ؛ فإن من الناس من هو من التجار أو من المثقفين أو كذا لا يرتاد المساجد إلا في الفرائض ، هذا إذا ارتادها.

فمن يخاطب هؤلاء أليسوا هم من أمة الإسلام؟ أليسوا هم من عامة الناس الذين نريد أن ننتشلهم من الفساد ، ومن الانحراف إلى الإسلام والخير والصلاح؟ قد يخاطبهم ذلك القلم السيال الذي يوضح الفكرة الإسلامية.

المجال الرابع: المجال الاجتماعي:

إن كثيرًا من الدعاة يغفلون عن مدى أهمية التأثير في القنوات الاجتماعية تجدهم في بيئاتهم وأسرهم لا يمارسون الدعوة لا بالذكر ولا بالتدريس ولا بالوعظ ولا بالتنبيه ولا بلفت النظر ولا بالترغيب ولا بالترهيب ، ثم تجد هناك مناسبات اجتماعية يجتمع فيها فئام كبيرة من الناس مثل الأفراح ومثل الولائم التي تقع ولا يتحرك أحد ليستغل هذا الجانب ، عندما يُستغل هذا الجانب بأسلوب لبق وفي إطار المناسبة الاجتماعية ليس من المعقول أن تأتي إلى مناسبة زواج مثلًا وتلقي على الناس محاضرة طولها ساعتين أو تحدثهم عن القبر والموت والانتقال إلى الآخرة وغير ذلك مما لا يحسن ولا يسوء.

لكن من الممكن أن تقدِّم كلمة قصيرة وطرفة لطيفة وقصيدة جميلة فإذا بالناس تنتفع بوقتها وتسمع شيئًا لم تكن تألفه من قبل بدلًا من أن تستمع إلى لغو ولهو أو غناء وطرب أو شيء مما هو داخل في إطار المحرمات ، وكذلك قد تستغل الفرصة عندما يكون هناك جمع في مناسبة فتوزع ذلك الشريط الذي فيه أسلوبًا جيدًا وكلمات مؤثرة أو نحو ذلك من الصور الأخرى.

ثم هناك صور أكثر تأثيرًا وهي مجال الخدمات الإغاثية ولا شك أن هناك ارتباطًا وثيقا بين الدعوة والإغاثة والإعانة ، فإن الجمعيات الخيرية التي تقدم المشروعات الاجتماعية من كفالة الأيام ومن تقديم الخدمات والمساعدات وكفالة الدعاة وفتح المدارس وغير ذلك ، لا شك أنها تنبه القلوب والعقول ويرى الناس فيها النماذج الحية لقيادة الحياة على نهج إسلامي يبرأ من المحرمات ؛ فلا يتعامل بالربا ولا يدخل المناهج المنحرفة في التعليم ، ولا يقبل بالتميع في الولاء والبراء وغير ذلك من الصور الكثيرة.

هذه كلها دعوة للعامة ودعوة للمجتمعات المسلمة على اختلاف مشاربها وتنوع لغاتها ، وكم ترى التأثير العظيم لمجتمع إسلامي على سبيل المثال في بلاد بعيدة حلت بها نكبات وإذا بالذين يأتون ليسألوا عن أحواله وليقدموا له المساعدة هم إخوان له مسلمون جاء بهم هذا الدين ، وحرّكَتْهم نصرة الإسلام والمسلمين لا شك أنه قد يكتفي حتى أحيانًا بمجرد سؤالك عن حاله وشعورك بمأساته ويرى في ذلك أثرًا عظيمًا وترسيخًا له على هذا الدين ، بدل من أن يفيء تحت ظِل الظلم أو الحاجة والفاقة إلى ملل الكفر ونحل الظلال والباطل.

الداعية الميداني:

- إنه الداعية المتحرك في كل صوب ، المتقن لدعوته في كل ثوب ، إن كان في بيته فنعم العائل والمربي ، وإن نزل إلى الشارع وخالط الناس وَسِعَهُم بدعوته ، فإن ركب وسيلة مواصلات تناثرت بركات دعوته على من حوله من الركب ، وإذا دخل مصلحة لم يخرج منها إلا بغنيمة دعوية: نصيحة يسارُّ بها موظفًا ، أو كلمة معروف يُذَكِّر بها من يقف معه في قطار[1] ، إنه المبارك في حله وترحاله ، كالغيث أينما وَقَعَ نَفَعَ.
- قلبٌ عامرٌ وعقلٌ يثابرُ ، وعزمٌ مغامر وإيمان يجاهر ، تقي حفي ، نقي أبيّ ، جبهته شمَّاء ، كبرياءُ دينه بلغ عنان السماء ، ونفعه متعد ، وخيره عام ، يتجذر هداه في كل أرض أقام فيها ، وينبع غرسه حتى في الأرض القاحلة ، تنداح جحافل وعظه كالسيل العرم تذهب بكل سد منيع جاثم على قلوب الغافلين ، إذا قال أسمَعَ ، وإذا وعظ أخضَعَ ، دءوب الخطو بدهي التصرف ، إذا اعترضته العوائق نظر إليها شَزْرًا وقال: « أقبلي يا صعاب أو لا تكوني » ، محمديُّ الخُلُق ، صدِّيقيُّ

(١) القطار: هو في اللهجات العامية: (الطابور).

الإيمان ، عُمَريُّ الشكيمة ، عثمانيُّ الحياء ، علويُّ الصلابة ، فُضَيْليُّ العَبْرة ، حنبليُّ الإمامة ، تَيْمَوِيُّ الثبات.

- إنه الداعية الذي لا تعوقه عوائق الكون عن القيام بواجب الدعوة أينما كان ، إذا حيل بينه وبين الدعوة فكأنما أخرجت سمكًا من ماء ، أو أسكنت بشرًا في الصحراء ، حركي كالنمل والنحل لا يعرف القرار.
- إنه الداعية الفصيح ، جنانه حاضر ، وبديهته كالبرق الخاطف ، ولسانه لا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير ، وما عدا ذلك فذاكر شاكر ، أو صامت صابر.
- إن مظهره متناسق مع وظيفته السرمدية ، هندام نظيف ومتواضع ، وهيئة تقية ، وإخبات غير متكلف ، إذا رآه الخلق ذكروا الله -.
- وهو داعية متعالٍ على السفاسف ، لا يستنكف عن فعل الخير وإن استهجنه الناس ، إنه لا يأنف من إماطة الأذى عن الطريق ، يسلّم على من عرف ومن لم يعرف ، يبتسم في وجوه الناس أجمعين ، ويحفظ حشمته من نزق الطائشين وسمود العابثين.
- مستعد للدعوة في كل ميدان ، إذا فتشت حقيبته وجدتها مليئة بالحلوى والكتيبات والهدايا الصغيرة غير المكلفة. يصطحب معه في سيره أشرطة واسطوانات القرآن الكريم وأشرطة واسطوانات الدعاة والخطباء والوعاظ وغير ذلك مما يناسب أسلحة الداعية الميداني.
- يستخدم الهدايا في التعارف ، والكتيبات في التأليف والوعظ والإرشاد مع دعوة لحضور محاضرة أو خطبة.

- إذا ما ألقى السلام فكأنك تسمع ما تطرب له أذناك ، ذاك صوت الداعية الشجي ، فإذا ما رأيته أقبل بوجهه الضحوك وسلامه المرونق ذكَّرتك اللهَ رؤيته.
- متحرك لدينه ، سواء كان مدرسًا أو طالبًا ، مهندسًا أو طبيبًا ، عالِمًا أو متعلمًا ، سائقًا أو راكبًا ، حالًا أو مرتحلًا ، أميرًا أو مأمورًا ، رئيسًا أو مرؤوسًا ، زوجًا كان أو عزبًا ، فقيرًا كان أو غنيًا ، صحيحًا كان أو سقيمًا ، مبصرًا كان أو أعمى ، سليم الأعضاء أو معوقًا ، في الشارع أو في البيت أو في الجامعة أو في المدرسة أو في الدكان أو في الحافلة أو في الشارع أو في أي مصلحة حكومية ، بلسانه ويده ، بنفسه وماله ، بكلّه يتحرك للدين وينافح عنه ، لسان حاله: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي © رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶ (الأنعام: ١٦١-١٦٢) ، و شعاره:(W U T S R Q P [Z Y X] [^ _ ` a b) (يوسف: ١٠٨).

لقد وقع القلب في شَرَك هذا الداعية ، واشتبكت القلوب المؤمنة وائتلفت ، والتقت العيون والمقل ، فإذا أدْمُعُ الخوف من الله تتعرف على نفسها ، حتى إذا ما سكب ذلك الداعية الميداني كلمات الود والمحبة في الله ، والتقت إرادة الله بالهداية أبصرت الهوى صريعًا في ساحته ، والقلب تتهاوى شهواته وغرائزه أمام هذا السيل الدافق من فيض الإيمان والتقى ، وكأنك بالشيطان رابض ينادي بالويل والثبور: وَيْلي وَيْلي قد اختطفه فلان الصالح مني!

وها هنا بعض وظائف هذا الداعية الميداني واستعداداته وصفاته:

- داعية مخلص يمحص النية قبل العمل ، ولا يعتذر عن أي جهد يستطيع القيام به بزعم العجز أو خوف الرياء ، بل يتعلم ويعالج الهوى ويخوض غمار التكليف مملوء الثقة بمعونة الله وكلاءته.
- لا يبخل على الدعوة بأي مجهود أو طاقة ؛ فأينما دعاه داعي البذل شمر ، لا يدخر وقتًا خاصًا للدعوة ، بل أصل عمره موقوف للدعوة إلى الله -.
- يهتم بالمظهر الذي له دور في التأثير على الناس ، هندامه محترم ، منظم الخطوات ، رشيق العبارة (ينتقي الألفاظ ولا يلقيها خبط عشواء) ، يخلب اللب إذا تحدث أو وعظ أو حاضر أو نصح ، طيب الرائحة ، حلو المعشر ، طلق الوجه متبسمه.
- مستعد لكل موقف ؛ فلديه الأساليب الجاهزة لغزو القلوب ، والطرق المنمقة لاستمالتها ، والأسلحة الفتاكة في محاربة هوى النفوس ، والمغريات الشرعية في جذب الشاردين.
- يتفانى في تقديم كل معونة للرقي بحال المدعوين إلى أي مستوى ينقذهم من نفوسهم الأمارة بالسوء وشياطينهم الغوية أو أعداء ملَّتهم المتربصين بهم.
- يترقب الفرص ويسعى إليها ولا ينتظر مجيئها إليه ، يباغت المواقف ولا يكون هو رد فعل لها ، لا يترك فرصة لما يسميه الناس المصادفة أو الفجأة ، بل تراه بدهيًا مستعدًا لكل موقف بما يناسبه.
- يتجاوب مع المشكلات التي تهدد المجتمع المسلم ، ولا يشغل نفسه بتوافه الأمور وسفسافها ، يقيم لأولويات الدين قسطاسًا مستقيمًا

يضبط اهتماماته ، ويوجه تحركاته ، يتعامى عن أذية المغرضين وسفه المستهزئين ، يمضي إلى هدفه غير ملتفت ، قد أرَّقه حال الإسلام والمسلمين ، وأفزعه طرق العدو لأبواب الحصون ؛ فكأنه في رباط ينافح عن ثغر مثلوم يرد العدو من قِبَله.

- يستعين بكل الإمكانات المتاحة ، ويستغل الظروف لصالحه ، لا يلعن الظلام ولكنه يشارك في إيقاد شمعة ، إذا قصَّرَتْ به وسيلة نزل إلى التي دونها ، حتى لو لم يجد إلا لسانه أو الإشارة باليدين لاستعملهما متوكلًا على الله الهادي إلى صراط مستقيم.
- من أكثر سمات الداعية الميداني جديةً أنه يعمل في صمت ، ويُؤْثِر العمل الدءوب على الثرثرة والتفيهق ، ليس بالمنان ولا بالعجب. قال بعض السلف: « ما ادَّعى أحد قط إلا لخُلُوِّهِ عن الحقائق ، ولو تحقق في شيء لنطقت عنه الحقيقة وأغنته الدعوى ».

الداعية البصير أخلاقه وصفاته ومنهجه:

- الداعية البصير يبدأ بالأهم فالمهم.
- الداعية البصير ينتمي للكتاب والسنة.
- الداعية البصير يحقق مبدأ الوسطية الحقة.
- الداعية البصير يحذر أشدَّ الحذر من تصنيف الناس بالظنّ.
- الداعية البصير يعتني بالقواعد الشرعية في دعوته.
- الداعية البصير يراعي فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.
- الداعية البصير على علم بفِقْهُ إنكارِ المنكر.
- الداعية البصير يعتني ببيان محاسن الإسلام.
- الداعية البصير يحذر من مخالفات الكتاب والسنة مسايرةً للواقع.

- الداعية البصير يتقن المحاورة وآدابها.
- الداعية البصير يجمعُ بين القوتين: العلمية والعملية - قدر المستطاع-.
- الداعية البصير يتثبت دائمًا ولا يتعجل.
- الداعية البصير على علم بفقه الفتن.
- الداعية البصير يتفقدُ قَلْبَهُ.
- الداعية البصير لا يستوحش من قلة السالكين.
- الداعية البصير يقابل الضعف بالقوة.
- الداعية البصير يُفرّق بين مرتكبي المعاصي ، وينزل كلًا منزلته.
- الداعية البصير يستشعر مسؤولية الكلمة ويفكر قبل أن يجيب.
- الداعية البصير لا يُشغل نفسه بالآفات ما لم تعترضه.
- الداعية البصير. يُداري ولا يداهن.
- الداعية البصير يتعاهدُ المسلمين بالزيارة والتواصل.
- الداعية البصير لا تفارق الابتسامة والبشاشة وجهه.
- الداعية البصير حليمٌ ذو وَقارٍ وسكينة.
- الداعية البصير رفيقٌ رحيمٌ.
- الداعية البصير يكثر من الاستشارة.
- الداعية البصير يستخير الله لأ قبل العمل.
- الداعية البصير يُوطنُ نفسهُ عَلَى البلاءِ ويصبرُ إذا نزلَ بِهِ.
- الداعية البصير يكثر من الدعاء لنفسه بالتوفيق.

الفصل الثالث

أسس عامّة
تتعلق بالدعوة العامة

الأساس الأول: الدين مسؤولية الجميع: ينبغي للدعاة والعامة ولكل مسلم أن يعرف هذه الحقيقة ليس في دين الإسلام كهنوت ولا رجال دين هم الذين يختصون بأمور الدين وبأمور الدعوة ؛ بل كل إنسان عليه واجب وفي عنقه مهمة ورسالة.فكل مسلم يعلم أن عليه واجبًا تجاه هذا الدين وأن الدين مسؤولية الجميع لا تنتظر أن يتحرك غيرك لا تنتظر أن يخدم الإسلام غيرك بل لا بد أن توقن بهذا الأمر.

الأساس الثاني: الدعاة جزء من الأمة:

الدعاة جزء من الأمة في جانب عملي ، ولكنهم عندما يتخلون عن الدعوة العامة يفصلون أنفسهم عن الأمة ، هم جزء من الأمة فلهم آباء وأمهات من عامة الناس ولهم أقارب من عامة الناس وهم يشترون من عامة الناس ويتبايعون معهم ، ومع ذلك يظلون بأفكارهم وخطاباهم وأعمالهم منفصلين عن الناس ، ينبغي للدعاة أن يوقنوا أنهم كما أنهم جزء من هذه الأمة في هذه النواحي ينبغي أن يكونوا جزء من الأمة في آلامها وآمالها وأفكارها وما يحيط بها حتى يستطيعوا أن يقوموا بهذه المهمة خير قيام.

الأساس الثالث: أن الخلطة من أعظم عوامل نجاح التربية:

إننا إذا أخذنا فئة من الشباب لنربيهم ونعلمهم بعيدًا عن المجتمع بعيدًا عن كل ما في من الانحراف بعيدًا عن ما فيه من الأفكار ؛ فإننا لا نأمن إذا اختلطوا في هذا المجتمع إما أن يكونوا كالأجسام الغريبة التي يلفظها الجسم عنها ولا يقبلها ، وإما أن يذوبوا في هذا المجتمع ويتبدد ما رسخ في أذهانهم وفي نفوسهم من هذه الإيجابيات لماذا؟ لأنه لا بد أن نعلم أن الخلطة هي المعاناة ، والمعتزل بعيدًا عن الناس لا يعرف

صدقه من كذبه ولا يعرف وفائه من غدره ؛ لأننا لم نصقله في ميدان التجربة العملية.

كيف يمكن أن أربي الشباب عن الترفع عن الشهوات وهم لم يروها ولم يتعرضوا لها ينبغي أن يربوا في أتون المحنة كما تربوا أصحاب النبي ص وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا ، وفي ذلك المجتمع صناديد الكفر من أمثال أبي لهب وأبي جهل ، وفي ذلك المجتمع الخمور التي تشرب والزنا الذي يفعل ، بالطبع ليست هذه دعوة أن يخالطوا هذه الأمور لكن لا بد أن يعرفوا واقعهم وأن يتربوا على أن يألفوا ويبتعدوا عن المحرمات وأن يلتزموا الطاعات وهم مدركون لما هو في الواقع ويعايشونه ويعرفونه.

الأساس الرابع: الخيار الإسلامي هو البديل الوحيد المنتظر بعد أن جربت الأمة والشعوب المسلمة كل الخيارات وعرفت كل الشعارات: لقد مرت سنوات عجاف على المجتمعات الإسلامية ، فظهر لها الحق من الباطل والخطأ من الصواب لقد دعيت باسم القومية في وقت كان الجهل فيه مطبقًا فاستجابت وإذا بالقومية تتبدد لها قوتها وتضيع عزتها وتذهب ريحها وتعمل فيها كل معاول الهدم والتخريب ، وسارت دهرًا مع العلمانية فانكشف عوارها ، وبان زيفها ، وانفضح ما خفي من أمرها وصار الناس اليوم يعرفون هذا الأمر معرفة وثيقة والواقع يشهد بذلك.

الأساس الخامس: القدوة أقوى محرك للناس:

القدوة العملية الظاهرة أقوى محرك للناس ، فإن الدعاة مهما صقلتهم وأعددتهم ، وإن طلبة العلم مهما علمتهم إذا لم يرهم الناس بأعينهم ولم يسمعوهم بآذانهم ولم يعيشوا معهم في أحوالهم - ليس لهم تأثير ، وربما يكون من هو أقل علمًا وأقل خبرة وتجربة لكنه يعايش الناس في واقعهم ويتحدث بلسانهم فإذا به يحظى عندهم بالقبول ويكون له أثر كبير بينهم.

الفصل الرابع

ضوابط ومخاطر
في الدعـــوة العامة

ضوابط للدعوة العامة:

أولًا: الإكثار من الاستشهاد بالنصوص والأدلة الشرعية من القرآن والسنة:

فكم يكون جميلًا عند الناس وقع الحديث الذي بين كل فقرة وفقرة آية قرآنية وبين كل فكرة وفكرة حديث نبوي وبين كل قضية وقضية استشهاد تاريخي ، لا شك أن هذا يناسب حياة الناس وقلوبهم ، فإن الناس لا يريدون منك كلامًا فكريًا ولا تنظيرًا عقليًا ، وخاصة عوام الناس لا يحركهم ولا يلفت نظرهم إلا عندما تقول لهم: قال الله لأ ، وفي حديث رسول الله ص ، وكان من سيرة أبي بكر ت وكان من فعل عمر ت.

ثانيًا: أسلوب الترغيب والترهيب:

لا ينفع للعامة المخاطبة العقلية الفكرية النظرية والعمق كلا ! يكفيك من هذا أن تُرَغِّب في الخير بما ورد من نصوص ، وترَهِّب من الشر بما ورد من الوعيد ، فإن هذا كثيرًا ما يؤثر في الناس بشكل كبير.

ثالثًا: الإكثار من القصص التاريخية المؤثرة.

رابعًا: الاستنطاق والمتابعة للأحداث الواقعية:

فإن الناس يسمعون الخير اليوم فإذا جاءوا وسمعوا أثره وصداه وتقويمه وتحليله وبيان فوائده وسلبياته من ذلك الداعية ، عرفوا أن الداعية والإسلام يواكب كل شيء وله في كل شيء حكم وتوجيه وتقويم ، أما أن تقع الأمور وهذا في وادٍ والناس في وادٍ آخر فإن هذا لا شك أن هذا يكون تأثيره ضعيفًا.

خامسًا: المعايشة اليومية:

وهو أن يتكلم الداعية بما يقع في حياة الناس يتكلم عن المشكلات الزوجية عن مشكلات الأبناء ، حتى ما يجد من الظواهر الاجتماعية التي تستحدث في حياة الناس ويكون بصيرًا بهذا إن لم يكن هو قريبًا منه ، فليأخذ ممن يعرفون هذه الأمور ويكون مستشهدًا حتى بأسلوبهم ، بأمثلتهم الدارجة ، ببعض أساليبهم ، بتعبيراتهم ، بلهجتهم العامة حسبما يقتضي ذلك حتى يعرفوا أن أمثلتهم من واقعهم ، ومما يعيشون فيه فهو منهم وأعرف بهم وخبير بقضاياهم.

سادسًا: البساطة والوضوح في العرض:

لا يحتاج إلى التعقيد ولا إلى التقعر والتشدق ، بعض الدعاة أحيانًا قد يرون أن البلاغة العالية ، وأن الأساليب البيانية الفريدة وأن الاستشهادات الشعرية الغريبة هي التي ستعلي قدره عند الناس بينما ينتهي - كما قلت - ولا يعرفون ماذا تكلم ولا عن أي شيء تحدث ، وهل تحدث بالعربية أو بغيرها لأنهم لم يفقهوا منه شيئًا.

سابعًا: البعد عن الغرائب والشواذ من المسائل:

فهذا كثيرًا ما يبلبل الناس ، تجد الناس قد ألفوا أمرًا وربما يكون في خطأ لكن يحتاج إلى أن يلامسهم ملامسة ، لا يأتيهم بما يفجعهم أو يفاجئهم فيستغربون منه وينكرون عليه ولا يتقبلون منه ، لا يعني ذلك كما قد يقول قائل أننا نقر الباطل ! لا. ولكن لكل شيء أسلوب لكل شيء أسلوب مناسب وسياسة تدريجية تبين الخطأ من غير أن تأتي بالأمر الشاذ البعيد.

ثامنًا: البعد قدر المستطاع عن التفريعات وكثرة الاختلافات: فإنها تبلبل العامة وتجد من الناس من يقول هذه المسألة هناك من قال يجوز وهناك من قال حرام ، وهناك من قال مكروه وهناك من قال واجب ، نحن لا نعرف هل الدين واحد أم آراء متعددة ويحصل للناس بلبلة كثيرة ، عند تعليم العامة ينبغي أن نعطيهم الخلاصة التي نرى أنها

راجحة مدعمة بكتاب الله وسنة رسوله ص ، فإذا احتاج الأمر إلى بعض التفصيل فبقدر ما يحتاج إليه بعيدًا عن ما قد يشوش على الناس.

بعض الوصايا تمكِّن الداعية من ممارسة الدعوة العامة بصورة أفضل:

- اقتنع بالقضية واعتبر نفسك الجندي الوحيد في الميدان ، وأن معركتك مع شيطان الهوى سيحسم بمجهودك.
- تَبَرَّأْ مِن حَوْلِك وطَوْلِك واستَيقِنْ أن الهداية بيد الله لأ.
- اختر الزمان والمكان المناسب ، إلا في بعض الحالات التي تقتضي الصدع بالحق خوف فوات الفرصة.
- الأصل في سمتك الهدوء والابتسام ، فإذا احتجت إلى التجهم لصرامة الموضوع فلا بأس ، شريطة ألا يئول ذلك إلى التنفير ، وأنت خبير بردود أفعال من أمامك.
- تكلم في المنكر الحال ، وتجنب النصح في أمور لا تعلم عن حال المدعو فيها شيئا (إلا إذا كنت تعلم من المدعو أمرا بعينه يحتاج إلى النصح فيه) ، فإذا رأيته يدخن فلتكن نصيحتك عن حرمة التدخين ، ولا تكلمه عن غض البصر مثلا حال كونك لا تدري: هل هو ممن يغض البصر عن المحرمات أم لا؟
- نحن دعاة الحق نتكلم بسان الشرع ، فلا بد من النطق بأحكام الشرع لا أحكام العرف ، فلا يناسب أن تنصح متبرجة قائلا إن السفور عيب ، بل يجب أن تعلم حكم الشرع فإن جهلته بينته لها.
- إن التخويف بالنار قد لا يصادف محلا عند البعض فلا بأس أن تميل بهم إلى الحديث عن البشارة ، وما أعد الله للطائعين ، ثم تردف ذلك بلفحة من نار جهنم.

- كُنْ بسيطًا في حديثك ، وتجنب التفيهق والتقعر واستخدام غريب الألفاظ والمعاني ، ومن لوازم الدعوة الناجحة رشاقة العرض ، ويكون ذلك بالتناسق بين تعبير الوجه ومعاني الكلمات وحسن المنطق وعدم التكلف في حركة الشفتين ولفظ الحروف ، وكذا التناسق بين تعبير الوجه ومعاني الكلمات مع حركة اليد ، ولتحرص على تناسب إشارة اليد مع حركة اليد لتكون معبرة عن ثقة في المتحدث وجدية في الحديث ، ويناسب عند الحديث عن الأمور الصارمة مثلا أن يشير بقبضة اليد ، وفي سنة النبي ص شواهد على هذا المعنى.
- رَكِّزْ نظرَك في وجه من تحدثه ، فللعين جزالة في التأثير وتعبير عن الصدق يفوق ما في فصيح الكلام.
- لا تهجر نصوص الوحي المطهر عندما تحدث الناس ، فإنهم مخاطبون بكلام ربهم بالأصالة ، وليس بكلامك ، فاستيقن أن في كلام الله لأ وكلام رسوله ص من البركة في التأثير أكثر مما في كلامك.
- لا تُكْثِرْ من الكلام عن نفسك وعن غيرك ، فتقول أنا وفلان ، وفلان وأنا ، بل حاول أن تجعل مَن تحدِّثه في محل اهتمامك نظرًا وحديثًا ، فحاوِلْ أن تستغل خصلة فيه محمودة فتمدحه عليها مكتسبًا وُدَّه وإعجابه.
- حاوِلْ أن ترطب الحوار ببعض الفكاهة إن اقتضى المقام ، وخاصة إلى احتدم الحوار ، وذلك للإبقاء على ركن المودة الذي هو بابك إلى قلبه.
- لا تجعل القيادة للحوار بيد أحد غيرك ، فإذا حاول أن يصول بك ويجول فالزم نقطة الحوار ولا تتشتت في أودية الحديث ، حيث لا جدوى من جراء ذلك إلا الجدال العقيم.

- حاول أن تركز في موضوعك ، وأن تسوق له من الأدلة والشواهد الشرعية والمنطقية ما تغزو به ضميره ، فإذا احتللت مكانًا في القلب فحافظ على هذا المكان ثم ابدأ هجومك الكاسح من ذلك الموقع (لا تتراجع أو تتأخر إلى مواقع سابقة).
- حاول أن تستخلص من كلام مَن تحاوره ما يفسده ، مع التلطف في بيان وجه الاستدلال ، مبتعدًا في كل ما سبق عن حب الظهور والرياء والاستعلاء.
- اعلم أنك تتكلم بلسان الحق ، فاجعل له هيبةً ووقارًا ، وأَحْسِنْ عرض ما عندك من الحق ، يزهد الناس في ما في أيديهم من الباطل ، واصبر على أذى لاحق من عنت من تدعوه فهذا ثمن الهداية.
- كما ينبغي أن تعطي الاحترام المناسب بمقام وعمر من تحدثه ، فلا يناسب أن ينصح الصغير الكبير دون أن يضمن نصيحته بالغ التوقير وفائق الاحترام.

مخاطر في أثناء الدعوة العامة:

أولًا: الغرور والعجب بالنفس: وهذا كما قيل: « كم قصم الغرور من ظهور » ؛ فإن الداعية أحيانًا قد يلقي الدرس أو الخطبة فيسعد الناس ويثنون عليه ، فإذا به يغتر بذلك ويعجب بنفسه ويتطلب مدح الناس فينحرف عن قصد رضوان الله لأ وطلب مرضاته - ، ولا شك أن هذا من أعظم الفتنة وأعظم الزيغ وهو من الأمور التي يتعرض لها أرباب الخير أكثر من غيرهم.

فالمصلي - مثلًا - لا يتعرض لفتنة الإمام عندما يقال له: إن صوتك جميل وإن قراءتك ، مجودة المأموم لا أحد يقول له ذلك ، الذي يخطب يعترض لهذه الفتنة أكثر من الذي يستمع ، الذي يُحسن الكتابة يتعرض لهذه الفتنة أكثر من الذي لا يكتب ؛ ولذلك الدعاة محفوفون بخطر الغرور والإعجاب بالنفس أكثر من غيرهم ، وهذا بمثابة الألغام في طريقهم ، ينبغي أن يحذروا منها وأن يكون عندهم أجهزة يكتشفون بها مواقع اللغم حتى لا تقع أقدامهم عليه ، ومن هذه الأجهزة وجود الخلوة مع الله لأ ولزوم طلب النصح من المقربين الثقاة حتى لا يغفل الإنسان عن حقيقة نفسه ولا يغره شيطانه ولا يلهيه أو يغويه ثناء الناس عليه.

ثانيًا: الاستجابة لضغط الواقع:

إن مهمة الدعاة أن يخاطبوا الناس ويغيروا واقعهم من الانحراف إلى الصواب ، لكن نجد الداعية لا ينتبه لنفسه وإذا به كأنه يحقق ما يطلبه المستمع أو ما يطلبه الجمهور كما يقال ، نريد له أن يخاطب الناس بالتوسط والاعتدال فإذا بهم يقولون له افعل كذا ولماذا لا تتحدث في موضوع كذا ، فيستجيب لهم ، مع أن الأصل أن هذا التوجه كان هو يريد أن يقوِّمه وأن يصوِّبه في حياته ، ولذلك كثيرًا ما يقع المتصدر للتوجيه تحت ضغط الواقع هذا يأتيه من هنا وهذا يطلب منه هذا ، وهذا كذا.

وينبغي أن يقبل من الناس لكن لا ينسى المنهج الإسلامي الذي يحكم به كل شيء ، وأن يستفيد من هذا ليوجه ، فإذا رأى في الناس إفراطًا ذكرهم بأنكم طلبتم كثيرًا

من هذه الأمور ، ولكن هذا إفراط وإذا رأيت تفريطًا ، ذكِّرهم بأنكم ذكرتم هذا ولكن هذا تفريط وكذا ، فإن بعض الناس قد يغفل عن هذا ويقع في هذا الجانب ويسبب خطرًا كبيرًا.

ثالثًا: القول بغير علم:

وهذا يقع للداعية أحيانًا عندما يُسأل فيقول: لا أدري ، والثانية يقول: لا أدري ، الثالثة قد يستحي فيقول بعض القول والرابعة. ثم يكون بعد ذلك جاهزًا على الإجابة على كل سؤال في كل مجال ، وهذه مصيبة كبرى وأمر خطير ينبغي التنبه له.

رابعًا: تجاوز الحدود الشرعية:

فإن منابر الدعوة قد تدعو إلى الحماس أحيانًا ، وقد تدعوا إلى موافقة كلام الناس أحيانًا فيتجاوز الحد الشرعي المطلوب دون أن يلتفت إلى مثل هذا القول.

الفصل الخامس

موضوعات مقترحة للدعوة العامة

١ - الموضوعات الإيمانية:

يتحدث عن أصول الإيمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه بالأسلوب البسيط الواضح ، ويُرَكّز على المنهج الصحيح من خلال صور عملية عبر المواقف والقصص من سيرة الرسول ص والصحابة ي ومن سيرة العلماء الربانيين.

٢ - الآثار الإيمانية: وأن الإيمان قول وعمل حتى يبطل ما يشيع بين الناس أن الإيمان في القلب ونحن أصحاب نيات طيبة ، وإن قارفنا الحرام وإن قصرنا ، ينبغي أن نصحح هذا المفهوم الخاطئ ونعرف الناس تعريفًا واضحًا أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

٣- الأخطاء والانحرافات العقدية: التركيز المنهجي على هذه الأمور وذلك بالأسلوب المناسب ؛ حتى يزول أثرها من العقول وتبطل حجتها عند الناس.

٤ - أمور العبادة: وبيان أحكامها وتشريعاتها ، كثيرًا من الناس لا يعرفون كثيرًا من أحكام الطهارة ، فهناك أصول وأمور من أساسيات هذا الدين ينبغي أن نخاطب بها الناس وأن نعرفهم بها.

ومن ذلك أيضًا بيان الآثار التربوية والسلوكية للعبادات وأن العبادة ليست فقط ركعاتٍ تُنْقَر وليست أموالًا تُبذل وليست طوافًا بين الصفا والمروة دون أن يكون لها أثر ، بل لها الأثر التقويمي السلوكي في حياة الناس. ومن ذلك وأهمه شمول العبادة وأن العبادة تشمل كل الوقت والزمن.

٥ - التربية الإيمانية: التي يشتاق معها إلى الطاعات وآثارها وإلى الخيرات وما تلقي في النفس من تقويم وتوجيه وتربية وإصلاح.

٦- إبراز محاسن الإسلام وكمال تشريعاته بأسلوب مناسب مبسط.

٧- الربط بين العلم والعمل وأن العلم حجة على من علم ، وأنه ينبغي لنا أن لا نكون عندنا جانب عملي يختلف عن الجانب العلمي وهذا من أعظم أنواع الخلل في مجتمعات المسلمين.

٨- **التأكيد على معالم الوحدة وآثارها الإيجابية ولزومها في أمة الإسلام** ؛ مع التنبيه على آثار الفرقة وخطورتها وآثارها السلبية في مجتمعات المسلمين ، وإلغاء المفاهيم التي قد تشيع بين الناس من الإقليمية والعرقية والوطنية والتقاليد البالية في مجتمعات المسلمين ، التي فرقت الصفوف وغير ذلك مع تحميسهم إلى مشاركة إخوانهم المسلمين وذكر قضاياهم والتعريف بآلامهم.

٩- **بيان أن تحكيم شرع الله عز وجل أساس إيماني**: وأنه لا بد منه ، وبه تكون سعادة الناس في هذه الحياة ونجاتهم في الآخرة ، وبيان آثار الحكم بغير ما أنزل الله وما جر من البلاء على الأمة.

١٠- التوعية بحال أعداء الإسلام ومخططاتهم ومؤامراتهم وأعمالهم وكيدهم لهذه الأمة ؛ حتى يرتفع الوعي في عامة الناس في صفوف المسلمين وعامتهم.

الفصل السادس

المشروع الدعوي للفرد الواحد

أهداف المشروع:

- وضع برنامج عمل لشغل أفراد الصحوة الإسلامية من خلال هذا المشروع الدعوي بما ينفع الإسلام والمسلمين.
- غرس الحس الدعوي لدى الأفراد لتغيير الواقع إلى الأفضل.
- الانتشار بأبناء الصحوة في شتى قطاعات المجتمع المختلفة.
- الوصول بصوت الحق إلى أكبر شريحة من المجتمع من خلال تطبيق هذا المشروع.
- زيادة رصيد المسلم من الخير والأجر والخبرة في كيفية التعارف وجذب القلوب.
- تهيئة الناس للعمل للآخرة وفعل الطاعة.
- مواجهة تيار الفساد ضد الإسلام وأهله.
- تحريك كوامن الخير في نفوس الناس.
- عدم الاعتماد على الجهود الجماعية الدعوية فقط.
- الاهتمام بالأعمال الصالحة المتعدية النفع للغير ، ولاسيما في مجال الدعوة ونشر العلم وخدمة المجتمع.

التعريف بالمشروع: أن يحاول كل فرد في الدعوة أن يُدخل في طريق الهداية والاستقامة أخًا مسلمًا جديدًا في مدة يحددها ، ويبذل ما بوسعه من جهد وتفكير ومتابعة لإصلاحه. إذن المشروع يعتمد على الجهد الذاتي الذي يبذله المسلم الداعية مستعينًا بالله لأ ثم بالوسائل الماديَّة والمعنوية لهداية الآخرين.

شروط لنجاح المشروع في واقع الناس:

لنجاح هذا المشروع الدعوي لابد من أساسيات لهذا العمل الجليل:

- الإخلاص والعمل لله وحده ، واحتساب الأجر والثواب في هذا المشروع.
- الاقتناع بأهمية وضرورة العمل الدعوي الذاتي ، وأنه جزء من عبادة المسلم اليومية.
- الاستمرار في هذا العمل ، وعدم الفتور.
- التخطيط والتنظيم المسبق قبل طرح الوسيلة أو الأسلوب في واقع الناس.
- صنع علاقات ودية مع الآخرين فكلما اتسعت دائرة العلاقات ؛ اتسعت دائرة الدعوة والعمل.
- الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم اقتداء بالنبي ص.
- حَمْل همِّ الدعوة والعمل للإسلام.
- حبذا لو يخصص المسلم مبلغًا من المال لهذا المشروع.
- التعاون مع الآخرين والاستفادة منهم من متطلبات هذا المشروع.
- الدعاء بالتوفيق والفتح من الله في العمل بهذا المشروع ، وليكون دليل خير لكثير من الناس.

مواطن عمل المشروع:

هناك الكثير من المواطن التي يمكن للداعية أن يمارس فيها هذا المشروع ومنها:

- الأسرة والأقارب.
- المسجد وجماعته.
- العمل ومنسوبيه.

- المناسبات العامة (أعراس - عزاء - ولائم -....).
- مكان التعليم (المدرسة - الجامعة - المعهد - مقر الدورة -...).
- في السفر.
- اللقاءات العابرة ، والحديث العادي.
- القرى ، من خلال قافلة دعوية.
- المجالس (الخاصة - العامة - اجتماعات - ...).
- مرافق المجتمع (المستشفيات – الحدائق - المحلات البارزة -...).

وسائل دعوية لتحقيق المشروع في واقع الناس والمجتمع:

وهي ما يستعين بها الداعية في ممارسة هذا المشروع ؛ لتبليغ دين الله لأ بغرض التأثير الإيجابي على الناس ، وجعلهم ممن يحملون همَّ العمل للآخرة.

وهذه الوسائل منها المطوية والكتيب والشريط والاسطوانة ... الخ.

استراحة داعية

الصحابة ي دعاة بعد إسلامهم ببضع دقائق:

نزل مصعب بن عمير على أسعد بن زُرَارة ، وأخذا يَبُثّان الإسلام في أهل يثرب بجد وحماس ، وكان مصعب يُعْرَف بالمقرئ.

ومن أروع ما يروى من نجاحه في الدعوة أن أسْعد بن زُرَارة خرج به يومًا يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر ، فدخلا في حائط من حوائط بني ظفر ، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مَرَق ، واجتمع إليهما رجال من المسلمين - وسعد بن معاذ وأسَيْد بن حُضَيْر سيِّدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك - فلما سمعا بذلك قال سعد لأسَيْد: « اذهب إلى هذين اللذَيْن قد أتَيَا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما ، وانْهَهُما عن أن يأتِيَا دارَيْنا ، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي ، ولولا ذلك لكَفَيْتُك هذا ».

فأخذ أسَيْد حربته وأقبل إليهما ، فلما رآه أسعد قال لمصعب: « هذا سيد قومه قد جاءك فاصْدُق الله فيه » ، قال مصعب: « إن يجلِسْ أكَلِّمْه ». وجاء أسَيْد فوقف عليهما متشَتِّمًا ، وقال: « ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعْتَزِلَانَا إنْ كانت لكما بأنفسكما حاجة » ، فقال له مصعب: « أو تجلسْ فتسمعْ ، فإنْ رضيتَ أمرًا قبلْتَه ، وإن كرهْتَه كُفَّ عنك ما تكره » ، فقال: « أنصَفْتَ » ، ثم ركز حربته وجلس.

فكلمَه مصعب بالإسلام ، وتلا عليه القرآن. قال الراوي: « فوالله لَعَرَفْنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلله ، ثم قال أسَيْد: « ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ ». قالا له: « تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ». فقام واغتسل ، وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين ، ثم قال: « إن ورائي رجلًا إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرشده إليكما الآن - سعد بن معاذ ».

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه ، وهم جلوس في ناديهم. فقال سعد: « أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ».

فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد: « ما فعلتَ؟ » ، فقال: « كلمْتُ الرجُلَيْن ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا: « نفعل ما أحببت ». وقد حُدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه - وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك - لِيُخْفِرُوك »[1].

فقام سعد مغضَبًا للذي ذكر له ، فأخذ حربته ، وخرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشَتِّمًا ، ثم قال لأسعد بن زرارة: « والله يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ [2] هذا مني، تغشانا في دارنا بما نكره؟ ».

وقد كان أسعد قال لمصعب: « جاءك والله سيد من ورائه قومه ، إن يتبِعْكَ لم يتخلفْ عنك منهم أحد » ، فقال مصعب لسعد بن معاذ: « أو تقعدْ فتسمعْ؟ فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره » ، قال: « قد أنصفْتَ » ، ثم ركز حربته فجلس.

فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قال الراوي: « فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتهلّله » ، ثم قال سعد: « كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ » ، قالا: « تغتسل ، وتطهر ثوبك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ». ففعل ذلك. ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادي قومه ، فلما رأوه قالوا: « نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به ».

---

(١) أَخْفَرَه: نقض عهده ، وغَدَره.
إن صَحَّت القصة فقد كان أَسَيْد حديث عهد بالإسلام ، فلم يكن يعلم بعدُ بحرمة الكذب.
(٢) رام الشَّيءَ: طلَبه ، رغِب فيه ، أراده ورجاه.

فلما وقف عليهم قال: « يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم؟ » ، قالوا: « سيدُنا وأفضلُنا رأيًا ، وأيْمَنُنَا نقيبةً » ، قال: « فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ». فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة ، إلا رجل واحد - وهو الأُصَيْرِم - تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، فأسلم ذلك اليوم وقاتل وقُتل ، ولم يسجد لله سجدة (٣).

وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخَطْمَة ووائل. كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر ـ وكانوا يطيعونه ـ فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة(٤).

عزة المسلم في تمسكه بدينه:

ذكر الدكتور عبد الودود شلبي / أن طالبًا سودانيًا مسلمًا كان يَدْرُس في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان هذا الطالب السوداني المسلم محافظًا على أداء فرائضه الدينية

---

(٣) عن الْحُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ يَقُولُ: « حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ » ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ ، فَيَقُولُ: « أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ ».

قَالَ الْحُصَيْنُ: « فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ: كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِم؟ » ، قَالَ: « كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ الله ص إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ » ، قَالَ: « فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْـمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ فَقَالُوا: « وَالله إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ ، وَمَا جَاءَ ، لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَـمُنْكِرٌ هَذَا الْحَدِيثَ » ، فَسَأَلُوهُ: مَا جَاءَ بِهِ ، قَالُوا: « مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو؟ أَحَرْبًا عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ » ، قَالَ: « بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ؛ آمَنْتُ بالله وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ الله ص فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي ». قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ الله ص ، فَقَالَ: « **إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ».

(رواه الإمام أحمد في الْمُسْنَد ، وقال الأرنؤوط: « إسناده حسن ».

(٤) الرحيق المختوم ، ص ١٧٠-١٧٣.

، وفي أحد الأيام لاحظه أحد المدرسين في هذه الجامعة يتوضأ للصلاة ، فصاح فيه غاضبًا: « كيف تغسل قدميك في حوض نغسل فيه وجوهنا؟ ».

إنها حيلة الذئب المعروفة مع الحمل.

فقال له الطالب السوداني: « كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ » ، قال الأستاذ الأمريكي : « مرة واحدة ، في كل صباح طبعًا ».

فقال له الطالب السوداني: « أما أنا فأغسل رِجْلي خمس مرات على الأقل في اليوم ، ولك أن تحكم بعد ذلك أيهما أكثر نظافة: رجلي أم وجهك؟ ».

(c b a) (البقرة: ٢٥٨).

آه من نقص القادرين على التمام !!!

قال الإمام ابن الجوزي /: « مَن أعْمَلَ فكره الصافي دَلّه على طلب أشرف المقامات ونهاه عن الرضا بالنقص في كل حال ، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيبًا كنَقْصِ القادرينَ علَى التمامِ

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غايةِ ما يُمْكِنُه ، فلو كان يُتصور للآدمي صعود السماوات لَرَأيْتُ من أقبح النقائص رضاه بالأرض » (صيد الخاطر ، ص ٢٨٦).

هذه البلجيكية بعد إسلامها:

الأخت البلجيكية هدى التي كان اسمها بوليت غيو ، التي أسلمت بعد اقتناع تام بدين الإسلام وقصتها رائعة ، تقول في ختام قصتها: « قررتُ الاكتفاء بالضروري من دخلي لأجعل ما يزيد عن حاجتي في خدمة الدعوة ، ولمساعدة الفقراء من لاجئي الألبان المسلمين ، وسوف أفتح منزلي لاستقبال أطفال هؤلاء الذين تضطر أمهاتهم إلى تركهم للعمل أثناء النهار ، وعندي اقتراح آخر هو أن نتخذ من هذا المنزل مركزًا خاصًا لاجتماعات نسائية أسبوعية ، تضم المسلمات وغير المسلمات ، من المثقفات الأوروبيات اللواتي نأنس فيهن رغبة في الحق ، وقدرة على فهمه ».

الباب العاشر

الدعوة الفردية

الباب العاشر

الدعوة الفردية

الدعوة إلى الله لأ تنقسم بالنسبة إلى المدعو إلى قسمين:

الأول: دعوة جماعية وتتمثل بالخطب والمواعظ والدروس.

الثاني: دعوة فردية وهي التي تهتم بتربية الفرد المسلم التربية السليمة مع المتابعة.

والناظر إلى واقع الدعاة إلى الله يجد أنهم في الغالب يقومون بنوع واحد من الدعوة - وهي الدعوة الجماعية - والقليل من يهتم بالدعوة الفردية والتي هي في الواقع لا تقل أهمية عن الدعوة الجماعية بل قد تكون أهم.

إن قضية الدعوة الفردية وتربية الأفراد في الحقيقة خط عريض في العمل الإسلامي لابد منه ؛ بل هي قضية المحافظة على العمل الإسلامي واستمراره. ومن ثم يجب رعاية هذه القضية وإعطاؤها حقها حتى يظل للدعوة حيويتها وتوهجها ويبقى عمودها الفقري سليمًا قويًا.

لَئِنْ مَاتَ جِيلٌ فجِيلٌ يَجِيء وإنْ مَاتَ صَفٌّ فَصَفٌّ يُبَارِي

إن الدعوة الفردية يمكن أن يقوم بها طلبة العلم المبتدئين لأنها لا تحتاج إلى كثير علم. وهذا النوع من أنواع الدعوة يجب أن يُغرس خاصة في قلوب الشباب الذين لا يتحملون قسطًا من أعباء الدعوة ، فلا يَدْعون غيرهم ، ولا يُجهدون أنفسهم في سبيل الله لأ بل يكتفي أحدهم بنفسه فتراه يتبع الدروس والمحاضرات ولا يدعو غيره ولا يرغب في أن يكون سببًا لهداية غيره.

الفصل الأول

ماهية الدعوة الفردية وأهميتها

ما المراد بالدعوة الفردية؟

المراد بالدعوة الفردية: (دعوة الأفراد) أي دعوة الناس منفردين فالفردية هنا من حيث المدعـــو ، ويقابل هذا: دعـوة الناس مجتمعين من خلال الدروس والمحاضرات ؛ وليس المقصود بها (العمل الفردي) الذي يقابله (العمل الجماعي) فالفردية في هذا النوع من حيث الداعي منفردًا بعمله مستقلًا بآرائه.

ويمكن تعريف الدعوة الفردية بأنها اتصال الداعية بالمدعو اتصالًا شخصيًا مباشرًا بهدف إحداث نقلة في مقدار تمسكه والتزامه بالإسلام ، بحيث تتحقق فيه سمات المسلم الصالح ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بواجب الدعوة إلى الله لأ والجهاد في سبيله من خلال الانتظام في صفوف الدعاة المجاهدين.

وإنما يتم للداعية ذلك عبر اختلاطه بعموم المسلمين ثم انتقاء من يتوسم فيه إمكانية الاستجابة ، فيصاحبه ويؤاخيه ، موجهًا إليه الدعوة بصورة فردية مباشرة ، آخذًا بيديه عبر مراحل ، لكل مرحلة منها أهدافها المحددة ووسائلها التنفيذية الموصلة إلى تحقيقها ، ومعايير إنجاز يُقاس من خلالها مدى تفاعل المدعو في كل مرحلة ، واستجابته لما يُمارس معه من برامج ، ثم ضوابط ومحاذير وسياسات تكفل سلامة سير المدعو عبر كل مرحلة ، مع معرفة دقيقة للمشاكل المتوقعة والتي قد تعوق المدعو من الاستجابة المطلوبة ، وكيفية التغلب على تلك المعوقات.

أهمية الدعوة الفردية:

إن أهمية هذا النوع من أنواع الدعوة تنبثق من أهمية الدعوة إلى الله من حيث هي فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة واجبة على المسلمين ، والدعوة الفردية تحقق ما لا تحققه الدعوة الجماعية.

إن كثيرًا من الناس يجهل أهمية الدعوة الفردية وذلك ظنًا منهم أن الدعوة ينبغي أن تكون للناس عامة وذلك بإلقاء المواعظ والمحاضرات والدروس والحقيقة أن هذا لا يكفي ، فالدعوة الفردية تكون نافعة في أغلب الأحيان أكثر من الدعوة الجماعية ، ولهذا نجد أن النبي ص اهتم بالدعوة الفردية خاصة في أول مراحل الدعوة. فقد كان وضع اللبنات الأساسية للدولة الإسلامية للدولة من طريق الدعوة الفردية التي أثّرت في الناس أيما تأثير فجعلت الأفراد المتمسكين بهذا الدين مضِّحين له بالغالي والنفيس.

ولإدراك أهمية الدعوة الفردية وثمرتها المذهلة نتخيل أن أحد الناس التزم بدين الله - ثم في خلال سنة ونتيجة الدعوة الفردية التزم على يديه شخص آخر ، ثم قام الاثنان بالدعوة الفردية فالتزم على أيديهم اثنان آخران في خلال سنة أخرى فأصبحوا في السنة الثانية أربعة ، ثم قام الأربعة بالدعوة الفردية فالتزم على أيديهم أربعة في خلال سنة فأصبحوا في السنة الثالثة ثمانية ، وهكذا في متوالية هندسية ، فكم سيكون عدد الملتزمين بعد ١٠ سنوات؟ الإجابة: ١٠٢٤ ، أي أكثر من الألف.

كم سيكون عدد الملتزمين بعد ٢٠ سنة؟

الإجابة المذهلة: ١٢٠٨٥٧٦ ، أي أكثر من المليون وخمس المليون.

كم سيكون عدد الملتزمين بعد ٣٠ سنة؟

الإجابة المذهلة جدًا: ١٢٣٧٥٨١٨٢٤ ، أي أكثر من المليار وخمس المليار.

بعض الناس قد لا يصدق تلك النتيجة ، ولكن ها هو الجدول الذي يبين ذلك.

السنة	عدد الملتزمين
١	٢
٢	٤
٣	٨
٤	١٦
٥	٣٢
٦	٦٤
٧	١٢٨
٨	٢٥٦
٩	٥١٢
١٠	١٠٢٤
١١	٢٠٤٨
١٢	٤٠٩٦
١٣	٨١٩٢
١٤	١٦٣٨٤
١٥	٣٢٧٦٨
١٦	٦٥٥٣٦
١٧	١٥١٠٧٢
١٨	٣٠٢١٤٤
١٩	٦٠٤٢٨٨

٢٠	١٢٠٨٥٧٦
٢٢	٢٤١٧١٥٢
٢٢	٤٨٣٤٣٠٣
٢٣	٩٦٦٨٦٠٨
٢٤	١٩٣٣٧٢١٦
٢٥	٣٨٦٧٤٤٣٢
٢٦	٧٧٣٤٨٨٦٤
٢٧	١٥٤٦٩٧٧٢٨
٢٨	٣٠٩٣٩٥٤٥٦
٢٩	٦١٨٧٩٠٩١٢
٣٠	١٢٣٧٥٨١٨٢٤

فوائد الدعوة الفردية:

- إن الدعوة الفردية تربي الأفراد تربية متكاملة فلا تقتصر على جانب واحد وتهمل الباقي وهذا ما يسمى بالشمولية في التربية ، ولهذا فإن الدعوة الفردية تكون أنجح من الدعوة العامة في تربية الأفراد. ولأن الدعوة الجماعية لا يمكن أن تتبع أخطاء الأفراد خطأ خطأ ، بل نجد أن الدعوة الفردية من خلالها يمكن التنبيه على كثير من الأخطاء التي يقع فيها الأفراد وبهذا يمكن استكمال التربية.
- بالدعوة الفردية يمكن متابعة التطبيق العملي للتوجيهات الملقاة على الأفراد.
- بالدعوة الفردية يمكن الرد على كثير من الشبهات التي تُلْقى على مسامع الأفراد والتي لا يمكن التحدث بها في الدعوة الجماعية.
- بالدعوة الفردية يمكن غرس المبادئ الإسلامية الصحيحة ويمكن التحدث عنها بكل جدية ووضوح ، إذا جاء الوقت المناسب لكل مبدأ.
- بالدعوة الفردية يمكن إيصال الحق إلى الذين نفروا - أو نُفِّرُوا - عن سماعه وعن مجالسة أهله.
- إن هذا النوع من أنواع الدعوة طريقة سريعة لكسب أكبر عدد من أنصار الدين.
- يمكن متابعة الأفراد متابعة دقيقة بخلاف الدعوة الجماعية فإنه لا يمكن متابعتهم.
- هذا النوع من أنواع الدعوة لا يحتاج إلى غزارة علم بقدر ما يحتاج إلى حكمة في الدعوة فيمكن أن يقوم به أفراد محبون للدعوة.

- الدعوة الفردية لا تحتاج إلى كثير معاناة فهي سهلة ويمكن أن يقوم بها كل داعية من خلال عمله ، فالطالب في مدرسته أو كليته والموظف في مكتبه والعامل في مصنعه. وهكذا.

حالات الدعوة الفردية:

هناك بعض الحالات يستلزم الداعية أن يستخدم فيها الدعوة الفردية لأن الدعوة الجماعية لا تجدي في مثل تلك الحالات وإن كانت الدعوة الجماعية أيسر وروادها أكثر ، ومن الحالات التي يجب استخدام الدعوة الفردية فيها:

١- **المكانة الاجتماعية للمدعو**: إن بعض الأفراد يكون معتزًا بوضعه الاجتماعي ويرى أنه لو خالط عامة الناس في تجمعاتهم لذهبت تلك المكانة التي يتمتع بها. وهذا بالطبع لا يكون إلا لأنه غير ملتزم بالشرع التزامًا كاملًا. ففي مثل هذه الحالة يجب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية.

٢- **جليس السوء**: إن البيئة التي يعيش فيها المدعو لها تأثير على شخصيته فمن خالط جلساء السوء انحرفوا به عن الجادة ، فالمرء على دين خليله ، ولذلك فمن كانت هذه حالته فإنه يصعب التأثير عليه نظرًا لتكاتب رفقة السوء عليه ولقلة حيائهم ومجاهرتهم برد الحق وتفاخرهم بارتكاب المعاصي والآثام. ففي هذه الحالة يجب الانفراد بالمدعو بعيدًا عن هذه الرفقة السيئة حتى يمكن التأثير عليه إن شاء الله تعالى.

٣ - **الحالة النفسية للمدعو**: إن من الأسباب العائقة عن الهداية نفور المنحرفين من الدعاة والمتمسكين بالدين وهؤلاء إما أن يكون الشيطان قد استحوذ عليهم ، فهم يعرفون الحق ولكنهم يبتعدون عنه كبرًا وعنادًا ، أو لأنهم يرون أنه لا يمكن الالتقاء مع المتمسكين بالدين نظرًا لتنافر الطباع والأمزجة. فهؤلاء يصعب دعوتهم إلى محاضرات عامة فيلزم على الداعية أن يستخدم معهم الدعوة الفردية حتى يبين لهم الحق ثم إن هداهم الله - يمكن أن ينخرطوا ضمن الدروس العامة.

٤ - **معالجة جوانب النقص في الأفراد:** قد يكون عند بعض الأفراد جوانب نقص أو عيوب شخصية ولهذا لا يمكن أن تعالج هذه الأمور ضمن الدعوة الجماعية ، بل يجب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية لمناقشة المدعو وتبصيره بهذه الأمور.

الفَصْلُ الثَّانِي

مراحل الدعوة الفردية

مراحل الدعوة الفردية:

المرحلة الأولى:

وهو أن يُوجِدَ الداعية صلة تعارف مع المدعو بحيث يشعره بأنه مهتم به وذلك بتفقده ما بين الحين والآخر ، والسؤال عنه إذا غاب وزيارته إذا مرض هذا كله قبل أن يفتح عليه باب الدعوة ، حتى إذا صارت القلوب متقاربة والأرواح متآلفة ، ووجد التهيؤ من المدعو لتقبل دعوة الداعية طرق الكلام فيما يريد ، وليعلم الداعية أنه بقدر نجاحه في هذه المرحلة مع المدعو يكون التأثير والاستجابة للدعوة ، وأي تسرُّع في هذه المرحلة قد يحدث النفرة من المدعو.

المرحلة الثانية:

وهو أن على الداعية أن يعمل على تقوية الإيمان عند المدعو وذلك أن أصل الإيمان في الغالب موجود إلا أنه تتفاوت نسب الضعف من شخص إلى آخر. وإذا أراد الداعية أن يعالج هذه القضية فعليه أن لا يدخل في الحديث عن الإيمان مباشرة بل عليه أن يستغل الأح- داث بمختلف أنواعها وعليه أن يربطها بالأدلة الواردة في القرآن والسنة ، فمثلًا حصل مولود لشخص من الأقرباء أو الجيران فيبدأ الداعية بالكلام حول خلق الله - لأبينا آدم ثم كيف أن الله جعل ذريته من ماءٍ مهين وكيف جعل رحم المرأة مكانًا لنشوء الجنين وكيف أوصل له غذائه طيلة تسعة أشهر ثم كيف خرج ... إلى آخر ذلك.

مع ربط جميع المراحل بالقرآن والسنة فإنه ما ينتهي من كلامه إن شاء الله لأ إلا وقد بدأ الإيمان بالازدياد عند المدعو مما يجعله متقبلًا لكل ما يلقى عليه ، فإذا شعر

الداعية بأن المدعو بدأ يتأثر بكلامه وارتفع نوعًا ما ، انتقل به إلى المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة:

في هذا المرحلة يبدأ الداعية في إعطاء التوجيهات للمدعو التي من شأنها أن تُصْلِح مِن عبادة المدعو وسلوكه ومظهره ، فلربما كان في عبادته كثير من الأخطاء أو أنه لا يصلي الصلوات في جماعة والمسجد منه قريب وكذلك يعرفه على العبادات المفروضة فيعلمه كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، ويأمره بالابتعاد عن السبل التي توصله إلى سخط الله لأ.

وأما إذا كان محافظًا على الجماعة ولكن عنده بعض التقصير فليعمل الداعية على تبصير المدعو بالمعتقد السليم الذي هو معتقد السلف الصالح ي. ويحسن بالداعية أن يبدأ بإهداء وإعارة بعض الكتب والأشرطة النافعة في مجال العقيدة والإيمان والترغيب والترهيب ... الخ.

ويعرفه على بعض الشباب الصالحين ويأمر الشباب الملتزم بالإحاطة بهذا الفرد حتى لا يترك مجالًا لقرناء السوء من اجتذابه مرة أخرى. وبهذا نضمن بإذن الله لأ استمرارية استقامة المدعو.

المرحلة الرابعة:

يبدأ الداعية في هذه المرحلة بتوضيح شمولية الإسلام وأنه ليس مقصورًا فقط في الصلاة والصوم مثلًا بل إن الإسلام يجب أن يحكم في كل صغيرة وكبيرة. وبهذا يكون المدعو في هذه المرحلة قد حول جميع حركاته وسكناته وفق شرع الله لأ.

المرحلة الخامسة: وفيه يوضح للمدعو أن الإسلام ليس معناه أن نكون مؤدين للعبادات متخلقين بالأخلاق الفاضلة وإلى هنا ننتهي. بل يجب أن يوضح له أن الإسلام دين جماعي ، نظام حياة وحكم وتشريع ، عقيدة وأخلاق ودولة وجهاد ، وأمة واحدة ، وأن المسلم لا يمكن أن يكون آخذًا للإسلام من جميع جوانبه إلا إذا فهم هذا

الفهم السليم. فإذا فهمنا هذا الفهم السليم للإسلام فإنه - أي هذا الفهم - سيملي علينا مسؤوليات وواجبات يجب أن نقوم بتأديتها امتثالًا لأمر الله حتى يقوم المجتمع على القواعد الصحيحة للإسلام في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ... الخ.

المرحلة السادسة: فيها يمكن للداعية أن يوضح للمدعو ما يستوجبه الواقع الذي تمر به الدعوة إلى الله وأنها محتاجة إلى تكاتف الجهود ولَمِّ الشمل ووحدة الصف والعلم حتى يتمكن المسلمون من إعادة الخلافة الإسلامية التي كاد لها أعداء الله من الداخل والخارج حتى أطاحوا بها. ومنذ ذلك الحين والمسلمون يعيشون في هذا الذل والهوان حتى صار أعداؤهم لا يبالون بهم وهذا كله نتيجة أن المسلمين رضوا بدنياهم وابتعدوا عن العمل بكتاب الله لأ وعن سنة نبيهم ص وتركوا الجهاد في سبيل الله لأ. فإذا أردنا العزة والتمكين وتغيير الأحوال إلى الأصلح وإقامة الدولة الإسلامية فعلينا أن نبدأ بإصلاح أنفسنا وأهلينا ومجتمعنا لأن الله لأ قال: (| { ~ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١).

المرحلة السابعة: على الداعية أن يحمس المدعو لطلب العلم لأنه لا يمكن أن يعبد الله كما أمر سبحانه إلا بالعلم ، فيُرَغِّب المدعو بمجالسة العلماء العاملين من أهل السنة والجماعة أصحاب المنهج السليم ، ويشعره إذا وجدت محاضرات أو جلسات خاصة سواء كان ذلك بالمرور عليه أو بالهاتف كما يحثه على اقتناء الكتب النافعة وكذا الأشرطة والمجلات والاسطوانات ... الخ.

وينبه المدعو إلى أن خير السبل لإقامة الخلافة هي سبيل رسول الله ص ، وهي سبيل العلم وتربية المجتمع مع تصفيته وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها. وأنه مهما حاول المحاولون الذين ابتعدوا عن هذا المنهج أن يعيدوا الخلافة الإسلامية فإنما مثلهم مثل من يبني بناية على شفا جرف هار يوشك أن يقع.

الفصل الثالث

دور المُربِّي ، في الدعوة الفردية

يتمثل دور المربي مع المدعو في القرب منه والإحاطة بأموره ، والعمل الدءوب لبنائه والارتقاء به ، مع المراقبة والتقويم باستمرار ، وتوجيهه وإعانته في حل مشكلاته الدعوية والخاصة ، ومحاسبته مع التشجيع أو المعاتبة أو غيرهما من صور المجازاة.

فتبين من هذا أن دور المربي مع المدعو يتمثل في خمسة أمور:

١ - القرب منه بروح المودة والإخاء والإحاطة بأموره أولًا بأول.

٢ - الاجتهاد في بنائه والارتقاء به.

٣- توجيهه وإعانته في حل مشكلاته الخاصة والدعوية.

٤ - تقويمه من فترة لأخرى ومراقبة تطوره وتأثره وفقًا لما يبذل معه ، مع مراجعة مدى تحقيق الجوانب الدالة على انتظام السير وسلامة البناء.

٥ - محاسبته ومناقشته للوقوف على مدى قيامه بما يطلب منه أو يوجه إليه مع مجازاته تبعًا لنشاطه أو تقصيره.

وفيما يلي تفصيل القول في ذلك.

أولًا: القرب منه والإحاطة بأموره:

ويراعى في ذلك الأمور التالية:

١ - أهمية الأخوة الفردية لكل فرد على حدة.

٢ - أهمية ضبط العواطف مع المدعو ، ويشمل عدة أمور:

- الحذر من التدليل في قضاء الحاجات وأسلوب التعامل ؛ وليس معنى ذلك الجفاء ، بل المطلوب التوسط بين الجفاء والتدليل. وللتدليل

سلبيته المستقبلية في تعامل المدعو مع الآخرين ؛ حيث ينظر على كل ما ليس بتدليل على أنه فقدان لروح الأخوة ، كما أنه ينتظر دائمًا أن يُعطى ولا يعطي وأن يُتجاوز عن أخطائه ، وربما انقلب على من قام بتدليله إذا ما أراد يومًا أن يحاسبه أو ينهي هذا التدليل.

- الحذر من ضياع الشخصية أو ذوبانها في شخصية المدعو بسبب التعلق المفرط به ، بل لابد من الوسطية في التواضع فلا كبر ولا إلغاء للشخصية ، ولابد من الإبقاء على حد أدنى من الهيبة والاحترام لدى المربي.
- الحذر من الإفراط في مدح الشخص وتضخيمه في نظر نفسه.
- الالتزام بضوابط الشرع في خلطة المردان ، والمراقبة في ذلك.
- الحذر من التميع في التربية باصطفاء بعض الأشخاص والتعلق بهم.
- الحذر من الانسياق وراء العاطفة في تحديث المتربي بأمور لا يُحَدَّثُ بها من هو في مثل مستواه.

٣- أهمية فهم المتربي ومعرفة أحواله عن قرب دون تطفل أو إثقال ، ومن ثم فلابد من مراعاة الآتي:

- السماع في البداية منه أكثر من توجيه الكلام إليه.
- عدم الإثقال عليه بالخلطة الزائدة والزيارات الكثيرة.
- يكون السؤال عن القضايا الشخصية بقدر وحذر وعند الحاجة ، كما ينبغي معرفة القضايا الشخصية التي من شأنها عدم التحفظ منها ، أما القضايا الشخصية التي يتحفظ منها فالأولى عدم التطفل فيها.

٤- مراعاة ظروف كل فرد من ناحية ما يناسبه من صور المتابعة والاتصال ؛ حيث لكل فرد ظروفه التي قد تختلف عن ظروف الآخرين مما يؤدي لضرورة اختلاف

صور المتابعة.

ثانيًا: الاجتهاد في بنائه والارتقاء به:

وهذا هو بيت القصيد وقطب الرحى والمراد من عملية المتابعة أو التوجيه في الدعوة الفردية ، ومن هنا يتبين انحراف من أخل بهذا الجانب في تربية المدعو ؛ حيث تحول عمله مع المدعو إلى مجرد ارتباط مودة أو حب وتعلق ، أو إلى مجرد تسلط على عباد الله لأ دون مردود يقربهم إلى الله - ويطورهم ، ويرفع من مستواهم علمًا وعملًا.

وخطوات هذا البناء والارتقاء ينبغي أن يراعَى فيها السن والثقافة والقدرات والمواهب مع المرونة في ذلك ؛ لأن بعض الناس قد تكون قدراتهم وثقافتهم أكبر من سنهم وقد يحدث العكس ، فينبغي أن يعطى للنابغين من الجرعات أكثر مما يعطى لغيرهم بالطريقة المناسبة التي لا تفسد تربية الآخرين.

وأيضًا فبعض الناس يصعب ارتقاؤه بعد حد معين ، فلابد من مراعاة الفروق الفردية في ذلك كله ؛ وبصفة عامة ينبغي التوسط في منهج التربية ومراحلها بين التقويم والقوالب الجامدة.

وبشيء من التفصيل يمكن التدرج بالفرد عبر المستويات التالية:

١ - فترة تحضيرية تستمر لعدة أشهر قبل الارتباط مع الشخص بمناهج علمية ، ويراعى فيها الآتي:

- أن يكون الشخص المختار ممن يناسب الطاقة.
- أن يكون الشخص محل اهتمام وتعهد مستمر في هذه الفترة مع الحذر من التكلف أو المبالغة في إظهار هذا الاهتمام.
- ترك الفرصة للشخص ليتكلم ويعرب عن نفسه ؛ فاستمع إليه أكثر مما تحدثه.
- معرفة مشاكله وما يعترضه من عوائق ، ومحاولة تذليلها له وإعانته على

تجاوزها.

- مراعاة نفسية كل فرد ومستوى تفكيره ، وعدم الالتزام بنمط واحد في العمل مع الأفراد ، بل يمكن البدء بأي بداية مباحة يتم بها الوصول إلى قلبه ويسهل بها تطبيق البرنامج الذي تريد بعد ذلك.
- عدم صدمه في الأشخاص الذي يعتز بهم.
- الحذر من امتهان الحكم الشرعي ، فلا تجبه إلا على ما ترى مصلحة في الإجابة عليه ، واحذر التسرع في الفتوى.
- هيئ له مناخًا طيبًا وصحبة يتجاوب معها.
- احذر دفعه لصراع مبكر مع البيت أو المجتمع أو الجماعات الموجودة في الساحة اتقاءً لما يحصل من شر أكبر وخلل في تربيته وتكوينه ، بل إذا وجدت في البداية نزعة عداء لدى بعض المتحمسين لكل من حولهم فعليك بضبط هذه النزعة ولا تفرح بها ، وهذا لا يعني إهمال تربية الروح الجهادية أو الحماس ولكنه الحماس المنضبط.
- رَكِّزْ في البداية على المفاهيم الشاملة والخطوط العريضة (التسليم للحكم الشرعي - الاعتزاز بالإسلام - معرفة غربة الإسلام وعدم الاغترار بالكثرة - شمول معنى لا إله إلا الله ...) ، وعلى صياغة التفكير والنفسية صياغة إسلامية صحيحة ، وتقوية الصلة بالله ، وتنقية الداخل ، والتلاوة والحفظ لكتاب الله وتنمية روح الإخاء والمودة.
- احذر الاستعجال أو الاغترار بالسمت أو الهدي الظاهر الذي قد يخدع.
- ابتعد عن الشذوذات والآراء الغريبة أو المثيرة.

٢- بعد تجاوز الفترة السابقة ، والاطمئنان إلى معدن الشخص وجديته وتجاوبه ، يكون هدف الفترة التالية التربية على أصول أهل السنة والجماعة إجمالًا في العقيدة والعبادة والأخلاق والنظر والاستدلال.

ويتحقق ذلك من خلال تلقي الشخص لثلاثة جوانب أساسية في هذا المستوى:

أ- العنصر أو الجانب الإيماني: أي ما يتعلق بالتربية الإيمانية ؛ لاسيما إذا بدئ مع الشخص في فترة مبكرة - في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة ؛ وهو السن المقترح للبداية في هذا المستوى - حيث يكون أقرب إلى الفطرة التي فطر عليها ، فنحن ننميها ونقويها. وينبغي خدمة هذا الجانب ببعض المقررات العلمية والأنشطة التربوية ، والأشرطة المناسبة.

ب- الجانب العلمي: حيث ينبغي تأسيس الفرد علميًا في هذا المستوى ؛ وذلك بالاهتمام بكتاب الله ، والاهتمام بسنة رسوله ص ، بما يناسب مستواه ، وبأسس العلوم من المختصرات ، ويراعى أن يكون طابع المنهج في هذا المستوى الذي قد يتراوح بين ثلاثة إلى خمس سنوات طابع التأسيس الذي يجمع بين التبسيط والقوة والعمق ، مع مراعاة قدرة العقل التحملية ؛ فجانب النمو العقلي وجانب الاكتساب يراعَى في هذه الفترة.

كذا يحسن توجيه الفرد لكتابة بعض المقالات ، ولا بأس من تخصيص موضوعات معينة لهذه المقالات ، كما يمكن ترشيح بعض الكتب للأفراد الذين يحتاجون جرعة زائدة لقراءتها بالإضافة إلى ما يدرسونه هم وغيرهم من عموم الأفراد.

ج- الجانب الأخلاقي والسلوكي: وذلك بأن يُرَبَّى الشخص على ما نطمح أن يكون عليه المجتمع المسلم ، ونحرص على التفكير في إيجاد موانع أو حواجز تمنعه عن الشرور الموجودة في مجتمعه ، ونحرص على توليد وازع ذاتي في نفسه يتقي به هذه

الشرور ؛ لأننا نعيش في واقع ليس فيه قوامة ولا قوة تمنعه من الشرور.

ومما يخدم في هذا الجانب الاتصال القوي بين المربي والفرد ، والبرامج التربوية التي تشد الفرد إلى مجتمع الملتزمين ، وتوفر المناخ الطيب والصحبة الطيبة.

هذه هي الجوانب الأساسية المطلوب تحقيقها في هذا المستوى ؛ فهذا المستوى يمثل فترة لطلب العلم والتربية ؛ وسمتها بالدرجة الأولى التلقي ، أما الجانب العملي أو جانب العطاء فيتركز فيما يخصه كالصلاة والصيام وطلب العلم بالإضافة إلى بعض الممارسات الدعوية المحدودة كتعليم إخوانه الصغار ، أو أن يقول كلمة حق في داخل بيته وبضوابط وتدرج ، أو بين أقرانه ، أو يلقي كلمة قصيرة بينهم ، أو أن يصادق بعض أقرانه أو من هم أصغر منه ويدعوهم للمسجد أو يتهادى معهم ونحو ذلك.

أما الناحية الدعوية العامة: فينبغي أن يجنب الدخول فيها في هذه الفترة ، فلا يُجَرّ لإلقاء دروس أو خطب أو محاضرات ، أو للتورط في احتكاكات مع مرتكبي المنكرات ، أو للتوسع والانغماس في دعوة وتربية الأفراد ؛ إذ أنه في هذا المستوى في فترة بناء علمي وإيماني لنفسه ، واقتحامه المبكر في ميدان الدعوة بهذه الصورة لا يخلو في الغالب من تأثيرات سلبية عليه وعلى الشباب ، وإن كان هذا لا ينفي إمكان وجود حالات فردية لا يقاس عليها ، وإنما الكلام على العموم ، وعلى كل حال فلا بأس من قدر من المرونة ومراعاة الفروق الفردية في ذلك دون توسع أو استرسال.

كما ينبغي التوازن في عرض منهج أهل السنة والجماعة ؛ وخصوصًا في قضايا السنن والبدع ، مع تجنب الموضوعات المثيرة والحساسة سياسيًا واجتماعيًا ، وتجنب الخوض في الحديث عن الجماعات إلا بما لابد منه وبمقدار.

٣- بتحقق أهداف الفترة السابقة من الشعور بالانتماء العام لأهل السنة والجماعة إجمالًا عقيدة وعبادة وسلوكًا ... ومع وجود الاستعداد الفطري والتكوين النفسي المهيِّئ للعمل والدعوة في ظل التعاون مع الآخرين يصل الفرد إلى مستوى جديد يكون الهدف فيه تحقيق عدة أمور:

أ- المشاركة الفعالة في الدعوة: في إطار التعاون مع الآخرين بما يقتضيه هذا الإطار من صفات كالانضباط والاستئذان والشورى ... الخ مع الشعور بالمسؤولية والولاء للعمل.

ب- تحقيق الحد الأدنى من القدرة على الدعوة والتعليم والقدرة على التعبير وإقناع الآخرين بقناعاته ، ويمكن تحقيق ذلك وما قبله من خلال الجوانب النظرية التي يدرسها والجوانب العملية التي تتيحها الممارسات والأنشطة التي ينبغي أن يتميز بها هذا المستوى.

ولا شك أن الجانب العملي في هذا المستوى فيه توسع وعمق أكثر من المستوى السابق ، وفيه علوم جديدة ؛ فالبرنامج العلمي في هذا المستوى ينبغي أن يكون برنامجًا علميًا قويًا ، حيث ينبغي أن ينتقل الشخص في هذا المستوى نقلة علمية بالدرجة الأولى.

كما ينبغي أن يُوَجَّه الشخص في هذا المستوى لكتابة بعض البحوث التي تخدم الهدف الأول أو الثاني ، كما يوجه لاستماع أشرطة المحاضرات المفيدة في ذلك ، كما يوجه الناشطون للاطلاع في كتب إضافية كلما فرغوا من كتاب وُجِّهُوا لآخر ... وينبغي اختيار الأشرطة والكتب بعناية.

ج- إيجاد أسس التخصصات بعد انتصاف الفترة الزمنية المناسبة لهذا المستوى ، حيث يُهيأ الفرد للتخصص المناسب له وفقًا لما اكتشفه فيه المربي من المواهب والطاقات بالإضافة إلى القدر المشترك الذي يوجه كل فرد لدراسته.

فلابد أن تراعى في هذا المستوى الفروق والمواهب والقدرات ، بمعنى أن يكون الإطار واحدًا لكن داخل هذا الإطار يوجد نوع من التفريق ، ولنأخذ مثلًا: المرحلة الابتدائية في المدارس المعهودة مستواها متماثل تمامًا - أي في مناهجها - لكل الطلاب ، لكن المرحلة الثانوية تختلف فيها بعض المواد نوعًا أو كمًّا حسب ميول الطلاب وقدراتهم ، ويظهر ذلك أكثر بعد الثانوية - في الجامعات والمعاهد - فلا مانع من الاختلاف المعقول داخل هذا المستوى. ومن هنا تبدأ التخصصات أو أسس

التخصصات.

ومن الخطأ أن تبدأ أسس التخصصات في الفترة الأولى أو المستوى السابق لأن فترة البداية فترة تأسيسية ، كما أن هذا المستوى الذي نحن بصدده لا ينصح فيه أيضًا أن يبدأ التخصص الشامل وإنما مبادئ التخصص ؛ وفي الطب على سبيل المثال يأتي التخصص في الدراسات العليا ، أما قبل ذلك فتكون الدراسة عامة أو موحدة لكل الطلاب.

وحتى يمكن إيجاد بذرة التخصص في الفترة الأخيرة من هذا المستوى فلابد من تجرد المعلم أو المربي وعدم غيرته ممن يربيه ، بل يخلص في اكتشاف مواهبه وينميها ، ويوصله ببعض المتخصصين الذين ينتفع بهم ليوجهوه لما ينمي ميوله وطاقاته المتميزة ، كما ينبغي عند توجيهه إلى عمل ما أن يركز التوجيه في الفترة الأخيرة من هذا المستوى على ما ينمي فيه التخصص المناسب له وما يحسنه ويتلاءم مع ميوله تمهيدًا لانتقاله إلى التخصص الشامل في الفترة اللاحقة.

وأما عن الممارسات والأنشطة التي يتضمنها هذا المستوى عمومًا ، فالتركيز فيها ينبغي أن يكون على جانبين: الجانب العلمي ، والجانب الدعوي ؛ ككلمة عامة أو خطبة أو درس مع مراعاة التدرج.

وممارسة الجانب الدعوي هنا تعوض المتربي عن قلة التكثيف التربوي الذي اعتاده في الفترات السابقة ، ولا شك في أهمية استمرار متابعة الشخص والاتصال به بكل معاني المتابعة ، لكن المقصود أن الاتصال المكثف بما فيه من ملاصقة وملازمة للمدعو يخف نوعًا ما ، وحتى لا يحدث فراغ نفسي فلابد من التعويض بالانطلاق في الدعوة شيئًا فشيئًا ، ومع هذا فلابد من ملاحظة الجوانب التعبدية والسلوكية بدقة وعدم التساهل فيها ، والاستمرار في الأنشطة التربوية.

والخلاصة: أن الفرد يبدأ الممارسة الدعوية في هذا المستوى ، فإذا كنا في المستوى الأول نحتاج إلى أن نعطي الشباب أكثر مما نأخذ منه فإننا في هذا المستوى نحتاج إلى أن

يتوازى الأمران. فيأخذ حظه من التعليم والتربية في برامج تربوية ورحلات ودروس مساجد وغيرها ، وفي نفس الوقت يعطي في الجانب الدعوي ، وإذن فنحن نركز في هذا المستوى على القوة العلمية كما نركز أيضًا على توازن الأخذ والعطاء ؛ لأن ما أخذه في الفترة السابقة يجب أن يؤديه في هذه الفترة ، وإذن فهي فترة مهمة في هذا الإطار ؛ ففيها يعطي الشخص داخل بيته ، وفي مجتمعه الصغير - في مسجده أو بين زملائه ، أو مع مجموعة محددة من الأفراد أو بين أقرانه - كما يخرج أيضًا ولكن في حدود ضيقة إلى العامة ؛ كأن يلقى كلمة عامة أو خطبة أو درسًا مع مراعاة التدرج ، ويكون ذلك تحت إشراف وتوجيه ، فلا يخرج وحده ولا يترك له المجال وحده ، وإنما يخرج تحت إشراف شيخه أو أستاذه.

وعلى كل حال لابد أن توجد منه في هذه الفترة نسبة عطاء تتصاعد تلقائيًا ، فهو في هذه الفترة يدعو ويربي تحت الإشراف العام ، فيكون عنده نوع حرية ، وجوانب فيها نوع استقلالية في تربيته لنفسه وتربيته لغيره ، ولكن تحت إشراف ، ويراعَى في هذه الفترة التوازن بين الأخذ والعطاء ؛ وليس المقصود بذلك التساوي بينهما منذ بداية هذه الفترة ، بل يكون الأخذ أكثر من العطاء ولكن يبدأ في العطاء شيئًا فشيئًا ، وينمو هذا العطاء مع نمو علمه وعقله ومواهبه وتجاربه ، ويتزايد هذا العطاء إلى أن يتقارب في آخر المرحلة مع الأخذ.

- وينبغي أن يحذر المربي في هذه الفترة من التسلط على المتربي وإلغاء شخصيته وعدم الاستنارة برأيه ؛ فالبعض يظن أنه لا يمكن أن يربط المتربي به إلا بحبل يجعله في عنقه ، وقد يأتي هذا برد فعل عكسي ، والرباط الأقوى أن يشعر المتربي بحاجته من تلقاء نفسه إلى المربي ، فيربطه به ما يجده من الاستفادة ... فالطائر يأوي مختارًا إلى المكان الذي يجد فيه حبًا يأكله ، والمغناطيس بما فيه من قوة جذب داخلية تلتصق به الأشياء ، أما مطاردة الناس وشدهم بالحبال وتقييدهم بالأغلال فهو

من شأن الخَفَر والحراس.

- وفي المقابل ينبغي الحذر من إطلاق الحبل على الغارب ، والفوضى ، وعدم الحزم.
- كما ينبغي التروي في المسيرة مع المدعو وعدم الاستعجال أو اعتساف الفترات أو تحميل الفرد من الأمور أو القضايا ما لم يتأهل له.

٤ - وبنهاية الفترة السابقة ينبغي التحقق من عدة أمور قبل أن يشرع الشخص في مستوى أعلى له أهداف جديدة ، فينبغي التحقق مما يلي:

- استكمال الفرد للقدر اللازم من الناحية العلمية والثقافية ، مع حد أدنى لإدراك الواقع.
- بلوغ مرحلة الاستقرار النفسي.
- سلامة الفرد من أمراض القلوب ؛ وخاصة الغرور والكبر والعجب وحب الشهوة.
- أن يكون لديه حد أدنى من القدرة التي تؤهله لتخصص من التخصصات مع القابلية لتنميتها.
- أن يكون لديه الحماس الدعوي المنضبط.

فإذا ما تم التحقق من هذه الأمور شرع الفرد في مستوى جديد الهدف منه الوصول به إلى التخصص في مجال من المجالات ، ويتم تحقيق هذا الهدف من خلال:

ربط الشخص بمتخصصين في المجال المهيأ له ؛ حيث يُوَجَّه مِن قِبَلِهم للكتب والدراسات والممارسات المناسبة له ، مع تقويمه وتطويره من فترة لأخرى ، ومع بقاء مراعاته في القضايا الهامة التي تلزم كل من يخدم الإسلام أيًا كان تخصصه سواء كانت قضايا عقدية أو منهجية أو واقعية ، كما يراعَى معه ما يجدد الإيمان ويصلح القلب والسلوك ويحفظ الحماس.

وهذه الفترة فترة عطاء ، يكون عطاء الشخص فيها أكثر من تلقيه - مع أهمية التلقي ، لاسيما لتنمية التخصص عند أصحاب التخصصات التي لا تمثل امتدادًا للعملية التربوية - وعلى كل حال فالمقصود بالتلقي الذي يتقلص هنا هو التلقي من مربيه ، أما تلقيه العلمي بنفسه ومن المتخصصين فيجب أن يزداد ويكون أقوى ، وقد يكون مربيه من المتخصصين في مجاله فيستمر على التلقي المكثف منه باعتبار التخصص ، وإلا فهنا في هذه المرحلة غالبًا تنتهي تبعية المربَّى للمربِّي في التلقي والأخذ ، حيث يتحول إلى مربٍّ للناس ومربٍّ للأمة ، أو متخصص في أحد التخصصات ، ويبدأ في المحاضرات والدروس العامة على حسب قدراته وملكاته ، كما يجتهد بقوة في التخصص العلمي الذي يسلكه أو في غيره من التخصصات ويصبح كل منا قد أخذ جانبًا تخصصيًا.

وليس المطلوب أن يصبح الجميع علماء ، كلا ... بل المطلوب أن يبدع كلٌّ في المجال الذي هو فيه سواء كان مجالًا دعويًا أو تربويًا أو علميًا أو غير ذلك من المجالات.

فينبغي أن يأخذ كل منا تخصصًا في هذه الفترة ؛ لأن هنا تميزت التخصصات والقدرات والمواهب ، فيبدأ في التعمق في تخصصه الضيق مع مراجعة عامة للتخصصات السابقة ، ويصبح مربيًا أو متخصصًا في مجاله ، ويعطي عطاء قويًا.

وهذه الفترة لها ملامح عامة تتميز في قوة الجانب العلمي وقوة الجانب العملي ؛ فيجب أن يكون للفرد في هذا المستوى جهد عملي واضح ، ولا يوجد إنسان ممن سلك طريق الدعوة إلا عنده موهبة أو تخصص أو رغبة في مجال ما ، وكلٌّ ميسر لما خلق له.

فينبغي إذن في هذه الفترة الواسعة التي لا نهاية لها أن تركز في كل شخص على تخصص ما لا يكون مائعًا عامًا ، بل يصبح الشخص متعمقًا متميزًا متخصصًا بحق في مجاله ، ويظهر المردود العملي لذلك واضحًا على أرض الواقع.

وينبغي أن يشعر الفرد في هذه الفترة أنه مسئول بين يدي الله لأ عن واقع الأمة أو عن المجتمع وماذا قدم ، ويحاسب نفسه يوميًا ماذا أعطى ، مع استمرار التأصيل والتخصص.

ومن الضوابط والمحاذير في هذه الفترة:

- التأني وعدم نقل الشخص إليها إلا بعد التأكد التام من أهليته.
- عدم الاكتفاء برأي شخص واحد في الحكم على أهليته ، بل لابد من التشاور وأخذ رأي أكثر من فرد في ذلك.

أمور يجب تعهدها في جميع الفترات والمستويات:

١ - المواعظ وأعمال القلوب (الإخلاص - التوكل - الاستعانة بالله تعالى - اليقين - المحاسبة - المراقبة ... الخ).

٢ - قضايا العقيدة.

٣ - الجوانب الأخلاقية.

٤ - إثراء الحس الدعوي ، مع تقييد الممارسة بضوابط كل فترة ؛ فيمكن أن يتمثل إثراء الحس الدعوي في الفترة الأولى في حب هداية الناس ، وتبييت النية للسعي في ذلك ، والتفكير في بعض الممارسات المشار إليها في تلك الفترة.

ثالثًا: توجيهه وإعانته في حل مشكلاته الخاصة والدعوية:

وهذا هو التعليم بالواقع ، والبناء بالأحداث ، والتطبيق العملي لما تَمَّ تلقيه نظريًا ، ومن خلاله يدرك الفرد المقصود بما يُلقَى عليه ، وكيف يستفيد منه في الواقع.

وإذن فهذا الدور التوجيهي في الميدان خطر ومهم جدًا ، أما المربي الذي يكتفي بالطرح النظري ثم يغيب عن المتربي وعن مشكلاته بعد ذلك فإنه يترك فراغًا كبيرًا عند المتربي الذي يظل يتخبط سنوات ليدرك بنفسه كيف يطبق ما طرح عليه ويستفيد منه ، أو كيف ينجح في دعوة الآخرين أو إدارة الأعمال وحل المشكلات.

ومن ثم فلابد مع جهد المتربي وتجربته الخاصة من توجيه المربي له وحضوره معه في مشاكله الخاصة والدعوية حتى يوفر عليه سنوات من العمر وكثيرًا من المتاعب.

وإذا كان الفرد في الفترة الأخيرة المشار إليها آنفًا يتوجه القول بأن تكون تجاربه واستنتاجاته بمثابة المحور الأساسي في تكوين خبراته ، فإنه قبل ذلك من الفترات لابد من إشراف المربي عليه ، ووضع معالم الطريق له في الواقع العملي.

ولا يسوغ أن نغفل أهمية شمول الإعانة والتوجيه للمشاكل الخاصة للفرد ، وضرورة الحضور المؤثر والمبادرة إليه في الأزمات ، ولا يصدنك عن ذلك أن ترى نفسك عاجزًا في مشكلة مادية مثلًا عن تقديم المال إليه ؛ لأن المقصود أعم من ذلك ، فنفس شعوره بإدراكك لمشكلته وتعاطفك معه يفرج عنه بعض ما يجد ، ثم بعد ذلك فتوجيهك له وتحديد الخيارات المناسبة في حل مشكلته وتثبيته والتسرية عنه ، كل ذلك أمر مطلوب قد يعمى هو عنه في ظل حصار الأزمة له ، فربما أصيب بعض الواقعين في المشاكل بشلل في التفكير ، وربما كان فيهم قصور في القدرة على التعامل مع المشكلة ، فتأتي خبرة المربي ونضجه فيرفعان عن كاهله كثيرًا من الأثقال ويفتحان له آفاقًا كان غافلًا عنها أو على الأقل يجد تصبيرًا وتثبيتًا وأخذًا بيده حتى يتجاوز الأزمة دون انتكاسات نفسية أو انهيار في الالتزام أو الأخلاق.

والمتربي لا ينتظر منك ما لا تقدر عليه ، وسيكفيه منك ما يدل على صدقك وأن ذلك آخر جهدك ووسعك.

رابعًا: تقويمه من فترة لأخرى ومراقبة تطوره وتأثره:

المقصود من هذا العنوان تقويم المتربي من فترة لأخرى ، ومراقبة تطوره وتأثره وفقًا لما يبذل معه ، مع مراجعة مدى تحقق الجوانب الدالة على انتظام سير وسلامة بنائه.

فالفرق بين المحاضر والمربي المتابعة ؛ فالمحاضر يهمه أن تكون محاضرته قوية ، وبعد أن يلقيها ليس من شأنه معرفة أثرها على فلان وفلان ، ومدى استجابته وما يحتاجه بعد ذلك ، بخلاف المربي ؛ فهو معني بالمتابعة والتي منها التقويم ، فهو معني

بالأفراد المستمعين بأعيانهم: كيف تأثر فلان؟ ولِمَ لم يستجب فلان؟ وما المناسب فعله معه بعد ذلك؟

ومن الأخطاء الكبيرة التي قد تُعَرِّضُ الأفراد للضياع وتؤدي لوضع الشخص غير المناسب في مكانٍ ما كان ينبغي أن يوضع فيه ، أو العمى عن مواهب الأفراد ومكانتهم ... من الأخطاء الكبيرة التي تؤدي لكل ذلك الغفلة عن تقويم الأفراد من فترة لأخرى ، وما يترتب على التقويم من اتخاذ الإجراءات المناسبة ؛ فصاحبُ آفاتٍ وقليلُ علمٍ يتصدر ... وصالحٌ منضبط ذو همة وحرص وعلم تَمُرُّ عليه السنوات لا ينقله مربيه إلى درجة عملية أرفع ؛ وكل ذلك من أسباب الانتكاسات.

ومن الخطأ أيضًا أن يتم تقويم المربي للشخص الذي معه من خلال ارتباطه به وانتمائه إليه واحترامه له لا غير ، أو من خلال بروزه فيما يميل إليه المربي ، فحذار من الانسياق وراء الميول الشخصية في التقويم أو الانسياق وراء العاطفة مدحًا أو قدحًا ؛ فنجعل الشخص في موضع أكبر منه أو نهوي به أو نجمده ، بل يجب أن يتم تقويم الفرد من خلال ترقيه في الواقع العملي في: عبادته وسلوكه وعلمه وعمله ، ومن خلال تصور مجتمع أهل السنة والجماعة تصورًا سليمًا والنظر إلى التخصصات المختلفة بعين الاعتبار ، ومن خلال وجود الجوانب الدالة على انتظام السير وسلامة البناء مثل:

- **الشمول والاتزان:** والشمول هو تقدم الفرد في العلم والسلوك معًا ، والاتزان هو عدم تضخيم جانب أو تضخم جانب على حساب الآخر.
- **التميُّز:** أي أن تكون صياغته العقائدية والسلوكية والفكرية والشكلية بحيث يتشكل في صورة مستقلة بارزة تمثل الإسلام ؛ إذا رآها الإنسان قال: هذا هو الإسلام ، ويترتب على التميز المفاصلة ، وهي اتخاذ المواقف العملية التي يقتضيها التميز ؛ أي أننا نعني التميز النظري والعملي.

- الاهتمام بمعرفة المعايير والقواعد الأساسية والأصول أكثر من الاهتمام بحفظ الجزئيات ، فحفظ الجزئيات وحده لا يصلح ؛ لأن الجزئيات غير متناهية نظرًا لاستمرار النوازل.
- أن يكون هم الفرد الأخذ بالعزائم لا تتبع الرخص.
- أن يكون الفرد مقتنعًا أنه لا يمكن أن يعمل في جميع فترات العمل أو التربية إلا في إطار التعاون مع الآخرين ، أما العمل الفردي البحت فلا مكان له ، فلابد أن يتعاون الدعاة ، ويتعاون المسلمون عامة ، ولا يتصور إنسان أنه سيصبح أمة وحده ؛ إنما يتصور ذلك لو كان يحيا وحده في مجتمع كافر ، فيصبح حينئذ أمة وحده.

ونحن - ولله الحمد - نعيش بين المسلمين ، فينبغي مراعاة التعاون معهم على وجه العموم ، والتعاون مع طلاب العلم والعاملين والدعاة على وجه الخصوص حتى نؤدي دورًا مهمًا في النهوض بأمة الإسلام ونشر دعوته ونصرة شريعته ، وكلما تقدمت مسيرة الإنسان في دعوته يزداد قناعة بحاجته وحاجة العلماء إلى الناس وبحاجة طلاب العلم والناس عامة إليه.

ومن المهم في التقويم - خاصة عند إرادة اتخاذ قرار هام - أن يستنير المربي بآراء غيره ممن يحتكون بالفرد الذي يريد تقويمه ويرون تصرفاته وسلوكه.

كما ينبغي للمربي القديم الخبير إذا كان لديه مَن ينوب عنه في تربية فرد من الأفراد ألا يعتمد اعتمادًا كليًا على رأي وملاحظات مَن ينوب عنه ، فينبغي أن تكون له نظرته الخاصة التي اكتسبها من خبرته الطويلة ويناقش مع مَن ينوب عنه تقويم ذلك الفرد.

ولا ينبغي أن ننسى أن بعض المربين عنده غلو في مدح وتزكية الفرد الذي معه ، والبعض الآخر قد يكون عنده غيرة ممن يربيهم ؛ لاسيما إذا شعر أنهم قد يرتفعون إلى

تخصص من التخصصات أو يبرزون في جانب من الجوانب التي لم يبرز فيها ، وأحيانًا توجد إحَن وأمور شخصية قد تؤثر في التقويم ، وقد يصعب على كثيرين التجرد التام في تقويم الأفراد ، ومن ثم احتاج المربي إلى مشاركة غيره في الرأي ، فتعدد الآراء في التقويم يقلل من نسبة الخطأ ، كما احتاج إلى الحذر من الاعتماد الكلي على ملاحظة مَن ينوب عنه لكن لابد من هذه الملاحظات لتفتح له الطريق ، ولأن الغالب فيها مقاربة الحق.

خامسًا: محاسبته ومجازاته:

وهذا أمر ينبغي البدء فيه مبكرًا ؛ فيحاسَب على الالتزام بالمواعيد ، والتحضير والحفظ ، والسلوك ، وغير ذلك. ومع تقدمه يحاسَب على بذله وعطائه وقيامه بالأعمال الدعوية ونحوها ، وينبغي اتساع المحاسبة لتشمل التصرفات والسلوكيات والمحافظة على السنة واتباعها في مختلف الأمور بالإضافة إلى إتقان الفرائض وعدم التفريط فيها ، ويحاسَب على من يدعوهم من الأفراد وماذا قدم لهم ، وكيف يتولاهم ، ومع كل ذلك يوجد التشجيع أو العتاب أو غير ذلك من صور المجازاة سلبًا وإيجابًا.

لكن هنا مشكلة ؛ وهي أن المربي أو الداعية يكون عند المجازاة على التقصير أمام معادلة صعبة ؛ فهو يريد الجمع بين ضبط الأمور بما يقتضيه ذلك الضبط مع معاتبة المقصر أو معاقبته ، والمحافظة في نفس الوقت على المودة والمحبة وروح الأخوة التي بينهما ، فماذا يصنع؟

الإجابة: إن هناك ضوابط لو التزمها المربي لخفت تلك الصعوبة ولتمكن بإذن الله من تحقيق المراد دون سلبيات أو بأقل سلبيات ، وهذه الضوابط تتمثل فيما يلي:

- أن يراعي في مسألة العتاب عدم الإفراط والتفريط ، وملاحظة الفروق الفردية بين المعاتبين ؛ سواء من ناحية قدراتهم ومن ثم حجم التقصير الذي يمكن نسبته إليهم ، أو من ناحية حساسيتهم وتأثرهم ؛ فالبعض يكفيه عتابًا مجرد السكوت وترك التشجيع ، والبعض تكفيه نظرة العتاب دون الكلام ، والبعض يحتاج عتابًا خفيفًا أو إشارة عابرة ،

والبعض يحتاج عتابًا ثقيلًا وربما ما هو أكثر من ذلك من إجراءات.

- الوسطية في الحزم بين التشدد والتسيب.
- تناسب الشدة مع حجم الخطأ ومستوى المتربي والظروف المحيطة بالخطأ.
- أن تكون الشدة والغضب فيما يمس المبادئ وليس لشخص المربي.
- ينبغي أن يكون حزم المربي في التطبيق والتنفيذ العملي لمقتضيات العمل وما يمليه عليه دوره لا في معالجة أخطاء الأفراد الذين يربيهم فحسب.
- ملاطفة المربي للفرد وربما اعتذاره له إذا تجاوز في عتابه أو عقوبته أو شعر بأنه قد ظلمه ، ولا يمنعه موضعه أو عزة نفسه عن ذلك.
- الحذر من انتقاص الفرد وتحطيمه بحجة تعريفه بقدر نفسه.

الفصل الرابع

الأسباب المساعدة والمُعَوّقة لنجاح الدعوة الفردية

الأسباب المساعدة لنجاح الدعوة الفردية:

١ - الإخلاص لله لأ:

إن أي عبادة من العبادات لا بد لقبولها من شرطين أساسيين:

أ - الإخلاص لله لأ.

ب - المتابعة للرسول ص.

فالداعية يجب عليه أن يبتغي بدعوته للأفراد والجماعات وجه الله - ويجب عليه أن يبتعد عن كل ما يقربه من الرياء والسمعة أو أن يكون له أتباع.

فإذا أخلص الداعية عمله لله ورزق المدعو الاستقامة فإن الله - يكتب للداعية مثل أجر المدعو ولا ينقص من أجره شيئًا.

٢ - صلة الداعية بالله -: إن صلة الداعية بالله لأ من أهم الأسباب لنجاح الداعية في عمله وهذه الصلة تكون بالتقرب إلى الله لأ بجميع أصناف العبادة وخاصة الدعاء والتضرع بين يدي الله - .

فالداعية إلى الله يخوض في معارك كلما انتهت معركة نشبت أخرى ولا يمكن أن ينتصر ما لم يكن ناصرًا لشرع الله لأ. وفلاح الداعية هو الصلة بالله لأ خاصة في هذه الأزمنة التي تتحالف فيها قوى الشر على الإسلام والمسلمين.

فينبغي للداعية أن يحافظ على السنن ما استطاع إلى ذلك سبيلًا ، وأن يحرص على إحيائها ولا يستهين بسنة من هذه السنن وإنه من جملة الفواقر التي أصيب بها المسلمون وجود فئة منهم يقسمون الدين إلى قشور ولباب ، ويعنون بالقشور تلك

السنن الثابتة عن رسول الله ص وليت الأمر يتوقف عن ذلك بل الأدهى من ذلك هو أنهم يحتقرون من طبق تلك السنن.

٣- العلم الشرعي وإدراك الواقع.

إن العلم ضرورة شرعية خاصة للدعاة إلى الله - ، فالعلم بالنسبة لهم سلاح يدافعون به عن دين الله لأ ويدحضون به الشبهات التي تلقى من أعدائه. ويجب على من تعلم أن يعمل بعلمه وأن يدعو إليه ، ولهذا قيل: « هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل ».

ولهذا يكون علم الداعية شيئًا رئيسيًا لتأثر المدعو ، فإذا كانت قدرة الداعية العلمية محدودة - لأن الدعوة الفردية لا تحتاج إلى كثير من العلم - فإنه ينبغي للداعية أن يستخدم الوسائل المتاحة كأن يهدي للمدعو كتابًا أو شريطًا مسموعًا أو مرئيًا أو مجلة ... الخ. وهذا ليس مبررًا لتقاعس الداعية عن طلب العلم بل يجب عليه أن يتزود أكثر من العلم. وأن يجعل لنفسه وقتًا يتزود من العلم الشرعي وأن يخالط العلماء.

٤ - التخطيط والتنظيم:

بعض الدعاة إلى الله ممن عندهم نشاط في المواعظ والخطب يبذلون جهودًا كبيرة ولكن هذه الجهود في الغالب لا تثمر وذلك لفقدان التخطيط والتنظيم. فالواجب على الداعية أن يركز على الأفراد الأكثر قابلية للدعوة. وخاصة الذين يرجى من وراء دعوتهم نصرة دين الله لأ.

وللداعية أسوة في رسول الله ص حيث إنه ص لم تنته فترة الدعوة السرية في مكة إلا وقد دخلت الدعوة إلى كل القبائل المشهورة في مكة فأسلم من كل عشيرة بعض أفراده.

إن الدعوة تحتاج إلى بعض الأفراد الذين لديهم القدرة على القيادة والتخطيط فيجب على الداعية أن يعمل جاهدًا على كسب هؤلاء الأفراد لكي تستفيد منهم

الدعوة. إلا أنه لا ينبغي ترك الأفراد المحبين للدعوة والملتفتين حولها والإعراض عنهم بهذه الحجة بل يجب إعطاؤهم نصيبهم من الدعوة.

٥- الفراسة ومعرفة الرجال ، والمدخل إلى كل منهم ، والطبيعة النفسية لكل منهم ، وما فيها من سهولة أو التواء:

يجب على الداعية أن يتعرف على صفات المدعوين إذ إن لكل فرد منهم صفات حسنة وصفات سيئة. وتختلف هذه الصفات من فرد إلى آخر. فالداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يحوِّل هذه الصفات إلى صفات خير تخدم الدعوة إلى الله لأ. فمثلًا هناك من الناس من عنده قوة الإقناع قبل أن يهديه الله - كأن يكون من دعاة الأحزاب الهدامة فيمكن صقل هذه الموهبة بعد هدايته فيصير هذا الفرد من الدعاة المبرزين.

٦- البدء بالأقربين: إن لنا في نبينا ص الأسوة الحسنة أمر ربه لأ أن ينذر عشيرته الأقربين ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي ت رجع إلى قومه فدعا أباه إلى الإسلام فأسلم ثم دعا امرأته إلى الإسلام فأسلمت.

فالداعية يحتاج إلى من يقوم بجانبه ويناصره ويعينه وذلك لأن الإنسان بمفرده لا يستطيع أن يحقق ما يحققه ومعه إخوانه. فيجب على الداعية أن يبدأ بذوي قرابته. الأقرب فالأقرب حتى توجد له منعة ونصرة ثم لا يهمه بعد ذلك إن لم يستحب له.

ومن العيب أن يترك الداعية أهل بيته وأقاربه دون تبصيرهم بدين الله لأ.

٧- إظهار الاهتمام بكل شخص:

إن من الدعاة إلى الله من إذا زار أخًا له أو وجده في أي مكان ما بش في وجهه وعانقه بحرارة ثم لا يظهر اهتمامه بمن كان بجانب ذلك الأخ مما يحدث في نفوسهم عليه أنه غير مهتم بهم وأنه إنما جاء لزيارة ذلك الأخ فحسب.

والواجب على الداعية أن يظهر نفس الود لجميع الحاضرين وإن كان فيهم من لا يرضى بعض صفاته الخلقية مثلًا. فلعل ذلك يكون سببًا في استقامة ذلك الشخص.

٨- التدرج في الدعوة:

يجب على الداعية أن لا يحاول تغيير المدعو دفعة واحدة لأن ذلك مخالف لسنة الله - ومخالف لمنهج الأنبياء ‡ ، وهذا لا يمنع وجود القابلية عند بعض الأفراد على التحول دفعة واحدة فمن كان عنده الاستعداد للتغيير دفعة واحدة من دون أن يؤثر سلبيًا على نفسه فلا يجوز التواني في ذلك.

أما من كان لا يقبل التحول إلا بالتدرج فيجب تقديم الأهم في دعوته وذلك لأنه قد تؤثر سرعة التحول في حقه سلبيًا فلربما عاد إلى جاهليته.

٩- الاتصال المستمر والمتابعة وعدم وجود فترات انقطاع ؛ لأن فترات الانقطاع قد تؤدي لتقهقر الفرد أو فتوره. فالدعوة الفردية تتطلب من الداعية جهدًا ليس بالقليل خاصة في المدن الكبيرة. فينبغي للداعية أن يهيئ نفسه حتى تعطي دعوته الثمرة المرجوة.

فالمتابعة أمر مهم في الدعوة الفردية وذلك نظرًا لأن كثيرًا من المدعوين يتأثرون بالدعوة فيبدءون بالاستقامة فإن لم يجدوا من الداعية التعهد فتروا لأن البيئة التي يعيشون فيها لا تساعدهم على الاستقامة بل تتحول إلى حرب شعواء ضد هذا العائد إلى الله. فربما أحاط به قرناء السوء حتى يعيده إلى ما كان من الفساد والانحراف. لهذا كان لزامًا على الداعية أن يتعاهد ثمرة دعوته وأن يجعل لهذا الفرد أصدقاء صالحين يحيطون به حتى لا تتخطفه الأيدي الآثمة المجرمة.

ومن الوسائل النافعة أن يصطحب هذا المدعو إلى حلقات العلم والمواعظ والرحلات.

١٠ - إيجاد البيئة الصالحة للمدعو:

إن البيئة التي يعيشها المدعو لا تساعده على الاستقامة لذلك لا بد من إيجاد البيئة الصالحة له فيبعد عن جلساء السوء وينقل إلى الجلساء الصالحين. فعلى الداعية أن

يعمل جاهدًا على نقل المدعو من البيئة السيئة إلى البيئة الصالحة التي تعينه على الطاعة.

وعلى الذين يحيطون بهذا الفرد أن يحسنوا التعامل معه ، فيهدون له الشريط النافع ، والكتاب الجيد ، ولا يهدرون أوقاتهم ووقت المدعو في التجول في الشوارع والجلوس في المقاهي كما يعمل كثير من الشباب. فإن هذا التائب يكون عنده الاستعداد النفسي التام للتوجيه فلتستغل هذه الفترة.

١١ - الاقتصاد في الموعظة:

مما ينبغي على الداعية في حالة زيارته للمدعو أن لا تنتهي زيارته بدون موعظة. وينبغي أن تكون هذه الموعظة مختصره ومركزة. وعلى الداعية أن لا يكثر من الزيارة للمدعو وإلا أصيب المدعو بالملل والتضجر من الداعية ، وخير الأمور أوسطها.

١٢ - الالتزام بآداب الزيارة:

يجب على الداعية أن يتقيد بآداب الزيارة فيختار الوقت المناسب وذلك على حسب ظروف المدعو فلا يزور في حالة نوم المدعو ولا في حالة تجهزه للذهاب إلى عمله مثلًا وهكذا.

ومن الآداب أن لا يتدخل في الشئون الخاصة بالمدعو كتقليب أوراقه مثلًا أو سماع أشرطته ، ومن الآداب أنه يطلب من المزور أن لا يتكلف في إكرامه حتى لا يستثقل وهكذا.

١٣ - القدوة الحسنة:

فإذا كان الداعية آمرًا للمدعو بأمر هو نفسه لا يفعله أو ينهاه عن شيء ويفعله فإن دعوته تبوء بالفشل ، فلهذا يجب على الداعية أن يكون قدوة حسنة. وقد ثبت الوعيد الشديد لأولئك الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه.

فالعامة لو وجدوا عند الداعية سيئة واحدة وتسعة وتسعين حسنة غلبوا السيئة على تلك الحسنات. لهذا يجب على الداعية أن يكون قدوة حسنة للمدعوين.

١٤ - الهدية:

فالهدية تورث المحبة. ولها ذكرياتها الخاصة. فيجب على الداعية أن لا يبخل بشيء من الهدايا ولو كانت متواضعة. فإن الهدية عنوان المحبة. وهذه الهدية ليست بمن تربطك به علاقة قديمة بل إذا أراد الداعية أن يكسب فردًا جديدًا فعليه أن يقدم له هدية مهما قلت قيمتها هذه الهدية هي التي ستمهد الطريق إلى قلب المدعو الذي سيأتي إليك تلقائيًا وسيبادلك الهدية والحديث. وسيبوح لك بكثير من أسراره وآلامه ، الأمر الذي سيجعلك تضع العلاج لبعض تلك المشاكل التي يعاني منها. فيجب على الداعية أن يربط تلك القضايا بالدين حتى يتمكن الإيمان من قلب المدعو مع إخلاص العمل لوجه الله لأ.

١٥ - التلطف والرفق بالمدعو:

فالداعية الناجح هو الذي يرفق بالمدعوين ويستخدم في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة. والرفق واللين من أخلاق الأنبياء ، فلنا فيهم أسوة حسنة.

١٦ - لا بأس من استعمال شيء من الدعابة والمزاح المباح:

وذلك لإبعاد استثقال المدعو للداعية فإن الداعية إذا كان مرحًا كان أدعى إلى حبه من المدعوين ولكن من دون إفراط.

١٧ - الأخلاق الفاضلة: فالأخلاق الفاضلة من أجمل ما يتحلى به الداعية فبها يستطيع الداعية أن يكسب الكثير من المدعوين. ونظرًا لأنه كان إذا أمر بشيء بدأ بنفسه.

ومن أهم هذه الأخلاق: التواضع والحلم والرفق ، وأن تعامل الآخرين بمثل ما تحب أن يعاملوك ، واحترام الفرد صغيرًا كان أو كبيرًا.

١٨ - إنزال الناس منازلهم:

إن من عوامل نجاح الدعوة أن ينزل الداعية كل إنسان منزلته فمن كان من أهل المكانة والوجاهة أنزله المنزلة التي تليق به ومن كان شيخًا للقبيلة أنزله منزله

وهكذا. ومن أراد أن يسوي بين الناس في دعوته فيبوء بالفشل.

١٩ - الاستمرار في تقويم المدعو:

إن التقويم من الداعية للمدعوين أمر ضروري إذ من خلاله يمكن أن يتعامل مع المدعوين بناء على ذلك التقويم. والتقويم يكون الفرد المدعو عضوًا صالحًا في المجتمع الإسلامي ، والتقويم يكون على الأقوال والأفعال التي يلمسها الداعية وتارة يكون على ما غاب عليه وذلك بأن ينقل إلى الداعية من أخبار المدعو ما يلزم تقويمه بعد التثبت من صحة ما نقل.

وهذا الجانب أهم من الأول إذ إن المدعو قد يتصنع الاستقامة أمام الداعية. فإذا نقل إلى الداعية أن المدعو يصاحب أناسًا لا خير فيهم وجب التنبيه على ذلك بالرفق واللين.

ولا بد أن يشمل التقويم جميع الجوانب وإلا كان ناقصًا وعلى حساب جانب دون آخر فكما يجب تقويم الأفعال من عبادات وغيرها فيجب تقويم الأقوال والأخلاق والهيئة ... الخ.

٢٠ - لا اعتبار للسوابق:

من الناس من إذا أراد أن يقوم فردًا نظر ما قد سلف منه من زلات وأخطاء ولو قد تاب عنها. فيظل يذكر تلك السوابق للمدعو ويقرعه بها وهذا خطأ محض إذ إن التوبة تمح ما قبلها فلا داعي إذًا من ذكر العثرات والسقطات فإذا أراد الداعية أن يكون تقويمه مثمرًا فعليه بمعالجة حاضر المدعو لا ماضيه.

٢١ - تنويع وسائل وأساليب الدعوة والتقويم:

مما ينبغي للداعية أن ينوع أساليبه في الدعوة والتقويم حتى لا يسبب ردة فعل عند المدعو وكل بحسبه. فمن الوسائل النصح بالحكمة والموعظة الحسنة وإخلاص النية لله وأن يكون ذلك على انفراد. ومنها الكتابة بكلمات رقيقة معبرة عن المراد. ومنها

الشريط الإسلامي. ومنها الاصطحاب إلى خطبة جمعة أو محاضرة. ومنها اصطحابه إلى الحلقات العلمية وهكذا.

٢٢ - شعور الفرد أو المدعو بالأمان في ظل مربيه أو معه:

وهذا الشعور بالأمان ينشأ من:

- الثقة في أن المربي لا يتصرف تصرفًا معينًا يقصد به أو يتعمد الأذى أو الإساءة أو الانتقاص ، وهذه الثقة تنشأ من رصيد المربي في صدق المحبة والعاطفة والتعامل مع أصحابه.
- الاطمئنان إلى أن المربي شديد الارتباط بالشرع ، محكوم به ؛ فكلاهما يتحاكمان إلى الشرع ، ومن السهل حسم أي اضطراب أو إشكال بينهما.
- عدم غياب المربي أو القائد أو غياب تأثيره في الأزمات والمشاكل ؛ سواء في ذلك المبادرة والحضور المؤثر إلى جانب الفرد في أزماته ومشاكله الخاصة أو الحضور والتأثير في الأزمات والمشاكل العامة ؛ فإنه يكبر بذلك عند من يربيهم ، وتطمئن قلوبهم له. وكذا ينبغي للمربي عدم التملص أو التهرب من الأعمال الدعوية بل على العكس ، يُقدم عليها تضحية لا رياء.
- شعور الفرد بأنه يشغل مكانًا في قلب مربيه ، وهذا يفسر نشاط وارتباط الفرد بمن دعاه أول مرة فتبصر على يديه.
- عناية المربي بالفرد وأسرته وطاقاته ، ولاسيما والمدعو يربط مصيره وأهله وماله بهذه الدعوة.

٢٣ - أن يشعر الفرد فيك بالقيادة كما تشعر أنت أيضًا بها. وإذا كانت النقاط السابقة ينشأ عنها شعور الفرد بالأمان في ظل مربيه فإنها تشعره أيضًا بأنك قائد فتسهل

متابعتك له وتسهل استجابته.

وهناك أمورٌ تساعد أحيانًا - ولو لم تقصد - على شعور الآخرين بأنك قائد ومربي ، ولها أثر عظيم على شعورهم بقيادتك الأبوية واهتمامك بهم وفطنتك ؛ كأن تحفظ معلومة عابرة عنه كاسمه أو اسم ولده أو مشكلة عنده فتلقاه بعد زمن فتقول له: ماذا فعلت في مشكلتك الفلانية؟ أو كيف ولدك فلان أو والدك؟ أو ما فعل مريضك؟ ... الخ ، فما أعظم أثر ذلك ؛ لاسيما إذا كنت شخصية مرموقة أو كثيرة الأعباء ومنغمسة أو منشغلة في أعمال عديدة ، بل قد عزى بعضهم سر نجاح بعض القادة إلى حفظهم لأسماء جنودهم.

٢٤- صدق العاطفة وربط الأفراد بالحب قبل الخوف ، والقدرة على استمالة قلوب الآخرين ، وإن كان بقاء حد أدنى من الهيبة والاحترام لابد منه.

٢٥- طيبة القلب وسلامة الصدر.

٢٦- الإيمان بالمهمة والتحمس.

٢٧- تذكّرْ عمل الدعاة معك ، وما حَبَّبَهم إليك ، وما كاد أن يُنَفِّرَك منهم.

٢٨- العدل والهدوء وضبط النفس.

٢٩- التوسط في الحزم.

٣٠- الاستفادة من خبرات السابقين.

٣١- إدراك مراتب الولاء والبراء حسب القرب والبعد عن الله ص وعما كان عليه رسوله ص.

٣٢- القدرة على الإلقاء أو التعبير والإيضاح.

٣٣- القدرة على التحليل والاستنتاج.

٣٤- السهولة والبساطة وسعة الصدر وعدم التكلف.

٣٥- القدرة على توظيف الطاقات واكتشاف المواهب وتنميتها.

٣٦- الكرم والتضحية.

٣٧- التوسط في مخالطة المتربي ؛ فقد دلت التجارب على أن ذلك أدْعَى لنجاح المربي في توجيه المتربي ووقايته من كثير من الآفات.

٣٨- الثقة بالنفس ، والثقة في الله لأ.

٣٩- الاستعداد وعدم الارتجال.

٤٠- الهدوء والروية وعدم الاستعجال.

٤١- التركيز وعدم التشتت وراء الموضوعات الفرعية.

٤٢- تلخيص نتائج دعوتك للخروج بفائدة واضحة.

الأسباب المعوّقة لنجاح الدعوة الفردية:

أمور تفسد التربية وتفشل الدعوة الفردية:

بالإضافة إلى افتقاد شيء مما سبق فهناك عدة أمور تسبب فشل الداعية مع المدعو أو فشل المربي مع المتربي منها:

١ - التعلق بفرد معين من المدعوين أو الذوبان في المدعو أو المتربي ، ومن ثم فقدان زمام التوجيه وتحول المسألة إلى مسألة حب وتعلق لا غير.

٢ - ضعف التعلق أو ضعف الصلة بالله -.

٣- ظن البعض أن المتابعة أو التربية تعني أن يضرب حول المتربي بسور حتى لا يتعامل مع غيره ولا يستفيد من غيره ، حتى أنه ليصبح شديد الحساسية والغضب لمجرد رؤيته لبعض أقرانه يسلم على من يربيه أو يبتسم له ، وحتى أنه يتطفل ويتدخل في أخص خصوصياته ، ويضعه في قفص حديدي وفي عنقه ويده الأغلال والحبال ، حتى يصبح كابوسًا جاثمًا على صدره.

٤ - الخلط بين معنى المتابعة أو التربية والأخوة الخاصة ، فالبعض تكون علاقته بالمدعو علاقة أخوة خاصة لكن ليس فيها معنى القيادة والتوجيه ، وعلاقة الأخوة الخاصة هذه تليق وتصلح للأقران أكثر من التلاميذ.

٥ - غَيْرة بعض المربين من تلاميذهم ؛ فيضيقون ذرعًا بالنابغ في علم ما أو من تظهر عليه بوادر ترشحه لتخصص ما لا يجيدونه هم ، فيقتلون فيه ما يميزه عنهم بدلًا من الأخذ بيده ليكون من المتخصصين ؛ كالوالد يفرح بتفوق ولده عليه بل ويهيئ له السبل لذلك ، وهذا السلوك المخلص في الحقيقة يزيد الفرد قناعة بمربيه ، لا كما يظنه المربي القاصر الذي يخاف من تميز الأفراد وتفوقهم ، ويتوهم أنه لو ساعدهم على ذلك سيفقدون قناعتهم به ، فيقع فيما يحذره ، فيفقدون قناعتهم به لطول حبسه لهم وتأخيره لهم عن أقرانهم ممن تربوا مع غيره.

٦- عدم التلازم بين المربي والمتربي.

٧- كثرة أعباء المربي وتعدد مسؤولياته وانفتاحه في العمل العام.

٨- انشغال ذهن المربي بقضايا خاصة أو مشكلات اجتماعية أو مادية.

٩- وجود تيارات أو أفكار مخالفة لها تأثيرها على المتربين ؛ لاسيما إذا صاحبها كسل من المتابعين أو ضعف.

١٠- الأنانية والحرص الشديد على المصالح الخاصة ، والبخل أو الإمساك.

١١- إيثار المربي لبعض الناس أو الأصحاب غير الجادين بأوقات طويلة - دون جدوى - في الوقت الذي يجد فيه المتربون أنفسهم بأمس الحاجة لمثل هذه الأوقات ، مما يقلل المربي في نظرهم ويُفْقِدهم الثقة به ، بل وربما يفتنهم ويضعفهم.

١٢- ربط الأشخاص بالخوف والقهر لا بالحب والإقناع والإفادة.

١٣- عدم الاكتراث بمواهب الفرد وميوله وإهمال توظيف طاقاته.

١٤- عدم إجادة سياسة معاوية ت في شد الشعرة التي بينه وبين الناس وإرخائها ، دون قطعها أو تركها بالكلية ، وكذلك خسارة من لا يكسبهم.

١٥- التهاون أو التسرع في أخذ القرار أو الإفتاء ، أو التهاون في ضبط الفتوى أو النقل مما يؤدي إلى الاضطراب وفقدان الثقة.

١٦- الجمود على مستوى علمي معين ، وإهمال القراءة والبحث والاطلاع.

الباب الحادي عشر

عمل الطلائع

الباب الحادي عشر

عمل الطلائع

لقد كان من إيجابيات الصحوة الإسلامية اليوم أن قامت بجهد تربوي ، وقدَّمت برامج لإعداد الناشئة ورعايتهم. وهو جهد متميز ، وتجربة فريدة تُسجَّل لجيل الصحوة ، ونتائجه التي نراها في الواقع ناطقةٌ بذلك. وهو جهد يفوق الإمكانات والطاقات العاملة فيه.

ومع تميز هذا الجهد إلا أنه لا يزال يعاني من قصور ومشكلات ، أفرزتها عوامل عدة ، منها:

١ - أنه يعتمد على فضلة أوقات المربين والمتربين ؛ إذ هو يتم فيما فضل مَنْ أوقات العمل والدراسة ، والنوم والراحة ، والارتباطات الاجتماعية والعائلية.

٢ - أن الهوة الواسعة بين المتطلبات والإمكانات ، وبين أعداد من يفتقرون إلى التربية وأعداد المربين ، أدت إلى الاعتماد على عناصر تملك خبرة وتأهيلًا أقل مما ينبغي لمثل هذه المواقع.

٣- عدم وجود برامج أُعدت بطريقة علمية لإعداد المربين وتأهيلهم ، يضاف لذلك ضعف اعتناء كثير من المربين بالرفع من مستوى تأهيلهم ؛ مما زاد من الممارسات

المعتمدة على المحاولة والخطأ ، وتعميم التجارب الشخصية المحدودة.

٤- الفقر الشديد في الدراسات والكتابات التربوية التي تجمع بين الخبرة العلمية والتخصص ، وتبتعد عن اللغة العلمية المتخصصة التي قد تصعب على كثير من المربين.

٥- أن التجربة التربوية لجيل الصحوة تجربة فريدة ، وفيها جوانب من الخصوصية أفرزت إشكالات وتساؤلات لم تكن مطروحة في الأدبيات التربوية المتخصصة ، ومن ثم يصعب على المربين أن يجدوا في المكتبة التربوية ما يجيب بعمق على بعض تساؤلاتهم.

٦- أن محاضن الصحوة التربوية تسير ضد التيار ؛ فكثير من مجتمعات المسلمين ونظم التعليم ، وأجواء المدارس ، والأسر ، كل ذلك في أحيان كثيرة يفسد ما يبنيه المربون.

٧- أن كثيرًا من المشكلات ومظاهر القصور التربوي في مجتمعات المسلمين انعكست على الأفراد ، كالسطحية في التفكير ، والتخلف الحضاري ، وضيق الأفق ، وضعف الثقة بالنفس ... الخ ، مما أضاف على المربين عبئًا هائلًا ، ويزيد الأمر تعقيدًا أن المربين أنفسهم من أبناء هذه المجتمعات ، فورثوا هذه الأمراض كغيرهم وصارت جزءًا من تفكيرهم.

ومن أبرز مظاهر هذا القصور - الذي كان نتاج تلك العوامل وغيرها -:

الضعف التربوي الذي يبدو لدى فئات كثيرة ، وضعف الفاعلية والإنتاجية ، وغياب المبادرة ، وبروز حالات التساقط والتراجع ... الخ. ومع ذلك يبقى الجهد التربوي لجيل الصحوة جهدًا يستحق الإشادة ، ومظاهر القصور والضعف ينبغي أن تدفعنا إلى التصحيح والإصلاح ، لا إلى النقد اللاذع والاستهانة بجهود العاملين ، فلأن تضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام ألف مرة.

الفصل الأول

تربية الشباب
الأهــداف والوســائل

إن العمل المنتج هو العمل الذي ينطلق من أهداف واضحة محددة ، يعيها العاملون ، ويوظفون الإمكانات والوسائل المتاحة لهم لتحقيقها. والهدف التربوي: هو التغير المرغوب الذي تسعى العملية التربوية إلى تحقيقه لدى الفرد أو لدى المجتمع.

وثمة أمور لابد من مراعاتها ونحن نتحدث عن الأهداف:

الأول: التوازن بين إهمال الأهداف والإغراق فيها ؛ فالعمل دون هدف واضح محدد مدعاة للتخبط والاضطراب ، ومع ذلك فالاعتناء بالأهداف ينبغي أن لا يؤدي إلى التحول إلى آلة ، بحيث يتطلع الإنسان إلى أن يكون هناك هدف واضح ومحدد لكل عمل صغير وكبير يقوم به ، وتكون كل كلمة أو توجيه قد صدرت عن تخطيط واعتبار.

فالإنسان بشر يعتريه ما يعتريه ، ولو استطاع الالتزام الصارم بالتخطيط في الصغيرة والكبيرة مدة محددة ، فإنه لن يستطيع ذلك على المدى الأوسع. ثم إنه تخطر للمربي خواطر ، وتجدُّ له قضايا ، والإغراق في التحديد الدقيق المسبق والمفصل للأهداف يحول دون الاستفادة مما يجد من ذلك. فالاعتدال والوسطية سنة الله لأ في خلقه وشرعه.

الثاني: المناداة والمطالبة بتحديد الأهداف والانطلاق في العمل منها جزء من التفاعل مع تطور الحياة المعاصرة وتعقدها ، وقد كان من نتاج هذا التطور نشأة علوم وتفرع تخصصات ، كعلم الإدارة والتربية والاجتماع وعلم النفس ، وسائر فروع العلوم الإنسانية التي لم تكن معروفة من قبل ، كما كان من نتاج ذلك التفرع الدقيق في التخصصات.

الثالث: السعي للتأصيل الشرعي ، والاستدلال بالنصوص الشرعية ، والاهتداء بعمل النبي ص أمر له أهميته ، بل هو مطلب لابد منه لضمان السير على المنهج الشرعي في الدعوة والتغيير ، لكن مما ينبغي أن يلحظ في هذا الإطار:

أ - أن من الأهداف ما يدخل تحت أصول شرعية عامة ، كتقديم الأولويات ، ورعاية المصالح ودرء المفاسد ، وسد الذرائع.... الخ. وليس بالضرورة أن يكون لكل هدف دليل أو نص خاص.

ب - من الأهداف ما أملته ظروف العصر ، وأفرزه القصور التربوي السائد في مجتمعات المسلمين ، وهذا لا يفتقر إلى استدلال ؛ إذ هو جزء من صفات الإنسان السوي المنتج ، لكن الواقع المعاصر أسهم في فقدانه. ومن الأمثلة على ذلك: تنمية المبادرة الذاتية ، وكثير من الأهداف في الجانب العقلي.

ج - أن كثيرًا من الوسائل تدخل في إطار الأصل العام للوسائل وهو الإباحة ؛ فكل وسيلة تؤدي إلى غاية دعوية مشروعة - ما لم تكن محرمة في ذاتها- فهي مباحة ، وتعاطيها سائغ ، وليس شرطًا أن يكون قد ورد فيها نص يدل على مشروعيتها ، والمطالب بالدليل هو من يَمنع لا من يبيح.

وظيفة الأهداف التربوية:

يعد تحديد الأهداف التربوية نقطة الارتكاز والمنطلق الأساس في العمل التربوي ، وتكمن أهمية الأهداف ووظيفتها فيما يلي:

١ - أنها تشكل الأساس والمنطلق في العملية التربوية كلها ؛ إذ هي تعني حشد الطاقات والإمكانات للوصول لهذه الأهداف.

٢ - أنها تسهم في اختيار المربين وتتحكم في ذلك ؛ فالمربي الناجح هو الذي يستطيع تحقيق هذه الأهداف وتحويلها إلى واقع ملموس.

٣- أنها تسهم في تحديد البرامج والوسائل التربوية ، فهي إنما تقام لتحقيق هذه الأهداف.

٤- أنها تسهم وتتحكم في تحديد مضمون ومحتوى ما يقدم من معارف ومعلومات.

٥- أنها تسهم في الاستثمار الأمثل لأوقات العاملين وجهودهم ؛ فعدم وضوح الأهداف يؤدي إلى ضياع أوقات وجهود كثيرة.

٦- أنها تمثل الأساس والمنطلق في تقويم العمل التربوي ، فالتقويم إنما يتم بناء على مستوى ما تحقق من الأهداف.

شروط صياغة الأهداف:

حتى تؤدي الأهداف وظيفتها المرادة لابد من أن تتحقق فيها شروط عدة ، ما بين شروط تحقق لها الانضباط بضوابط الشرع ، وشروط في صياغتها ولغتها ، ومن ذلك:

١- أن تكون مشتقة من الثوابت والأصول الشرعية ، متفقة مع منهج أهل السنة والجماعة ، بمفهومه الواسع الشامل.

٢- أن تراعى في أولوياتها المقاصد الشرعية ؛ فتعطي كل جانب ما يستحقه دون إفراط ولا تفريط ، فلا تقدم السلوك مثلًا على الاعتقاد.

٣- الواقعية بحيث تكون ممكنة التطبيق ، فلا تكون مثالية موغلة في الخيال.

٤- لشمول بحيث تشمل الجوانب التربوية للفرد والمجتمع كلها ، ولا تكون قاصرة على مجال دون غيره.

٥- أن تصاغ بطريقة علمية سليمة.

٦- الوضوح والدقة ، بحيث لا يختلف اثنان في تفسيرها.

٧- أن تكون محددة غير عائمة ، وألا يشتمل الهدف على أكثر من عنصر.

مستويات الأهداف:

تقسم الأهداف التربوية إلى ثلاثة مستويات:

١ - **الغاية العليا:** وهي تحقيق العبودية لله - ، ويجب أن تكون هذه الغاية هي التي تحكم سائر الأهداف ، بل أن تكون جميع الأهداف موصلة إليها ومحققة لها.

٢ - **المستوى العام للأهداف:** وهي التي تمثل الأهداف العامة لتربية الفرد والمجتمع المسلم وتكون مشتقة من الغاية وموصلة إليها.

والأهداف في هذا المستوى تفتقر إلى التحديد والواقعية ، فهي عبارات عامة جدًا يستريح لها القارئ فهمًا وتنظيرًا ، ولكنه يجد صعوبة في ترجمتها لخبرات تربوية ، كما أن المتربي لن يجد خطوات محددة يسير عليها ، أو معالم بارزة ينتهي عندها لكنها ضرورية ولابد منها ، وما يليها من الأهداف يشتق منها ، ويوصل إليها ، ومن أمثلة هذه الأهداف:

- تحقيق البناء الإيماني في نفوس الشباب.
- رفع مستوى الصحة النفسية والاستقرار النفسي لدى الشباب.

٣ - **المستوى المتوسط للأهداف:** وهي الأهداف التي تختص بمرحلة عمرية أو مدة زمنية معينة ، وهي تشتق من الأهداف العامة وتوصل إليها.

ومن أمثلة هذا المستوى:

- تكوين الاعتزاز بالإسلام ومبادئه.
- تنقية الدين من البدع والخرافات.
- تعريف الشاب بقدراته وإمكاناته.

٤ - **المستوى المحدد للأهداف:** وهي التي تكون خاصة بوحدة دراسية معينة ، أو برنامج تربوي معين ، وتشتق من المستوى المتوسط ، وتكون أكثر تحديدًا ودقة ، ويجب أن تكون قابلة للقياس.

ومن أمثلة هذا المستوى:

- أن يستطيع الشاب تطبيق خطوات التفكير العلمي.
- أن يفرق الشاب بين الركن والواجب في الصلاة.

وينبغي أن يدرس المربي خصائص مرحلتي الطفولة والشباب ، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة ، ولذلك أثره الكبير في صياغة الأهداف والبرامج التربوية ، وأثره على اللغة التي ينبغي أن تسود في التعليم ، وفي الحوار والإقناع.

ولا ينبغي أن يتصدى امرؤ للتربية ويتحمل مسؤوليتها وهو يجهل صفات من يقوم على تربيته وخصائصه. ومرحلة تعميم التجارب الشخصية ، والنظر للآخرين من خلال ما مرَّ بالشخص في مرحلة المراهقة ، والمحاولة والخطأ ، هذه المرحلة ينبغي أن نتجاوزها.

التربية الإيمانية:

التربية الإيمانية تشمل كافة جوانب التربية ، بدءًا من تصحيح الاعتقاد والصلة بالله لأ ، وانتهاءً بغرس الآداب العامة والخاصة ، وتشمل كل ما يعين على القيام بواجبات الإيمان من علم ودعوة ، وإعداد للإنسان للقيام بهذه المهام. لكنها تطلق باصطلاح أخص ، يشمل جوانب الصلة بالله لأ وتحقيق التقوى والإيمان ، وهو الاصطلاح السائد في الأدبيات التربوية اليوم بديلًا لاصطلاح (التربية الروحية) الذي يمثل تأثرًا بالمصطلحات النصرانية والصوفية ، وقد شاع هذا الاصطلاح وغيره نتيجة للاحتكاك الفكري بطوائف شتى من أهل الملل الأخرى والفرق الضالة ، ونتيجة لضعف العلم الشرعي لدى كثير ممن يكتب في التربية الإسلامية والفكر الإسلامي.

قال الشيخ بكر أبو زيد /: « ومعلوم أن لفظ الروحانية ، وهذه البلاد فيها روحانية ، وهذه المجالس فيها روحانية ، وهكذا كلها مصطلحات صوفية لا عهد للشريعة بها ، فعلى المسلمين تجنبها ، وإن كان لها بريق ، فعند تأمل البصير لها يجدها

خواء ، أو تشتمل على منابذة للشريعة بوجه ما » [١].

والأولى الالتزام بالأسماء الشرعية (الإيمان ، الإسلام ، الصلاح ، التقوى ، الإحسان ، الطاعة ، المعصية ، الفسوق ....وغير ذلك). ففي غيرها من الألفاظ الطارئة محاذير عدة منها:

١ - التشبه بأهل الملل الأخرى والطوائف الضالة.

٢ - أن هذه الألفاظ والأسماء لا تتلقى مجردة عن دلالاتها ومعانيها ، ومن ثم يتسرب الانحراف إلى المعاني بعد أن كان في الألفاظ والأسماء.

٣ - أن الأسماء الشرعية لها معان ودلالات لا يفي بها أي اسم أو لفظ آخر.

٤ - أن الأسماء الشرعية تترتب عليها أحكام دنيوية كالعدالة التي تعد شرطًا لتولي التربية والتعليم ، وقبول الشهادة والرواية ... إلخ ، وتترتب عليها أحكام أخروية ، فالبعد عنها ينشأ عنه الخلط في هذه الأحكام.

أهمية التربية الإيمانية: تبدو أهمية التربية الإيمانية وضرورة الاعتناء بها من خلال أمور عدة ، من أهمها ما يلي:

- الإيمان هو أفضل الأعمال.
- الإيمان مناط النجاة يوم القيامة.
- تفاوت الناس يوم القيامة على أساس الإيمان.
- الإيمان هو الأساس والأصل في التربية الإسلامية ، وسائر الأمور إنما هي فروع وثمرات لهذا الأصل العظيم ، فالسلوك والعلم الشرعي والجهاد والدعوة والكف عن الحرمات إنما هو ثمرة ونتيجة من نتائج تحقق الإيمان.

---

(١) معجم المناهي اللفظية ، ص ٢٨٥.

- الإيمان هو الزاد للمرء في مواجهة الشهوات التي عصفت بشباب المسلمين اليوم ، وهي مسئولة عن حالات كثيرة من الإخفاق والتراجع.
- قوة الإيمان هي العلاج الأنجع لكثير من المشكلات التي يشتكي منها الشباب اليوم (قسوة القلب ، ضعف العناية بالعبادات ، الفتور ...) والاعتناء بتقوية الإيمان والتقوى في النفوس خير من التداعي لعلاج هذه الأمراض بعد وقوعها.
- قوة الإيمان هي أهم ما يعين المرء على الثبات على دين الله ، خاصة ونحن اليوم نعاني من كثير من حالات التقهقر والتراجع.
- قوة الإيمان هي أعظم حاجز بين المرء وبين مواقعة الحرام والمعاصي.

هذه الأمور وغيرها تؤكد على المربين ضرورة إعادة النظر في مدى الاعتناء بالجانب الإيماني في تربيتهم ، وأين موقعه ضمن أولوياتهم؟ والنظر السريع اليوم في واقع جيل الصحوة يدعونا إلى إعطاء الجانب الإيماني مزيدًا من الرعاية والعناية.

ويمكن أن يتمثل الهدف العام في الجانب الإيماني فيما يلي: الهدف العام في الجانب الإيماني: غرس الإيمان وتقويته: وهو يعني تعاهد الإيمان في نفوس الناشئة ، والسعي لتنميته وزيادته.

وسائل عامة في البناء الإيماني:

١ - الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا.

ومما ينبغي أن يضاف للاعتناء بحفظ القرآن ما يلي:

- الاعتناء بتلاوته والتلذذ بسماعه ، وما أجمل أن يطلب الشباب من أحدهم حين يجتمعون في مجلس من مجالسهم أن يتلو آيات من كتاب الله لأ.

- الاعتناء بالتدبر ، وتعويد الشباب عليه ، وتدارس معاني القرآن الكريم.
- الاعتناء بدراسة كتب التفسير ، وعلوم القرآن وأسباب النزول ... وغير ذلك مما له صلة بكلام الله عز وجل.

٢- التفكر في المخلوقات.

ومن الوسائل المحققة لذلك ما يلي:

- دراسة آيات القرآن الكريم التي فيها الحديث عن عظمة الله لأ ، ودراسة تفسيرها ، وربطها بالواقع.
- ربط العلوم المادية - وتتناول جانبًا من عظمة خلق الله - بالإيمان ، والحديث عن مظاهر عظمة هذا الخلق التي تدل على عظمة الخالق لأ ، وألا تعرض مادة جافة.
- حين يخرج الأب مع ابنه ، أو المعلم مع تلامذته إلى الخلاء فيرى جمال المخلوقات وتناسقها فليذكرهم بالله لأ ، وليربطهم بآياته -.
- دراسة جوانب من نتاج العلم المعاصر التي اكتشفت حقائق تدل على عظمة خلق الله لأ.

٣- جلسات الذكر: فقد كان ص يعنى بمجالس الوعظ والتذكير ، وكان أصحابه يجدون أثر ذلك في نفوسهم ، ويفتقدونه حين يغدون إلى بيوتهم ويخالطون أهليهم. وأثنى ص على الذين يجتمعون على ذكر الله وطاعته.

٤- المواعظ: الموعظة تحرك القلوب وتثير كوامن النفوس ، وكثير من العصاة والمعرضين ارتدعوا عما وقعوا فيه من فسق وفجور بسبب موعظة استمعوا إليها.

٥- التعاون المشروع على أداء العبادات: النفس تضعف ويصيبها الفتور والتقصير ، لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه الصالحون يزداد همة ونشاطًا للعمل

والاجتهاد فيه ، ومن صور التعاون المشروع على أداء العبادة:

- الأمر بها والحث عليها.
- الاجتماع المشروع على العبادة ، كالاجتماع على الذكر. وقيَّدنا الاجتماع بأن يكون مشروعًا حذرًا من الاجتماع غير المشروع ، كالاجتماع على الذكر الجماعي ، أو اتخاذ صلاة النافلة جماعة هديًا راتبًا وجمع الناس لها.

٦- الاعتناء بمعرفة الأسماء والصفات: فإن من يقرأ كتاب الله تعالى يدرك كثرة الحديث عن الأسماء والصفات والإشارة إليها.

٧- تذكر الموت والدار الآخرة: فإن تذكر الموت والدار الآخرة مما يدفع الإنسان للعمل الصالح ، ويزيده إقبالًا على الآخرة وبعدًا عن الدنيا.

٨ - التنافس والتسابق في الخير: فقد أثنى الله - على عباده الذين يتسابقون بالخيرات ويتنافسون فيها.

٩- القدوة الحسنة: القدوة الحسنة من أهم وسائل التربية الإيمانية وأعظمها تأثيرًا ، لذا فمن الأمور المهمة التي ينبغي أن يتصف بها المربي: السمت والهدي الحسن.

١٠- الاعتناء بدراسة سير السلف: إن في سير السلف وأخبارهم من العبر والقدوة الشيء الكثير ، لذا فالاعتناء بها وإبرازها ، وربط الناشئة بهذا الجيل ورجاله يترك أثرًا له أهميته في ميدان التربية.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن أقوال وأفعال آحاد السلف ليست حجة ، بل لابد أن توافق سنة النبي ص ، وينبغي للمربين التنبيه على هذا الجانب ، ومن ذلك ما يروى أن أحدهم صلى كذا وكذا سنة الفجر بوضوء العشاء ، أو كان يقوم الليل كله ، أو عاقب نفسه حين وقعت في خطيئة بصيام سنة ، وغير ذلك ، كل هذا مخالف لهدي النبي ص. لكن لا يُسوِّغ ذلك الطعن فيمن نقل عنه شيء من ذلك ، بل لابد من تربية الناشئة على توقير رجالات السلف والتأدب معهم ، ومع ذلك حين يرون منهم ما يخالف الحق لا

يتأسون به ويعتذرون لصاحبه ، والطريقة التي يعلق بها المربي على مثل هذه الروايات لها أثر كبير غير مباشر في غرس هذه النظرة وهذا المنهج في التعامل مع سير السلف وأخبارهم ، الذي يجمع بين توقيرهم واحترامهم ، وبين قصر التلقي على ما يؤيده الوحي والنص الشرعي.

أهداف فرعية في الجانب الإيماني:

١ - تقوية تعظيم الله في النفوس: وهذا هو الأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد.

٢ - التفكر في مخلوقات الله لأ ؛ فيدرك من خلال ذلك عظمة خالقها لأ.

٣ - الاعتناء بتحقيق توحيد الأسماء والصفات ومعرفة الله لأ.

٤ - ترك تعظيم المخلوقين ورفعهم فوق منزلتهم ، سواء أكانوا من أهل السلطان في الدنيا ، أم كانوا من الأولياء والصالحين.

٥ - تحرير القلب من التعلق بغير الله: إن كثيرًا من أمراض الشبهات والشهوات ترتبط بتعلق القلب بغير الله ، فأولئك الذين يلجئون للسحرة والكهنة ويصدقون المشعوذين ، وأولئك الذين يسيطر عليهم التطير والتشاؤم وسائر الأساطير إنما أتوا من تعلق قلوبهم بغير الله تعالى. وأصحاب الشهوات الذين فتنوا بها كذلك ، فقلوبهم قد تعلقت بها واتجهت إليها وصارت هي قبلتهم. لذا كان لابد في التربية من تنقية القلوب وتخليصها من التعلق بغير الله والتوجه لسواه ، سواء كان دافع ذلك شهوة أم شبهة.

٦ - تقوية التقوى في النفس.

ومما يعين على تحقيق التقوى:

- الاعتناء بالأمر بها والحثُّ عليها.
- تدارس صفات المتقين في كتاب الله -، والسعي لتطبيقها وتمثلها.
- تقوية المراقبة لله -.

ومما يعين المربي على تحقيق ذلك:

- الوعظ والاعتناء به ؛ وإنما تعظم ثمرته حين يخرج من قلب صادق.
- الاعتذار عما قد يطلبه المتربي - مما فيه مخالفة لأمر الله أو تقصير- بمراقبة الله واطلاعه.
- كثيرًا ما يحدث الابن أباه أو معلمه عن بعض ما يراه من مواقف فيها مخالفة شرعية ، كالغش والاحتيال ونحو ذلك ، وهو في الأغلب يسوقها خبرًا عاديًا أثاره فيه غرابته ، فيجدر أن يعلق المربي على مثل هذه المواقف بأن أولئك الذين لا يراقبون الله تعالى لو كان لديهم أحد من البشر يخافونه لما اجترؤوا على المخالفة ، وبأنهم سيدفعون ثمنًا باهظًا بعد ذلك.
- الحذر من مراقبة الشاب بالصورة التي تجعله يترك المعصية إرضاء لمن يربيه ، بل ربطه بالله لأ في هذا الجانب ، وتنمية الرقابة الذاتية ، حتى لو علم المربي بوقوع الشاب في معصية.
- العناية بأعمال القلوب: فمناط النجاة يوم القيامة هو صلاح القلب واستقامته.
- العناية بالفرائض: الفرائض هي الأساس والأصل ، وأعظم ما يتقرب به إلى الله -.

٧- تعظيم حرمات الله واجتناب المعاصي.

ومن الوسائل التي تعين المربي على ذلك:

- تذكيرهم بشأن الذنوب والمعاصي وخطورتها ، وأثرها على النفس.
- ابتعاده هو عنها ، ومجانبته إياها.
- أن يروا منه تعظيمها واستنكاف إتيانها ، وتأثره حين يرى أحدًا يواقعها

، وهو سلوك لا يستطيع أن يتكلفه من لم يستقر تعظيم حرمات الله في قلبه.

- أن يجنبهم المواطن التي تظهر فيها المعاصي ، ويعوِّدهم على هجرها إن لم يستطيعوا إنكارها.
- ألا يتساهل بمجاهرة أحد بها ، وأن يناصحه حين يراه وقع فيها محذرًا إياه من شؤمها وأثرها.

٨- الورع واجتناب الشبهات: الورع واجتناب الشبهات طريق لتحقيق الابتعاد عن الحرام ؛ لأن من يواقع الشبهات يوشك أن يواقع الحرام.

والذين يُعدُّون للدعوة إلى الله تعالى وتوجيه الناس يتأكد في حقهم اجتناب الشبهات والورع عنها ؛ إذ هم المرآة أمام الناس ينظرون إليهم ويتأسون بهم. وهذا يفرض على المربي الاعتناء بتحقيق ذلك في نفسه ، والاعتناء بإبعاد المحاضن التربوية عن كل ما فيه شبهة شرعية ، أو يوحي بشيء من الاستهانة بحدود الشرع وآدابه.

٩- العناية بالنوافل: بعد تحقيق الإتيان بالفرائض لابد من الاعتناء بالنوافل ؛ إذ هي سبب لتحقيق محبة الله لأ.

ومن الوسائل التي تعين المربي على تحقيق هذا الجانب:

- اعتناء المربي نفسه بأداء النوافل والمحافظة عليها حتى حين يضيق به الوقت. وتطبيق المربي للسنة في أداء النوافل في المنزل مما يربي أولاده على الاعتناء بها ، وهذه السنة قد غفل عنها كثير من طلبة العلم ، حتى صار الناس يظنون بالذي يؤدي النوافل في البيت أنه لا يصليها.
- توجيه المتربين وبيان منزلة النوافل وفضلها.
- أن يراعى في أوقات البرامج العامة التي تقدم للطلاب ترك وقت لأداء النوافل ، وبيان ذلك للطلاب وحثهم عليها.

- أن يراعى المربي ذلك حين تكليفه لمن يربيه بأمر أو مهمة ، فحين يطلب الأب من ابنه أداء مهمة عاجلة فليس من المستحسن أن يأمره بترك الراتبة ، وحين يكون الأمر عاجلًا يوجهه إلى أن يؤديها في المنزل ، أو بعد فراغه من المهمة إن كانت لا تطول.

الجانب العلمي والعقلي:

إن أي تربية تتجاوز البناء العلمي الشرعي ، أو تعطيه مرتبة متأخرة بين المتطلبات التربوية ، هي بعيدة عن المنهج النبوي ؛ ذلك أن الجيل الذي يعاني من الضعف العلمي لن يقوم بالواجبات الشرعية في نفسه كما ينبغي ، فضلًا عن أن يقوم بواجب الإصلاح والدعوة للناس. ويحتاج جيل الصحوة اليوم إلى أن يعطي الجانب العلمي القدر الذي يستحقه من الأوقات والجهود ، أما حين يكون نصيبه فضلة الوقت والجهد ، فسوف ينشأ جيل يعاني من البنيان الهش الذي سرعان ما ينهار ، أو يأخذ ذات اليمين أو الشمال.

ومما ينبغي مراعاته في هذا الجانب:

١ - إعطاء الجانب العلمي الاهتمام اللائق به كما سبق ، دون إفراط أو تفريط.

٢- الاعتناء بتعليم كافة الشباب - بغض النظر عن تخصصاتهم العلمية والعملية - الحد الأدنى من العلم الشرعي ، الذي يُمَكّنهم من فهم المسائل الشرعية العلمية ، والتعامل مع مصادر المعلومات بالطريقة التي تتناسب مع مستوياتهم.

٣- ينبغي أن تسعى المحاضن التربوية إلى غرس الاهتمام العلمي في نفوس الناشئة ، لا أن تكون البرامج العلمية مجرد استجابة لمطالب أو ضغوط ذوي الاهتمام العلمي.

٤ - هذا الميدان من أكثر الميادين التي يبدو فيها تفاوت القدرات والإمكانات ، ومن ثم فلابد من مراعاة ذلك واعتباره ؛ إذ يغلب على كثير من المحاضن والمؤسسات

التربوية إعطاء برامج موحدة لجميع الطلاب في الميدان العلمي ، وهي قضية يجب أن يعاد فيها النظر.

والمحاضن التربوية تملك من المرونة والحرية ما يعينها على تصميم برامج تراعي فيها الفروق الفردية ، وتفاوت الإمكانات والقدرات وتفاوت الحرص والاهتمام العلمي ، وألا تقدم لطلابها نسخة مكررة من البرامج التعليمية.

٥ - ينبغي أن تمتد أهدافنا لتعنى بالتربية العقلية ، وألا تقف عند حدود إعطاء الجانب العلمي والمعرفي ، خاصة وأن مرحلة الشباب تعتبر أحسن فترات حياة الفرد للتربية العقلية. فمن خلال التربية العقلية الصحيحة يمكن تهيئة الأرضية المناسبة للتلقي العلمي ، ومن خلالها يملك الشاب الآلية التي تعينه على التعامل الصحيح مع المعلومات والمعارف التي يتلقاها.

كما يتجاوز أثر التربية العقلية الجانب العلمي إلى سائر مجالات حياة الشاب فلها نتائج مهمة في حياة الفرد ، وفي مشاعره وقيمه وأهدافه وتعامله وتعايشه وتصرفاته. وعن طريق التربية العقلية يكون الفرد قادرًا على إصدار أحكامه الصائبة على الأشياء ، واستفادته من أخطائه وأخطاء غيره ، والانتفاع بتجاربه وتجارب الآخرين ، وقدرته على حل المشكلات ومواجهة المواقف.

الهدف العام في الجانب العقلي والعلمي: تقوية البناء العقلي والعلمي.

ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال الوسائل الآتية:

وسائل عامة في البناء العلمي والعقلي: هناك وسائل عامة تعين على تحقيق البناء العلمي والعقلي لا يمكن إدراجها تحت هدف واحد ، ومن هذه الوسائل:

١ - **تطوير طرق التعليم والبرامج الثقافية**: سواء من خلال الفصل الدراسي ، أو من خلال الدروس العلمية والمحاضرات الثقافية والفكرية التي تقدم للناس في المسجد وخارج المسجد.

ومن ملامح هذا التطوير الذي يمكن أن يسهم في الارتقاء بمستوى الشباب اليوم:

أ- البعد عن الطرق الإلقائية الرتيبة ، والاعتناء بالطرق الحديثة في التعليم.

ب- البعد عن الطرق التي تركز على اتجاه واحد في الاتصال ، ويكون دور المعلم فيها هو الملقي ، ودور الطالب هو التلقي والاستماع.

ج- مع أهمية الحفظ وحاجتنا إليه في العلم الشرعي ، إلا أنه ينبغي ألا نعتمد عليه وحده ، وألا يكون دور الطالب قاصرًا على التذكر والاستدعاء فقط ، بل لابد من الارتقاء إلى المستويات الأعلى منه في التحصيل (كالفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم.

فحين يُقدَّم للطالب درس في تعليم صفة الوضوء ، فليطلب منه التطبيق بعد ذلك ، وليُقدم المعلم لهم فيلمًا يسجل فيه مواقف عدة ويطلب منهم بناء على ذلك اكتشاف الأخطاء التي وقعت في الوضوء. ومثله معلم العقيدة ، حين يتناول موضوع القضاء والقدر ، فليطلب من الطلاب مثلًا قراءة سورة الأنفال واستخراج ما يتعلق بهذا الركن العظيم ، وليطلب منهم بيان آثار الإيمان بالقضاء والقدر على حياة المسلم ، وذكر صور الانحراف والأخطاء في مفهوم القضاء والقدر لدى المسلمين اليوم.

د- تطوير أساليب التقويم وطرقه ، فبدلًا من أن يكون الواجب المنزلي يتعلق بأسئلة مباشرة يبحث الناشئة عن إجابتها في الكتاب يُكلفهم المربي مثلًا أن ينظروا إلى المصلين الذين يقضون الصلاة ، ويذكروا عددًا من الأخطاء التي وقع فيها المصلون ، وأن يقدم المعلم مقالة مكتوبة للناشئة ويطلب منهم نَقْدَها وبيان ما فيها من سلبيات وإيجابيات.

هـ- إعطاء فرصة للناشئة في تقويم ما يسمعون ونَقْدُه ، بل تشجيعُهم على ذلك ودَفْعُهم له ، بدلًا من أن تكون مهمتهم منحصرة في السؤال عما أشكل عليهم.

وينبغي مع ذلك أن يراعى الاعتدال ؛ فالإفراط في ذلك قد يؤدي إلى مناقشة البديهيات والمسلَّمات ، أو تخريج ناشئة يجيدون فن الجدل والخصومة ، أو يسيئون الأدب مع الأكابر.

٢ - تطوير أساليب الخطاب ومضمونه: إن الاعتناء بمضمون ما يقدم للناشئة في الدروس العلمية والملتقيات الفكرية أمر له أهميته وأثره في بناء شخصيتهم ، ومن المقترح في ذلك:

أ- الاعتناء باختيار الموضوع الذي يتحدث فيه المتحدث أو الكاتب ، والبعد عن الموضوعات التقليدية التي ملَّ الناس منها وسئموها.

ب- الاعتناء بمحتوى ما يقدِّم للناس ، والإعداد الجيد له ، وتقديم الجديد المفيد ، حتى في تناول الموضوعات التي يتكرر طرقها يمكن للكاتب أو المتحدث أن يقدم الجديد في محتواها.

ج- البعد عن تقديم النتائج المباشرة ، والسعي للإقناع من خلال الأدلة العلمية الموضوعية ، والوصول للنتائج من خلال المقدمات.

د- الاعتدال في الحماس للرأي والفكرة الشخصية ، والتفريق بين الحكم الذي جاء بنص الشرع ، وبين فهم فرد معين لمسألة أو نص شرعي.

٣ - زيادة دور الشاب في التعلم: تعتمد الاتجاهات التربوية الحديثة على تفعيل دور الطالب في التعلم والتلقي ، وألا يكون دوره قاصرًا على مجرد الاستماع. ومما يعين على ذلك:

أ- الاعتماد على الطرق الحديثة في التعليم وعدم التركيز على الطرق الإلقائية.

ب- الاعتناء بالبحوث مع مراعاة أن تكون مناسبة لمستوى الناشئة ، وكلما كانت قصيرة ، وتتطلب الوصول إلى نتائج معينة - دون أن تعتمد على مجرد النقل والجمع - أمكن أن تؤدي دورها.

ج- تعويد الناشئة الوصول إلى المعلومات بأنفسهم من خلال السؤال والمناقشة ، مع مراعاة أن يكون النقاش مُعِينًا للوصول إلى المعلومة ، دون أن يكون استظهارًا لما سبق ، أو سؤالًا لا يعرف إجابته إلا من سبق له إدراك هذه المعلومة.

٤ - **المحافظة على الطاقة العقلية:** طاقات الإنسان مهما بلغت وعظمت فهي محدودة ، وذلك لا يصدق على الطاقة البدنية فحسب ، فالطاقة العقلية والنفسية تحكمها السُنَّة نفسُها ، وحتى تستثمر هذه الطاقة وتوظف في ميادينها المناسبة لابد من حمايتها من أن تبدد فيما لا طائل من ورائه.

لذا فإشغال العقل بالتساؤل والبحث في أمور الغيب ، أو بما لا فائدة فيه من أبواب العلم ، أو بالتفاصيل التي لا ضرورة لها ولا حاجة ، ولا يترتب عليها خير ومنفعة في دين ودنيا ، هذا الإشغال سيكون على حساب أمور أخرى هي أهم وأحوج ، إذا افترضنا أن هذا المتسائل أدرك من وراء تحصيله شيئًا.

٥- **التعويد على القراءة الواسعة:** تمثل القراءة عاملًا مهمًا في توسيع أفق الشخص وتنمية قدراته ومهاراته ، ومن ثَمَّ فغَرْس حُبِّ القراءة لدى الناشئة يترك أثره في نموهم العلمي والفكري.

ويمكن أن يتم التعويد على حُبِّ القراءة بطرق عدة ، منها:

- الإحالة إلى أحد الكتب المهمة والشيقة عند الحديث عن قضية من القضايا ، وكلما كان الكتاب متوفرًا وقريبًا من الناشئة كان أقرب إلى تحقق هذا الهدف.
- وصف الكتاب والحديث عنه وطريقة مؤلفه ومزاياه.
- المسابقات العلمية ومن أفضلها في غرس القراءة الواعية المدركة: أن يطلب من الطلاب قراءة كتاب أو جزء منه ، ثم يطلب منهم الإجابة على أسئلة محددة ، وذلك بعد فراغهم من قراءته ، أما الأسئلة التي

تُعطَى سلفًا فالغالب أن يبحث الطالب عن الإجابة في الكتاب دون أن يقرأه ويستوعب ما فيه.

- اقتراح برامج متدرجة في القراءة ، وذلك بأن تحدد للطلاب فئات (أ ، ب ، ج ، د) مثلًا ، وكل مجموعة تحوي كتابين أو ثلاثة ، وتكون هذه الفئات متدرجة في الصعوبة وحجم الكتاب ، فحين يتم الطالب قراءة فئة (د) ينتقل إلى فئة (ج) وحين يتمها ينتقل إلى فئة (ب) وإذا أشيع روح التنافس والمسابقة في ذلك ازداد الدافع لدى الطلاب.
- الإهداء الخاص ، وذلك بأن يقدم المعلم للشاب هدية خاصة تتمثل في كتاب مناسب لمستوى تحصيله وإدراكه.
- تخصيص أوقات للقراءة.
- تأمين الكتب المناسبة والشيقة في المنزل والمدرسة ، ومواطن تجمعات الشباب ولقاءاتهم.
- كتاب الشهر أو كتاب الأسبوع ، وهو كتاب يُختار بعناية مما يناسب مستوى الطلاب ، ويُعلن عنه مع صورة غلافه ، وإذا أمِّن بسعر مخفض فهذا حسن.
- زيارة المكتبات ودور النشر ومعارض الكتب ، وإطلاع الشاب على محتوياتها وحثه على الشراء.
- فاقد الشيء لا يعطيه ، فحين يكون المعلم والمربي قارئًا ، ويلمس تلامذته أثر ذلك في شخصيته ، ويعتادون رؤية الكتب معه ، واهتمامه بها ، فإنهم سينشئون على حُبِّ القراءة. وبدون البرامج العملية التي تربط الطلاب بالقراءة وتدعوهم لها ، لن يكون كثرة الحديث عن أهمية القراءة ودورها ذا أثر فاعل.

٦ - الربط بالمصادر العلمية والفكرية المناسبة:

يحتاج الناشئ في البداية أن يوجَّه إلى اختيار المناسب في خضم الكم الهائل المتاح من مصادر التعلم ، ومن ثم فتوجيهه للكتب المناسبة ، والكتَّاب المناسبين ، والدوريات الموثقة الرصينة ، والأشرطة العلمية الفكرية ، مما يعينه على توسيع أفقه ، ويسهم في تحقيق البناء العلمي والعقلي لديه بشكل أشمل. ومع الحاجة إلى الانفتاح وزيادة دائرة اتصال الشاب بالمصادر العلمية إلا أنه لا يستغني عن الإرشاد والتوجيه مما يختصر عليه خطوات كثيرة. وهذا إنما يجيده المربي الناضج الذي يتسم بسعة الاطلاع والقراءة الواسعة ، أما أولئك الذين دعت الضرورة إلى الاعتماد عليهم فعليهم أن يعرفوا قدرهم ، وألا يجعلوا الشباب ضحية تفكيرهم المحدود ، واطلاعهم القاصر ؛ فيمارسوا في حقهم الاسترقاق الفكري وقد ولدوا أحرارًا.

٧- **تنويع مصادر التعلم**: مهما بلغت قدرات المربي وطاقاته يبقى يمثل تجربة محدودة ، وهو بشر يحمل من القصور والسلبيات ما يحمله غيره من البشر. لذا كان لابد لتوسيع أفق المتربي ، وتنمية قدراته ، وبناء شخصيته العلمية والفكرية من فتح قنوات أخرى غير هذه ، ومن ذلك:

- تنويع قراءاته وعدم الاقتصار على شريحة معينة من الكتَّاب في إطار زمني أو مكاني محدد.
- اتصاله الفكري واستفادته من عدد كبير من الأشخاص ، من خلال استضافة بعض المتحدثين بين آونة وأخرى ، وزيارتهم واللقاء معهم ، وكلما تنوعت تجارب هؤلاء واتسعت خبراتهم أسهم في استفادة الطالب منهم.
- التخلص من الممارسة غير المقبولة التي يفرضها بعض المربين- بحسن نية - من خلال طول أمد بقاء تلميذه مرتبطًا به دون سواه ، وفرض حصار فكري عليه ، ورفض كل ما لم يرد عن قناته التي يتحكم فيها.

وينبغي التأكيد هاهنا على التعامل المعتدل مع مثل هذه المقترحات ، وعدم التطرف في استخدامها ، ومراعاة التدرج ، وأن القفزات المحطمة قد تحول التلميذ الناشئ إلى أتون فوضى فكرية قبل أن يدرك ، وثمة تجارب جنى أصحابها ثمرة التطرف في الانفتاح غير المتزن. إلا أن هذا التطرف والتسيب لا يعالج من خلال ممارسة الحصار والاسترقاق الفكري للأحرار من الناس.

٨ - الاعتناء بطرق التعليم الفردي:

توفر التربية المعاصرة نماذج من أساليب التعليم الفردي ، التي يستطيع من خلالها الطالب أن يواصل التعلم بمفرده ، دون الحاجة إلى معلم. والاستفادة من هذه التجارب واستثمارها ، بعد تطبيعها بما يتناسب مع الأوضاع التربوية ، مما يعين على الوصول إلى أهداف قد نرى أن قدراتنا تعجز عنها.

والدعوة إلى استثمار طرق وأساليب التعلم الفردي لا تعني اعتبارها البديل الوحيد ، فلا غنى للطالب عن الارتباط بمعلمه والاستفادة من كثير من خبراته.

أهداف فرعية في البناء العلمي والعقلي:

ثمة أهداف فرعية تؤدي إلى الهدف العام وهو تحقيق البناء العلمي والعقلي ، وتتمثل أهم هذه الأهداف فيما يأتي:

١ - غرس الشعور بالحاجة للتعلم: قبل أن نبدأ بالتعليم أو تناول البرامج العلمية لابد من تهيئة الأرضية المناسبة لذلك ، وإعداد المتربي ليقبل على العلم والتعلم ، ويشعر بحاجته إليه ، وأهميته له. ومما يعين على تحقيق هذا الهدف:

- بيان فضل العلم وأهله ، ومنزلته من بين سائر ما يتقرب به العبد إلى ربه لأ.
- استثمار المواقف التي يمر بها المتربي لإشعاره بالحاجة للعلم.
- تناول بعض الموضوعات ، وتقديم بعض البرامج العلمية التي تتناول

جوانب يحتاج إليها الشاب بطريقة سهلة ومشوقة ، تشعره بقيمة ما تعلمه ، وأهمية الإقبال على العلم الشرعي.

- وضع برامج لتداول وتوزيع الكتب والأشرطة العلمية المناسبة لمستوى الشاب والاعتناء بسماعها.
- الاعتناء بإبراز سير العلماء ودراستها ، والتركيز على أثر الجانب العلمي في شخصياتهم.
- زيارة العلماء وطلاب العلم ، وحضور مجالسهم وغشيانها ، فلذلك الأثر القوي في إبراز شخصياتهم أمام الشباب ، وفي تطلعهم إلى أن يسيروا على طريقهم.

٢ - تعليم العلوم الضرورية: إن المسلم - بغض النظر عن موقعه في سلم الثقافة - يحتاج إلى قدر ضروري من العلوم الشرعية ، يعرف بها ما يستقيم به دينه ، ويسلم فيه اعتقاده ، وتصح به عبادته. والشباب الذين يُعدُّون لتحمل المسؤولية والأمانة ، ويهيئون لحمل الدعوة ، يحتاجون قدرًا من العلوم الضرورية أكثر مما يحتاجه الآخرون.

ومن ثم كان لابد من أن تعنى المحاضن التربوية بأن تقدم لأبنائها العلوم الضرورية التي لا يسع مسلم جهلها ، وأن تسعى إلى تيسير هذه العلوم ليدركها ويعيها الجميع.

٣ - تحقيق الفقه في دين الله -.

٤ - تعليم مراتب العلم الشرعي: العلم ليس بابًا واحدًا ، بل هو مراتب ودرجات ، فعلوم المقاصد ليست كعلوم الوسائل ، وصلب العلم وأسسه ليست كمُلَحِه. بل من العلم ما يكون وبالًا على صاحبه وغير نافع له.

ولا يسوغ أن يكون الشاب ضحية اهتمامات شخصية غير متزنة لأحد معلميه ومربيه ، يضخم جوانب من الجزئيات ، ويجيد تشقيق المسائل وتفريعها والغوص في بعض الدقائق مقابل إهمالٍ لأسس من العلم لا غنى عنها.

ومرحلة الشباب فيها قدر من التطلع إلى مثل هذا والبحث عن الغرائب ، فما لم توجه التوجيه الصحيح وتستثمر فإنها تصبح داء معوقًا عن المنهج السليم في طلب العلم وتلقيه.

٥ - **تعظيم النصوص الشرعية**: النصوص الشرعية مصدر لتلقي العلم الشرعي ، وتعظيمها والوقوف عندها أمارة على صدق الإيمان ، وسلامة المنهج. لذا فالاعتناء بغرس هذا الجانب أمر له أهميته. ومما يعين على تحقيق هذا الجانب:

- أن يعتني المربي بالاستدلال على ما يعرضه بنصوص الكتاب والسنة.
- التأدب مع نصوص الكتاب والسنة حين الحديث عمَّا ظاهره التعارض من النصوص.
- عدم الاعتراض على النصوص الشرعية بأقوال العلماء وآرائهم ، والتنبيه على خطأ من يعترض عليها بمثل ذلك.
- حين يعترض الشاب على رأي معلمه بنص شرعي ، فإن كان لم يقف عليه فليتوقف عن رأيه ، وإلا فليتأدب في توجيه دلالة النص. أما أولئك الذي يُغلِظُون على من يعترض عليهم بالنص فهم ينشئون تلامذتهم على الاستهانة بالنصوص وقلة تعظيمها.

٦ - **تحقيق التكامل العلمي**: إن أسس العلوم الشرعية تمثل منظومة متكاملة ، يرتبط بعضها ببعض ويكمله ، فأصول الفقه لا غنى عنه لمستدل في باب الاعتقاد أو الأحكام ، واللغة لا غنى عنها لكل طالب علم ، وأسس علم الحديث يحتاجها كل مستدل بسنة النبي ص أيا كان مجال دراسته ... الخ. والمنتظر أن يتحقق لدى الشاب

الحد الأدنى الذي لا يستغني عنه طالب للعلم من فروع العلوم الشرعية ، لا أن يصبح متخصصًا وبارعًا في كل العلوم. نعم لابد من التخصص لكنه لا ينبغي أن يكون على حساب التكامل في تحصيل العلوم الشرعية الأخرى.

٧- تنمية المهارات العقلية:

العقل هو الأداة التي يتم من خلالها التحصيل العلمي السليم ، ومن المشكلات التي نعاني منها اليوم في تربيتنا الأسرية والمدرسية إهمال المهارات العقلية وعدم الاعتناء بها. وتبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه المهارات فيما يأتي:

- أنها ضرورية للبناء العلمي السليم.
- أنها تؤثر على كافة جوانب الشخصية ؛ فالمرء يستخدم المهارات العقلية في التحصيل العلمي ، وفي التعليم ، وفي الجوانب الاجتماعية ، وفي دعوته للآخرين ، وفي حواره والتعبير عن فكرته.
- أنها ضرورية لمن يتصدون للدعوة والتغيير في المجتمعات.

ومن المهارات العقلية المهمة ما يأتي:

أ- القراءة الذكية: ومما تشمله:

- القدرة على الاختيار المناسب لما يقرؤه.
- تعلم مهارات القراءة السريعة.
- تنمية القدرة على فهم المقروء ، وبالأخص استيعاب الفكرة العامة التي يريد المؤلف إيصالها ، والتفريق بين الفكرة العامة وبين الشواهد والأمثلة والتفريعات.
- تنمية القراءة الناقدة ، التي تجعل الشاب يفكر ويقوِّم ما يقرؤه دون التلقي المجرد ، وينبغي أن يلحظ هنا التدرج ، ومراعاة قدرات الشاب وثقافته ، وأنه يحتاج إلى مرحلة يعتاد فيها القراءة ، ومرحلة يفهم فيها

وتُبنى ملكاته العلمية ، ومرحلة ينتقل فيها إلى القراءة الناقدة. ومن المناسب أن يوجه في بداية المرحلة إلى كتابات مناسبة وكُتَّاب مناسبين ، لكن هناك قدر طبيعي من النقد والتقويم للأفكار يمكن أن ينمى لدى الشاب باعتدال وتدرج. وهذه المهارات يمكن أن تعلم للشاب من خلال برامج منظمة للقراءة ، أما مجرد إلقاء دروس وتوجيهات حول القراءة وأساليبها فهذا محدود الجدوى والفائدة.

ب- التعبير اللغوي السليم: التعبير اللغوي السليم مهارة مهمة تحتاج أن تبنى عند الشاب وتقوى عنده ، ومما تشمله:

- القدرة على صياغة أفكاره والتعبير عنها تعبيرًا سليمًا.
- القدرة على استخدام اللغة الفصيحة في الحديث والبعد عن الألفاظ العامية.
- القدرة على استخدام المترادفات ، لتهيئ له التعبير السليم بالقدر الذي يتناسب مع الموقف ، فعبارة: أعتقد أني أستحق درجة أكثر من هذه الدرجة ، أفضل من عبارة: لقد أخطأت في حقي يا أستاذ حين أعطيتني هذه الدرجة. ويحتاج الشاب لهذه القدرة في الحوار ودعوة الآخرين والتأثير عليهم ، ومن استمع لبعض أحاديث الوعاظ والخطباء الذين يفتقدون هذه المهارة أدرك أهمية ذلك.

ومن الوسائل المعينة على ذلك:

- إتاحة الفرصة للناشئة ليعلقوا في الدروس ويُبدوا مداخلاتهم ، مع الحرص على تعويدهم على أن يكون حديثهم بلغة فصيحة.
- أن يرتقي المربي بأسلوبه وطريقته في حواره معهم حتى عند الحديث الفردي عن مشكلات شخصية ، بدلًا من أن يكون حديثًا بلهجة

عامية هابطة.

- تنظيم أنشطة تتيح فرصًا للشباب في الحديث الارتجالي أمام زملائهم ، ويمكن أن تشمل: إلقاء خطب قصيرة ، حوارات بين شابين حول فكرة محددة ... الخ.
- تنظيم أنشطة تعوِّد الشاب على كتابة أفكاره ، كالكتابة حول موضوع معين ، أو وصف موقف ، أو الحديث عن ظاهرة في المجتمع ، مع مراعاة ألا يسيطر التركيز على الجانب الأدبي والبلاغي - رغم أهميته - على التعبير السليم والصحيح عن الفكرة.

ج- الاستماع الناقد: كما أن الشاب يحتاج إلى القراءة السليمة الناقدة ، فهو كذلك يحتاج إلى الاستماع السليم الناقد ، بحيث يستطيع حين يستمع إلى متحدث أن يلخص الفكرة الأساسية التي أراد المتحدث إيصالها ويستطيع أن يصدر أحكامًا نقدية على ما سمع.

وحتى تنمو هذه المهارة يحتاج الأمر إلى أن تتاح فرص منظمة للاستماع ، من خلال: حضور خطبة ، أو محاضرة عامة ، استضافة أحد المتحدثين ، استماع إلى شريط. ويقوم المربي بتلخيص الفكرة العامة ، والإشارة إلى الأفكار الجزئية والشواهد ، والتفريق بينها ، وهذا ينجح أكثر في الاستماع للحديث المسجل إذ يقوم المربي بالاستماع له والإعداد المسبق حتى تكون أحكامه وتحليلاته أكثر دقة.

ومن الأساليب التي يمكن أن يستخدمها المربي في التدريب على هذه المهارة:

- المطالبة بالاستماع إلى شريط في المنزل ، وتلخيص الفكرة العامة للموضوع والأفكار الجزئية ، وإبداء الرأي عمومًا في طريقة تناول الفكرة.
- مطالبة الطلاب بعد حضور الخطبة أو المحاضرة بذلك.

- إجراء مسابقات في تلخيص الفكرة المسموعة ونقدها.

د- الاستنباط السليم: القدرة على الاستنباط والاستنتاج مهارة مهمة ، تمكِّن الشاب من استخدام المعارف والمعلومات في مواقف جديدة. وثمة مجالات يمكن أن تعود على تقوية هذه المهارة ، ومنها:

تعويد الشاب على استنباط الفوائد والعبر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، مع مراعاة العمق والبعد عن الفوائد المكررة التي اعتاد الشاب عليها.

الاعتناء باستنباط الدروس والفوائد العملية عند دراسة السيرة النبوية والأحداث التاريخية.

توظيف المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة في تنمية القدرة على الاستنباط ، كالرياضيات ، والتاريخ ، واللغة العربية.

الاستفادة من الألعاب التعليمية ؛ فكثير منها تنمي المهارات العقلية ، ومن بينها مهارة الاستنباط ، ويمكن للمربي أن ينظم بعض الألعاب والمسابقات التعليمية ، التي تجمع بين تحصيل فوائد علمية ، وتحقيق التسلية ، وتنمية المهارات.

٨- **تعليم أسس التفكير العلمي وطرق حل المشكلات:** لابد لكل مربٍّ من السعي لبناء العقلية الصحيحة لمن يتولى تربيته ، ومن أهم ما ينبغي الاعتناء به: بناء أسس التفكير العلمي وطرق حل المشكلات. وتشمل خطوات التفكير العلمي: تحديد المشكلة ، ثم فرض الفروض ، ثم اختبارها ، ثم الاختيار بينها. وهذا الأمر لا يمكن أن يتم من خلال السرد التقليدي لهذه الخطوات ، أو تناول موضوعات نظرية حول أسس التفكير العلمي- وإن كان ذلك خطوة لابد منها - ، ومن الوسائل المعينة على تحقيق ذلك ما يأتي:

- طريقة تناول المعلم للمعلومات وتقديمها للطلاب ؛ فهي تسهم إلى حد كبير في بناء منهج التفكير العلمي لدى طلابه ، فحين يتحدث عن

ظاهرة أو مشكلة تواجه الطلاب في حياتهم اليومية ، ينبغي أن يتناولها مستخدمًا الخطوات المنطقية للتفكير العلمي ، فيفترض الفروض ويناقشها ويختار بينها بطريقة علمية موضوعية.

- طريقة المعلم في الحوار والإجابة على تساؤلات تلامذته ومشكلاتهم لها دور فاعل في ذلك ، فحين يأتي الطالب يشكو لمعلمه أن والده لا يأذن له بالمشاركة في حلقة القرآن التي في المسجد ، فبدلًا من أن يعطيه الحل المباشر يسأله: ما الأسباب التي تظنها وراء هذا القرار؟ التلميذ: لا أدري. المعلم: افترض الأسباب الممكنة. التلميذ: تأثيرها على المستوى الدراسي ، عدم ثقته بطلاب الحلقة ، عدم معرفته لأهداف الحلقة. المعلم: هل تستطيع من خلال حواراتك السابقة معه أن تستنبط ما يقوي فرضية معينة؟ ... الخ.
- التدريب على هذه المهارات أمر له أهميته ، فكما أن المرء لا يستطيع أن يتعلم السباحة إلا بممارستها ، كذلك فإنه لا يستطيع أن يتعلم التفكير وحل المشكلات إلا بممارستها وقتًا طويلًا.
- صياغة البرامج بما يسهم في إعطاء الفرصة لممارسة التفكير العلمي ، سواء في المحتوى كالتقليل من الاعتماد على العطاء المعرفي المباشر ، والحفظ والاستظهار وحده ، أو في الوسائل وطرق التعليم والتوجيه.
- أن تتضمن التكاليف والواجبات التي يعطيها المعلم لطلابه ما يعين الطالب على ممارسة خطوات التفكير العلمي ، دون التركيز على الأسئلة التي يبحث فيها الطالب عن الإجابة من الكتاب مباشرة ، أو على بحوث يكون دور الطالب فيها النقل بطريقة القص واللصق.

٩- تنمية الاتجاهات العقلية السليمة: وتتضمن الاتجاهات العقلية التي يحتاج إليها الشاب في هذه المرحلة ، ما يأتي:

أ- الحيدة والموضوعية: تعد الموضوعية والبعد عن الذاتية من أهم سمات التفكير العلمي السليم ، ويمكن تعريف التفكير الموضوعي بأنه: مجموعة الأساليب والخطوات والأدوات التي تمكننا من الوقوف على الحقيقة ، والتعامل معها على ما هي عليه بعيدًا عن الذاتية والمؤثرات الخارجية.

ومن أهم الوسائل المعينة على تنمية التفكير الموضوعي لدى الشاب:

- الاعتناء بالموضوعية فيما يقدم للشاب من معارف وأحكام على الظواهر والأشياء والأشخاص.
- تعويد الشاب على التفريق بين الانطباع الشخصي الذاتي وبين الحكم الموضوعي.
- تكوين جو يسمح بالحوار البناء ، والتعود على ضبط الحوار بالأسس الموضوعية ، والبعد قدر الإمكان عند الحوارات عن إطلاق الأقوال دون مستندات علمية موضوعية.
- إتاحة الفرصة للشاب لسماع آراء أخرى-بما يتناسب مع قدراته ومستواه العلمي والفكري- ومناقشتها وتقويمها في ضوء أسس علمية موضوعية.

ب- الدقة عند ممارسة الأنشطة العلمية والعقلية: من أهم الاتجاهات العقلية السليمة التي تعين على البناء العلمي: التعويد على الدقة عند تحليل الحقائق وفحص الأدلة وإصدار الأحكام ، وإطلاق التعميمات. ويشمل ذلك التمييز بين الحقائق المختلفة والتفريق بينها ، والدقة عند الاستدلال ، والقدرة على تمييز الأدلة الصحيحة من الباطلة ، ومناقشة الأدلة.

وغياب الدقة يؤدي إلى عدم الاستيعاب للفكرة ، والخلط بين الحقائق والأحكام والتعميمات ، والاستدلال على الحقائق بأدلة غير صحيحة. والنقاش المتأني

للأفكار والأحكام التي يصدرها الشاب ، وتوسيع الحوار معه فيها يزيد من قدرته وتمكنه من الدقة والتأني.

ج- احترام آراء الآخرين وأفكارهم: من الاتجاهات العقلية السليمة التي يحتاجها الشاب ؛ احترامه آراء الآخرين وأفكارهم. ومن احترام أفكار الآخرين وآرائهم: القبول بالرأي المخالف ، والتعبير الموضوعي عند سياق آراء الآخرين ، والفصل عند التعبير عنها بين الآراء والحكم الشخصي عليها. ومن احترامها: الاعتدال والموضوعية في نقاشها ، والفصل قدر الإمكان بين الرأي والفكرة وبين صاحبها ، فلا يذم الشخص نتيجة رفض فكرته أو نقدها ، ولا يكون من معايير قبولها كونها فكرة فلان أو رأيه.

ومن الوسائل المعينة على تحقيق ذلك:

- إتاحة الفرصة للشاب لسماع الآراء الأخرى ، بالقدر الذي يتناسب مع نموه العلمي والفكري.
- تخلي المربي عن الاستبداد الفكري ، والحماس لآرائه ، واعتياده عرض آرائه بصورة معتدلة.
- مراعاة المربي لتطبيق هذه المبادئ عند عرضه أفكار الآخرين وآراءهم ، وهذا من أهم العوامل وأكثرها تأثيرًا ، سلبًا أو إيجابًا ، ولذا نرى أن أولئك الذين ينشئون في مدارس فكرية تتسم بتبني آراء متطرفة ، ولا تتقبل الرأي الآخر ، نرى أمثال هؤلاء يتسمون بالقسوة والفظاظة في التعامل مع آراء الآخرين.
- تهيئة بيئة تسمح بآراء أخرى مخالفة ، والبعد عن الإصرار على رأي واحد فيما يستوعب أكثر من رأي.

١٠- التخلص من معوقات التفكير السليم: ثمة معوقات عدة تحول دون التفكير السليم ، وتشكل حاجزًا يشل القدرات والإمكانات العقلية ويختزلها ، وفيما يلي نشير إلى أهم هذه المعوقات مراعين الإيجاز قدر الإمكان ، تاركين المجال أمام المربي للتفكير في الوسائل والأساليب التي تعينه على تحقيق هذا الهدف.

أ- التعصب: التعصب من أكبر المعوقات التي تشل التفكير وتحول دون وصوله إلى النتائج بشكل سليم ، وله صور عدة ، منها:

- التعصب لآراء الآباء والأجداد ومعتقداتهم ، وهذا قد عاق كثيرًا من الأمم عن الاستجابة لدعوة الأنبياء.
- التعصب المذهبي ، ومن أبرز صوره في الأمة التعصب لآراء الأئمة المتبوعين ومدارسهم الفقهية.
- التعصب الحزبي ، وهي صورة نشأت حديثًا مع انتشار الحركات والجماعات الإسلامية ، وهو من أخطر أنواع التعصب نظرًا لارتباطه بالمدارس التربوية. والمؤمل من المربين المخلصين اليوم أن يكسروا هذه الحلقة المفرغة التي أضحت تدور فيها فئات واسعة من جيل الصحوة ، وأن يتجاوزوا في تربيتهم التعصب الحزبي ، ليبنوا لنا جيلًا يتجرد ويستعلي على الولاءات الضيقة ، ويجيد التفريق بين العمل المؤسسي الذي يستثمر الطاقات ويوجهها وبين الحزبية والتعصب.
- التعصب للآراء والمواقف الشخصية والإصرار عليها والتمسك بها.

ب- المبالغة والغلو: المبالغة والغلو مظهران من مظاهر فقدان الموضوعية والاعتدال في التفكير ، والمبالغة لها صور عدة ، منها:

- المبالغة في الحماس للفكرة ، وإعطاؤها أكبر من حجمها.
- القطع في الأمور الظنية ، وتحويل الآراء في المسائل الاجتهادية إلى

أحكام شرعية يضلل من يخالف فيها.

- تضخيم الأمور وإعطاؤها أكبر من حجمها ، وهذا يقع فيه بعض المربين كثيرًا عند الحديث عن الأخطاء ومحاولة علاجها ، فيحول الصغيرة إلى كبيرة ، ويجعل وقوع الشاب في معصية من المعاصي هو الخطوة نحو الانحراف والضلال. ولاشك أن استعظام المعصية وعدم الاستخفاف بالذنب كل ذلك أمر لابد من أن يسعى المربون إلى تحقيقه ، لكن مع الحذر من آثار المبالغة في ذلك ، فهي تقود إلى اليأس والإحباط ، بل إلى الاستسلام للانحراف. واتباع المنهج الشرعي النبوي في الجمع بين الترهيب والترغيب ، والخوف والرجاء والتوازن بينهما أمر لابد من الاعتناء به واستحضاره.

ج- **التعميم الخاطئ**: من الأعمال والممارسات العقلية التعميم ، وهو يعني إلحاق الحكم على موقف أو ظاهرة من الظواهر بموقف آخر. ومن أبسط بديهيات التعميم اتفاق الموقفين في منطلقات الحكم وأسبابه.

حين تتحدث عن العلاقة بين تعليم الوالدين والتربية الصحيحة للأطفال قد يعترض عليك معترض بأن فلانًا أميّ ومع ذلك استطاع تربية أولاده تربية صحيحة ، وحين يتحدث متحدث عن مشروع أو فكرة ، فقد يستشهد على جدواها وصحتها بأنه يعرف من طبقها. وهو أسلوب نمارسه كثيرًا في تفكيرنا ، وأسوأ صوره ما يحصل من بعض الدعاة والمتحدثين ، إذ كثيرًا ما يرد في أمثلتهم واستشهاداتهم تعميم لنموذج شاذ.

وهذا الأسلوب يمارس نتيجة افتراض سبب واحد للظاهرة هو المؤثر فيها ، وهذا يعني التلازم بين وجوده ووجودها ، ويغفل كثير منا عن أن الظواهر الاجتماعية نادرًا ما ترتبط بسبب واحد أو عامل واحد ، بل هي ترتبط بعوامل ومؤثرات عدة ، والأمر لا يقف عند هذا الحد بل هذه العوامل تختلف درجة تأثيرها في الظاهرة ، بل ينتج عن تفاعل عاملين فأكثر تأثير من نوع آخر. وحتى تتضح الصورة أكثر ، فإنا

نفترض أن تربية الطفل تتأثر بمؤثرات منها: مستوى تعليم الوالدين ، والعلاقة بينهما ، وأسلوب التنشئة الذي يمارسانه ، والبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل ، والمدرسة التي يتلقى تعليمه فيها ... الخ. فكل هذه العوامل تؤثر في تربيته ، ثم إن درجة تأثير تعليم الوالدين تختلف عن درجة تأثير البيئة الاجتماعية ... وهكذا ، وينتج من تفاعل درجة تعليم الوالدين مع طبيعة العلاقة بينهما مؤثر آخر ؛ فتأثير الأب الأمي الذي يختلف كثيرًا مع زوجته ، ليس كتأثير الأب المتعلم الذي يختلف مع زوجته ... وهكذا. لكننا نتجاوز كل هذا التعقيد في الظاهرة ونختزله من خلال عامل واحد يبدو لنا.

د- الالتزام بالأفكار الذائعة: يميل كثير من الناس إلى التسليم بالأفكار الذائعة والمنتشرة ، ولا يكلفون أنفسهم عناء التفكير فيها أو مناقشتها. وقد يعود ذلك إلى الكسل الفكري ، أو إلى ضعف القدرات العقلية والفكرية ، أو إلى الخوف والحذر من مخالفة الآخرين.

وتسهم أجواء التسلط والاستبداد الفكري في وأد الأفكار المخالفة أو الواعدة. إن إتاحة الحرية في التفكير ، وفي التعبير عن الرأي المخالف ، وإعطاء آرائنا وأفكارنا حجمها وقدرها الطبيعي ، وعدم تحويلها إلى أحكام وثوابت ، أمرٌ يسهم في إيجاد بيئة وجيل لا يحمل الأفكار لمجرد أن الآخرين قالوها أو تحمسوا لها. ومن الأمور المهمة في ذلك التفريق بين الأفكار وبين الفتاوى العلمية في النوازل ، وبين الأحكام الشرعية ، ووضع كل في إطاره الصحيح.

هـ- نظرية المؤامرة: يسود عند الشعوب الإسلامية ، وعند المتدينين بوجه أخص الاعتقاد بنظرية المؤامرة ، ويبالغون في تصور المؤامرات التي تحاك في الظلام ، ويعطون الأعداء وأصحاب القرار أكبر من حجمهم ، فيتصورون أن كل صغيرة وكبيرة من تصرفاتهم محسوبة الخطوات ، وأن الشغل الشاغل لهؤلاء هو حرب الإسلام وأهله. وهذا التفكير نتاج مؤثرات عدة ، منها:

- كثرة حديث الإسلاميين عن الأعداء ومؤامراتهم ، وكثرة استماع الناس لهذا الحديث.
- العقلية البسيطة التي تتسم بها المجتمعات الإسلامية اليوم ، والتي تفهم الأحداث فهمًا بسيطًا وساذجًا ، فالاعتقاد بالمؤامرة يريح من افتراض خلفيات ودوافع متداخلة وراء الأحداث.
- ضعف الثقافة السياسية وقلة الوعي بالواقع.
- ضعف الفاعلية وغياب فرص العمل المنتج ؛ وهذا يجعل التفكير بالمؤامرة مهربا نفسيًا ومخلصًا من العبء والشعور بالمسؤولية.

ولاشك أن الأمة مستهدفة ، وأن المسلمين محاربون ، لكن حين نتكلم عن أحداث محددة ومواقف معينة ونفترض التآمر ، فالواجب أن يكون منطقنا علميًا موضوعيًا يستند إلى أدلة وبراهين واضحة. إن الاعتدال في عرض كيد الأعداء ، والتركيز على أن الداء هو في داخلنا ، والتعود على الحديث العلمي المنطقي سيعين على تخليص عقول طلابنا من التعلق بعقدة المؤامرة.

١١ - التدريب على أشكال التفكير السليم:

مع الالتزام بالمنهج العلمي في التفكير يحتاج الشاب إلى أن يربى ويدرب على أشكال التفكير السليم ، وتشمل:

أ- النقد الذاتي بدل التبريري: ويعني الأسلوب الذي يُحمِّل فيه صاحبه نفسه المسؤولية عما يحدث له ولا يرميها على كاهل الآخرين. وحتى حينما يصيبه ما يصيبه من جراء ظلم الآخرين أو تآمرهم ، فإنه المسؤول في النهاية عن النهوض بنفسه ، وعن التفاعل مع الموقف بما يتناسب معه ، فيسيطر عليه التفكير العملي ؛ فهو أمام الأمر الواقع الآن فماذا عليه أن يفعل؟!.

ب- التفكير الشامل بدل الجزئي: من أشكال التفكير السليم أن ينظر الشاب إلى الظواهر نظرة شاملة ، وأن يتعامل مع الموقف من جميع جوانبه ، دون أن يسيطر عليه جانب واحد أو جزئية من الجزئيات. وهذا مما نفتقده كثيرًا ، فتعاملنا مع الظواهر والمواقف في الأغلب تعامل جزئي ، وتتحكم خلفياتنا المرجعية في اختيار محتوى ما ننظر إليه وما نهمله. ولعل الأحكام التي نصدرها على الأفراد أو الجمعيات أو المشروعات الإسلامية اليوم تمثل هذا الجانب.

ج- التفكير التجديدي بدل التقليدي: والتفكير التجديدي هو الذي يتطلع للتجديد ويتجاوز المجالات والأنماط التقليدية.

د- التفكير الجماعي بدل الفردي: ويشمل ذلك التفكير في مصالح الجماعة أكثر من مصالح الفرد ؛ فيفكر الشاب في مصالح الأمة ، وفي مصالح مجتمعه الواسع والمحدود دون أن يقتصر تفكيره على إطاره الفردي المحدد. كما يشمل ذلك ممارسة التفكير بصورة جماعية ، والاستنارة بآراء الآخرين والاستعانة بأفكارهم.

والتفكير الجماعي ليس مجرد إضافة أفكار الآخرين إلى فكرته بل إن النقاش المشترك ، والبناء على أفكار الآخرين وتطويرها يولد فكرة جديدة لا يمكن أن يوصل إليها بدون ذلك ، أو بمجرد جمع الأفكار المتناثرة. ومما يسهم في ذلك تهيئة مجالات في الأجواء التربوية للنقاش والتفكير الجماعي ، وتطوير الأفكار ، وهذا ينمي أيضًا عند الشاب احترام أفكار الآخرين والاعتدال في التعامل معها ، ومن أفضل الموضوعات التي يمكن أن تكون ميدانًا للتفكير الجماعي المشترك الأساليب والتجارب الدعوية ، ووسائل الخروج من المشكلات الشخصية ؛ إذ طبيعة هذه المجالات ترتبط بالأفكار أكثر من ارتباطها بالحقائق والقطعيات العلمية.

هـ - التفكير السُنني: من سنة الله -في خلقه أنْ جعل أمور الناس وحياتهم تسير وفق سنن ثابتة ، وحتى الخوارق والمعجزات لا تنفك عن العمل والجهد البشري ، فانظر إلى قصة نوح × كيف أمره الله لأ أن يصنع السفينة ويركبها مع المؤمنين ، وإلى

قصة مريم ' كيف أمرها الله لأ أن تهز الجذع ، وإلى قصة موسى × كيف أمره الله لأ أن يضرب بعصاه البحر ، وإلى هجرة النبي ص ، إن هذه المواقف رغم ما فيها من خوارق فإن الله لأ أمر البشر أن يأخذوا بالسبب. وانظر إلى أهل الكهف كيف أن الله حفظهم بأن ناموا في كهف لا تدخله الشمس وكان يمكن أن يتم ذلك ولو ناموا في الشمس والعراء.

وثمة عوامل تؤدي إلى الارتقاء بالتفكير السنني ، منها:

- الاعتناء بدراسة سنن الله في خلقه ، ومصادرها كثيرة ومتاحة.
- الاعتناء بدراسة القصص القرآني دراسة عميقة ، وتحليل المواقف فيها ، دون الاكتفاء بالسرد أو مجرد الوعظ والحديث العام.
- دراسة المواقف التاريخية بدءًا بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تاريخ الأمة.
- عند الحديث عن النصر والتمكين للإسلام ، وعن تأييد الله لعباده ، لابد من التركيز على أن ذلك إنما يتم – بعد توفيق الله - - بفعل السبب وبذل الجهد.
- عند تناول المشكلات التي تمر بالفرد ينبغي - مع التأكيد على الإيمان والتسليم بالقضاء والقدر - التركيز على مسؤولية الفرد عما يصيبه وعن النهوض بنفسه وتجاوز المشكلات.

١٢ - تعليم مهارات البحث العلمي: كما أن التعليم يعطي المرء ما يحتاجه من علوم ، فإن المتعلم كثيرًا ما تطرأ لديه مسائل وقضايا جديدة ، فلا يسوغ أن يبقى عالة على الآخرين ، ولا أن يقتصر دوره على السؤال عن كل قضية تجِدُّ لديه. لذا كان من الأهداف التي ينبغي أن يعنى بها في هذا الجانب أن يُعلَّم الطالب مهارات البحث العلمي التي تتناسب مع مستواه وقدراته ، فيُعلَّم كيف يبحث عن تفسير آية في كتاب

الله؟ وإلى أي كتاب من كتب التفسير يتجه حين يريد معرفة سبب النزول ، أو معنى له ارتباط بالإعراب ، أو بكلمة غريبة؟ وكيف يبحث عن حكم أهل العلم على حديث ما بالصحة أو الضعف ، وما الكتب التي تعينه على ذلك حين يكون الحديث في الأحكام ، أو في الأذكار أو في الآداب؟ وكيف يعرف معنى كلمة غريبة في السنة أو في لغة العرب؟ أو يجد تعريفًا بطائفة من الطوائف المشتهرة ، أو عَلَمٌ من الأعلام؟ وكيف يتعامل مع كتب الفقه والتفسير ...؟ الخ. ويُعَلَّم كيف يكتب بحثًا يتناسب مع قدراته؟ وما طريقة التعامل مع المصادر والمراجع...؟ الخ.

وهذا الهدف لابد أن يتم في المكتبة ، ويُركَّز في تحقيقه على التدريب العملي إلى أن يتقن الشاب هذه المهارات ، وأن يقتصر في الجانب النظري قدر الإمكان على ما يعينه على الأداء العملي. ويضاف لذلك ضرورة تعلم الموضوعية في التفكير والبحث ، والتفريق بين الآراء والانطباعات الشخصية ، وبين الأحكام الموضوعية المستندة للدليل والبرهان.

١٣ - تنمية القدرة على التعلم الذاتي: مهما طالت المدة التي يقضيها الشاب في تلقيه وتعلمه فلابد أن يصل لمرحلة الفطام العلمي والفكري ، واعتماده على مجرد التلقي والتفاعل مع البرامج المقدمة له غير كاف في نمو شخصيته. ومما يعين على استمراره في ميدان النمو والتحصيل: أن تُنمَّى قدرته على التحصيل الذاتي وبناء نفسه بنفسه. ويمكن أن يتم ذلك من خلال وسائل عدة ، منها:

- القراءة والتعويد عليها.
- أن تضمن الواجبات والتكاليف التي تعطى للطالب ما يعينه على التعلم الذاتي ، دون أن تكون وسيلة لتقويم التحصيل فقط ، ومن ذلك أن يكلف بقراءة صفحات محدودة من كتاب معين والإجابة بعد فهمها على أسئلة محددة ، لا تعتمد على التذكر والاستدعاء وحده.
- إعداد برامج ومصادر علمية تعين على التعلم الذاتي ، والاستفادة من

الوسائل العلمية الحديثة في تفريد التعليم: كالتعلم الإتقاني ، والتعليم المبرمج...وغيرها.

١٤- تنمية الإبداع والابتكار: يمثل الاعتناء بالجوانب الإبداعية والابتكارية جانبًا مهمًا من جوانب اهتمامات التربية المعاصرة اليوم. ولئن كانت التحديات المعاصرة تتطلب الاعتناء بتربية الجانب الإبداعي والابتكاري ، فالذين يُعدون للقيام بأعباء الدعوة والإصلاح هم أحوج الناس إلى ذلك ، ومن ثم فلا غنى للمربين عن الاعتناء بهذا الجانب.

ومن الأمور التي تعين على تحقيق التربية الإبداعية ما يأتي:

أ- تشجيع الإبداع والابتكار ، ودعم الأفكار الإبداعية.

ب- تطوير أساليب التعليم والعرض بما يسهم في زيادة القدرات الإبداعية والابتكارية.

ج- التدريب على التفكير الإبداعي والابتكاري.

د- التربية على التفكير العميق والتحليل.

ومن الوسائل التي تعين على تنمية هذا الجانب لدى المتربي:

- العمق في شخصية المربي ، فالمربي السطحي الساذج يكرس هذا النمط من التفكير لدى تلامذته ، لذا لابد من الاعتناء بهذا الجانب عند تحديد معايير من يختار للتربية ، وحين يُضطر إلى الاعتماد على عناصر تعاني قصورًا في ذلك فلابد أن تُتاح الفرص للمتربين للاستفادة من غير هؤلاء المربين من خلال قنوات أخرى.
- العمق في تناول القضايا العلمية والفكرية ، والابتعاد عن التناول السطحي الساذج.

الجانب الخلقي والسلوكي:

تبدو أهمية الاعتناء بالجانب الخلقي والسلوكي من خلال أمور:

- أن حسن الخلق منزلة عالية في الدين.
- أن مرحلة الطفولة والشباب هي المرحلة التي تتأصل فيها الجوانب الأخلاقية والسلوكية بشكل يصعب تغييره فيما بعد ، فالأخلاق الحسنة أو السيئة التي تتأصل في النفس في هذه المرحلة تصحب الإنسان في الأغلب بقيةَ عمره.
- أن الحياة والأوضاع الاجتماعية المعاصرة تشهد خللًا في الميدان الخلقي والسلوكي ، والمؤسسات التعليمية لا تولي هذا الجانب القدر اللائق به.
- أن الخلق مرآة تنعكس فيها شخصية المرء ، ويقيسه الناس بها ، وكثير من الناس يجد القبول والمكانة لدى الآخرين بل ربما أعطوه فوق منزلته لخلقه الحسن ، وفي المقابل كثيرٌ ممن يرفضه الناس وينفرون منه يكون الباعث على ذلك سوء خلقه ، وربما كان فيه صلاح وعلم وخير. لذا فأولئك الذين يُعدَّون لقيادة الناس وتوجيههم ودعوتهم هم أول من يحتاج للتخلق بالخلق الحسن ، حتى يربوا الناس على ذلك ويصبحوا قدوة لهم ، وقبل ذلك حتى يقبل الناس عليهم ويسمعوا منهم.

لهذه الاعتبارات وغيرها كان الجانب الخلقي والسلوكي ميدانًا مهمًا من ميادين التربية.

الهدف العام في الجانب الخلقي: تنمية الأخلاق الحسنة.

يعدُّ هذا الهدف عنوانًا جامعًا شاملًا لجوانب التربية السلوكية والخلقية ، وسائر الأهداف إنما هي فرع له وتفصيل. ولقد جاء الشرع بالحثِّ على محاسن الأخلاق والنهي عن مساوئها مطلقًا ، ونصَّ على جوانب من الخلق الحسن ، وجوانب من الخلق السيئ ، وترك جوانب من تفصيل ذلك وضوابطه لأعراف الناس التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. فالمروءة ومعاليها من محاسن الأخلاق ، بل هي مرتبطة بالعدالة وقبول الشهادة والرواية ، لكن تفاصيل ما يخرم المروءة وما لا يخرمها تختلف باختلاف الزمان والمكان ، والكرم خصلة كريمة محمودة باتفاق العقلاء ، وقد حضَّ عليها الشرع بل ربطها بالإيمان ، لكن أساليب الكرم وتطبيقاته تحكمها أعراف الناس من عصر لآخر.

ومع أهمية تفاصيل جوانب التربية الخلقية ، إلا أن ذلك لا يغني عن النظرة المجملة التي تسعى لغرس الخلق الحسن لدى المتربي في الجملة ، بحيث يصبح هذا الخلق سجية له وطبيعة ، ويسعى لتمثل معالي الأخلاق والبعد عن سفاسفها.

وسائل للتربية الخلقية والسلوكية:

تدور معظم جوانب التربية الخلقية والسلوكية حول هدف واحد هو غرس محاسن الأخلاق ، وتنقية النفس من ضدِّها ، وما ذُكر إنما هو تفريع وتفصيل لهذا الهدف. ومن ثم فالوسائل المعينة على تحقيق الجوانب الأخلاقية تملك قدرًا من الاشتراك ، ومن هذه الوسائل:

١ - القدوة الحسنة: يمثل سلوك الأب والمربي عاملًا مهمًا في بناء الجانب الخلقي ، وحين لا يتمثل المربي الخلق الحسن ، تكون نهاية كثير مما يقوله مع مَنْ يربيه عندما يتلفظ به. إن الأب أو المعلم الذي يكون سريع الغضب والانفعال ، أو الذي يعطي المواقف أكثر مما تحتمل ، لا يمكن أن ينتج جيلًا يتسم بالحلم والأناة. وكذا حين

يكثر المربي من تذكير من يربيه بسلبيات الماضي وأخطائه ، فلن يغرس لديه العفو والتسامح.

ومن ثم يتأكد في حق المربي مراجعة سلوكه وخلقه مراجعة هادئة بين آونة وأخرى ، ويحزم مع نفسه في التخلق والتأدب بما يريد أن يغرسه لدى من يربيهم ، والعلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم.

٢ - الاعتناء بشمائل النبي ص.

٣- مجالسة العلماء الربانيين: فلا غنى للشاب عن مجالسة أهل العلم الربانيين والاستفادة من علمهم وسمتهم وخلقهم ، وحري بالمربي أن يسعى لتعزيز هذا الجانب ، ومن وسائله:

- الالتزام بحضور دروسهم ومجالسهم.
- زيارتهم واللقاء بهم بين آونة وأخرى.
- استقبالهم ودعوتهم لزيارة أنشطة الشباب وبرامجهم.

٤ - دراسة أبواب الأدب والسلوك:

لقد اعتنى السلف في مرحلة مبكرة بالآداب والسلوك ، وكان من مظاهر هذه العناية:

- تصنيف كتب خاصة بالأدب والسلوك بعامة ، وبأدب طالب العلم والمعلم بخاصة ، ومن ذلك: الأدب المفرد للبخاري ، أخلاق العلماء للآجري ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله لابن عبد البر ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ، والفقيه والمتفقه وغيرها.
- أن كثيرًا من المصنفين في الحديث عقدوا أبوابًا في كتبهم للأدب والزهد.

- اعتبارهم الأدب والسلوك بابًا من أبواب العلم يُتعلم ويُعتنى به ، بل يُرحل من أجله. إن الاعتناء بهذه الدراسات ، واختيار مواد مناسبة منها تعرض للناشئة في برامجهم ومناهجهم العلمية يمكن أن يسهم في بناء الجانب الخلقي وتربيته لديهم. ومن نتائج الاعتناء بهذه الدراسات ربط الناشئة بحياة السلف وكتبهم ، وهو أمر تفتقده كثير من المناهج التربوية المقدمة للناشئة اليوم.

٥ - الثناء على المواقف الإيجابية: كما أن نقد المظاهر السلبية مطلب تربوي يسهم في تصحيحها وتقويمها ، فالثناء على المواقف الإيجابية يسهم في تعزيزها. والثناء قد يكون ثناء على صفة أو سلوك معين ، وقد يكون ثناء على فرد أو طائفة.

أهداف فرعية في التربية الخلقية والسلوكية: وهذه الأهداف الفرعية تؤدي إلى تحقيق الهدف العام المتمثل في بناء الخلق الحسن:

١ - تنقية النفس من الأخلاق السيئة: إن بناء الخلق الحسن في النفس لابد أن يصاحبه تنقيتها مما ترسب لديها من الأخلاق السيئة ، أو ما يسمى بـ(التخلية ثم التحلية) ؛ ذلك أن الشاب قد ينشأ في بيئة يغلب عليها الخلق السيئ أو يصحب صحبة غير صالحة فيألف الخلق السيئ ويصبح جزءًا من طبيعته ، ومن ثم لابد من جهد يُبذل في اقتلاع هذه الصفات وتنقية النفس منها.

٢ - تحقيق العفة والبعد عن الفواحش: ويتأكد هذا الجانب والعناية به في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن وأشرعت أبوابها ، وصارت وسائل الإغراء والإثارة تلاحق الشباب والفتيات في كل موطن.

إن نقطة البداية الصحيحة في التعامل مع هذه المشكلة تتمثل في سلوك أسباب الوقاية منها قبل وقوعها ، ومن أسباب الوقاية:

أ- التوعية بمخاطر الانسياق وراء دواعي الشهوة المحرمة ، وخطورة الفواحش وآثارها.

ب- تيسير فرص الزواج المبكر. وينبغي السعي لتذليل العقبات المادية التي تقف دون الزواج ، من خلال الدعم والمساعدة ، وإقناع الشباب بأن الزواج لن يكون بوابة للفقر والفاقة.

ج- سد الذرائع التي توصل وتقود إلى مقارفة الفاحشة ، ومما ينبغي أن يراعى في ذلك:

- غض البصر والنظر الحرام هو البداية الأولى ، وهو الشرارة التي توقد نار الشهوة.
- التفريق بين الأبناء والبنات ، وبين الأبناء مع بعضهم في المضاجع ، وينبغي مراعاة ذلك في الدور والمدارس التي يبيت الطلاب فيها.
- الابتعاد بالمتربين عن الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط والتبرج ، ويتعرضون فيها للنظر الحرام.
- الابتعاد بهم عن المجالس التي يكثر فيها الحديث عن أمور النساء وأخبارهن ، كما يجري في مجالس بعض كبار السن الذين يتساهلون كثيرًا في الحديث في ذلك ، وأقل ما في هذا أنه مخل بالمروءة والأدب ، إن سلم صاحبه من الإثم.
- الابتعاد عن الخلوة بالأمرد ، وقد حذَّر السلف من ذلك مع أنهم أهل الورع والتقى. وقد اقتضى الواقع التربوي اليوم ضرورة مخالطة هؤلاء ومعاشرتهم ، ومما يزيد المشكلة كون كثير من المربين غير متزوجين ، فالدعوة إلى المنع من اللقاء بهم غير واقعية ، والحاجة لمخالطتهم ينبغي ألا تشغل المربين عن مراعاة الضوابط الشرعية في معاشرتهم ، والبعد

قدر الإمكان عن الخلوة وما في حكمها.

- إبعاد الفتيان عن التشبه بالنساء ، أو المبالغة في التزين والعناية بالمظاهر.

هذه بعض الذرائع التي يمكن أن تكون طريقًا للوقوع في هذه الشهوة المحرمة. ومهمة المربي فيها تتمثل في إبعاد هذه الذرائع عن البيئة التربوية وتنقيتها منها ، وتوجيه المتربين إلى البعد عنها ، وإغلاق الأبواب التي تقودهم إلى الحرام.

د- إبراز النماذج والقدوات في العفة والتسامي ، ومن أعظم هذه النماذج ما ذكره الله - من قصة يوسف × ، والعناية بهذه القصة ودراستها ومقارنة ذلك بالواقع وإغراءاته مما ينبغي أن يكون له نصيب مهم في المناهج والبرامج التي تقدم للشباب والفتيات اليوم.

هـ- تقوية الإرادة والعزيمة في النفس ، والأخذ بزمامها ، وتعويدها ألا يستجيب لها في كل ما تدعو إليه وتأمر به.

و- تنمية دافع الحياء: والحياء له أثره الكبير في حماية صاحبه من مواقعة الرذائل.

ز- إشغال الشاب بمعالي الأمور وملء اهتماماته ووقته بالأعمال الجادة المثمرة ، فهي تصرف طاقته ، وتشغله عن التفكير في الشهوات ، وتبعده عن مواطنها.

٣- حفظ اللسان والمنطق: حفظ اللسان والمنطق يشمل البعد عن الألفاظ المحرمة شرعًا ، سواء كانت متعلقة بحق الله - ، أم بحق المخلوق كالسبِّ والشتم والسخرية ، ويشمل بذاءة اللسان ، والتصريح بما يُسْتَحْيَا منه.

وحفظ اللسان يحتاج إلى ترويض ومجاهدة للنفس ، وتعويد لها على المنطق الحسن ، واختيار الألفاظ والبعد عن الفحش ، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة.

٤ - التربية على الجدية: إن من يُعَدّ للدعوة إلى الله - ونصرة الدين يعد لمهمة عالية لا يقوم بها إلا الجادون الصادقون من الناس ، ومِن ثَمَّ كان لابد من الاعتناء

بتنشئة جيل جاد يكون أهلًا لتحمل المسؤولية والقيام بتبعة نصر الدين والذبِّ عنه.

ومن الأمور التي تعين على غرس الجدية:

أ- أن يكون المربي شخصية جادة ، يرى فيه تلامذته القدوة الحسنة والنموذج الصادق.

ب- التعامل بجد مع الأمور الجادة ، فالبرامج الجادة ، والمقترحات والأفكار الجادة لا ينبغي أن يكون فيها مجال للهزل.

ج- الانضباط في المزاح فهو البوابة للتربية الهزيلة ، ومن صور الانضباط في ذلك:

- قلة المزاح وعدم الإكثار منه ؛ فإن من كثر كلامه كثر سقطه.
- ألا يخرج المزاح عن الوقار والهيبة التي ينبغي أن يتسم بها طالب العلم ، وله أسوة بالنبي ص الذي كان لا يخرجه المزاح عن وقاره وسمته.
- ألا يكون المزاح في غير المواطن المناسبة له.
- الاقتصاد في برامج الترويح والتعامل معها باعتدال.

٥- التربية على العزة والشجاعة: من الصفات التي تمثل أهمية بالغة في بناء شخصية الداعية إلى الله لأ: العزة والشجاعة. العزة التي تدفعه إلى الاستغناء عما في أيدي الناس ، أو التطلع إلى نوالهم وتوقيرهم ، والشجاعة التي تدعوه إلى اتخاذ القرار المناسب حين يحتاج إليه ، وتدعوه للانتصار على نفسه حين تدعوه بداعي العجز أو الهوى ، ثم هي بعد ذلك تهيئ المرء للمهام العظام حين تُراد منه ، من قول كلمة الحق والجهاد في سبيل الله لأ حين ترفع الأمة رايته.

ويتأكد هذا المعنى اليوم ؛ إذ إن معظم مجتمعات المسلمين لا تغرس هذه المعاني في نفوس الناشئة ؛ بل هي تعودهم الاستكانة والخضوع ، والخوف والخور.

وهذه الأخلاق ميدان للتفريط والإفراط ، ومن ثم فهي تفتقر إلى الاتزان ، فالغلو في العزة يحولها إلى أنفة وكبر واعتداد بالنفس وتمسك بحظوظها ، والغلو في الشجاعة يحولها إلى تهور وطيش وسفه. وقد أمر الشرع بخفض الجناح للوالدين ، ووصف من نالوا منزلة حبهم لله وحبه لهم بالذلة على المؤمنين.

ومما يعين على تحقيق هذا الجانب:

- الاعتدال في أسلوب تعامل المتربي مع المربي ، والبعد عن الغلو في الخضوع والتعظيم ، كما يفعل جهلة أهل البدع.
- الاعتدال في العقوبة وترك الإغلاظ فيها ، فكثير ممن يُقْسَى معه في العقوبة تنشأ لديه عقد من الخوف والخور.
- عدم التحقير والإهانة ، والبعد عن الألفاظ التي تنبئ عن قلة الاحترام والتوقير ، والخطأ يعالَج باعتدال ، وليس مبررًا لاستخدام أساليب التحقير والمهانة ؛ فإن اعتياد الشاب على سماعها من معلمه ووالده يضعف العزة لديه ، ويهيئه لتقبل الهوان.
- التعويد على تحمل المخاوف الطبيعية ، وعدم المبالغة في التخوف عليه من الانفراد والخروج في المكان المظلم ونحو ذلك ، كما تفعل كثير من الأمهات.

٦- **التربية على الوقار ومعالي المروءة:** من شروط تحقق العدالة: البعد عما يخل بالمروءة ، ومن ثم كان مما ينبغي أن يُتعاهد في الناشئ غرس معالي المروءة ورعايتها ، فعلى المربي الحرص على أن يبعد عن البيئة التربوية كل ما يخل بالمروءة ، وأن يبتعد هو عن ذلك ليكون قدوة حسنة لطلابه.

٧- **التربية على السمت والهدي الحسن:** كان السلف رضوان الله عليهم يعنون بالسمت والهدي والأدب ، ويعدونه بابًا من أبواب العلم لا ينفصل عنه.

٨- **التربية على الأدب مع الأكابر**: من محاسن الأخلاق رعاية الأكابر وإنزال الناس منازلهم ، وارتباط المتربي مع المربي وطـول لقائه معه يقود إلى التبسط ورفع الكلفة ، مما يدفع ببعضهم إلى إساءة التعامل مع الأكابر والجفاء بحقهم. ونحن بحاجة إلى أن يحضر الشاب مجالس الكبار ، ويشاركهم أحاديثهم وحوارهم ، وفي الوقت نفسه يرعى الأدب معهم وينزل الناس منازلهم.

ومما يسهم في تحقيق هذا الجانب - بالإضافة إلى التأكيد عليه والتناول المعرفي-:

- تنبيه الشاب بصورة مناسبة حين يتجاوز حدود الأدب مع غيره ، مع مراعاة ألا يولد ذلك لديه النفرة من مجالسة الكبار ومشاركتهم أحاديثهم.
- احتفاظ المربي بقدر من الاتزان في التعامل مع مَنْ يربيه ، بحيث تبقى الصلة صلةً بين معلم وطالب ، وبين أب وابنه ، ولا تتحول إلى صلة زمالة وصداقة ؛ فلا يفرط في المزاح ، ولا يتعامل معه بما ينافي وقار الكبار.
- عند وقوع بعض التجاوزات من الطالب ينبغي على معلمه أن يتعامل معها بطريقة مناسبة ، فتقبلها يعزز هذا التصرف لديه ، ويشعره بأنه تصرف مقبول ، والإغلاظ معه يولد آثارًا غير حميدة ، ومن ثم فتجاهل التصـرف بطريقة لبقة تشعره بأن هذه الكلمة وهذا الموقف غير مناسب ، وتغني عن التصريح. هذه الطريقة في التعامل مع هذه المواقف تسهم في وضوح الصورة بين ما ينبغي فعله مع الأكابر وما لا ينبغي.
- أن يلمس ممن يربيه رعايته هو لهـذا الجـانب ، بتوقير معلميه واحترامهم ، والاعتراف لهم بالفضل والسابقة ، ولو صار الآن زميلًا لهم ، بل لو فاقهم في بعض المجالات ، وهذا دأب أهل العلم الذين

تربوا عليه ، نراهم يقدرون شيوخهم ويلهجون بالثناء عليهم والدعاء لهم ، مع أن بعضهم قد يكون ممن فاق شيخه علمًا وشهرة. وأن يلمس التلميذ من معلمه الأدب مع الكبار وأهل العلم والرأي ولو خالفهم في بعض آرائهم ؛ فحين يرى الطالب ذلك كله من معلمه يترك فيه أثره بإذن الله لأ.

٩- التربية على رعاية آداب المجالس: للمجالس آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها ، وورد الأمر برعايتها في السنة النبوية. ومهما قام المربي بتوجيه من يربيه وتعليمه آداب المجالس ، فإنه ما لم يشارك في هذه المجالس ، فيحضر فيها ، ويقول رأيه ، ويشارك في الحديث ... ، ما لم يُوضع أمام التجربة العملية فلن يكفي البناء المعرفي المجرد. ولذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ص ، بل ويقتربون منه ، ولم يُعدَّ ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يعين على ذلك أيضًا تدارس آداب المجالس والتعرف عليها ، والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الطالب ولو مع زملائه وأقرانه ؛ فتراعى فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكًا وسمتًا لهم لا يحتاجون إلى تكلُّفه.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب ، فلا بد حينئذ من تصحيح ذلك ، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك.

١٠- التربية على الرجولة والخشونة والبعد عن الترف: إن من إفرازات الحضارة المعاصرة اليوم أن غدت بعض مجتمعات المسلمين تعاني من انتشار مظاهر الترف ، مما ولَّد جيلًا من المترفين لا يطيق حياة العزيمة والجد ، وهو جيل يبحث عن الراحة والكسل ، ويتقاعس عن معالي الأمور.

ومن ثم أصبح على التربية اليوم عبءٌ أكثر من ذي قبل ، وصارت بحاجة إلى أن تجعل غرس معاني الرجولة والبعد عن حياة الترف والترهل هدفًا من أهدافها التربوية.

ومن وسائل الوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه:

- غرس مفهوم الجدية ، وبيان مساوئ حياة الترف والبطالة.
- التقليل من مظاهر الترف في البرامج المقدمة للشباب ، مع مراعاة الاعتدال والتدرج في ذلك ، ولتكن البداية في إيجاد فرق بين حياة الشاب في المنزل ، وحياته في مثل هذه البرامج ، بل الواجب على الأب أن يخفف من مظاهر الترف في تربيته لأبنائه.
- تنظيم بعض البرامج الجادة كالرحلات والبرامج العلمية التي تعوِّد الشباب والأبناء على الجدية والرجولة ، وعلى التخلي عن بعض ما اعتادوه من حياة مترفة منعمة.

١١ - التربية على العزيمة والبعد عن الكسل: العجز والكسل داءان ينخران في الإنسان ، ويقعدان به عن مصالح دينه ودنياه ، وحين يعتاده المرء يصبح سجية له ؛ فتثقل نفسه ، وتضعف همته ، وتفوته مجالات الخير في الدنيا والآخرة ، ولسوء هذين الداءين كان النبي ص يستعيذ بالله منهما.

ولا بد من المبادرة بتخليص الشاب من هذه الخصلة الذميمة في وقت مبكر قبل أن تستفحل وتتحول إلى خلق يصعب اقتلاعه. ومما يعين على ذلك تعويده على الاستيقاظ المبكر ، وعدم طول البقاء في الفراش ، وتعويده على المبادرة إلى إنجاز الأعمال وترك التسويف ، والاتزان في أوقات الراحة وترك الإطالة فيها. كما أن المرء يحتمل في حياة الجماعة ما لا يحتمله لوحده ، فمعيشته أجواءً جادة مع صحبته وممارسته لأنشطة تحيي العزيمة ، مما يعينه على التحمل وترك الإخلاد إلى الراحة.

١٢ - التربية على اغتنام الأوقات: الوقت هو عمر الإنسان وهو حياته ؛ فالمرء أيام كلما مضى يوم مضى بعضه. وكثير من المسلمين اليوم يعانون من إهمال الوقت وتضييعه ، ويديرون أوقاتهم بطريقة سيئة ، وللصالحين وطلبة العلم نصيب من ذلك.

إن الرجل الجاد في تعامله مع وقته ينتج أضعاف ما ينتج أقرانه ، ومن ثم فالتربية التي تعنى بغرس احترام الوقت وحسن اغتنامه ستخرج جيلًا يؤدي أضعاف ما يؤديه غيره. ومما يعين على ذلك:

- معرفة أحوال السلف في حرصهم على أوقاتهم واغتنامهم لها ، ففيها عبر عظيمة ؛ فهي تعلي الهمة وتزيد العزيمة ، وتجعل المرء يحتقر نفسه وجهده.
- الاستفادة من الأساليب الحديثة في إدارة الوقت والتعامل معه.
- التعويد على استغلال أوقات الانتظار ، وعدم بقائه في المنزل ينتظر صاحبه وهو فارغ غير مستفيد من وقته.
- التعويد على القراءة ؛ لتصبح سجية وطبيعة له ، فمن لا يقرأ يصعب عليه أن يستفيد من وقته.
- الانضباط قدر الإمكان في المواعيد والأوقات ، وتعويد الشاب على احترام أوقات غيره.
- ترك أوقات فراغ للشاب ؛ وعدم إشغاله طيلة الوقت ، وتوجيهه إلى أنشطة يمكن أن يستثمر فيها وقته ؛ فمن لم يكن لديه وقت فراغ يتعامل فيه بمفرده فلن يعتد على اغتنام وقته. إن بعض المربين يعمد إلى إشغال معظم وقت الشاب حفاظًا عليه ، ولا شك أن المقصد خير ، لكن ذلك يُعَوّده على انتظار أن يشغل الآخرون وقته ، وحين يتهيأ له فراغ فقد لا يتعامل معه بصورة صحيحة ، إضافة إلى أن ذلك يشغله عن القيام بواجباته المدرسية ، ويعزله عن ارتباطاته الاجتماعية ، وربما تضايق بعض الآباء من هذا المسلك.

١٣ - التربية على النظام في الحياة والتفكير: تسود الفوضوية اليوم في حياة كثير من المسلمين ، وتسيطر على جوانب كثيرة من حياتهم ، فحياة المنزل ، والعلاقات الاجتماعية ، والمؤسسات الإدارية تتسم بالفوضوية. ويبدو أثرها على نمط تفكيرهم ، فأفكارهم تبدو غير مركزة ولا محددة ، وكذا حديثهم وحوارهم. وهذه السمة العامة في المجتمع لابد أن تترك أثرها على الدعاة والمربين ومن ثَمَّ كان لابد من الاعتناء بالتربية على النظام في الحياة والتفكير.

ومن وسائل تحقيق ذلك:

- اعتناء المعلم بتنظيم أفكاره وخواطره حين يعرضها.
- تنظيم الحوار والنقاش من خلال تركيز المربي على تحديد جوانب الاتفاق والخلاف ، وحصر دائرة النقاش ، وإجادة الاستماع للآخرين ... الخ.
- التنظيم غير المتكلف في البيئة المنزلية والمدرسية وسائر المؤسسات التربوية ، ووجود أنظمة واضحة محددة يعتاد الجميع على الالتزام بها.

الجانب الاجتماعي:

يشكل البناء الاجتماعي جانبًا مهمًا في التربية الإسلامية ؛ إذ الفرد لا يمكن أن يحيا حياة سوية مستقيمة دون أن يعيش في مجتمع يلجأ إليه ويشعر بالأمان في كنفه ، ومن ثم كان السجن الانفرادي عقوبة يعاقب بها المجرم ، وجاء الشرع بتغريب الزاني عامًا عن بلده ، كل ذلك يعطينا الدليل على قيمة المجتمع في حياة الإنسان. لذا فالتربية التي تتعامل مع الإنسان باعتباره كائنًا منفصلًا تعد تربية قاصرة ، وكان لا غنى لأي بناء تربوي أن يعنى بالجانب الاجتماعي وتنميته.

كما أنه لابد لنا من الاعتناء بالجانب الاجتماعي لأننا نستهدف إخراج فئة من الشباب يكون لهم تأثير في مجتمعاتهم ، ويسهمون في بنائها وتوجيهها الوجهة السليمة ، وما لم يملك هؤلاء الخبرات والمهارات الاجتماعية ، وما لم نضع ضمن أهدافنا الاعتناء ببناء الجانب الاجتماعي لديهم ، فلن يستطيعوا تحقيق التغيير الذي تتطلع إليه مجتمعاتهم. وقدرتهم على التغيير في مجتمعاتهم والتأثير فيها لا تنتهي عند مجرد تربيتهم باعتبارهم أفرادًا ، ولا عند مجرد قدرتهم على الحديث والخطاب مع الآخرين ، بل هو أمر فوق ذلك كله.

ومن جانب آخر فالمجتمع يترك أثره على الأفراد الذين يعيشون فيه ، وحين نريد تنشئة فئة من الناس تخالف بعض الاتجاهات السائدة في المجتمع فالأمر فيه من الصعوبة ما فيه ، ومن ثم فلا غنى لنا عن السعي لمزيد من الإصلاح الاجتماعي والمحصلة النهائية رعاية أولادنا وشبابنا.

الهدف العام في الجانب الاجتماعي: تنمية الجانب الاجتماعي.

وسائل عامة في الجانب الاجتماعي:

١ - تعليم الآداب والأحكام الشرعية في الحياة الاجتماعية:

جاءت أحكام الشرع شاملة لكل نواحي الحياة ، وما من ميدان من ميادين

الحياة إلا ولله فيه حكم يُتعبد المسلم به ، ومن مقتضيات ذلك كله أن يكون لدى المسلم علم بجملة كبيرة من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية ، كآداب الكلام والطعام والشراب ، وآداب المشي والجلوس والنوم ، وآداب التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم ، وآداب الاستئذان على الوالدين ، وآداب المساجد ، وآداب الطريق والسيارة ، والأدعية الخاصة بكل ناحية من هذه النواحي ، وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي التي ينبغي على المسلم الوقوف عليها. ومن ثم لابد من الاعتناء بتعليم هذه الأحكام والآداب وتدارسها ، والسعي لتطبيقها في البرامج والأنشطة التي تقدم للطلاب.

٢ - **الأنشطة والبرامج الترويحية**: ينظر كثير من الناس إلى برامج الترويح على أنها مضيعة للوقت وإفساد له ، وأن تعاطيها إنما هو من باب إتيان الضرورات. ومن زاوية أخرى فإن هذا الجانب أخذ لدى الناس أكثر من حقِّه في هذا العصر ، حتى انتشرت ألوان من الترويح المحرم ، وارتبط بالترويح المباح جوانب قد تخرجه إلى دائرة الحرام ، أو صار طاغيًا مفسدًا للأوقات.

ومع ذلك كله يبقى اعتناء المربين ببرامج الترويح وتنظيمهم لها أمرًا له أهميته للأمور الآتية:

أ- أن ممارسة الترويح كان هديًا نبويًا.

ب- أن الترويح يلبي حاجة نفسية مهمة.

ج- أن الترويح يذهب الملل والسآمة ، وينشط النفس لمعاودة العمل.

أن الترويح له أثر مهم في تفريغ الطاقة الهائلة التي يمتلكها المراهق ، لذا كثيرًا ما يوصي علماء النفس عند تناولهم موضوع الشهوة الجنسية لدى المراهق بالاعتناء بالأنشطة الرياضية.

د- أن إقامة المربين للأنشطة الترويحية للشباب وتنظيمها لهم يقدم بديلًا يصرفهم عن الأنشطة الترويحية السلبية ، كمشاهدة الأفلام والمسلسلات ، أو التسكع في الطرقات والأسواق. كما يقدم لهم بديلًا عن ممارسة الترويح مع أصدقاء السوء ، وكثير من الشباب كان سبب وقوعهم مع أصدقاء السوء ممارستهم للأنشطة الترويحية معهم.

هـ- أن ذلك يمكن أن يكون مُرَغِّبًا للشباب في المشاركة في الأنشطة الثقافية والتربوية التي يصاحبها برامج في الترويح.

و- أن تنظيم البرامج الترويحية يمكن أن يستثمر في تحقيق بعض المعاني التربوية المهمة ومنها:

- تعويد الشباب على تهذيب الألفاظ وصيانة اللسان ؛ إذ الرياضة التي يمارسها الشباب اليوم تولِّد لدى أصحابها حماسة ربما أخرجتهم عن اتزانهم ووقارهم ، وحين يمارسون الرياضة في الأجواء السليمة يعتادون حسن المنطق وتهذيب اللسان. وليس المقصد في تهذيب اللسان البعد عن الألفاظ المحرمة ، فهذه قضية لا نقاش فيها هنا ، بل ما هو أبعد من ذلك من حسن العبارة والحلم والهدوء اللائق بالمسلم.
- تعويدهم على جعل الترويح وسيلة لا غاية ، وعلى إعطائه الاهتمام الذي يتناسب معه دون إفراط وتجاوز ، كما هو الحال لدى كثير من شباب المسلمين اليوم.
- تعويدهم على المعاني الجماعية ، وعلى العيش في إطار أخوي.
- تنويع مجالات الترويح وبرامجه بحيث تشمل بعض البرامج الترويحية ذات البعد الثقافي والعلمي ، وألا يقتصر الترويح على الأنشطة الرياضية وحدها.

٣- إنشاء الجمعيات الاجتماعية: مع تعقد الحياة اليوم أصبحت كثير من الأعمال التي تتم بطريقة فردية يصعب أن تؤدى إلا من خلال عمل وجهد جماعي ، ومن ذلك الأعمال الاجتماعية. ومن ثم فإنشاء الجمعيات الاجتماعية وإحياؤها مطلب مهم ، وهو بالإضافة إلى كونه ميدانًا تؤدى من خلاله الأنشطة الاجتماعية ، فهو يدرب الشباب والناشئة على العمل الاجتماعي والمهارات الاجتماعية ، كما يدربهم على العمل الجماعي ويُعَوِّدُهم عليه ، ويتيح فرصة مهمة لرفع الكفاءة الإدارية والتدريب على مهارات إدارة العمل الدعوي.

ويمكن للمربي أن يدفع بطلابه إلى إنشاء مثل هذه الجمعيات ، وقد تكون جمعيات مصغرة تتناسب مع حجم العمل والقدرات التي يمتلكها الشباب. ومن الجمعيات التي يمكن إنشاؤها جمعيات في الحي ، كجمعيات تهتم بالصدقة أو الزكاة ، أو تلمس الأسر المحتاجة ، أو رعاية أسر السجناء ، أو توزيع فائض الأطعمة والولائم ، أو إيجاد فرص عمل للعاطلين ... الخ.

كما يمكن أن تنشأ جمعيات داخل المدارس ، كجمعيات تهتم بأصحاب الظروف المادية الصعبة ، أو جمعيات لعلاج ظاهرة التدخين أو لمساعدة الشباب الضعاف دراسيًا ...الخ. وفتح المجال أمام الشباب في مثل هذه الأعمال يمكن أن يولِّد أفكارًا وأعمالًا رائعة ربما لا يجيدها غيرهم.

٤ - التعاون مع الجمعيات الخيرية: توجد جمعيات خيرية قائمة في مجتمعات المسلمين ، وكثير من هذه الجمعيات تقوم أعمالها على التعاون والتبرع ، وقلما تملك موظفين متفرغين. ولو قام المربون بتوجيه بعض طلابهم للعمل يومًا واحدًا في الأسبوع مع هذه الجمعيات وتولي مهام محددة فيها لأنتج ذلك بإذن الله نتاجًا طيبًا.

ومع ما في هذا العمل من قيام بالواجب الشرعي ، وأداء لجزء من رسالة الدعوة والدعاة تجاه المجتمع ، فهو فرصة مهمة لتدريب الشباب على مهارات العمل الاجتماعي ، ولزيادة الدافع الاجتماعي لديهم.

إن مثل هؤلاء هم الذين سيتولون هذه الجمعيات والأعمال مستقبلًا ، وهذه الأعمال تحتاج إلى شخص لديه الدافع والحماس للعمل ، ولديه الشعور بالقدرة على الإنجاز ، ويمتلك المهارات اللازمة لمثل هذا العمل. وكل ذلك لا يمكن أن يتحقق بمجرد تبني الشاب لمفاهيم يحولها في المستقبل إلى عمل منتج ، وما لم يبدأ بالإعداد في هذه المرحلة فسنفقد كثيرًا ممن يمكن أن يكونوا عاملين منتجين ، أو ستدار هذه الأعمال بأنصاف عاملين.

أهداف فرعية في البناء الاجتماعي: من الأهداف الفرعية المهمة في الجانب الاجتماعي ما يلي:

١ - **ربط الشاب بالرفقة الصالحة:** يحرص كثير من الآباء على حماية أبنائهم من أسباب الفساد ، وقد يدفعهم هذا الحرص إلى عزلهم عن الرفقة والصحبة خوفًا عليهم ، وهذا مسلك غير سليم ؛ ذلك أن الرفقة مطلب نفسي لا يستغني عنه الإنسان ، وخصوصًا في مرحلة المراهقة ، وبوجود الرفقة المنسجمة يتم قضاء الأوقات وتبادل الآراء والخبرات وبث الآمال ، والتشارك في الأحاسيس والمشاعر.

ويتعذر منع الشاب المراهق عن الرفقة أو فرض العزلة عليه ، وهو أمر يصطدم مع طبع الإنسان وجبلته ، ويحرمه من حاجة نفسية مهمة ؛ ولذلك كان السجن الانفرادي عقابًا قاسيًا ؛ لأنه يعزل الإنسان عن حاجة من حاجاته المهمة ، ويحرمه من الاجتماع بالناس والاختلاط بهم ، وبث همومه وأحزانه وأشجانه إليهم.

لذا على الوالدين الاعتناء بهذا الجانب المهم من الجوانب التي تسهم في بناء شخصية الشاب ، ويراعى في ذلك:

- المبادرة قدر الإمكان في ربط الشاب بصحبة صالحة ؛ إذ إنه حين يرتبط بغير الصالحين يصعب تخليصه منهم ، وهذا يجيب على تساؤل يثيره كثير من المربين حول جدوى الارتباط الدعوي مع طلاب المرحلة

الإعدادية – المتوسطة - فالمبادرة في ذلك تحميهم من الارتباط بصداقات يصعب تخلصهم منها فيما بعد.

- ألا تُفرض عليه الصداقة فرضًا ، بل يوجَّه لها بطريقة عفوية ، كاختيار المدرسة ، والاتفاق مع الآباء أنفسهم ، والزيارة أو الرحلات المتبادلة بين الأسر ، وتكليفه بمهام مشتركة مع بعضهم ، ومشاركته في الأنشطة المدرسية والمراكز الصيفية ونحوها من الميادين التي تجمع أمثال هؤلاء.
- ينبغي أن يعتني الأب برفقة ابنه ، ويحسن استقبالهم ، ويشجعه على دعوتهم إلى المنزل.
- ينبغي تجنب المعايير غير الصحيحة لاختيار الأصدقاء ، ككونهم من الجيران ، أو من الأقارب ، أو أن الأب يعرف أسرهم وآباءهم ... الخ. وغني عن التأكيد أنه في المحاضن التربوية التي تجمع الرفقة الصالحة ينبغي أن تؤصل هذه المفاهيم لا أن تكون مجرد روابط اجتماعية.

٢ - التعويد على تحمل المسؤولية: من الحاجات الملحة للشاب في هذه المرحلة: الحاجة للمسؤولية ، وهي تشعره بأنه بلغ مصاف الرجال ومنزلتهم ، إضافة إلى أنها تصرفه عن كثير من مظاهر العبث واللهو وتشعره أنه فوق ذلك كله ، وبالإضافة إلى ذلك فالاعتناء بتنمية هذا الجانب يخدم الأمة ، ويهيئ لها طاقات فاعلة ومؤهلة لأداء الأدوار الإيجابية.

ومن الأمور التي تعين المربي على تحقيق هذا الهدف:

- بيان مفهوم البلوغ وما يترتب عليه من أحكام ، وأنه يعني أن الشاب قد بلغ مبلغ الرجال.
- الاعتناء بأخذ رأي الشاب والحوار معه ، من خلال المنزل وإشراكه في القرارات المناسبة التي تتخذها الأسرة.
- وضع الشاب في مواطن يتحمل فيها المسؤولية ، وتكليفه بمهام تشعره بذلك ، كتكليفه ببعض الأعباء والمهمات الأسرية - مع مراعاة عدم الإثقال في ذلك.
- أن يحيل المربي ما يمكن إحالته من الأعمال التي يمارسها إلى المتربين أنفسهم. وتفويض المربي لهذه المهام يحقق هدفين: الأول: تفرغه لمهام أكبر ، وتمتعه بسعة من الوقت وهدوء بال تجعله أقرب إلى نفوس طلابه. الثاني: الاعتماد على الشباب وتحميلهم المسؤولية ، وهذا ضروري في بنائهم الاجتماعي السليم.

٣ - الإعداد للحياة المادية: يمثل الإعداد للحياة المادية اليوم مطلبًا تربويًا مهمًا ، ويتأكد الاعتناء بهذا الجانب في المؤسسات والقطاعات التربوية الدعوية ؛ فهي تهدف إلى تحقيق الاستقامة لدى المرء ، وكثيرًا ما تتجاهل الجوانب التي يحتاج إليها في حياته الدنيا ، بل ربما وقفت عائقًا دونها لأجل أن يتاح وقت أطول للمتربي يتلقى من خلاله التربية في هذه المؤسسات الدعوية.

ومما يؤكد أهمية هذا الأمر أن الشرع قد اعتنى بهذا الجانب ، فقد ورد الأمر بطلب الرزق ، ونهى الشرع عن سؤال الناس وتكففهم وذمَّه.

ويزداد تأكد هذا الأمر مع تقلص فرص العمل وصعوبتها في كثير من المجتمعات الإسلامية. وتتمثل المجالات التي يمكن للتربية أن تعتني بها لتحقيق هذا

الهدف ما يلي:

أ- تكوين الاتجاه الإيجابي نحو العمل: تعاني شرائح من مجتمعات المسلمين من اتجاهات سلبية تجاه العمل اليدوي والحرفي ، أو تجاه مجالات معينة من مجالات العمل. والخطوة الأولى في التربية على قيم العمل تتمثل في تكوين الاتجاه الإيجابي وتعزيزه ، فما لم يوجد الدافع فكل الخبرات والمهارات لا قيمة لها. ومن الوسائل التي تعين على تحقيق هذا الهدف:

- إبراز الجانب الشرعي والنصوص التي تحث على طلب الرزق وتحصيله ، وتحث على العمل والكسب ، مع إبراز ما ورد في ذم المسألة والعيش عالة على الآخرين.
- علاج الاتجاهات السلبية تجاه العمل الحرفي والمهني.
- إبراز هذا الجانب في سير الأنبياء ‡ كما ورد في القرآن عن موسى من رعيه للغنم.
- إبراز هذا الجانب في سير الصحابة ي وسير السلف من بعدهم ، فإن مما يعوق بعض الشباب عن ذلك اعتقاد أنه يتعارض مع الصلاح والتقوى.

ب- إكساب الخبرات: لقد تعقدت الحياة المادية اليوم ، وصعبت متطلبات الحياة ، فالمطالب الضرورية للحياة زادت وأصبحت في خارج القدرة المادية لكثير من الناس. فالسكن والنقل والأثاث والغذاء ... الخ لم تكن مشكلة فيما مضى ، وكانت متاحة للغني والفقير ، أما اليوم فهي تستهلك جزءًا كبيرًا من دُخُول الناس. وفرص الكسب هي الأخرى تعقدت ؛ ففيما مضى كان الإنسان يعيش في مزرعته أو مع ماشيته فيتقوت منها ومن يعول ، أما اليوم فمصاريف الزراعة والرعي صارت فوق طاقة الكثيرين ، ناهيك عن عدم كفاية دخولها. ومن ثَمَّ كلما ارتقى مستوى تعليم الفرد

وازدادت خبرته زادت فرص حصوله على مصدر رزقه.

وبناءً عليه فإن من مسؤولية المربي فتح المجال أمام الشاب لمنحه الخبرات التي تزيد من تأهيله لفرص العمل. وهذا لا يعني أن تتحول المحاضن التربوية إلى مراكز مهنية وتدريبية ، لكن مما يُنتظر منها ما يأتي:

- تشجيع الشاب على التفوق الدراسي ومساعدته على ذلك ، وتنظيم البرامج التربوية بما لا يؤثر على التحصيل الدراسي.
- إتاحة الفرص للالتحاق ببعض الأنشطة والبرامج التدريبية التي يرغب الشاب في الالتحاق بها.
- استثمار الإجازات الصيفية وتخصيص جزء من الأنشطة الصيفية لتنمية هذه الجوانب ، ومع وجود قدر من الاعتناء ، بذلك فهو يحتاج إلى تعزيز وترشيد بحيث يكون مثمرًا ومحققًا للهدف.
- التواصل بين المؤسسات التربوية (كحلقات التحفيظ والجمعيات الخيرية والدعوية) وبين الخيِّرين من العاملين في القطاع الخاص وبوجه أخص في الإعداد والتدريب ، ومن خلال ذلك يمكن تقديم برامج خاصة وجماعية إما دعمًا للأنشطة التربوية ، أو تخفيضًا للتكلفة ، أو لإيجاد بيئة منضبطة ومحافظة.

ج- تنمية المثابرة والعزيمة: من أهم قيم العمل ومتطلبات نجاح العامل المثابرة والعزيمة ، لذا لا نزال نرى كثيرًا من الشباب حين يلتحقون بمجال من مجالات العمل سرعان ما يملون ويسأمون ، أو لا يجيدون التلاؤم مع بيئة العمل ، فهذا يدعو إلى الاعتناء بتنمية روح المثابرة والعزيمة لدى الشاب وتقوية هذا الجانب لديه. ولعل ما سبق تناوله عند الحديث عن العزيمة والبعد عن الكسل (في الجانب الخلقي والسلوكي) يعين على ذلك.

د- تنمية تقدير المسؤولية: من المشكلات التربوية للجيل المعاصر غياب تقدير المسؤولية وتحملها ؛ فالتربية المعاصرة تُعوِّد الطالب على التلقي السلبي ، وعلى الاعتماد على الآخرين ، ويبقى إلى أن يتجاوز العشرين من عمره وهو عالة على والديه. وهذا له أثره السلبي في تأهله للعمل ، ومن ثم كان جديرًا بالمربي أن يعنى بتنمية الشعور بتقدير المسؤولية لدى الشاب ، من خلال تأصيل مبدأ المسؤولية في طبيعة الأنشطة التي يتلقاها ويشارك فيها ، مع مراعاة أن يكون ذلك بالقدر الذي يتناسب مع قدراته وإمكاناته ، وبما لا يكون منفرًا ومعوقًا له عن الاستمرار في هذه الأنشطة. بالإضافة إلى تهيئة فرص عملية لتحمل المسؤولية.

هـ- تنمية مهارات إتقان العمل: إتقان العمل يزيد من فرص النجاح في الأعمال الشخصية ، كما أنه يتيح لصاحبه فرصًا أكبر في القطاعات الأهلية. وتعد مرحلة الشباب مرحلة مهمة في تنمية مهارات إتقان العمل ، وهو سلوك يتعلمه الشخص ويتسم به أكثر من مجرد ارتباطه بحرفة أو عمل مهني. ومن ثم فتنمية هذا السلوك لدى الشاب في دراسته ، وفي ممارسته للأنشطة الثقافية والاجتماعية ، كل ذلك سيترك أثره على إتقانه لعمله الوظيفي فيما بعد.

ومن الوسائل المعينة على تنمية هذا الجانب:

- مطالبة الشاب بمزيد من الإتقان فيما يقوم به وينفذه من أنشطة ، ويمكن أن تكون الحوافز والمسابقات وسيلة مساعدة في ذلك.
- تنظيم أنشطة تتطلب قدرًا أكبر من الإتقان ، واستثمارها فرصة للتدريب على ذلك.
- جعل الإتقان سمة للبرامج وأنظمتها ، والارتقاء بمستوى الضبط لها ؛ فهو يحول الإتقان إلى سلوك شخصي مستقر لدى الشاب.
- التزام المربي بمراعاة ذلك فيما يقدمه من برامج وأعمال ، ومن أقرب

الأمثلة على ذلك الموضوعات الثقافية التي يقدمها لطلابه ، فكلما لمسوا منه الاعتناء والإتقان أثَّر ذلك في اكتسابهم لهذا السلوك.

ز- الارتقاء بالوعي الاجتماعي والاقتصادي: مما تتسم به بعض البيئات التربوية استهلاكها لوقت الشاب وعزله عن كثير مما يدور في المجتمع. وبغض النظر عن سلامة هذا الموقف أو عدم سلامته إلا أن من المهم علاج بعض الآثار الناجمة عنه. إن طائفة من الناشئة لا يزال بمعزل عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، ولن يستوعبها إلا بعد جيل قادم ، وربما برزت أمام الجيل القادم مشكلات أخرى. ومن ثم فنشر قدر من الوعي بهذه التغيرات ، والاعتناء بتحقيق قدر من الفهم للنواحي الاقتصادية والاجتماعية أمر له أثره في إعداد الشاب للعمل والحياة المادية.

٤- تنمية مشاعر البر والصلة: إن البر والصلة من أعظم الأخلاق والمعاني الاجتماعية التي دعا إليها الشرع ، والمربون اليوم ليسوا بحاجة إلى الاستطراد في الحديث عن أهمية هذا الجانب ، وحتى الفئة المستهدفة تعيه من حيث الأصل ، إلا أنها بحاجة لمزيد من الرعاية ، وإلى أن تسهم المحاضن التربوية في تنمية هذا الجانب وتعزيزه لديها.

ومن الوسائل المهمة التي تعين على تحقيق هذا الجانب:

أ- تناوله والحديث عن أهميته والتذكير به بين آونة وأخرى.

ب- أن يكون المربي قدوة في ذلك ، ويلمس تلامذته منه اعتناءه بهذا الجانب ، فهو حين يعتذر عن حضوره لبعض المناسبات أو البرامج معتذرًا بوالديه ورعايته لهما ؛ حين يفعل ذلك يترك أثرًا أعظم من أثر الكلمات والتوجيهات التي يلقيها عليهم ويعتني بها.

ج- تقدير أعذار من يعتذر من الطلاب بوالديه أو صلة أقاربه ، بل تشجيعه على ذلك ، ويكفي في هذا أن النبي ص كان يمنع من المشاركة في الجهاد - حين يكون تطوعًا - دون إذن الوالدين.

إن من الأساليب الخاطئة ما يمارسه بعض المربين مع طلابهم - نتيجة الحرص على مشاركتهم في بعض البرامج - دعوته لإهمال شأن والديه ، وعدم قبول اعتذاره المتعلق برعايتهما أو استئذانهما ، وكأن هذا البرنامج تتوقف عليه نصرة الدين ورفعة رايته ، والقاعد عنه من المخلفين المتثاقلين للأرض.

د- تشجيع الطلاب على حضور المناسبات واللقاءات العائلية والاجتماعية المنضبطة بالشرع ، ومراعاتهم في ذلك.

٥ - تنمية القدرة على بناء علاقات اجتماعية ناجحة:

النجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى للداعية عنه ، وهو مفتاح تأثيره على الأقربين الذين هم أولى بدعوته من سائر الناس ، كما أنه لا غنى له عنه ليعيش حياته الاجتماعية ، ومن ثم تبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه القدرة لدى الشباب. ومن وسائل تحقيق ذلك:

أ- إبراز أهمية الجانب الاجتماعي والحاجة له.

ب- تنمية الجانب الخلقي الذي يجعل الشاب مقبولًا من الآخرين ، وقد سبق الحديث عن الجانب الخلقي والسلوكي.

ج- تحقيق قدر من الاندماج الاجتماعي والتخفيف من العزلة التي يعيشها كثير من الشباب الصالحين تجاه المجتمع.

د- تنمية مهارات التعامل مع الآخرين والتعويد على احترامهم.

٦- تنمية الشعور بالمسؤولية الاجتماعية: إن الفرد مرتبط ارتباطًا شديدًا بمجتمعه ، ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع أو بمعزل عنه ، فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته ، وعلى الفرد واجبات ومسؤوليات نحو مجتمعه كما أن له حقوقًا ينبغي على المجتمع أن يعنى بتقديمها له.

ومن الأمور التي تعين على تحقيق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:

- الاعتناء بإبراز النصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية ، كالإصلاح بين الناس ، وإعانتهم ، والكلمة الطيبة صدقة وإماطة الأذى عن الطريق ورد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس.
- الاعتناء بتأصيل المنهج الشرعي في الخلطة والعزلة ، وأن مخالطة الناس ومعايشتهم والصبر على أذاهم خير من اعتزالهم.
- الاعتناء ببيان الجوانب الإيجابية والمشرقة في المجتمع ، والسعي للحفاظ عليها وتدعيمها ، والأمر لا يعني التفاخر والوطنية الضيقة ، بقدر ما يعني تعزيز المكتسبات والاعتناء بها.
- تنمية الشعور بالمسؤولية الدعـوية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد ، وهذا الأمر مما يعين الشاب المسلم على العيش في المجتمعات المعاصرة اليوم ، التي تعاني ألوانًا من الانحراف ، ويبتعد به عن الغلو والشطط والموقف السلبي من المجتمع.
- الاعتدال في نقد الأوضاع الاجتماعية ، وتوجيه ذلك فيما يحفِّز على السعي للإصلاح والتغيير ؛ إذ الإفراط في النقد المجرد يورث السلبية ، ويدعو الفرد للهروب من المجتمع.
- إشراك الشاب في الأنشطة الاجتماعية ، كالجمعيات الخيرية التي تعنى بالمحتاجين ، والإسهام في تقديم الخدمات العامة للناس.

٧- التمكين لقيم المجتمع وعاداته الإيجابية: مما يميِّز المجتمعات الإسلامية عن سائر المجتمعات الأخرى أنها تملك رصيدًا متميزًا من القيم ، فهي مهما بلغت في التغير والانحراف ، ومهما انفتحت على المجتمعات الأخرى لا تزال تدين بالإسلام ، ولا

يزال كثير من أنساقها الاجتماعية يلتزم بأصل القيم الإسلامية ، بغض النظر عن درجة الالتزام ، وقربه وبعده عن المفاهيم الشرعية النقية.

وبقدر ما تحمل الدعوة الإسلامية على عاتقها مسؤولية تغيير القيم المنحرفة في المجتمع ؛ فجزء كبير من مسؤوليتها يتمثل في الحفاظ على رصيد المجتمع من القيم الإيجابية. وهذه القيم مهددة بالزوال والتلاشي ما لم يتم الحفاظ عليها وتأصيلها ، ومن وسائل تأصيلها تربية الناشئة عليها.

ومن هذه القيم الاعتناء بالعرض ، والتماسك الاجتماعي ، والكرم والنخوة ... الخ ، ومما ينبغي على المربى أن يعتني به لتحقيق هذا الهدف:

- تعزيز هذه القيم في نفوس الشباب وتثبيتها.
- التأصيل الشرعي لها ، وخاصة ما له ارتباط بالعادات الاجتماعية والقبلية كالكرم والنخوة والغيرة ؛ إذ قد يكون الدافع للالتزام به ليس دافعًا شرعيًا إنما مجاراة العادة والعرف.
- تنقية هذه القيم من الممارسات الخاطئة وتعميمها ، كالأنفة والنفرة التي تصد صاحبها عن الخضوع للحق والتسليم له.

٨- **تنمية روح التعاون والعمل الجماعي**: إن مما يعاني منه المسلمون اليوم غلبة الفردية على كثير من مشروعاتهم وأعمالهم ، وغياب روح العمل الجماعي والمؤسسي ، لذا كان لا غنى للتربية عن السعي لبناء روح العمل الجماعي لدى الناشئة ، ولذلك ثمرات عدة ، منها:

- أنه يحقق صفة التعاون والجماعية التي حثَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية.
- عدم الاصطباغ بصبغة الأفراد ، ذلك أن العمل الفردي تظهر فيه بصمات صاحبه واضحة ، فضعفه في جانب من الجوانب ، أو غلوه في

آخر ، أو إهماله في ثالث لابد أن ينعكس على العمل.

- الاستقرار النسبي للعمل ، أما العمل الفردي فيتغير بتغير اقتناعات الأفراد ، ويتغير بذهاب قائد ومجيء آخر ، يتغير ضعفًا وقوة ، أو مضمونًا واتجاهًا.
- العمل الجماعي والمؤسسي أكثر وسطية من العمل الفردي ؛ إذ هو يجمع بين كافة الطاقات والقدرات ، التي تتفاوت في اتجاهاتها وآرائها الفكرية مما يسهم في اتجاه الرأي نحو التوسط غالبًا ، أما العمل الفردي فهو نتاج رأي فرد وتوجه فرد ، وحين يتوسط في أمر يتطرف في آخر.
- الاستفادة من كافة الطاقات والقدرات البشرية المتاحة ، فهي في العمل الفردي مجرد أدوات للتنفيذ ، تنتظر الإشارة والرأي المحدد من فلان ، أما في العمل المؤسسي فهي طاقات تعمل وتبتكر وتسهم في صنع القرار.
- العمل الجماعي والمؤسسي هو العمل الذي يتناسب مع تحديات الواقع اليوم ؛ فالأعداء الذين يواجهون الدين يواجهونه من خلال عمل مؤسسي منظم ، تدعمه مراكز أبحاث وجهات اتخاذ قرار متقدمة ، فهل يمكن أن يواجه هذا الكيد بجهود فردية؟

ومن الوسائل المعينة على بناء الروح الجماعية:

- تنظيم الأعمال الجماعية ، كإعداد بحث أو تقديم ورقة عمل من اثنين من المتربين فأكثر ، أو القيام بمهام دعوية بصورة مشتركة. وهذه الوسيلة لها أهميتها ؛ إذ هي تغرس لديهم هذه المعاني وتعلمهم إياها بالممارسة.
- التعويد على لغة الحوار وإدارة النقاش ، فالعمل الجماعي لابد فيه من

اختلاف الآراء ووجهات النظر ، وهذا يحتاج إلى قدرة في التعامل مع الرأي المخالف ، وتقريب وجهات النظر ، وهي مهارة لا يمكن أن تكتسب بدون تدريب وممارسة ، ويعني ذلك أن يراعى هذا الجانب في البرامج الثقافية المقدمة للطلاب ، بحيث تشتمل على ما يثير الحوار والنقاش ليعتادوا عليه.

- إحياء مفهوم الاستشارة والاستنارة بآراء الآخرين ، فذلك يعوِّد الشاب على التنازل عن رأيه ، والتخلي عن التعصب له.
- الاعتدال عند نقد الآخرين من الدعاة ، أو عند نقد المشروعات والأفكار الدعوية ، فشعور الشاب بخطأ أعمال الآخرين أو جهودهم ، أو اختلافه معهم مما يعوقه عن مشاركتهم والعمل معهم بروح جماعية.

٩- التربية على الاهتمام بأحوال المسلمين: الاهتمام بأحوال المسلمين أمر له أهميته ، ويمكن أن يتم ذلك من خلال أمور عدة منها:

- الاهتمام بأخبار المسلمين ، وعرضها أمام الناشئة ، وتعريفهم بأحوالهم ، وما يحصل لهم من ضراء وسراء ، ولاشك أن لذلك أثره الكبير في معرفتهم بهم ابتداءً ، وفي التفاعل مع قضاياهم ، وينبغي أن يتبع المربي ذلك بيان الواجب والمهمة التي يمكن أن يؤديها المخاطب.
- التبرع لهم ودعوة الناس لذلك حين تصيبهم فاقة أو حاجة.
- الدعاء والقنوت لهم ، ودعوة الناس لذلك.
- الدعوة لنصرهم والوقوف معهم.
- إنشاء صندوق في المدرسة أو المنزل ، أو التجمعات العائلية ، يدفع فيه المشارك مساهمة شهرية ولو محدودة ، تنفق في مصالح المسلمين العامة

وإعطاء تقرير سنوي عن منجزات الصندوق مما يزيد هممَ المشاركين فيه ويعليها.

١٠- **غرس الشعور بشرف الانتماء للأمة الإسلامية**: ومن الوسائل التي تعين على تحقيق هذا الهدف:

- تجلية مفهوم الولاء والبراء ، وأن المسلمين إخوة وأمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وأن قضية الولاء والبراء ترتبط بالعقيدة ، وليست مجرد أدب من آداب السلوك.
- دراسة التاريخ الإسلامي والاعتناء به ، ودراسة سير الأنبياء والسابقين من المؤمنين ؛ فذلك يقوي الشعور بوحدة الانتماء للأمة بمفهومها الواسع الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان.
- التخلي عن النعرات الوطنية والقومية الضيقة ، فهذا من أعظم ما يضعف الأخوة الإيمانية.

الجانب النفسي:

يرتبط الجانب النفسي بسائر جوانب الإنسان ارتباطًا واضحًا ، ويترك أثره عليها. فالانفعالات الإيجابية مثلًا تنشط عمل القلب والتنفس ، وعمل الجهاز الهضمي وجهاز المناعة. والإنسان الآمل الفرح أكثر قدرة على المبادرة والابتكار وسرعة البديهة عند القيام بالعمليات العقلية أو العلمية ، ويسهل عليه التفكير والتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقه.

أما الانفعالات السلبية كالخوف والغيرة والحزن والحسد والغم والخيبة ، فتؤثر بصورة سلبية على جسم ونفس الإنسان ، فعمل أجهزة الجسم وأنسجته تتأثر بالانفعال السلبي وتؤثر سلبيًا على صحة الإنسان ؛ فتؤدي الكآبة والحزن والغم إلى إضعاف نشاط القلب وتسارع النبض في حال ضعف امتلاء الأوعية بالدم ، وإلى التنفس السطحي البطيء ، وإلى اضطراب هضم الطعام وجهاز المناعة والغدد.

أما عن الحالة النفسية ، ففي حال الكآبة والحزن يغدو الإنسان بعيدًا عن الدقة غير مطابق للواقع ، مما يوقع الإنسان تحت تأثير مختلف أنواع الخداع والأوهام ، وتنخفض الحساسية انخفاضًا شديدًا ، ويغدو التفكير ضعيفًا وذاتيًا ، وقد يبدو أن إرادة الإنسان تصبح أقوى في حالة الغضب أو الخوف الشديد غير أن الواقع ليس كذلك ، فالقرارات المتخذة في حال الانفعال تكون غالبًا متسرعة وبدون تفكير.

الهدف العام: تحقيق الاستقرار النفسي والصحة النفسية. وهذا يعني أن يكون الشاب متمتعًا بالصحة النفسية ، سالمًا من المشكلات والأمراض النفسية.

ومن الجوانب التي تؤكد على أهمية الاعتناء بالصحة النفسية للشاب ما يأتي:

- أنها تزيد من قدرة الشاب على فهم نفسه وإمكاناته ، فلا يتعداها ، وعلى تحديد طموحاته وآماله في ضوء إمكاناته ، وعلى تقبل التغيرات التي تطرأ.

- أنها تساعد على بناء اتجاهات نفسية سليمة نحو نفسه ونحو الناس والحياة ، وتبعد شبح اليأس والقنوط.
- أنها تزيد من قدرته على عقد صلات ناجحة وعلاقات طيبة.
- أنها تزيد من قدرته على الثبات والجلد حيال الأزمات والشدائد والمشكلات.
- تزداد أهمية هذا الجانب في حق من يتصدون للدعوة والتغيير في المجتمعات ، فما لم يكونوا يملكون قدرًا من الاستقرار والصحة النفسية فلن يكونوا مؤهلين للتعامل مع الناس بشكل صحيح ، فضلًا عن قيادتهم وتوجيههم.

ولا يعني الحديث عن أهمية الاعتناء بالجانب النفسي تحويل المحاضن التربوية إلى دور رعاية نفسية ، أو أن يعيش المربي في هاجس وأوهام في مراعاته لأحوال من يربيهم ، بل أن يولي هذا الجانب الاهتمام اللائق به دون إفراط أو تفريط. ومن الأمور التي تعين على تحقيق الاستقرار النفسي والصحة النفسية ، وتُجنب الشاب المشكلات النفسية ما يلي:

- تعريف الشاب بنفسه والهدف الذي وجد من أجله ، وطبيعة المرحلة التي يمرُّ بها ، وما وهبه الله - من قدرات جسمية وعقلية ونفسية ، والأسباب المعينة على تسخيرها فيما فيه سعادة الدنيا (الاستقرار النفسي) والفلاح في الآخرة.
- تعليق الشباب بالدار الآخرة ، وأنها المتاع الحقيقي ، والحياة الباقية ، وحين تعلو قيمة الدار الآخرة في النفوس تولد التطلع إلى معالي الأمور والاستهانة بالمصائب والمحن التي تواجه الإنسان.

- إعطاء الدنيا منزلتها اللائقة بها ، وقد كان ص يعنى بذلك ؛ فيُحذِّر أصحابه من الدنيا ، ويبين لهم هوانها على الله. إن ترك المربي الإسهاب في الحديث عن مُتع الدنيا وزخرفها ، وتعليقه العاجل حين يأتي ذكر شيء من ذلك ، والاعتناء بدراسة حقيقة الدنيا ووصفها في القرآن والسنة ، إن ذلك كله يسهم في تهوين شأن الدنيا لدى الناشئة ، والذي تهون لديه الدنيا لا يقلق على ما يريده من متاعها ، ولا يحزن على ما يفوته منها.
- تلمس المربي لحاجات من يربيهم ومشكلاتهم ، والسعي لمعاونتهم في حلها ، ويكفيهم في أحيان كثيرة شعورهم بأن هناك من يشاركهم همومهم ويشاطرهم أحزانهم ، مع الحذر من الإفراط في مراعاة ذلك لدى الشاب ؛ لأنه يزيد من شعوره بالمشكلة.
- تنظيم برامج الترفيه والترويح للشباب والناشئة ، مع مراعاة الاعتدال والانضباط الشرعي في ذلك.

وسائل عامة في البناء النفسي:

١ - **العدل في التعامل:** العدل خلق شرعي عظيم ، وعليه قامت السموات والأرض ، وهو سمة للمسلم الصادق في حياته كلها ، ويتأكد الأمر عند تعامل الوالد مع أولاده ، أو المعلم مع تلامذته ، وينشأ الإخلال بالعدل في المحاضن التربوية في حالات كثيرة ؛ فيبدو من المربي اهتمام زائد ببعض الشباب لأنه يتوقع منهم أكثر من غيرهم.

ومما ينبغي أن يراعيه المربي هنا: أن الاعتبارات التي يراها مسوغة لتفضيل بعض أولاده أو تلامذته على بعض قد لا تكون مقنعة لديهم ، ومن ثم فلا بد أن يربط تمييز أحدهم - إن كان في تمييزه مصلحة ظاهرة - بأمور موضوعية مدركة للجميع.

٢- الاهتمام ومراعاة المشاعر: الاهتمام بالآخرين يترك أثره البارز في نفوسهم ، وهو دليل على حسن خلق صاحبه وتواضعه ، ومن صور اهتمام المربي ومجالاته: سؤال الشاب عن أخباره وتفقد أحواله ، والمحافظة على الموعد الذي يُعطَى له ؛ أو الوقت الذي يُصرَف من أجله ، والاستماع والإنصات له ، وإجابة تساؤلاته بعناية. وكما أن الإهمال يترك أثره السلبي على الشاب ، فالإفراط في الاهتمام به يترك أثرًا من نوع آخر ، فلابد من الاعتدال في ذلك.

٣- الاعتدال في رعاية الشاب: الاعتدال سنة الله تبارك وتعالى في خلقه ؛ فالخلق قائم على أساس الاعتدال والتوازن ، كما أنه سنة له في شرعه ، فالشرع جاء بالاعتدال وهو وسط بين نقيصتين. ومن ثم فالتربية التي تخرج عن حد الاعتدال تخالف طبيعة الكائن البشري وما جبله الله عليه ، وتخالف المنهج الشرعي القائم على الاعتدال والوسطية. وللخروج عن الاعتدال في التربية صور عدة تترك أثرها السلبي في البناء النفسي ، منها:

الصورة الأولى: الإجحاف على النفس والمشقة عليها ، وإهمال بعض الحاجات والجوانب النفسية: وهو موقف يتعرض له الشاب المقبل على الله كثيرًا ؛ فالشاب يتميز بالحماسة والاندفاع ، فهو حين يدرك فضائل الأعمال الصالحة ، أو يتوب بعد صبوة قد يشق على نفسه ، ويبالغ في العبادة ، ويهمل رعاية سائر مطالب النفس ، ومن ثم فعلى المربي أولًا أن يعتدل في حديثه مع الشاب ودفعه للعمل الصالح حتى لا يؤدي به ذلك إلى الخروج عن الاعتدال.

وعليه ثانيًا: أن يوجه الشاب حين يرى منه مبالغة وخروجًا عن المنهج الشرعي في ذلك.

الصورة الثانية: القسوة في العقوبة: إن العقوبة أسلوب تربوي ، وهو أمر لا بد منه للمتربي ، وقد دعا الشرع إلى العقوبة حين يتطلب الأمر ذلك ، وحتى تؤتي العقوبة أثرها المراد منها دون نتائج عكسية لا بد فيها من الاعتدال ، فلا تكون قاسية مبالَغًا فيها

بل بقدر ما يحقق المصلحة ويردع المعاقب ، ولا تكون مشعرة بالغضب والكراهية وحب الانتقام ، كما ينبغي ألا يكثر المربي من اللوم والتأنيب ويذكر صاحبه بذلك.

والإفراط في العقوبة والقسوة فيها يولد آثارًا نفسية غير محمودة ، وينشئ لدى الأولاد الرغبة في الانتقام والكراهية والحقد على الآخرين ، أو يولد لديهم الخضوع والذل والاستكانة.

الصورة الثالثة: التدليل: وهي صورة مقابلة لتلك الصورة السابقة ، إذ تزداد فيها العواطف لدى المربي تجاه من يربيه ، فيبالغ في مراعاة مشاعره ، وإظهار العطف والشفقة عليه ، وهو أمر يحصل كثيرًا لدى الأمهات ، ويكثر مع الولد الوحيد أو الأخير أو الذكر بين الإناث ، أو ولد الزوجة الأخيرة. كما يقع ذلك من بعض المربين الذين لا يجيدون ضبط عواطفهم ؛ فحين يعجبون بأحد المتربين يظهر منهم اهتمام غير طبيعي تجاهه ، وإفراط في مراعاة مشاعره والتجاوب مع طلباته.

ومع أن هذا اللون من الخطأ يتفق العامة والخاصة على ذمه ، بل يعيِّرون الأبناء به ، إلا أنه كثيرًا ما يقع ، فأول من يتضرر منه الشخص الذي يلقى هذه العناية الزائدة ، فينشأ ضعيفًا فاقدًا للثقة في نفسه ، وينتظر من الآخرين أن يعاملوه بالمعاملة نفسها ، وإلا اتهمهم بالقسوة والفظاظة ، أو عدم معرفة قدره ، وعدم محبتهم له.

٤- تفريغ الطاقة: يحمل الإنسان طاقة هائلة في نفسه ، وهذه الطاقة طاقة حيوية محايدة تصلح للخير وتصلح للشر ، تصلح للبناء وتصلح للهدم ، كما يمكن أن تنفق بددًا بلا غاية ولا اتجاه ، والإسلام يوجهها الوجهة الصحيحة في سبيل الخير ، والمهم كذلك أنه لا يختزنها أكثر مما ينبغي ، فالاختزان الطويل بلا غاية عملية مضرة بكيان الإنسان ، وكثير جدًا من ألوان المرض النفسي التي يتحدث عنها علم النفس التحليلي والأطباء النفسانيون مردها إلى طاقة مختزنة بلا مبرر لم تجد منصرفها الطبيعي ، ولم تجد منصرفها الصحيح.

وحين نعود إلى تاريخ الأمة نرى أن طاقة الشباب كانت تفرغ في ميادين تسهم في تربيتهم والارتقاء بهم ، وهي في الوقت نفسه ميادين منتجة للأمة. ومن ذلك الجهاد في سبيل الله لأ ، فكان الشباب يسابقون إلى ميادين الجهاد ، بل كان النبي ص في كل غزوة يستعرض الجيش ليرد من لم يتأهل لذلك.

وحين استقرت الدولة الإسلامية رأينا الشباب يتوجهون إلى حلق العلم ويسابقون إليها ، ولذا فأنت لا تكاد تفقد في أي كتاب من كتب أدب الطلب الحديث عن السن التي يبدأ فيها السماع والحضور لمجالس العلم ؛ إذ كان تسابق الصغار إليها ظاهرة بارزة في تلك المجتمعات. وكان ذلك من أبرز العوامل التي جعلت الشباب آنذاك لا يعانون من المشكلات التي يعاني منها جيل اليوم.

ومِن ثَمَّ لابد من أنشطة وبرامج منتجة تتناسب مع طاقة الشباب الهائلة لتسهم في توجيهها واستثمارها ، وفي حمايتهم في الوقت نفسه من الانجراف والتأثر.

٥- ملء الفراغ: لقد عني الإسلام بملء الفراغ ، فما من أمر نهى عنه أو حرمه إلا وأوجد البديل ، فبدلًا من مجالس الخمر واللهو شرع الاجتماع على الذكر وتعلم كتاب الله - ، وبدلًا من أعياد الجاهلية شرعت أعياد الإسلام ، وبدلًا من سماع الغناء شرع سماع القرآن. ومن ذلك ملء الوقت بما ينفع ويفيد ، فالشاب حين يعاني من الفراغ في وقته يصيبه الملل والسآمة ، ويبحث عما ينفس به ، وقد يكون البديل بوابة ومدخلًا للسوء ، وكثير من الصداقات مع جلساء السوء انطلقت نتيجة المعاناة من وقت الفراغ ، ومن ثم فالأنشطة التي تملأ وقت الفراغ - ولو كانت قليلة الفائدة - لمن لا يحسن الاستفادة من وقته يعتبر أمرًا له أهميته ووجاهته.

ومن ملء الفراغ ملء الاهتمامات ، فكثيرًا ما يكون الشاب يعيش اهتمامات غير جادة ، ويتعلق باللهو العابث ، وربما المحرم ، فالأَوْلَى في تربية هؤلاء أن يعنى - بدلًا من نهيهم وصرفهم عن ذلك - بغرس الاهتمامات والقضايا الجادة لديهم ، فينصرفون تلقائيًا عن التعلق باللهو والعبث الفارغ.

٦- **غرس الثقة بالنفس**: تعتبر الثقة بالنفس جانبًا له أهميته في دفع الشاب للعمل والإنتاج ، كما أنها ضرورية لتجاوزه كثيرًا من المشكلات التي تواجهه ، ومن ثم كان الاعتناء بها من أهم الضرورات التربوية.

ومن الوسائل التي تعين على ذلك:

- تضييق الفجوة بين طموحات الشاب وتطلعاته ، وبين قدراته الفعلية ، التي ربما أسهم بعض المربين في توسيعها ؛ ذلك أن الرغبة الملحة لدى المربي في إعلاء همة من يربيه ورَفْع طموحه ، وكثرة إيراده للنماذج المتميزة في أبواب الخير والبر ، تدعو الشاب للتطلع إلى أعلى مما يطيق ، وحين لا تتحقق له طموحاته يصيبه الشعور بالفشل والإحباط ، وليس ذلك دعوة إلى إهمال الاعتناء بالنماذج والقدوات بل هو أمر ضروري ، لكن الأمر يحتاج إلى حكمة في كيفية التعامل معها ، وكيفية ربط الشاب بها حتى لا تقوده إلى الإحباط والفشل.
- حين يكلف الشاب بأداء عمل ما ، ينبغي عدم الإسراف في مطالبته بإتقان العمل ، خاصة في الأعمال التي لم يألفها ويَعْتَدْ عليها بعد ، بل ينبغي إقناعه أن معيار النجاح يتدرج وليس مستوى واحدًا ينبغي أن يصله مرة واحدة.
- تجنب نعته بصفات سلبية ، وهذا أسلوب يمارسه كثير من الآباء ، بل بعض المعلمين للأسف ، فقد يلجأ كثير من الآباء إلى انتقاد أبنائهم والسخرية والاستهزاء بهم ولمزهم ونبزهم بالألقاب ، بسبب فشلهم في المواقف الاجتماعية ، وتعثرهم في المناسبات ، أو بسبب تخوفهم وترددهم وانسحابهم ، وهذا الأسلوب لا يعالج المشكلة ، بل يزيدها تعقيدًا واستفحالًا ؛ إذ إنه اتجاه سلبي في المعالجة ، لا يعطي البديل ولا المجال ولا المعالم الضرورية لتغيير الحالة والموقف.ومثله ما

يلجأ إليه بعض المربين من وصف المتربي بالإهمال والكسل ، أو الغباء والبلادة.

- الحكمة في التعامل مع التجارب الفاشلة ؛ فالشاب لابد أن يتعرض في البداية لتجارب يفشل فيها في تحقيق بعض أهدافه ، فلا بد للمربي حينئذ من التعامل مع هذه التجارب بحكمة تمكنه من تزويده بالخبرة ، بطريقة لا تؤدي لإيجاد الإحباط لديه.
- عدم المبالغة في التدليل.
- الثناء المعتدل على التجارب الناجحة ؛ فهو يشعره بالقبول من الناس وثقتهم فيه ، كما يوقفه على جوانب النجاح لديه ؛ إذ إن كثيرًا من الناس لا يدرك جوانب النجاح في نفسه ، حتى يُسْمِعَه إياها الآخرون.
- تكليفه ببعض المهام والمسؤوليات التي تتناسب مع قدرته ، والتدرج في ذلك.
- عدم التدخل في كل صغيرة وكبيرة.
- تحسين مفهوم الذات: وهو عبارة عن الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه ، وتنشأ من ردود أفعال الآخرين تجاه الشخص ، قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية. ومن الأمثلة التي تواجه الميادين التربوية كثيرًا حين يُنظر إلى أحد الشباب على أنه هازل ولا يصلح للأعمال الجادة ، أو أنه لا يصلح للمجالات العلمية أو الدعوية ... الخ. فإن هذا يستقر لديه ، ويعتقد في نفسه أنه فعلًا لا يصلح لهذه الميادين.
- وقد تكون العوامل التي أسهمت في تشكيل مفهوم الذات عوامل أسرية ومنزلية ، وقد تكون مدرسية ، وقد تكون نتيجة البيئة التربوية التي يعيشها ، وكثيرًا ما تكون مختلطة ومزيجة بين أكثر من مصدر.

- وحين يكون مفهوم الذات لدى الشاب سلبيًا - وهذا يحصل في حالات كثيرة - فعلى المربي الاجتهاد في رفع هذا المفهوم ، من خلال السعي إلى تغيير فكرة الشاب عن نفسه ، وتوظيف ما يعرفه المربي من تاريخ الشاب وحياته في تغيير هذا المفهوم.

أهداف فرعية في البناء النفسي:

١ - **إشباع الحاجات النفسية:** تمثل الحاجات النفسية مطلبًا مُلِحًّا للإنسان ، وبخاصة في مرحلة الشباب. وتبدو أهمية تناول الحاجات النفسية من خلال جوانب عدة ، منها:

- أنها تعين المربي على معرفة الشاب وما يتطلع إليه ويسعى له ، ومعرفة المربي بمن يربيه أمر له أهميته.
- أن الحاجات تدفع صاحبها لأن يسعى لتحقيقها ، ويسلك وسائل عدة لذلك ، ولا يمتنع منها إلا ببديل يرى أنه أوْلَى منها ، وحين يمنع منها يترك ذلك أثره عليه.
- يمكن استثمار كثير من الحاجات في توجيه الشاب لأنشطة مفيدة تسهم في إصلاحه وتوجيهه ، كالحاجة إلى الصداقة ، والاطلاع ، وفهم النفس...ونحو ذلك.

لذا صار من المهم أن يتعرف المربي على الحاجات النفسية للشاب في هذه المرحلة ، وسوف يسهل عليه بعد ذلك بدرجة كبيرة مراعاتها والسعي لمساعدة الشاب على تحقيقها.

ومما ينبغي للمربي مراعاته في التعامل مع الحاجات النفسية:

- الاعتدال في التعامل معها والنظرة إليها ، حتى لا تؤدي إلى حساسية أو دلال مفرط.

- أن تأخذ مكانها الطبيعي ، وأن يعود على إشباعها بصورة منضبطة ومعتدلة ؛ فلا تسيطر عليه وتحكمه ويسعى لإشباعها على حساب الجد في وقته ، فنحن نريد شبابًا جادين ، يعدون لحمل راية الإسلام والذبِّ عنه ، لا فئة من الباحثين عن المتعة ، الذين تقف اهتماماتهم عند الحياة الدنيا.
- أن تضبط بضوابط الشرع ، فلا يؤتى منها ما يخالفه.

٢- توجيه الانفعالات وضبطها: عرف علماء النفس الانفعالات بتعريفات عدة منها أنه: تغير مفاجئ يشمل الفرد كله نفسًا وجسمًا. ويختلف عن العاطفة بأن العاطفة: استعداد نفسي ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، مما يكوِّن لدى الشخص اتجاهًا وجدانيًا تجاه هذا الموضوع.

ومن أبرز الانفعالات التي تبدو في مرحلة المراهقة: الخوف ، والقلق ، والغضب. ويتميز المراهق بحدة انفعالاته وشدتها ، وسرعة استجابته لها ، إلا أن هذه الحدة تخف تدريجيًا مع تقدم السن وتزايد الخبرة. ولا بد أن تبقى هذه الانفعالات لدى الشاب في هذه المرحلة ، ويتمثل دور التربية تجاهها فيما يأتي:

- فَهْم منشأ هذه الانفعالات والظروف المحيطة بها أو المغذية لها ، سواء في البيت أو في المدرسة أو المجتمع. فالشاب الذي يعيش في أسرة غير مستقرة ، أو يعامل من قبل والديه بقسوة وعنف ، أو دلال مفرط ، يؤثر ذلك على انفعالاته.
- توجيه هذه الانفعالات التوجيه الحسن ، وتعويده على أن يكون الخوف من الله لأ أكثر من الخوف من المخلوقين ، وغرس الشجاعة والثقة بالنفس لديه مما يعينه على التغلب على الخوف مما يواجهه ، وتقوية التعلق بالدار الآخرة وإعطاء الدنيا منزلتها اللائقة بها حتى يخف القلق لديه تجاه المستقبل الدنيوي. ومثل ذلك الغضب بأن يعوِّد

على أن يكون غضبه إذا انتهكت حرمات الله لأ ، وألا يغضب للأهواء والحظوظ الشخصية.

- الضبط والاعتدال ، فزيادة الخوف والقلق قد تؤدي به إلى وسواس ، أو اضطراب نفسي كالاكتئاب مثلًا ، وكذا الغضب قد يقوده إلى تصرفات يندم عليها ويجني عاقبتها. وحتى الخوف الشرعي يجب أن يضبط ويعوده المربي على التوازن حتى لا يتحول إلى يأس وقنوط ، وهذا يعني الاعتدال في تناول أمور الوعيد ، والجمع بين الخوف والرجاء والترغيب والترهيب باعتدال ، كما كان هدي النبي ص. ومثل ذلك الغضب لله لأ والغيرة على حرماته ، فينبغي للمربي أن يغرس لديه الرفق في الإنكار ، والأسلوب الحسن ، والصبر وطول النفس ، كما كان يفعل ص مع أصحابه في مواقف كثيرة. ومما ينبغي الاعتناء به تعويده على سلوك المنهج الشرعي في التعامل مع الغضب ، وتعويده على الحلم وكظم الغيظ.

٣- توجيه العواطف وضبطها: إن العاطفة مهمة للإنسان في حياته ؛ لأنها تدفع الإنسان إلى فعل الأشياء التي يتعاطف معها ، وتدفعه إلى ترك الأشياء التي يكرهها بدافع داخلي ، بشرط أن تكون العاطفة وراء العقل ، وأن يكون العقل قائدها ، وإلا ستكون تصرفات الإنسان غير معقولة تسيره العاطفة لا العقل ، والعاطفة بدون العقل قد تسوق الإنسان إلى المهالك ، وتجعل حياته في شقاء.

وتربية العواطف والسمو بها ذو أهمية كبيرة في حياة المسلم بصفة عامة ، والمراهق المسلم بصفة خاصة ، ذلك أن العواطف تعمل على تنظيم انفعالات المراهق تنظيمًا يؤدي إلى اتزان شخصيته وتكاملها ، كما أن تربيتها تحقق للفرد المسلم مستوى أعلى من الصحة النفسية ، كما يحقق له مستوى أعلى من التوافق والتكيف الاجتماعي ، فالعواطف في جملتها تعمل على توجيه سلوك المراهق وتنظيمه نحو ما يحقق له القدر

الأكبر من إشباع دوافعه الفطرية والمكتسبة بصورة يرضى عنها المجتمع المسلم.

أنواع العواطف: تقسم العواطف بحسب موضوعها الذي تدور حوله إلى ثلاثة أقسام:

- عواطف تدور حول موضوعات مادية ، مثل عاطفة حب الأم لابنها والأب لأولاده ، والقارئ لكتاب معين.
- عواطف تدور حول موضوعات جمعية كعاطفة المرء نحو عائلته أو حيه أو مدرسته التي تعلم فيها ، أو زملائه في الجمعية أو الفصل الدراسي.
- عواطف تدور حول موضوعات مجردة كعاطفة الميل إلى المثل العليا كالأمانة والصدق والإيثار.

العاطفة السائدة: العاطفة السائدة - كما يعرِّفها علماء النفس- هي تلك العاطفة التي تكون لدى شخص ما فتسيطر على ما لديه من عواطف أخرى ، وتكون مُوجِّهة لسلوكه ، فقد تكون العاطفة السائدة لدى شخص ما نحو جمع المال ، أو السلطة والشهرة ... فتكون بقية العواطف تابعة لهذه العاطفة.

ومن أهم ما يعين على تحقيق التربية العاطفية السليمة ، ما يلي:

- غرس محبة الله ورسوله ص في نفس الشاب حتى تكون هذه المحبة فوق كل شيء ، حينها تكون هي السائدة والسائقة ، وما بعدها تبع لها ، فلا يحبُّ إلا ما يحبه الله لأ ، ولا يرضى إلا بما يرضي الله لأ ، ولا يأتي مما تريد نفسه إلا ما يُرضي الله لأ. وتحقيق هذا الهدف يختصر على المربي خطوات كثيرة ، ويريحه من مشكلات عدة ، فحين تكون محبة الله ورسوله هي السائدة فسوف تُسيِّر بقية عواطف الإنسان.

- ملء الفراغ العاطفي ، فالنفس لابد أن تتجه بعواطفها هنا أو هناك ، ومن ثم فهي ما لم تشغل بالخير ستشغل صاحبها بغيره ، ولقد راعى المنهج التربوي الشرعي هذا الجانب ، فوجَّه النفس لمحبة الصالحين وذوي القربى وأهل الإحسان ، وبغض أهل السوء والفساد ، ورحمة من يستحق الرحمة ، والإغلاظ على من يستحقه. واعتناء المربي بتحقيق هذه الجوانب لدى من يربيه يوجِّه العاطفة الوجهة السليمة ، ولا يبقي فيها مكانًا للتوجه بالعواطف إلى ما يسخط الله لأ.
- إشباع الحاجة العاطفية ، فالإنسان يحتاج إلى أن يجد المشاعر العاطفية الإيجابية تجاهه ، ومن ثم فأولئك الذي حُرِموا حنان الوالدين ، وعاشوا في أجواء تفتقد لهذا الإشباع ، هؤلاء يعانون من مشكلات كثيرة في حياتهم النفسية. لذا على المربي أن يعتني بهذا الجانب ، وأن يشعر المتربين بالعطف والحنان والشفقة والرعاية ، وأن لهم في قلبه منزلة عالية ، وذلك دون إفراط أو تفريط.
- تنقية النفس من العواطف المنحرفة ، وهي تكثر في هذه المرحلة ؛ فقد يميل الشاب إلى حبِّ فتاة أجنبية عنه ، أو عشق زميل له ، ويؤدي به ذلك إلى مخالفات شرعية ، ولا سبيل لحل هذه المشكلة إلا بتحقيق محبة الله لأ ورسوله ص ، ومحبة الصالحين المحبة الشرعية.

٤ - الوقاية من الانحرافات والاضطرابات النفسية: كما أن المربي يحتاج إلى أن يعنى بتحقيق الصحة النفسية والاستقرار النفسي لدى الشاب ، فهو كذلك بحاجة إلى الوقاية من الاضطرابات والمشكلات النفسية وحسن التعامل معها. وهذا يتطلب من المربي زيادة الوعي بالمشكلات والاضطرابات النفسية والتعرف عليها ، والأمر لا يعني كما سبق أن يتحول إلى أخصائي نفسي لكن أن يملك قدرًا من الثقافة النفسية التي تتناسب مع مهمته.

ومما ينبغي مراعاته في ذلك:

أ- تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الطب النفسي ، ومنها:

- النظرة السائدة لدى المربين والمتربين التي ترى أن المتدينين لا يصابون بالأمراض والمشكلات النفسية.
- النظرة الأخرى التي تفسر المشكلات النفسية بنقص الإيمان والتدين ، وهو وإن كان عاملًا مهمًا إلا أنه ليس بالضرورة العامل الوحيد ، ومثل هذا التفسير له أثره على من يصاب بمرض نفسي ، فيشك في إيمانه ويبالغ في اتهام نفسه مما يزيد من معاناته.
- النفرة من الطب النفسي والتخوف من التعامل معه.

ب- التعريف بأبرز المشكلات والأمراض النفسية المنتشرة التي يمكن أن يواجه بها الشاب ، كالاكتئاب ، والوسواس القهري ... الخ.

ج- حسن التعامل مع الشباب والاستماع لهمومهم ومشكلاتهم والسعي لمساعدتهم بالرأي والتوجيه ، مما يجعل المربي قريبًا منهم يستشيرونه في مشكلاتهم وهمومهم.

د- اجتناب التعامل الخاطئ مع المشكلات النفسية الذي يزيدها تعقيدًا ، ومن أبرز ذلك التعامل القاسي والتأنيب لمن يصاب بالوسواس ، وهي حالة تحدث في مواقف كثيرة ، والبعد عن لوم المصاب بهذا المرض وكثرة تحديثه عن تلاعب الشيطان به.

٥ - تهذيب الدوافع وإشباعها بالطرق المشروعة: تُعَرَّف الدوافع بتعريفات عدة ، منها أنها: « حاجة ناقصة تتطلب الإشباع ، ويظل الفرد متوترًا حتى تشبع هذه الحاجة بدرجة معينة ». ويقسم بعض علماء النفس الدوافع إلى ثلاثة أقسام:

- الدوافع العضوية ، وتشمل حاجات الجسد كالنوم والطعام والشراب.
- الدوافع الدنيوية وتشمل الحاجات المادية والنفسية غير المباشرة كالتملك والانتماء والاستطلاع.
- الدوافع الأخروية مثل العبادة والحاجة الإيمانية.

ومما ينبغي مراعاته هنا تلافي الاصطدام بالدوافع العضوية ، ومن صور ذلك:

- عدم حرمانه من النوم حين يحتاج إليه ، وترك مطالبته بأداء واجبات وأعمال مادام يعاني من الرغبة في النوم.
- ألا يُمنع من الذهاب لقضاء الحاجة حين يكون محتاجًا لذلك.
- أما الدوافع الدنيوية فتحتاج إلى التعرف عليها وكيفية إشباعها وتهذيبها بالطرق السليمة ، أما الأخروية فيجب أن تتجه العملية التربوية كلها لتحقيقها ؛ إذ لا نجاة بدونها.

٦ - **تحقيق الحب في الله والبغض في الله** -: الحب عاطفة قلما يخلو منها إنسان ، ومن ثم فلابد من أن تصرف في المصرف الشرعي ، فهو يلبي هذه الحاجة في النفس ، ويحقق فيها هذا الأمر القلبي المهم ، ويصرفها عن أن تصرف في ميدان قد يجلب عليها الوبال في الدنيا والآخرة. والحب في الله تبارك وتعالى ليس أدبًا من الآداب فحسب - كما يتصور بعض الناس - بل هو أمر مرتبط بالإيمان. وهو مع ذلك يحقق آثارًا ونتائج مهمة منها:

- أنه يربط الشاب بالصالحين ، فحين يشعر أنه يتعبد بحبهم لله لأ تقوى صلته معهم وتزداد ، ويحرص على معاشرتهم ولقائهم ، وتحميه في المقابل من معاشرة أهل السوء والفساد.
- ومنها أنها تمثل ميدانًا تصرف فيه الطاقة العاطفية ، حتى لا تتحول إلى العشق والغرام ، والتعلق بالجنس الآخر.

- ومنها أنها تترك أثرها في سلوك الشخص ؛ فمحبته للصالحين تدعوه للاقتداء والتأسي بهم.

ومن الوسائل المعينة على تحقيق الحب في الله والبغض في الله -:

- التعريف بفضائل الأخوة في الله والحب فيه - ، وما أعدَّه الله للمتحابين فيه في الدنيا والآخرة.
- ربط الشاب بالقدوات الصالحة من سلف الأمة وتعريفه بهم ، والاعتناء بدراسة سِيَرِهم.
- ربط الشاب بالقدوات المعاصرة ، والصحبة الصالحة وتعريفه بهم ، وترتيب البرامج والأنشطة المشتركة معهم.
- الاعتناء بتأصيل معنى الحب في الله ، وأن المقصود المحبة التي من أجل الله لأ ، والحذر من التعلق بالأشخاص لاعتبارات عاطفية ، فهو يقود إلى نتائج سيئة.

٧- **تقوية الإرادة:** تمثل الإرادة عاملًا مهمًا في شخصية الإنسان ، بل هي ترتبط بالهداية والضلال ، فالضلال إما أن يكون لشبهة لَبَّسَتْ على صاحبها الحق بالباطل ، أو شهوة ضعفت إرادته عن مقاومتها. وكثير من حالات الحَوْر بعد الكَوْر لدى الشباب اليوم تنتج من ضعف الإرادة.

ومن الأمور التي تعين على تقوية الإرادة:

- التعويد ؛ فالسلوك لا يمكن أن يتحقق بمجرد قرار يتخذه الفرد في نفسه ، ولا يمكن أن نغرسه في نفوس أبنائنا بمجرد توجيه أو أمر نصدره إليهم. فلا بد من تعويد وتدريب للنفس ، حتى يصبح هذا السلوك سلوكًا طبيعيًا للنفس تؤديه بتلقائية. ومن الأمور المهمة في ذلك التعويد على ضبط العواطف والانفعالات ، وعدم الاستجابة

المطلقة لها.

- تنمية القدرة على الحسم ؛ فالتردد يمثل عائقًا مهمًا من العوائق التي تحول بين الإنسان والسلوك الذي يريد ؛ لذا فالذين يعتادون حسم الأمور واتخاذ القرار يجتازون عقبات يقف دونها غيرهم ، ومن ثم فتعويد الشاب على اتخاذ القرار الواضح في حياته ، والالتزام بما يتخذه مما يقوي إرادته.
- غرس الثقة في النفس ؛ فنظرة الإنسان لنفسه تمثل عاملًا مهمًا في حفزه على العمل ورفع همته إليه ، ومن ثم كان للثقة بالنفس أثرها الفعال في قوة الإرادة ، فالواثق بنفسه هو الذي يتطلع للنجاح ويتجه للعمل ، خلافًا للمحبط واليائس ، وسبق الحديث عن الثقة بالنفس.
- إشعاره بالإنجاز ؛ فالمواقف المتنوعة التي تمرُّ على الفرد في حياته تمثل ميدانًا مهمًا يقيس من خلاله نفسه ويختبرها ، وتلقي بظلالها على حياته ومواقفه بعد ذلك. فالنجاح الذي يحققه يدفعه لمزيد من النجاح ، ويرفع مستوى تطلعه وطموحه ، ويزيده رصيدًا من الثقة بإمكاناته وقدراته. وفي المقابل فالفشل يقوده إلى مواقف أخرى من الفشل ، ويشعره بالإحباط وعدم الثقة بالنفس. ومن ثم فإشعاره بجوانب من النجاح في حياته ، والتعامل مع الخطأ بِحكْمة مما يعزز ثقته بنفسه ويقوي إرادته.
- الاعتدال في توجيه الخطأ ؛ ذلك أن وقوع المرء في الخطأ ، أو إشعاره من قبل الآخرين بذلك قد يولِّد لديه إحباطًا وشعورًا بالفشل واليأس من إصلاحه ، فينتج عن ذلك أثر عكسي. ومن تأمل سيرة النبي ص وجد ذلك الهدي القويم في التعامل مع الخطأ ، فهو يعتني ص ببيان الخطأ لمن يقع فيه حين يقتضي الموقف البيان ، لكنه لا يتحول إلى نظرة

ثابتة ترسخ الشعور بالفشل والإحباط لدى الواقع في الخطأ ، أو تؤدي به إلى الشعور بأن هذا الخطأ أصبح أمرًا ملازمًا له لا يفارقه.

- الاعتناء بالعبادات الشرعية فهي تترك أثرها في النفوس ، وتمدها بالزاد الذي يعينها على السير في الحياة بالطريقة الصحيحة.

الفصل الثاني

الترويح عن النفس
مفاهيم وأهداف وضوابط

يعتبر الترويح عن النفس من الأمور المهمة التي قد يحتاجها المربون والدعاة أثناء مخالطتهم للناس ودعوتهم إياهم ، إلا أن استخدام كثير من المشتغلين بالدعوة والتربية له لا يتم بالصورة المطلوبة ، إذ يقعون أثناء ممارسته بين إفراط أو تفريط ؛ فمنهم من غلا فيه ، وصار جل همه مجرد الترويح عن من يدعوهم بدعوى كسبهم وتحبيبهم في الخير الذي يدلهم عليه ، ومنهم من يرى أنه لا فائدة فيه بل هو مضيعة للوقت مفسدة للعمر. وفي هذا الأمر نظر ، إذ قد دلت النصوص الشرعية إجمالًا وتفصيلًا على جواز الترويح ، بل إن منها ما دعت إليه وحثت عليه.

والترويح عن النفس في الإسلام عبارة عن: أوجه النشاط غير الضارة التي يمكن أن يقوم بها الفرد أو الجماعة طوعًا في أوقات الفراغ بغرض تحقيق التوازن أو الاسترخاء للنفس الإنسانية في ضوء القيم والمبادئ الإسلامية.

وفي ظل هذا التعريف ؛ فإنه من الممكن أن تكون تلك الأنشطة وجدانية ، أو عقلية ، أو بدنية ، أو مركبة من كل ذلك أو بعضه.

أهمية الترويح:

تبرز أهمية الترويح عن النفس في جوانب كثيرة ، منها:

- تحقيق التوازن بين متطلبات الكائن البشري (روحية ، عقلية ، بدنية) ففي الوقت الذي تكون فيه الغلبة لجانب من جوانب الإنسان يأتي الترويح ليحقق التوازن بين ذلك الجانب الغالب وبقية الجوانب الأخرى المتغلب عليها.

- يساهم النشاط الترويحي في إكساب الفرد لخبرات ومهارات وأنماط معرفية ، كما يساهم في تنمية التذوق والموهبة ، ويهيئ للإبداع والابتكار.
- يساعد الاشتغال بالأنشطة الترويحية في إبعاد أفراد المجتمع عن التفكير أو الوقوع في الجريمة ، وبخاصة في عصرنا (عصر التقنية) الذي ظهرت فيه البطالة حتى أصبحت مشكلة وقلت فيه ساعات العمل والدراسة بشكل ملحوظ جدًّا ، وأصبح وقت الفراغ أحد سمات هذا العصر. فمن أبرز المسميات التي أطلقت على عصرنا: عصر التقنية ، وعصر القلق ، وعصر الترويح. وترتبط هذه المسميات بعلاقة وثيقة فيما بينها ؛ فالتقنية تولد عنها القلق ، وأصبح الترويح أحد أهم متطلبات عصر التقنية والقلق ؛ لما له من تأثير في الحد من المشاكل المترتبة عن ذلك.

أهداف الترويح:

الترفيه له أهداف رئيسة وأهداف جانبية ؛ فمن أهداف الترفيه:

١ - **تجديد النشاط ، وتقوية الإرادة:** للترويح أثر ملاحظ على النفس بتجديد نشاطها ، ولذا يجد المتأمل في حكمة التشريع الإسلامي أن عيد الفطر يأتي بعد وقت جد وعبادة ، بالصيام ، والقيام ، وغيرها من النوافل ، وعيد الأضحى يأتي بعد يوم عرفة ، وهو يوم عبادة ، ودعاء ، وتضرع ، وصيام لغير الحاج. وللترفيه أثر في إزالة ما يعتري النفس من تعب وجوع وعطش، وقد استخدم الصحابة الترفيه لتصبير أطفالهم على الصوم.

٢ - **إظهار سماحة الإسلام:** إن إظهار الترفيه المباح لإعلام الآخرين بسماحة الدين وواقعيته أمر مطلوب ومشروع.

٣- إسعاد الصغار: إسعاد الصغار أمر مطلوب ؛ لأن الصغار هُمْ بهجة الدنيا وإسعادهم يملأ الأجواء سعادة وفرحًا.

٤- التنمية العضلية: من أفضل الوسائل الترفيهية ما يفيد البدن وينشطه ، والصغير كثير الحركة واللهو، والمطلوب من الكبار أن يتنزلوا لهم ليسعدوا ؛ ولأن في حركتهم تنمية لقواهم العضلية.

وهناك عدة وسائل يحصل بها الجمع بين الترفيه والتنمية العضلية والاستعداد العسكري للمجتمع المسلم منها الرمي بالسلاح للتمرين على الإصابة والدقة ، والفروسية ، والسباق على الإبل ، والسبق بالأقدام ، والسباحة ، والمصارعة ، وهذه رياضة نبيلة ، لكنها تطلق الآن على رياضة عنيفة لا يقرها دين ولا عقل ، والغطس: وهذه الوسيلة الترفيهية رياضة جماعية، وفيها فائدة تمرين الصدر والرئتين على الحصول على كمية أكبر من الهواء مع التكرار والصبر.

٥- التهيئة النفسية وإزالة التوتر:

من حكمة الشارع أنه شرع للإنسان في حال توتره وخوفه بعض الوسائل الترفيهية لإزالة ذلك ، ومن أصعب المواقف ليلة زفة العروس إلى زوجها ؛ إذ كل طرف يصيبه توجس وقلق من الموقف ، وقد يصيبه خوف من الإخفاق ؛ فشرع الضرب بالدف، وذكر الأناشيد التي تؤدي الغرض ، ومثل ذلك وقت الحرب. كما ورد في السنة النشيد وقت العمل الشاق، كمثل ما حدث في حفر الخندق ، وفي السفر، ونحو ذلك.

٦- التشجيع:

إقامة الحفلات الترفيهية المباحة سبيل إلى تشجيع المُحسِن ، سواء أكان كبيرًا أم صغيرًا، وقد ورد مثل هذه الحفلات عن بعض من سلف ؛ فمن الأساليب التي تحبب العلم إلى الصغار الاحتفال بهم ، بوضع حفلة ترفيهية مفرحة.

٧- تنمية الروح الابتكارية والتخيلية: من أهداف الترفيه: التعليم والابتكار ، وقد توالت الدعوات في الدراسات التربوية الحديثة إلى توسيع أسلوب التعليم بالترفيه. وقد كان من العادات التي أقرها الشرع استعمال الدمى للصغيرات.

ومما يقود إلى التعلم بأسلوب ترويحي وترفيهي استعمال المسابقات العلمية ؛ وذلك بطرح المسألة على الحاضرين ليعرف الأحذق والأعلم فيجيب.

خصائص الترويح عن النفس في الإسلام:

يمثل الإسلام نظام حياة متكامل عقيدة وشريعة يجب أن تنبثق عنه جميع تصورات ومبادئ وقيم وسلوكيات الإنسان المسلم ، وعلى ذلك: ينبغي أن ننظر إلى الترويح من خلال الخصائص التي أعطاها له الإسلام ، ومنها أنه:

١- عبودية لله -: 7 8 (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي © رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ´ µ ¶)(الأنعام: ١٦٢-١٦٣). والترويح هو جانب من المحْيَا في حياة المسلم ، وبالتالي: فهو (© رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ) في حال إصلاح العبد لنيته في ممارسته بشروط حلّه ، واتخاذه وسيلة لتحقيق عمل صالح أو لتجديد نشاط المسلم في الأعمال الجادة.

٢- ثابت المعالم متجدد الوسائل:

ليس للمسلم أثناء قيامه بنشاط ترويحي أن يتجاوز جوانب يوجب الإسلام تَرْكَها لحرمتها أو ضررها بل عليه أن ينضبط بضوابط الإسلام ويحتكم بأحكامه ، وهذا هو الجانب الثابت في الترويح ، وما سوى ذلك فللإنسان أن يبدع ويجدد فيه ما شاء من كيفيات ووسائل ، وذلك الثبات في الترويح من جهة والإفساح وفتح المجال للتجديد من جهة أخرى: هو أحد الخصائص المهمة للترويح في الإسلام.

٣- يراعي طبيعة الفطرة الإنسانية:

عند التأمل في أنواع الترويح المشروع والمباح: نجده شاملًا لجميع حاجات ودوافع الإنسان التي تتطلبها جوانبه المختلفة (الروح ، العقل ، الجسد) مما يدل على أن من خصائصه العموم والشمول لجميع مكونات وخصائص الكائن البشري ومراعاة الفطرة التي خلقه الله -عليها.

٤ - يحقق التوازن بين جوانب الإنسان المختلفة:

للإنسان جوانب مختلفة (روح ، عقل ، جسد) ، وله ميول متنوعة ، قد تدفعه إلى تغليب جانب أو أكثر على بقية الجوانب الأخرى ، ولكن نتيجة للترابط بين جوانب الإنسان المختلفة نجده يكلّ ويملّ ، ويصعب عليه مواصلة المسير ، بل قد يمتنع من ذلك ، وهنا يأتي دور الترويح لتحقيق التوازن بين تلك الجوانب ، لكي يبتعد الإنسان عن الكلل والملل ، ويعاود المسير براحة وطمأنينة.

٥ - انطلاقة من دافِعِيّة وممارسة بانتقائية:

يتم الإقبال على ممارسة النشاط الترويحي وفقًا لرغبة الممارس ودافعيّته الذاتية حسب حاله من الكلل والملل أو النشاط والهمة ، كما أن الإقبال يتم أيضًا وفقًا لاختياره لأي نوع من أنواع الأنشطة الترويحية التي تناسبه وتحقق ميوله ورغبته واحتياجاته.

٦ - لا يزحف على عمل جاد:

يتم النشاط الترويحي في وقت الفراغ ، والمراد به: الوقت الخالي عن الأعمال الجادة كأوقات الشعائر التعبدية الواجبة ، وأوقات العمل ، وأوقات القيام بواجبات ومستلزمات الحياة الأخرى ، كالأكل والنوم ، وما توجبه طبيعة الحياة الاجتماعية من آداب مرعية كزيارة الأقارب ، وإكرام الضيف ، وعيادة المريض ، ونحو ذلك.

ضوابط للترويح عن النفس في الإسلام:

١ - الأصل في الترويح الإباحة: فمن القواعد المتقررة في الشرع أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم.

٢ - الترويح وسيلة لا غاية: الترويح وسيلة من الوسائل التي يستطيع بها الإنسان تحقيق التوازن بين جوانبه المختلفة ، في حالة وجود اختلال بالإفراط في جانب على حساب بقية الجوانب الأخرى ، وإذا تجاوز النشاط الترويحي هذا الحد وأصبح هدفًا وغاية في ذاته ، فإنه يخرج من دائرة المستحب أو المباح إلى دائرة الكراهية أو الحرمة.

وبهذا الضابط يخرج الاحتراف لبعض الأنشطة الترويحية عن دائرة المباح أو المشروع لأن فيه إخلالًا ببنية وهيكل النظام الاجتماعي القائم على تعاليم الإسلام ، وفيه قيادة أفراد الأمة إلى الميوعة والترف والانحلال ، أضف إلى ذلك: تحقيق ذلك لرغبات أعداء الأمة في إلهاء أفرادها وإشغالهم عن جوهر الصراع الحضاري الذي يمارسونه ضدها. وأدلة هذا الضابط ظاهرة في الشريعة.

٣ - الجد هو الأصل ، والترويح فرع: فالنشاط الترويحي في التصور الإسلامي ما هو إلا حالة علاجية ، لحصول الاختلال في إعطاء كل جانب من جوانب الكائن البشري ما يستحقه من النشاط والقوة ، ليعود الإنسان بكافة جوانبه لمواصلة السير في طريقه إلى الله لأ بجد ونشاط ومثابرة.

٤ - ألا يكون في النشاط الترويحي مخالفة شرعية: يعتبر هذا الضابط الأهم من ضوابط النشاط الترويحي ، ولتطبيقه صور مختلفة ، منها:

- ألا يكون في النشاط الترويحي أذية للآخرين من سخرية ، أو لمز ، ونبز ، أو ترويع ، أو غيبة ، أو اعتداء على ممتلكاتهم بإتلاف أو استخدام ... ونحو ذلك.

- ألا يكون في النشاط الترويحي كذب وافتراء.
- ألا يكون في النشاط الترويحي تبذير للمال واستهلاك باذخ.
- ألا يكون في النشاط الترويحي اختلاط بين الرجال والنساء لما يفضي إليه ذلك من النظر المحرم ، والخلوة المحرمة ، بالإضافة إلى أنه قد يكون ذريعة لمخالفات شرعية أكبر.
- ألا يكون في النشاط الترويحي نص على الحرمة. ولقد جاءت بعض النصوص بتحريم بعض أنواع ووسائل الترويح ، ومن ذلك: المعازف ، والنرد ، والميسر ، والتحريش بين البهائم ، واتخاذ ما له روح غرضًا ، وتصوير ما له روح ، والنظر إلى ما حرم الله لأ .

٥ - ألا يشغل النشاط الترويحي عن واجب شرعي أو اجتماعي:

الطابع العام لحياة المسلم: الجدية ، وما الترويح إلا عامل مساعد للحياة الجادة ، والاستمرار فيها ، فإذا تجاوز الترويح هذا الحد فشغل عن الجد: فإنه يخرج إلى دائرة المكروه أو المحرم بحسب نوع الجد الذي يشغل عنه ، فإذا كان شاغلًا عن أداء واجب أو ترك محرم فإنه محرم ، وإن كان شاغلًا عن أداء مستحب أو ترك مكروه فإنه مكروه ، لأنه أصبح ذريعة إلى الحرام أو المكروه ، وما كان ذريعة إليهما أعطى حكمهما.

٦ - ألا يكون النشاط الترويحي ضارًّا على ممارسه:

إذا كان في النشاط الترويحي ضرر على ممارسه أيًّا كان نوع الضرر ولم يوجد فيه نفع يفوق ذلك الضرر فإنه يحرم على ذلك الممارس مزاولته ، وبهذا تظهر حرمة أنواع من الرياضة في عصرنا كالملاكمة والمصارعة بوضعها الحالي والله أعلم لما تؤدي إليه من أضرار في الجسم ، بل وربما أدى بعضها إلى الوفاة أو الإعاقة كما هو مشاهد.

الفصل الثالث

أفكار لإدارة العمل الدعوي بالجامعة

كَوْن الداعية طالبًا في كلية ، هذا يوفر العديد من المميزات التي ربما لا يجدها أي داعية في أي مكان آخر ، وهذه المميزات تنقسم إلى قسمين:

مميزات خاصة بالداعية كفرد ، ومميزات خاصة بالمكان ، وهو الجامعة ، أو الكلية على وجه الخصوص.

أما ما هو خاص بالداعية كفرد ، فهو أنه في أكثر أوقات الحياة حيوية وانطلاقًا ، مع التخفف من المسئوليات الحياتية ، فليس لديه أسرةٌ يرعاها مثلًا ، أو عملٌ يرتزق منه مكلفٌ بأدائه.

أما مميزات المكان فهي أن الداعية يتعامل مع شرائح مختلفة من المجتمع فعليه أن يغتنم من كل هذه الشرائح ما يفيد دعوته. فالداعية يتعامل مع عضو هيئة التدريس ، ومع الموظفين ، ومع أفراد الأمن ، ويتعامل مع طلاب مؤيدين لفكرته ، ومع طلاب معارضين لتلك الفكرة ، ومع طلاب لا يحملون أية فكرة ، وتتعامل مع جنس آخر.

كيف يستفيد الداعية من فترة (الدراسة الجامعية)؟

١ - مسح الواقع:

على الداعية أن ينظر إلى كليته من أعلى نقطة يكشفها بها ، فالنقطة داخل الدائرة لا تحيط علمًا بكل ما في الدائرة ، أما النقطة خارجها فإنها تستطيع رؤية كل ما بها ، فكلما ازددت بعدًا كانت الصورة أشمل.

فينظر الداعية إلى كليته ، ويقوم بعملية مسح لواقع كليته ، مثل الطبيب الماهر الذي يجمع كل معلومة من مريضه لكي يستطيع إعطاءه دواء ناجعًا. ويبدأ بتحديد

طبيعة من يعمل معهم من الطلاب ، وذلك بجمع البيانات التالية:

- عدد الطلاب الذين يحملون نفس المنهج.
- عدد الطلاب الملتزمين بالعبادات ، ولكن لا يحملون هم الدعوة إلى الله.
- عدد الطلاب المذبذبين في عباداتهم.
- عدد الطلاب الذين يحملون اهتمامات فارغة ، أو بعيدين كل البعد عن الالتزام بالدين وعباداته.
- عدد الفرص التي من الممكن أن تفيد العمل الدعوي.
- المعوقات التي ربما تعطل العمل أو تسبب له تعثرًا.
- الحلول كثيرة يمكن القيام بها في حالة حدوث إحدى هذه المعوقات.

ثم يجمع كل هذه البيانات ، ويشرك معه من يعاونونه في العمل ، في جمع تلك المعلومات ، ويحيطهم بالهدف من القيام بهذه العملية ، فلا خاب من استشار ، ولأن العمل الدعوي أو العمل للإسلام من مبادئه الأساسية مبدأ الشورى.

٢- وضع خطة للعمل: بعد أن ينتهي الداعية من عملية المسح ، سيجد عنده معلومات وافية عن كليته ، وعندئذ يستطيع أن يضع خطة عمله الدعوي ، وفق أهداف ووسائل تشمل كل هذه الشرائح التي جمعها في مسحه لواقعه.

وعلى الداعية أن يقسم الخطة إلى عدة محاور:

- محور خاص بحاملي هَمّ الدعوة ، وهم من يساعدون في العمل الدعوي داخل الكلية.
- محور خاص بحاملي هَمّ الدعوة ولكن لديهم بعض الشبهات ، أو بعض المعوقات.
- محور خاص بالقريبين من المنهج.

- محور خاص بعموم الطلاب.
- محور خاص بأعضاء هيئة التدريس.
- محور خاص بالعاملين بالكلية ، من موظفين وعمال وأفراد أمن.

وبعد تقسيم محاور العمل ، يصل الداعية إلى مرحلة وضع الأهداف التي يريد تحقيقها من خلال تلك المحاور ، ويجب أن تكون الأهداف التي يحددها الداعية لكل محور متفقة مع ما تم جَمْعه من معلومات.

ومن شروط الهدف الصحيح أن يكون واقعيّا وطموحا في آن واحد ، وأن يكون قابلا للقياس ، أي: تستطيع تقييم مدى تحقيقه آخر العام ، أو من آن لآخر خلال العام ، وبالطبع أن يكون الهدف شرعيّا ، وله علاقة مباشرة بما وضع له.

وبعد وضع الأهداف ، يحدد الداعية الوسائل التي تصل به إلى هذه الأهداف ، فمثلا إذا وضع هدفًا يقول: (زيادة عدد المصلين في الكلية لنسبة ٥٠%) ، يضع له وسائل ، مثل: كتابة أحاديث على السبورات أو على لوحات في المدرجات وأماكن التجمعات ، عن أهمية الصلاة وأهمية الشعائر والعبادات ، وضرورة احترامها وتوقيرها وأدائها ، أو طرح مسابقة بين الطلاب بها تلك المعاني ، أو عمل معرض ، أو ندوة الخ.

وكلما كانت الوسيلة جديدة ومبتكرة ، كلما زادت نتيجة مردودها ، خاصة مع قلوب مخلصة تعمل لله لأ وتريد نشر دعوته ، لتأخذ الناس من أيديهم إلي الخير ، وإلى الجنة بإذنه -.

٣- توظيف الأفراد:

بعد وضع خطة العمل ، يوظف الداعية الأفراد المعاونين له حسب الطاقات ، وحسب الإمكانات والفاعلية ، في الأماكن المناسبة ، وليكن في بؤرة اهتمامه تدريب هؤلاء الأفراد وتوريثهم المهارات المكتسبة ، ليقوموا بتلك الأدوار في الأعوام المقبلة ، فيضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

مهام المسئول عن العمل:

والمسئول هو أهم حلقة من حلقات إدارة ومتابعة العمل ، ومن أهم العوامل في تحقيق المستهدفات. ومن أهم مهامه: ١ - التخطيط. ٢ - الدعم الفني. ٣- التوظيف. ٤ - الترشيح. ٥- المتابعة. ٦- التوجيه. ٧- التوريث. ٨- علاج السلبيات والمشكلات. ٩ - الاستيعاب. ١٠ -تنمية الذات.

١ - التخطيط:

إن وضع خطة للعمل يمثل دورة تدريبية للأفراد ، ويمنحهم وضوحا للرؤية في خريطة العمل: من أهداف ووسائل ودراسة الواقع والسلبيات والإيجابيات وطبيعة المرحلة ... الخ ، بصورة عملية واقعية.

كما أن الارتقاء بروح الشورى والمشاركة والتفاعل بين أفراد العمل ككل هو نتاج جيد لعملية التخطيط.

٢ - الدعم الفني:

إن من أهم أهداف عملية الدعم الفني:

- زيادة قناعات الطلاب بمهامهم الحالية والمستقبلية.
- إعداد الطالب لمهام جديدة أو مواقع قيادية جديدة.
- زيادة مهارات الطلاب ورفع إنتاجيتهم.
- إعداد قيادات طلابية حالية ومستقبلية.
- تحليل مشكلات العمل الطلابي ووضع حلول لها.
- تنمية المهارات الإدارية والشخصية لدى الطلاب.
- إتاحة الفرصة للقاء الطلاب بعضهم ببعض ، ولقائهم بمن سبقوهم بالخبرة في العمل الطلابي.

- توحيد المفاهيم الفكرية والإدارية والتربوية لدى الطلاب.

٣- التوظيف:

توصيات لنجاح عملية التوظيف:

- تعميق روح التعاون بين الأفراد.
- تجنب تكرار التكليف ، أي: تكليف أكثر من فرد بالمهمة نفسها ، خوفا من فشل أحدهم.
- اعتماد مبدأ الحوافز والتشجيع والرعاية لإبداعات الأفراد.
- إفساح المجال لجميع الاقتراحات والانتقادات.
- إشعار المكلَّف بالثقة بالنفس.
- مراعاة المدخل الإيماني في التكليف.

ويراعى عند التكليف بعمل ما الآتي:

- توضيح العمل وضمان استيعابه.
- توضيح الهدف من العمل أو النشاط.
- توضيح حدود وأطر التنفيذ.
- تحديد أسلوب التقييم.

٤ - الترشيح:

وهو إبداء الرأي في ترشيح فرد إلى مهمة أو عمل أو مستوى ، بعد الوقوف على طبيعة المهمة المرشح لها ، أو شروط المرحلة التي سينتقل إليها ، ويتم الوقوف على قدرات الفرد من خلال: الاحتكاك المستمر به ، ومعرفة نقاط القوة أو الضعف فيه ، ومدى توافر الشروط المطلوبة فيه.

٥ - المتابعة:

وهي التأكد من تحقيق الأهداف ، وتحديد مدى الاقتراب من معايير الإنجاز ، واكتشاف مواضع الخلل ، وأخذ الإجراءات التصحيحية ، وهي عملية مراقبة ومتابعة التقدم في العمل ، ومقارنة ما تحقق بالمستهدَف ، والتدخل في الوقت المناسب لتصحيح المسار حتى نصل إلى الهدف المطلوب. وهذه المتابعة إما أن تكون فردية أو جماعية ، من خلال تقارير شهرية مثلا تطلب من الأفراد.

٦ - التوجيه:

ويقصد به: الأخذ بيد الأفراد ومعاونتهم على بذل الجهد لتحقيق الأهداف المرجُوّة ، وهو النصيحة التي تُبنَى على إقناع وإرشاد وحث وتحفيز الأفراد على العمل في اتجاه المطلوب.

وترجع أهمية التوجيه إلى أنه:

- يسهم في إنجاز الخطة وتحقيق الأهداف.
- يجنب الأفراد استمراء الأخطاء وإلفها.
- يجنب العمل الكثير من المشكلات.
- يساهم في تربية القيادات والكفاءات.
- يورث الخبرات والمهارات اللازمة لتحقيق المستهدفات.

إلا أن للتوجيه آدابًا يجب مراعاتها ، مثل:

- أن يكون التوجيه بالقدوة وأن يمارس الموجّه عمليّا ما يدعو إليه.
- أن ترفق بمن توجهه ، فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه ، وما نُزع من شيء إلا شانَه.
- أن توجه النصح بالتعميم ، على طريقة (مَا بَالُ أَقْوَامٍ) ، وتعالج

الحالات الخاصة على انفراد.

- التوجيه في تواضع بأسلوب الأخ المشارك ، وليس بأسلوب (الأب - الأستاذ - الرئيس).
- الصبر على ثمرة التوجيه ، وإفساح الصدر ، والاستماع ، والإلمام بالظروف.
- الوضوح والبساطة وعدم التكلف ، مع الحب والثقة.
- لا تُكْثِر من تكرار النصح حتى الملل ، ولا تتعجل في تقديم حلولك وآرائك ، ولكن استمع وشجع إخوانك على تقديم الحلول والاقتراحات والإبداع والابتكار ، وكُن آخر من يقول رأيه.
- أن يكون التوجيه ربانيًّا خالصا لله - ، وذلك بإخراج حظ النفس منه ، وأن تربط العمل بالله ، من حيث ثواب فعله ، ومرضاة الله لأ.
- أن يكون التوجيه مُعَدًّا ، مدعمًا بالآيات والأحاديث والمواقف والخبرات ، ولا يكون مرتجلًا.
- ابتكر دائما في أسلوب ووسائل توجيهك ، من خلال: (رسالة - لقاء عابر - كلمة توجيهية - كتاب - شريط - زيارة - مداعبة).
- اعترف بخطئك فورًا إذا أخطأت ، ولا تجادل.
- اعتمد في تحفيزك على مكافأة مَن يحسن ويبدع ويبتكر ، والثناء عليه ولو بلفته بسيطة.
- تلمَّسْ للمُقَصِّر الأعذار ، واستمع إلى ظروفه ، وأعِنْه عليها وخُذْ بيده.
- متابعة مردود هذا التوجيه ، ونتيجته على أداء الأفراد.

٧- التوريث:

هو نقل صفات وأخلاقيات وسلوكيات ومفاهيم وخبرات ، وهو هام لضمان استقرار العمل في حالة انقطاع الصلة عن الأفراد ، كما يمنع تكدس التكاليف والمهام عند قلة من الأفراد دون غيرهم.

ويتم التوريث عن طريق:

- التوجيه المباشر في المواقف المختلفة.
- الممارسة العملية للأدوار أو المهارات والسلوكيات المراد إكسابها.
- عقد لقاءات بهدف التوريث ، كزيارة لداعية ذي خبرة.
- عقد دورات تدريبية متخصصة.
- القدوة في الالتزام بالتوجيهات ، والعمل على تحقيق المستهدفات.
- تحديد نائب لكل مهمة.

ومن أهم الصفات والمفاهيم المراد توريثها:

- الاحتكام إلى موازين الإسلام في كل شيء.
- قول الحق وقبوله.
- ممارسة الشورى واحترام الرأي الأخر.

ومن أهم الخبرات العملية المراد توريثها:

- القدرة على الارتقاء بالمدعوين.
- الدعوة الشخصية ؛ وتنمية مهارات الانتقاء والارتقاء.
- توظيف الغير في خدمة الأهداف.
- خبرات التعامل مع (الإدارة – أعضاء هيئة التدريس - الحرس – رعاية الشباب ... الخ).

- الانتشار والاتصال ومداخل الإقناع والحوار مع عموم الطلاب.
- مهارات العمل العام ، مثل: (إدارة رحلة - برنامج إذاعي - ندوة ... الخ).
- التوازن بين أداء الأعمال الدعوية والمذاكرة وحضور المحاضرات ، وكذلك العبادات الخاصة والمحافظة عليها.

٨- علاج السلبيات والمشكلات:

أي علاج سلبيات الأفراد ومشكلاتهم ، وسلبيات العمل ومشكلاته ، عن طريق التخلية والتحلية ، والتوجيه الراشد المستمر ، وهذا يحتاج لجهد كبير من قبل المسئول.

٩- الاستيعاب:

والاستيعاب هو القدرة على جذب الآخرين والتأثير فيهم ، رغم اختلاف أمزجتهم وعقولهم وقدراتهم ، ويعني القدرة والأهلية على استيعاب المدعوين ، بما يضمن حسن الاستفادة منهم ، وتحويلهم إلى طاقة موجهه وقدرة فاعلة للعمل.

والاستيعاب قدرة شخصية يجب أن ينميها المسئول في نفسه ، وهي مؤهلات خلقية وصفات إيمانية وربانية تساعده ، وتجعله منارة للهدى في موقعه ، يستقطب الناس ويلتف حوله الجميع.

١٠- تنمية الذات:

من المهام والأدوار الأساسية التي يقوم بها المسئول إصلاح نفسه وتنميتها تنمية ذاتية في كافة المجالات الإيمانية والثقافية والبدنية ... الخ.

فالتربية الذاتية هي من السمات الأساسية للتربية الإسلامية ، والتربية هي الوصول بالشيء حالًا فحالًا حتى يبلغ الغاية المنشودة.

الفصل الرابع

كيف نستغل الإجازة الصيفية

ليس من المجازفة ولا من واقع الخيال أن يقال إن ثلاثة أرباع المجتمع يصبحون في الإجازة في عالم من الفوضى بسبب الفراغ الذي يغطي معظم الأوقات بالنسبة لهم ؛ وهذا إن دل على شيء فالدلالة واضحة وهي عدم الانضواء تحت برنامج منظم يحفظ الوقت ويحمي من سوء ما يجلبه الفراغ من مساوئ. إن بعض الناس وهم الأغلبية يرى في البرنامج المنظم مصطلحًا واحدًا وهو كبت الحرية وأخذ الراحة المزاجية من العطلة الصيفية.

والوقت أغلى ما عني الإنسان بحفظه ، وإذا كان هذا الوقت هو ريحان العمر وريعان الشباب فيا ترى كيف ستكون هذه الخسارة؟ وإن مما ينفع الإنسان في آخرته شغله فراغه في الدنيا بما يرضي الله -؛ وعلى ذلك فللإجازة أمور تشغل بها منها:

- **حلقات تحفيظ القرآن الكريم**: والتي يخرج منها الدارس برضا الله - وبالتقوى وحسن الأخلاق وتعلم شرع الله لأ والبعد عن أماكن الفساد والمعاصي ، وهذا لا يقتصر على شخص دون آخر ، بل حتى الأطفال في العاشرة فما فوقها على الآباء توجيههم إلى تلك الحلقات ؛ فلعل الله أن يجعلهم بذرة صالحة ونواة طيبة لبناء مجتمع طاهر محافظ.
- **المراكز الصيفية**: لقد أدت المراكز الصيفية عبر الأعوام السابقة دورًا كبيرًا في الإجازات ، وذلك لما تقوم به من نشاطات مختلفة تنمي الشباب على الخير والإصلاح ؛ فمن الأنشطة الثقافية إلى الأنشطة الرياضية إلى بقية الأنشطة التي تتلاءم مع النشء.

- **طلب العلم الشرعي**: ليست الإجازة حكرًا على سن معين ، ومن هذا المنطلق فإن بين أولئك شباب الصحوة الذين هم عماد الأمة بعد علمائها الأفذاذ ، ولذلك فإن الإجازة ساحة للتنافس في طلب العلم الشرعي وتحصيله وتحصين النفس به من الشبهات المتتابعة.
- **الخروج إلى القرى والنجوع للدعوة إلى الله** لأ ونشر دينه ؛ وهذه النقطة ليست « لكل من هب ودب » ولكن لمن آتاهم الله علمًا واسعًا وأخذوا على عواتقهم الوفية لله لأ الدعوة إلى سبيله - .
- **التحاق الفتيات بدور التحفيظ النسائية**: وهي والله عصمة للفتاة من السوء وأهله ، ودليلٌ لها إلى مرضاة الله لأ. إن فتيات المسلمين اليوم هن غدًا أمهات رجالهم الأفذاذ ؛ فهل من شيء أحق بالحفظ منهن؟
- **تنظيم برنامج أسري**: ويكون فيه كل متطلبات النفسيات الأسرية فيكون مثلًا متضمنًا لدروس السيرة المتناسبة مع الأطفال ، ودروس السيرة المتناسبة مع الكبار إلى جانب الرحلات البرية والتنزه.

الباب

الثاني عشر

العمل الاجتماعي

الباب الثاني عشر
العمل الاجتماعي

الفصل الأول

العلاقات الاجتماعية
بناؤها وتوظيفها في الدعوة إلى الله

تتولد بين الناس في خضم هذه الحياة علاقات مختلفة باختلاف الدوافع ، والأغراض التي هي من ورائها؛ فهناك روابط يؤلف بينها النسب ، وأخرى تجمع أطرافها المصاهرة ، وثالثة يحكمها الجوار ، وهكذا سائر العلاقات الأخرى التي تتكون نتيجة المصالح المشتركة ، والمواقف المتبادلة ، واللقاءات اليومية ، والاجتماعات الدورية ، كعلاقة زملاء العمل ، وعلاقات التجار والشركاء ، والأصدقاء ، وغيرها ؛ مما يجعل موضوع العلاقات ، والإفادة منه في مجال الدعوة إلى الله - محل اهتمام الباحثين.

أهمية العلاقات:

أغلب الظن أن لا أحد من الناس يجادل في أهمية العلاقات الجيدة ، ودورها الفعال في جميع مجالات الحياة على مستوى الشعوب والأفراد؛ ولذلك فالحديث عن أهمية العلاقات يعد من نافلة القول ، إلا أن بعض الجوانب المهمة تبرز من خلالها أهمية

العلاقات ، وخاصة في مجالات الدعوة المختلفة ، ومن أبرز هذه الجوانب ما يلي:

أولًا: الحماية والنصرة ؛ حيث تُشكّل العلاقات الجيدة حماية للداعية تمكّنه من نشر دعوته الإصلاحية ، وتبليغ رسالته ، ولو بشكل محدود. ولعلك شيئًا من هذا المعنى المهم يتضح من خلال التأمل في قوله 8 (D E F G H I J K L M N P Q R S T U V W)(هود: ٩١).

قال الشيخ السعدي / في معنى الآية: « أي: ليس لك قَدْر في صدورنا ولا احترام في أنفسنا ، وإنما احترمنا قبيلتك بتَرْكِنا إيَّاك »[1] ، ومما يزيد هذا الجانب وضوحًا ذلك الدور الفعال الذي لعبته علاقة النسب بين النبي ص وبين عمه أبي طالب ؛ حيث أحاطته ص بنوع من الطمأنينة والأمن استطاع من خلاله أن ينشر دعوته المباركة ، وأن يبذر نواة الخير في مكة وما حولها. فالعلاقات تحوط أصحابها ببعض الحماية التي تكون نافعة جدًا ، وبالذات في ظل الخلافات الشديدة التي قد تكون عائقًا كبيرًا في طريق نشر الخير!

ثانيًا: زيادة الإنتاج الدعوي ؛ وذلك من خلال استثمار الأموال والطاقات والأوقات التي لا تُمنح لأحد في الغالب إلا بحسب العلاقات أو المصالح المشتركة ، ومن هنا تبرز أهمية العلاقات ، ويتحتم على الدعاة إلى الله لأ السعي في بنائها ، واستثمارها في مجالات الدعوة المختلفة ؛ فجهد الواحد ليس كجهد الاثنين ، وجهد الأفراد ليس كجهد المؤسسات ؛ ولأن ما يُنجز من الأعمال الدعوية في ساعة ليس كما ينجز من الأعمال في ساعتين ؛ ولأن ما يبذل من المال للدعوة من شخص واحد ليس كما يبذل من المال من شخصين ، وهكذا يدرك الجميع أهمية العلاقات ، وأنها بلا شك من أعظم روافد العمل الدعوي ، وبالذات في هذا الزمن الذي تحتل فيه العلاقات مكانة

---

(١) تفسير السعدي ، (ص ٨٠٢).

مرموقة على مستوى الشعوب والأفراد ؛ فهل يحرص الدعاة المصلحون على بناء العلاقات ، واستثمارها في الدعـوة إلى الله لأ ، أم يبقون نكرات في مجتمعاتهم ، وأحيائهم ، يتعللون بالخوف من بريق الشهرة ، ويشعرون أن بروزهم ينافي كمال الإخلاص ، وقد يفقدهم بعض المصالح الراجحة: كحفظ الأوقات ، وطلب العلم ، ونحو ذلك؟ مع أن هـذا الكلام - وإن كان حقًا - إلا أن التوازن أمر مطلوب في أمور الحياة ، وسر عظيم من أسرار النجاح.

كيف نبني العلاقات؟ إن اللبنة الأم في بناء العلاقات هي الحب الصادق الذي هو في الحقيقة قاعدة صلبة تقوم عليها أروقة العلاقات ، ومن أجل ذلك حث الإسلام على مد الجسور الموصلة إلى تلك القاعدة العظيمة ، ليسود الوئام والوفاق ، ويتم التعايش السليم الذي يليق بالإنسان في هذه الحياة ، ومن هذه الجسور ما يلي:

١ - **التعارف**:وهو أول مرحلة من مراحل بناء الحب ؛ حيث يجدر بالحريص على بناء العلاقات أن يتعرف على من حوله ، وأن يمد معهم جسورًا من العلاقة الجيدة التي تقود بإذن الله -إلى احتواء أحبابه واصطفائهم متعبدًا بذلك لله - .

٢ - **الهدية**: وهي السحر الحلال الذي يفتح الباب المصمت ، ويسل سخيمة القلب ، ويذهب وَحَر الصدر ، ويزرع الحُب الجمّ ، وما أجمل قول الشاعر:

إن الـهـــدِيَّةَ حُـــلْوةٌ كالسحرِ تجتلبُ القُلوبَا
تُدْنِي البغيضَ مِن الهوَى حتى تُصَـــيّره قريـبَا
وتُعيدُ مُضْطَغِنَ العداوةِ بعـــدَ نُفْـرَته حبيـبَا [1]

وأجمل من ذلك وأعظم قول الرسول ص: « **تَهَادَوْا تَحَابُّوا** » (رواه البخارى

---

(١) الضِّغْنُ: الحِقْدُ وَالْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ. وَقَدْ ضَغِنَ عَلَيْهِ ، ضِغْنًا وضَغَنًا واضْطَغَنَ. واضْطَغَنَ فلانٌ عَلَى فُلَانٍ ضَغِينةً إِذا اضْطَمَرها. وتَضَاغَنَ الْقَوْمُ واضْطَغَنُوا: انْطَوَوْا عَلَى الأَحْقاد.(انظر:لسان العرب ، مادة: ضغن).

فى الأدب المفرد ، وحسَّنه الألباني).

٣- الحقوق الشرعية المتبادلة:

وهي منظومة من الحقوق الواجبة للمسلم على المسلم ، أو المندوبة بينهم ، سردها ص فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت أَنَّ رَسُولَ الله ص قَالَ: « **حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ** » قِيلَ: « مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ » ، قَالَ: « **إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ** » (رواه مسلم ، سَمِّتْه: شَمِّتْه). إن هذه الحقوق العظيمة ، والآداب الرائعة التي تبدأ بالسلام من أول لقاء في هذه الحياة ، وتنتهي بالوداع الذي لا لقاء بعده إلا في الآخرة لهي في الحقيقة جسور عظيمة ، تزرع المحبة في القلوب ، وتبني أروع العلاقات الأخوية المستمرة بإذن الله -.

ومن هنا فإن الدعاة هم أحوج الناس إلى إحياء هذه الآداب الرائعة ، والتفاعل معها ، وإخراجها من حيز المقابلة الميتة ، والبسمة الباهتة ، والنمطية المملة (الروتين) إلى حيز الأخوة الصادقة ، والتواصل الحي الذي يدفعه الصدق ، والإخلاص والحرص على نفع الآخرين وهدايتهم.

٤ - الخدمة وقضاء الحوائج:

إذا كانت الجسور التي سبق الحديث عنها تشكّل أهمية لا بأس بها في بناء العلاقات المثمرة فإن خدمة الناس ، وقضاء حوائجهم هو الجسر الأعظم الذي يلتقي مع تلك الجسور ، ويشكل معها قوة هائلة في بناء العلاقات ، وسر ذلك يعود إلى طبيعة النفس البشرية التي فُطرت على محبة من يحسن إليها ويقوم بشؤونها ومصالحها ، ومن ثم فهي تنظر إليه نظر الإجلال والتعظيم والحب ، وهذه النظرة الفطرية هي في الحقيقة ناتجة من ضعف الإنسان ، وحاجته المستمرة التي لا تنتهي في هذه الحياة إلا بوفاته ؛ ومن تأمل سيرته ص رأى فيها سمة المبادرة إلى الاهتمام بشؤون الناس ، وتلمّس حاجاتهم ، وعلى هذا المنهج القويم تربى السلف الصالح من الصحابة والتابعين ي.

أهمية نفع الناس:

قال ص: « **أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ ، وأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي المسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا ، ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًى يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ تَعَالَى قَدَمَهُ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ ، وإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ العَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ** ». (حسن رواه الطبراني).

إن خدمة الناس ، والسعي في قضاء حوائجهم جسر من المعروف محفوف بالمتاعب والتضحيات ، ولكنه يوصل بإذن الله ـ تعالى ـ إلى أرقى العلاقات المثمرة المؤدية إلى السيادة ؛ حيث لا شك أن خادم القوم سيدهم.

ومن هنا فإن على الدعاة اليوم أن يتسابقوا إلى نفع الناس ، ودفع المكروه عنهم ، وخاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه الكلام ، وقلّ فيه العمل ، وظهر فيه الشح والأثرة ، وتعانق فيه الفقر والجهل؛ فما أحوج الناس إلى الكلمة الحانية والمواساة الكريمة ، والخدمة الجيدة ، والنفع المتعدي ، وبالذات في هذا العصر الذي ملَّ فيه الناس من جعجعة بلا طحين وعلقت آمالًا كبيرة على الدعاة والمصلحين.

ثمار العلاقات الاجتماعية:

يجب أن ندرك أهمية بناء العلاقات الاجتماعية. إن العلاقات الإنسانية في بيئة العمل هي المادة اللزجة التي تحرك آلة العمل والإنجاز ، وكلما كانت هذه المادة عالية اللزوجة أدت إلى تحقيق نتائج باهرة ، وأوصلت الإنسان إلى قمم من الأداء والرضى الوظيفي والراحة النفسية ، والعكس صحيح تمامًا.

وهذا الكلام النفيس ليس حكرًا على الأعمال الوظيفية فقط ، بل ينبغي أن يوظف في مجالات الدعوة المختلفة ، ومنها الأعمال الوظيفية ولا شك.

ويجب أن نستثمر هذه العلاقات المختلفة في مجالات الدعوة المتعددة ؛ حيث يمكننا أن نوظف علاقاتنا وعلاقات الآخرين أيضًا ، وذلك من خلال توجيه الأموال والأوقات ، والطاقات والأفكار ، وغير ذلك ، حتى إننا لنطمع من خلال العلاقات في حنجرة المغني أن تصدح بالأذان ، وتتغنى بالقرآن ، وفي قافية الشاعر أن تجسد معاناة المسلمين ، وتصور مآسي المنكوبين ، وتواسي جراحاتهم ، وفي قلم الصحفي أن يسطر الحق في الزوايا والأعمدة التي طالما سُطِّر فيها الباطل ، وفي سلطة رجل الأمن أن يأخذ بها على يد السفيه.

إننا نطمع من خلال العلاقات أن يتحول الضعف إلى قوة ، والبغض إلى حب ، والتشاؤم إلى تفاؤل ، والهزيمة إلى نصر ، والتفرق إلى وحدة ، وهكذا ينبغي أن تستثمر العلاقات دون أن تقف بها عند حد معين ، ما لم تصل إلى مداهنة مزرية ، أو شفاعة محرمة ، ونحو ذلك.

ويجب أن ندرك أننا قد ننجح في بناء العلاقات ، ولكن لا ننجح في استثمارها بالشكل المطلوب ، وهذا يعني هدر طاقات ، وزيادة أعباء ، واستهلاك أموال وأوقات دون مقابل يذكر ؛ مما يجعل العلاقات تعمل بالحدّ السالب فقط ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الفتور والضعف ، ومن أجل ذلك ينبغي أن نعي جيدًا أن سر النجاح في العلاقات يكمن في مدى استثمارها ، والمحافظة على عطائها بالقوة نفسها ؛ لأن من المسلّمات البدهية أن الوصول إلى القمة مهم ، والبقاء هناك أهم ، ومعرفة أسباب البقاء في القمة هو سر النجاح بإذن الله -.

حسن الاتصال بالناس:

نجاح الداعية في تحقيق أهدافه ونشر رسالته مرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرته على الاتصال بالناس ؛ فالدعوة إلى الله - تفاعل تبادلي بين الداعية ، والمدعوين .

وتنمية مهارات الاتصال للدعاة في غاية الأهمية ؛ لأنها هي - بعون الله تعالى - الأداة الفاعلة للنجاح الدعوي .

ويعتمد حسن الاتصال على أمور رئيسة ، من أهمها:

أولًا : القدرة على نقل المبادئ والعلوم بإتقان: ويتطلب ذلك قدرة فائقة على ضبط المعلومات وفهمها فهمًا صحيحًا ، ثم ترتيبها حسب الأوْلى ، ثم نقلها إلى الناس بدقة واتزان.

ثانيًا: معرفة أحوال المخاطَبين: إنَّ معرفة اتجاهات الناس الفكرية ، والنظم الاجتماعية السائدة بينهم ، تعين في التزام الأسلوب العلمي المناسب في التواصل البنَّاء معهم ، فالاتصال بالناس يتطلب مخاطبتهم على قدر عقولهم وفهومهم ؛ ليكون ذلك أبلغ في التأثير عليهم.

ثالثًا : القدرة على الإقناع: وهذه مهمة صعبة لا يتقنها كلّ أحد ؛ فكم من متحدث متقن للعلوم التي يتحدث عنها ، لكنَّه يُخفق في إقناع الناس بما عنده ؟! وربما تجد شخصًا أقل بضاعة وأضعف فهمًا ، لكنه أَلْحن حجة وأحسن بيانًا.

ولأهمية الإقناع في إيصال المبادئ والأفكار إلى السامعين أضحت وسائله علمًا يُدرَّس ، ووضعت له قواعد وأصول ، فإذا كان التلقين المجرَّد عن البرهان قد يستسلم له طائفة من الناس ، فإن طوائف أخرى كثيرة لن تقبل إلا ما تؤمن به وتطمئن إليه ، والدعاة إلى الله أوْلى الناس بدراسة هذا العلم ومعرفة فنونه وطرائقه ؛ فهم حَمَلَةُ رسالة عظيمة. وسلامة المنهج الذي يحملونه ليس كافيًا وحده في إقناع الناس ، بل لا بد من سلامة العرض وقوة الإقناع.

رابعًا: الجاذبية الشخصية: وهي عامل رئيس في مخاطبة الناس والتأثير عليهم ، فإذا لم يحب الناسُ من يدعوهم إلى الخير ويألفوه ؛ فإنهم لن يسمعوا منه أو يلتفتوا إليه .

ومن أهم مقومات الجاذبية الشخصية :

١- إظهار المحبة والشفقة على الناس ، حتى على المقصرين منهم ؛ فالداعية الصادق همُّه أن يهتدي الناس إلى الحق ، ولا يظهر الشماتة أو التشفي أو الرغبة في الانتصار.

٢- حسن الخلق في تواصله مع الناس : فذلك يجعل الداعية يألف ويُؤْلَف ، والكلمة الطيبة مفتاح القلوب ، وعنوان النجاح ، وربّ كلمة لطيفة يسديها الداعية إلى بعض الناس لا يلقي لها بالًا تفعل فعلها في نفوسهم ، وتثمر خيرًا كثيرًا.

٣- الحلم وسعة الصدر: فالإنسان المتشنج الغضوب سريع الانفعال لن يجد من المدعوين إلا النّفرة والإعراض ، أما الحليم الذي يصبر على جهل الجهول وأذاه فهو الذي يفلح في تبليغ رسالته البلاغ المبين ، وينجح في استمالة الناس إليه.

خامسًا: القدرة على التفاعل الإيجابي مع المدعوين:

إن كثيرًا من الناس يأسرهم ويشدهم إلى قلب المتحدث تفاعله الحي معهم. وكثير من الإخفاق الدعوي الذي يعرض لبعض الدعاة من أسبابه الرئيسة قصورهم في التجاوب مع آراء الناس ومشكلاتهم ، وقصورهم في إدراك ردود الأفعال بحجمها الصحيح ؛ فهو لا يعرف ما إذا كان السامعون فهموا مراده ، وآمنوا برسالته ، أم أنه يتحدث في وادٍ والناس في واد آخر ... !

إنَّ ثمة حقيقة ناصعة الوضوح يجب على الدعاة أن يستصحبوها في جميع مناشطهم الدعوية ، وهي أن الساحة الحالية ساحة منافسة وسباق مع شتى التيارات الفكرية ، والأقدر على تحسين أدوات الاتصال بالناس ؛ هو الذي سوف يحظى بلا شك بقلوبهم .

الفصل الثاني

إدارة العمل الخيري

محاور العمل الخيري:

ينطلق العمل الخيري مهما اختلف حجمه وتباين نشاطه من ثلاثة محاور ، هذه المحاور هي: أهداف المنظمة الخيرية ، رغبات المتبرعين ، وحاجات المستهدفين.

عملية التوفيق بين هذه المحاور ، التي قد تبدو متعارضة ، هو الطريق الممهد لبقاء المنظمة الخيرية ونجاحها بعد توفيق الله ، والانسياق خلف واحد منها قد يكون دهليزًا نحو الفشل.

أما المحور الأول فهو: أهداف المنظمة الخيرية التي تسعى لتحقيقها وتكافح من أجلها (أو هكذا يفترض) ، وبقدر ما يسخر القائمون على المنظمة الخيرية لهذه الأهداف من موارد مالية وبشرية بقدر ما تقترب المنظمة نحو تحقيق النجاح.

المحور الثاني هو: رغبات المتبرعين ؛ وهي متنوعة ومتباينة بتباين قيم الناس وثقافاتهم ، إلا أن ثقافة المجتمع تلعب دورًا كبيرًا في توجيه رغبات المتبرعين ، ولعل هذا ما يفسر تكدس الناس على مشاريع خيرية محددة وتجاهلهم لأخرى قد تكون أعظم أجرًا وأكبر نفعًا.

أما المحور الثالث فهو: حاجات المستهدَفين ، والمستفيد في هذه الحالة هو الفرد الذي (يستهلك) منتجات المنظمات الخيرية ؛ سواءً كانت هذه المنتجات ملموسة أو غير ملموسة ، وهناك جدل كبير: هل المستفيد قادر على تحديد احتياجاته أم لا؟

إن انطلاق المنظمة الخيرية من أحد هذه المحاور وتجاهل المحاور الأخرى سوف يقود لا محالة إلى نتائج سلبية ، فالتركيز على أهداف المنظمة وتجاهل رغبات المتبرعين سيجعل المنظمة الخيرية تعاني من شح الموارد المالية ؛ مما يهدد بقاءها وجودة

خدماتها ، كما أن تجاهل الحاجات الفعلية للمستهدفين سيقود إلى وصول المنظمة الخيرية إليهم ؛ لكن ليس إلى تلبية حاجاتهم بالضرورة .

من زاوية أخرى ، فإن الانسياق خلف رغبات المتبرعين ، أو تتبع حاجات المستفيدين وإهمال أهداف المنظمة الخيرية ، قد يقود إلى تشتت الجهود وبعثرتها في مشاريع وبرامج لا تحقق في مجموعها هدفًا ساميًا ومؤثرًا.

إن عمـلية التوفيق والتوازن بين هذه المحاور الثلاث تبدو كأنها مشي على الشوك ، والقيادة الحكيمة للمنظمة الخيرية هي التي تستطيع أن تمزج بين عناصر هذا المركب بمقادير محددة ، من خلال تفكير استراتيجي يرسم أهدافًا راسخة للمنظمة ، تلبي حاجات معينة للمستهدفين وتجد صدى لدى شريحة كافية من المتبرعين.

إدارة العمل الخيري:

العمل الخيري الإسلامي ، أو مؤسسات ومنظمات العمل الخيري الإسلامية ، هي تجمُّع لجهود مجتمعية تضم متطوعين مؤمنين بمجتمعاتهم المسلمة وبالقضايا الإنسانية ، عكفوا على درس احتياجات المجتمع ، ووجّهوا جهودهم وأموالهم للعمل الخيري.

إن المتصدي للعمل الخيري الإسلامي والدارس له يجد تاريخًا طويلًا بجذوره الممتدة سواء كان منشؤها الطبيعي البعد الديني وفكرة الإحسان ومفهوم الزكاة في الإسلام ، أو مساعدة الضعفاء والفقراء في كافة الأديان. إن تقديم الرعاية للعاجز والمعوز وصاحب الحاجة كانت من المبادرات الفردية في الأساس ، ويقوم جانب منها على مؤازرة السلطات الرسمية في شكل بيت المال ، وحديثًا في شكل الوزارات المعنية بالمجتمع وبمشكلات المواطنين واحتياجاتهم للخدمات ، وظل الجانب الآخر والأهم يقوم به نفر من المتطوعين ، ومع الوقت انتظموا في جمعيات أو منظمات اجتماعية لتقديم الخدمات.

إن هناك عدة توصيات تعكس الروح الخيرية التي ترمي إلى تنقية ذلك العمل الإنساني وإبراز روحه الوثابة. ولْنتأمل في مجموعة التوصيات التالية التي يمكن أن تدعم هذا العمل الخيري وإدارته ، ويمكن من ثم تبنِّيها ، وهي:

- الشفافية ، وأن تكون كافة الأعمال والأموال معلنة وواضحة.
- إصدار التقارير المعبرة عن طبيعة العمل الخيري ونشرها.
- تنقية العمل الخيري من أية شائبة.
- الاعتماد على الذات كلما أمكن ذلك.
- أن يكون التمويل الخارجي غير مشروط ووفق الثوابت المعتمدة.
- أن تكون الجمعية الخيرية ذات قاعدة عريضة في المجتمع وليست حكرًا على مؤسسين ؛ بمعنى أنه ينبغي زيادة قاعدة التطوع.
- أن يحكم العمل ميثاق شرف للعمل التطوعي الخيري.
- شرعية العمل وعلنيته.
- الاستقلالية.
- التوجه إلى أفقر الفقراء وأصحاب الحاجة.
- القيام بالتوعية المجتمعية.
- تقوية الصلات بالجهات الرسمية والحكومية.
- اعتماد استراتيجيات واضحة وأهداف محددة.

هذه التوصيات التي يمكن تبنِّيها توضح أهمية التجربة الثرية والفريدة التي تحمل في ثناياها الحل ، وتدعونا للقول: إن هذا الحل يكمن في أعمالها ونشرها وتنفيذها. وها نحن نعرضها في شكل مجموعة من الوصايا والتوجهات لحماية العمل الخيري.

وصايا وتوجيهات لحماية العمل الخيري:

إن الجمعيات والهيئات الأهلية مدعوة وبقوة للعمل باستمرار ؛ فهي ركيزة أساسية في منظمات المجتمع المدني ؛ حيث تشكل قطاعًا من قطاعات المجتمع مطلوب تكامل أدواره مع أدوار القطاع الخاص والقطاع الحكومي. وكي يظل العمل الأهلي الخيري هو نبض المجتمع وضميره والمعبر عن آلامه وآماله والساعي مع الشركاء لتلبية احتياجاته ، يجب أن يصان ويظل بمنأى عن أية تنظيمات أو صراعات ، ومن ثَم نوصي القائمين بالعمل الخيري بالسعي إلى حمايته من خلال الأخذ بالأمور التالية:

١ - العمل وفق القوانين والأنظمة:

تنظم الدول العمل الأهلي من خلال عدد من الأنظمة أو بإقرار قوانين خاصة يعمل في إطارها وعلى هدي أحكامها. وبقدر ما يعتقد البعض أن القوانين قد تكون معوِّقة لحرية الجمعيات والهيئات أو داعية للتدخل في شؤونها بقدر ما تكون في غالب الأمر حامية للعاملين عليها أو المتبرعين الذين يضعون أموالهم بين أيدٍ أمينة تُحسِن التصرف.

إن حصول الجمعيات والهيئات على الشرعية والتسجيل لدى وزارات الشؤون الاجتماعية أو الداخلية أو وفق ما تحدده القوانين المعمول بها في البلاد التي تمارس فيها نشاطها أمرٌ ضروري لاكتساب الشرعية والعمل في العلن.

حب الخير وحده لا يكفي ، والنوايا الطيبة ليست سياجًا للحماية ، ولكن العمل في النور هو الضمان ؛ ومن ثَم فأولويات الأمور هي الحصول على التصريح والتسجيل ووجود مقر لمباشرة العمل ؛ فالعمل ينبغي أن يكون علنيًا وليس سريًا ، وتنظيمات المجتمع هي من أجل المجتمع والعمل لصالحه.

٢- تنظيم العضوية:

بعد الحصول على التصاريح اللازمة هناك أمور النظام الأساسي واللائحة الداخلية التي تنظم عمل الجمعية ، ومن أبرزها شروط العضوية. وتعتبر عملية العضوية وإمساك سجلاتها والحصول على البيانات الكاملة للأعضاء ، والالتزام بشروط العضوية أمرًا هامًا ، والجمعيات لا تقبل غالبًا في عضويتها مَن عليهم أية شبهات أو صدرت ضدهم أحكام أو سبق أن صدرت ضدهم أحكام مخلة بالشرف. ولا بد أن تطبق شروط قبول العضوية أو إسقاطها حسب الأنظمة.

إن تنظيم العضوية عملية حيوية ، ويجب أن تظل مستمرة ، كما أن البيانات الخاصة بالأعضاء يجب تحديثها ؛ ناهيك عن عملية التواصل مع الأعضاء لإطلاعهم على الأعمال وإشراكهم في النشاطات والمؤتمرات العامة إن عقدت.

إن الأعضاء هم جمهور المتطوعين ؛ والمطلوب الحفاظ عليهم وتدريبهم وتحفيزهم ؛ فهم الزاد لمسيرة العمل الأهلي وتطويره. ومن ثم فالتخلص من بعض العناصر أمر مطلوب إذا حادوا عن الطريق والأهداف ؛ وذلك وفق الاشتراطات واللوائح المنظمة للعمل. والعناصر النشطة التي تبني وتؤازر العمل مطلوب تشجيعها وتحفيزها بل تكريمها.

إن العضوية وتنظيمها تظل مشكلة في معظم الجمعيات والمنظمات الأهلية ؛ ولذلك يجب أن تولَى الاهتمام ، فيمكن من خلالها البقاء والتقدم البنّاء ، وفي انسيابها وعدم ضبطها يكون الخلل ووضع علامات استفهام على الأعمال.

٣- التنظيم الإداري الجيد:

إن العمل الأهلي الخيري لم يعد عملًا تلقائيًا ، ولكنه دخل مرحلة الاحتراف ، ومن ثم فالأخذ بالأسلوب العلمي في الإدارة والاستعانة بالكفاءات الإدارية أضحى أمرًا أساسيًا.

إن التنظيم الإداري يعني تنظيمًا إداريًا للأعمال التطوعية والهيئات الإدارية ، وكيفية اتخاذ القرار وانتظام الجلسات واللجان ، ورسم السياسات ووضع الخطط والبرامج. وعلى صعيد العاملين يعني عناصر قادرة لها رؤية وتقوم بالعملية التنفيذية باتباع الأساليب الإدارية الحديثة في التخطيط والتنظيم والإدارة ، وأداء الأعمال من ناحية إعداد المشاريع وتنفيذها ، وما يتعلق بالمتابعة والتقييم وإعداد التقارير ، والقيام بأعمال الدعوة والإعلام ، وربط الصِّلات مع المنظمات الأهلية والأطر الرسمية في داخل المجتمع ، ودعوتها للمشاركة في الأعمال ؛ إلى جانب المحافظة على الجودة الشاملة في تنفيذ البرامج والمشروعات. كل ذلك يحسب للعمل الأهلي ويرفع من شأنه ويضعه في مصاف الأعمال الجديرة بالتقدير.

٤ - الاستقلالية:

الاستقلالية لا تعني التقوقع أو الانغلاق على النفس ، بل تعني الانفتاح ولكن باستقلالية في رسم السياسات وفي أخد القرار. وهذه الاستقلالية تنبع من الشعور بالمسؤولية تجاه احتياجات المجتمع والجماهير المستفيدة.

الاستقلالية تعني التحرر من فرض توجهات معينة تتعارض مع أهداف الجمعية أو الهيئة ، فتكون أعمالها خالصة لتحقيق الصالح العام وخدمة أفراد المجتمع الذين تستهدف المؤسسة خدمتهم.

٥ - وضوح الأهداف:

العمل الأهلي أو القطاع الخيري ، لم يعد عملًا تلقائيًا تحدوه النوايا الحسنة فحسب ، بل هو عمل علمي لا بد أن تكون له مجموعة من الأهداف العليا أو قل الاستراتيجيات التي يسعى إلى تحقيقها والسير في فلكها. وهذه الأهداف العامة لا بد أن تكون محددة وواضحة السمات ، بحيث لا يكون هناك أهداف خفية أو غير مرئية أو مستترة. وفي العمـل لا بد من ترجمة الأهداف العليا أو الاستراتيجيات إلى أهداف عملية ؛ وللتعامل مع هذه العملية تكون البرامج والمشاريع.

وأخيرًا يكون تحديد الجمهور المستهدَف وغايات هذه البرامج والمشاريع ، ولا بد لأهداف العملية أو الأهداف الخاصة بالبرامج والمشاريع أن تكون واضحة ومحددة وسهلة القياس.

إن عملية وضوح الأهداف سمة علمية ، ولا تكون مجرد أهداف مكتوبة ، ولكن تكون معلنة يتشربها جمهور المتطوعين والعاملين كي يسعى الجميع لتحقيقها ، وليتسنى للشركاء أو منظمات المجتمع الأخرى التعاون والتنسيق معها في تحقيقها.

٦ - المشروعات المجتمعية:

الأصل في العمل الخيري وأعمال الجمعيات أن تكون موجهة لخدمة المجتمع وتلبية الاحتياجات ؛ فالجمعيات الخيرية وإن كان بعض منها موجهًا لفئات خاصة بالمجتمع إلاّ أنها في النهاية موجهة للمجتمع وشرائحه ؛ ومن ثم فإن ترجمة الأهداف إلى برامج ومشروعات يجب أن تستهدف في الأساس نهضته وتقدمه. وكلما كانت المشروعات مخططة ومصممة بشكل يتناغم مع الاحتياجات كانت أكثر قبولًا وتعاطفًا بين فئات المجتمع.

٧ - الشفافية:

وهي محصلة لما سبق ذكره من أمور وضوابط. فالشفافية مطلوبة في كل شيء بداية من تبيان الأهداف ونبل المقصد ووصولًا إلى تنفيد المشروعات على الأرض. إن الأمر الهام الذي قد يثير قلق المتبرعين أو المانحين هو: إلى أين نوجه الأموال أو كيف توظّف؟ وهل تحقق الغرض منها أم لم يتحقق؟

وهنا يأتي دور التقارير الخاصة بالإنجازات سواء كانت تقارير عن مشروعات بعينها أو تقارير عامة فئوية كانت أم سنوية ، التي يجب أن تعكس النشاطات والأعمال. إن عملية التواصل مع الجهات المانحة وجمهور المتبرعين عملية هامة لكسب المصداقية.

وقد يفسر البعض الشفافية بمفهوم سطحي ؛ بمعنى تدخل الآخر في الأعمال أو تدخل كل من له مصلحة أو غيره في تفاصيل الأشياء. إن ذلك الأمر مُرْبِكٌ للعمل وللعاملين وكأنهم موضع اتهام مستمر. ولكن المقصود بالشفافية هو اطِّلاع من يهمهم الأمر على طبيعة الأعمال بجانب نشر التقارير المعبرة.

٨- البعد عن الصراعات:

إن القائمين على العمل الخيري أو الجمعيات هم في الأساس متطوعون أو أناس آلَوْا على أنفسهم العمل الخيري من أجل خدمة مجتمعاتهم أو الفئات المستهدفة بالخدمة. كما أن العاملين هم عنصر فاعل في أداء الأعمال. ومن ثَم فإن جمهور المتطوعين الذين رسموا السياسات والأهداف حري بهم الاتفاق والبعد عن الصراعات. وقد تكون الصراعات على بعض المناصب من هياكل الإدارة أو من موقع اتخاذ القرار.

هذه الصراعات قاتلة ومدمرة للعمل ، وتبعد عن نبل المقصد ؛ وحلُّ ذلك يكمن في إعمال الشورى وتعميق أسلوب الحوار للاتفاق ودحض كل ما من شأنه بعث الفرقة والاختلاف. النقاش الحر واتباع الأسلوب الأمثل في الإدارة ينأى بالعمل ومؤسساته عن مغبة الصراع. قد يكون بين العناصر في الإدارة من قد يشوِّه الصورة أو يبتعد عن قصد عن الهدف المرجو ؛ فالحوار هنا والمصداقية تلفظ تلك العناصر وتنقي العمل من الشوائب.

إن العناصر العاملة تعتبر في الأساس عناصر متطوعة ؛ فالمتطوع العامل أصبح سمة لجمهور العاملين في الجمعيات والمؤسسات الخيرية. وبالرغم من حصول العامل على أجر واعتباره متفرغًا لأداء الأعمال ، غير أن سمة التطوع هي عنصر النجاح في أداء الأعمال ؛ حيث يتحلى العامل بروح التطوع ، ويتفاعل مع الأعمال ، ليس بمنظور الموظف ، ولكن بمنظور القانع بأداء الخدمات والعامل على تحقيق الأهداف.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد تكون أو توجد بين جمهور العاملين بعض الصراعات الوظيفية أو اختلاف في الرؤية ، وهنا تأتي مهمة الإدارة ؛ فبجانب إعمال الشورى والاستماع للرأي الآخَر تكون مسألة العمل في فريق وجماعية العمل ؛ مع وضع الأهداف نُصْبَ الأعين ليتم الابتعاد عن المسائل الشخصية وجوانب الصراع المختلفة التي تعد أسوأ الأشكال المدمرة. والمطلوب أن يكون هناك تنافس شريف من أجل إعمال المصلحة العامة ، وليس التنافس الذي يؤدي إلى صراع يدمر ولا يبني.

٩ - التكامل مع القطاعات الأخرى:

العمل الخيري التطوعي ينبغي أن يكون عملًا مخططًا حتى يؤتي الثمار المرجوة ، ومن ثَمَّ فإن قوَّته في تلبيته للحاجات الفعلية للجماهير والمجتمع ، وأيضًا في تكامله مع القطاعات الأخرى في المجتمع ، أي الجمعيات الشبيهة. فلا توجد مؤسسة أو جمعية تلبي كافة الحاجيات التي يحتاجها الإنسان ؛ فهناك مؤسسات متخصصة في أنواع من الرعاية ، وبعضها في العمل التنموي ؛ ناهيك عن الإطارات والإدارات الرسمية التي تقدم الخدمات الاجتماعية المناسبة. فالعمل الأهلي والجمعيات هو عمل مكمل لها أو مبادر لتقديم نوعية الخدمات التي يحتاجها المواطنون.

والأمر المهم الذي ينبغي إبرازه هو فكرة التكامل بين المؤسسات وفكرة الاستفادة من مصادر الخدمات المتوفرة في المجتمع حكومية كانت أم أهلية. وعملية التكامل تدفع بنا إلى إدراك أهمية الشفافية التي أشرنا إليها والمصداقية وكسب ثقة المجتمع ؛ فالعمل الخيري ليس عملًا سريًا ، ولكنه عمل علني شفاف لخدمة المجتمع ؛ وبتكامله مع الخدمات الأخرى تتجسد صور الرعاية والتنمية ؛ بل إن العمل الناجح والصادق والمفيد «مُعْدٍ» إذا جاز التعبير ، وابتكار الجديد في أساليب الخدمة يدفع بالآخرين إلى التقليد ويحفزهم على الإجادة.

١٠ - التقارير:

إصدار التقارير دائمًا هو نوع من المتابعة. والتقييم له أبعاد مختلفة ؛ فهو تسجيل حي لما ينجز ، وفرصة للدعوة والإعلام عما يتم ، بجانب كون ذلك فرصة لمحاسبة النفس: ماذا تم ، وماذا تحقق من نجاحات؟ أيضًا: ما حدث من عقبات أو إخفاقات؟ واستخلاص الدروس المستفادة في محاولة لتجاوز العقبات والمشكلات.

والتقارير أنواع: فهناك تقارير خاصة عن المناسبات المختلفة أو المشروعات المنفَّذَة ، وهناك تقارير عامة سواء كانت شهرية أم دورية أم سنوية. ومن ثَم فالتقارير وسيلة لتحقيق الشفافية والمصداقية والتعبير عما يتم من أعمال ونشرها في المجتمع.

١١ - ميثاق الشرف:

والمقصود بميثاق الشرف: نوع من القواعد أو المبادئ أو الأسس التي يرتضيها العاملون بالمجال ويلتزمون بها ، وتحدد فيما بينهم أخلاقيات العمل ومجموعة القيم التي تربط بينهم. وهذا الميثاق هو معانٍ ليست بالضرورة أن تكون منصوصًا عليها في النظم الأساسية واللوائح ، ولكنها التزام مشترك للعاملين والمتعاملين في المجال.

وبصدور مثل هذا الميثاق ما يعزز القيم السابقة ويبرز المعاني السامية وراء العمل الخيري ، وينقيه دائمًا من الشوائب والشبهات ، ويدفع به قُدُمًا لمزيد من الخير والعمل الإنساني.

١٢ - الاعتماد على الذات:

رغم أن العمل الخيري يعتمد في الأساس على عطاء المتبرعين وأهل الخير لدعم هذا العمل سواء كان هذا الدعم مؤقتًا أم دائمًا في شكل وقف أو زكاة متواصلة ؛ فإن التوجه المرئي يشير إلى انحسار التبرعات وتعرضها لتقلبات سواء كانت مؤقتة أو نتيجة أزمات اقتصادية معينة. ولما كان وجود مصادر للتمويل يعتبر عاملًا أساسيًا في تحقيق الاستقرار ورسم الخطط والأعمال المتواصلة ؛ لذلك وجب وجود مصادر ثابتة أو شبه

ثابتة للتمويل وضمانة الاستمرارية.

ومن هنا وُضع شعار الاعتماد على الذات هدفًا أسمى للمؤسسات الخيرية ، وابتكر من الوسائل ما يساعد في هذا الاتجاه. والحديث يطول عن أساليب تنمية الموارد وترشيد الإنفاق والجدوى الاقتصادية وتبنِّي المشروعات التنموية المدرة للدخل ، والانتقال من مفهوم الرعاية الخالصة إلى المفاهيم التنموية ، ومساعدة الناس كي يساعدوا أنفسهم كما يقول المبدأ الأساسي في الخدمة الاجتماعية.

١٣ - عدم قبول تبرعات مجهولة المصدر:

الحديث عن تنمية الموارد تجعلنا نذكر تحفُّظًا على قبول تبرعات مجهولة المصدر أو تبرعات مشروطة تجعل الجمعية أو المؤسسة تحيد عن أهدافها ومبادئها. وهذا موضوع حيوي يجب التنبه له ؛ فليس من المفروض قبول أية أموال ، بل يجب التأكد من هوية المتبرع والمقصد ؛ بجانب النظر في الشروط التي قد يفرضها المتبرع أو صاحب المال. فالأضرار التي تحيق بالعمل الخيري في حالة عدم نُبل المقصد ضارة بالعمل بمجمله ، ومن ثَم وجب التنبيه إلى ذلك والنص في لوائح الجمعيات الخيرية على الموارد المالية وقبولها وتنظيم ذلك.

إدارة المحتسبين:

المنظمات الدعوية والخيرية عامرة بالمحتسبين الذين يبذلون وقتهم وجهدهم رغبة في الأجر من الله - وتحقيقًا لأهداف المنظمة التي يعملون فيها. إلا أن التعامل مع المحتسبين لا يخلو من مشكلات. بعض هذه المشكلات ناتج عن ضعف مفهوم وأداء الاحتساب لدى بعض المحتسبين ، إلا أن بعضها الآخر ناتج عن عدم كفاءة إدارتهم من قِبَل الجهات التي يعملون فيها.

لندرك أنهم قلة:

إن أول خطوة نحو إدارة فاعلة للمحتسبين هي أن ندرك أنهم عملة نادرة ؛ فالقليل من الناس من يحمل دوافع تقوده للاحتساب ، والأقل من هؤلاء من لديه القدرة على تحمل مسؤولية الأعمال التي سيقوم بها ، والأقل من يستطيع أن يحتسب فيما يجيده من مهارات ، وأخيرًا فقليل من الناس من يستطيع أن ينفكّ من أعماله الخاصة وشواغله المتنوعة ليجد الوقت الكافي للاحتساب المنظم.

بحر.. لا شاطئ له:

تلعب الدوافع دورًا كبيرًا في عملية الاحتساب وبالإضافة إلى دافع تحصيل الأجر فإن هناك دوافع نبيلة أخرى تقود المحتسب للعمل بلا مقابل مالي ، وهي متنوعة ومتجددة في الذات البشرية ما بين دوافع شخصية كالرغبة في تطوير الذات أو الشعور بالرضا ووظيفة كتقليل نسبة الجهل لدى بعض التربويين أو الحد من ظاهرة التدخين عند بعض الأطباء.

ينبغي على المتعاملين مع المحتسبين أن يدركوا تنوع الدوافع النبيلة لدى المحتسبين وأن يبذلوا جهدهم للتعرف عليها فهي خطوة مهمة لاستثمار طاقات المحتسبين وقدراتهم في المكان المناسب وبالطريقة المناسبة.

التدريب مفتاح النجاح:

لا يكفي أن نتعرف على نوعية الدوافع التي تقود المحتسب للعمل لكي يقوم بالدور المطلوب كما تريده المنظمة ، بل لا بد أن تحدد المنظمة الفجوة بين إمكانات المحتسب ومتطلبات الدور المطلوب منه لتقدير نوعية وكمية البرامج التعليمية والتدريبية التي يحتاجها المحتسب. إن تدريب وتأهيل المحتسب يسهم وبشكل فاعل في أن يعمل المحتسب بطريقة ومستوى يتوافق مع توقعات المنظمة التي يحتسب فيها ويسهم بفاعلية في تحقيق أهدافها بالإضافة إلى أن التدريب يضيف للمحتسب شعورًا بالإنجاز والإتقان الذي يولد الرضا عن الذات.

التحفيزُ سُلَّمُ الاستمرار:

من أبرز مشكلات المحتسبين هو انقطاعهم وعدم استمرارهم أو بقاؤهم ضعفاء فاقدين للحماس. إن التحفيز هو الوصفة المناسبة ليقدم المحتسبون أفضل ما لديهم وهم راضون بما يفعلون. إلا أن التحفيز التقليدي الذي ينحصر في خطابات شكر وجمل ثناء لم يَعُدْ يجدي في هذا المجال ؛ فإننا بحاجة أن ننظر إلى تحفيز المحتسبين من زوايا جديدة:

- اكتشِفْه مبكرًا بما يحمله من دوافع وأهداف ومشاعر وأفكار ، لتختار له المكان الملائم والمهام المناسبة.
- أشْعِلْ دوافعه باستمرار ، واجعلها حاضرة أمامه قريبة إلى المهام الموكلة إليه ؛ فالزمن كفيل بأن يطفئ جذوة الدوافع في قلبه.
- أرِهِ نتائج أعماله وأثره على المجموعة أو القضية التي يعمل من أجلها.
- اجعَلْ مؤسستك أفضل مكان يحقق فيها أهدافه وينفذ فيها طموحاته الخيرية.
- اجعَلْه ينمو معك ؛ فأغلب الناس يتوقون إلى تطوير ذواتهم وتنمية

مهاراتهم وسوف يعتبر المحتسب أن البرامج التطويرية التي تقيمها من أجله أفضل هدية تقدمها له.

نقيّم أو لا نقيّم؟

يرى بعضهم أن في تقييم المحتسبين خدشًا لكرامتهم ومعاملة لا تليق لما يحملونه من دوافع نبيلة. بينما يرى آخرون أن الأخطاء التي تقع من المحتسبين لا تطاق ولا يمكن السكوت عنها ... فهل نقيِّم المحتسبين أم لا؟

بل نقيِّم. فعلى العكس ، إن الدوافع النبيلة التي يحملها المحتسب بين جنباته تجعله أكثر الناس تقبلًا للتقييم الذي يهدف إلى التطوير وتسريع الوصول إلى أهدافه وإشباع دوافعه ؛ مع ملاحظة أهمية التوجه إلى تقييم الأعمال أكثر من تقييم الأشخاص.

من يدير المحتسبين:

إن مهمة التعامل مع المحتسبين ليست شاقة بقدر ما هي متشعبة ؛ ولذا فلا يليق أن تكتفي المنظمات التي تتعامل مع المحتسبين بأن تجعل إدارتهم جزءًا من مهام قيادات المنظمة أو إدارتها العليا والذين تزدحم أوقاتهم بكثير من الأعمال والمشاغل ، وعلى المنظمة - على الأقل - إذا ما تعاملت مع أكثر من عشرة متطوعين أن توكل مهمة إدارتهم والاعتناء بشؤونهم إلى شخص متفرغ ومناسب.

إن المحتسبين عملة نادرة قادتهم دوافع قوية ونبيلة للخروج من دوائرهم الضيقة إلى عالم الإحسان الفسيح ، ونجاحنا هو أن نستثمرهم ليحققوا دوافعهم وأهداف منظماتنا.

الفصل الثالث

آفاق تطوير العمل الدعوي الخيري

نعيش اليوم في عصر شديد التغير ، كثير التقلب ، تقاربت فيه الشعوب ، وتداخلت فيه الثقافات ، وأصبحت الصراعات السياسية والاقتصادية ، والتحولات الفكرية والثقافية والاجتماعية ، تؤثر على الأفراد والجماعات والمؤسسات والدول.

ولقد نشأت المؤسسات الخيرية في بيئات تعاني من مشكلات متعددة ، وورثت تركةً مليئةً بالأمراض المزمنة والأدواء المهلكة ، ولهذا فهي تواجه تحديات متعددة المجالات ، مما يتطلب أفقًا واسعًا قادرًا على مكافحة أعراض العجز ، وقادرًا على التكيف مع المتغيرات المذهلة في هذا العصر.

وإن من الأولويات التي تواجه مؤسسات العمل الدعوي الخيري في هذه المرحلة: كيفية النهوض بها وتحديثها ، وتطوير آلياتها الإدارية ؛ لتستوعب هذه التحديات.

وإعادة بناء المؤسسات الدعوية الخيرية يتطلب قيادات حية وناضجة ، تملك رؤى استشرافية عميقة ، كما تملك القدرة على المبادرة وتفعيل الطاقات. إنَّ المؤسسة الرتيبة الراكدة ؛ التي لا تتطور ولا تُحدِّث آلياتها وطرائق عملها ؛ مؤسسة هزيلة تعيش خارج إطار الزمن الذي نعيشه! وهي مؤسسة كتبت على نفسها التآكل التدريجي ، حتى تسقط وتنتهي ...!

وإذا كانت المرحلة السابقة شهدت انحسارًا نسبيًا للعمل الخيري ، فإن الضغوط والتحديات المتتابعة ، تؤكد ضرورة إعادة البناء من الداخل وإحكام أركانه ، وفتحت آفاقًا رحبة وفرصًا جديدة يمكن أن ينطلق فيها العمل الخيري بعون الله .

ومن أهم آفاق التطوير المقترحة:

أولًا: الانضباط الشرعي.

ثانيًا: العناية بالعمل المؤسسي.

ثالثًا: إعداد الدراسات والبحوث الميدانية.

رابعًا: التخطيط.

خامسًا: التخصص في العمل المؤسسي.

سادسًا: توطين العمل الخيري.

سابعًا: التدريب ورفع مستوى الكفايات الإدارية والدعوية.

ثامنًا: الالتزام القانوني للمؤسسات الخيرية.

تاسعًا: الانضباط المالي في المؤسسات.

أولًا: الانضباط الشرعي:

الانضباط الشرعي: هو الالتزام بالأصول والقواعد الشرعية في الدعوة إلى الله - ، وبناء المؤسسات الخيرية بإحكام علمي ، والوقوف عند حدود ما أنزله الله لأ على نبيه ص في كل شأنٍ دقيقٍ أو جليل.

وإن من فضل الله - على أي مؤسسة خيرية أن يفقِّه الله - القائمين عليها في دينه ، فقد قال النبي ص: « **مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** » (رواه البخاري ومسلم). ومن مقتضيات ذلك: أن تحرص المؤسسة على صواب العمل وتحققه لمراد الله لأ. وكما أن الغاية لا بد أن تكون شرعية فكذلك الوسيلة لتحقيق تلك الغاية لا بد أن تكون شرعية ، والقصد مهما كان حسنًا فإنه لا يكفي في صحة العمل.

ويتحقق الانضباط الشرعي في أمور كثيرة ؛ ومنها:

١ - مراقبة الله - في جمع الأموال من المحسنين ، والورع في رعايتها ، وحفظها ، واستثمارها ، وإنفاقها في وجوهها وأوقاتها الشرعية.

٢ - الانضباط الشرعي في جميع البرامج والأنشطة والمشاريع.

٣ - الالتزام بالأحكام الشرعية في التعاقد مع العاملين ، وفي العقود والاتفاقات مع المنظمات الرسمية والأهلية.

٤ - تولية أهل الفقه والديانة والقدرة بما يتناسب مع نوع العمل وحجمه ؛ تحقيقًا لقول الله 8 (~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)(القصص: ٢٦).

وبالجملة ؛ فإن الانضباط الشرعي هو ما يجعل أعمال المؤسسة كلها مبنية على شرع الله القويم ؛ كما أنه طريق إلى في تحقيق رضا الله - ، ونيل سعادة الدارين ، وهو في الوقت نفسه حماية للمؤسسة من الوقوع في البدع والمخالفات المذمومة ، ويجيرها من الوقوع في منزلقات التفرق والتنازع. ويجب على قيادات العمل الخيري ومديريه أن يتقوا الله ويراقبوه ، ويستشعروا هذه الأمانة التي في أعناقهم. وعلى من يتطلع إلى عون الله لأ ورضاه ألا يتساهل في الامتثال لأمره وحكمه ، أو يتكلف في التماس الرخص والمعاذير !

ومن المقترحات العملية في هذا السبيل:

١ - الاستعانة بأهل الفقه والفطنة في مجالس إدارة المؤسسات الخيرية.

٢ - التواصل مع العلماء ، واستشارتهم ، واستفتاؤهم في مختلف المسائل والنوازل.

٣ - إعداد دورات شرعية لتثقيف الإداريين والعاملين في القطاع الخيري بالمسائل الشرعية التي يحتاجونها في مجال عملهم.

٤- العناية بالدعاة وطلبة العلم المحليين في مناطق العمل ، فهم منطلق التصحيح والتغيير ؛ ولذا فعلى المؤسسات الدعوية إن هي أرادت استنقاذ الناس من الضلالة ، وحرصت على استقامة برامجها ومشاريعها - أن تُعنَى بتأهيل القيادات العلمية ، وخدمة الموجود منها ورعايته ؛ ليكونوا بعون الله - اليدَ الكريمةَ التي تنير السبيل وتقود إلى التزام الصراط المستقيم.

٥- تكوين آلية إدارية عملية للتقويم والتناصح داخل المؤسسة.

ثانيًا: العناية بالعمل المؤسسي:

العمل المؤسسي هو: العمل الجماعي الذي يلتزم بمبدأ الشورى والتناصح ، ويقوم بتوزيع الأعمال والبرامج والصلاحيات على مجالس عمل ، ولجان متخصصة ، وفرق عمل متكاملة ، تضم أعضاء مؤهلين.

ويخرج من هذا التعريف: العمل الفردي الذي قد يتسم بالارتجال ، أو ضعف التخطيط ، كما يخرج منه العمل الجماعي الظاهري الذي هو في حقيقته عمل فردي ، لكنه يتزيا بزيِّ العمل المؤسسي.

وتتجلى أهمية العمل المؤسسي في أمور عدة ؛ منها:

١- تآلف القلوب وتآزر العقول لمزيد من الإنجاز والتصحيح والإبداع ؛ حيث يُسدِّد بعض العاملين بعضًا ، وتتلاقح أفكارهم وتتكامل خبراتهم.

٢- الاستقرار الإداري في جميع الأعمال والأنشطة ؛ فإذا غاب فرد سدَّ مكانه آخرون ، وإذا مرض أو عجز قام مقامه غيره ، فلا يتوقف العمل بغياب أحد أو عجزه ؛ وبذلك يستمر العطاء ولا يتوقف ، بإذن الله لأ.

٣- رعاية حقوق المؤسسة والحفاظ عليها ، وأداء الأمانة كما أمر الله لأ ؛ فالفرد - مهما كان مخلصًا - ربما يخطئ أو يقصِّر ، ولا يجد من يقوِّمه ويرشده إلى الصواب ويأخذ بيده إلى الحق.

٤- استيعاب طاقات الأمة ، وتوظيفها توظيفًا متكاملًا متآلفًا ؛ فالعمل المؤسسي يضمن مناخًا أفضل للعمل والإبداع وتكامل الجهود.

٥- العمل المؤسسي الجماعي أقرب إلى الموضوعية والتجرد في اتخاذ القرارات ورسم السياسات ؛ فالحوار وتبادل الآراء هو الذي يقود إلى اتخاذ القرارات وإنضاجها.

ولئن قصرت بعض المؤسسات الخيرية في تحقيق العمل المؤسسي في مرحلة سابقة ؛ فإن المرحلة القادمة تتطلب جهدًا حقيقيًا وعملًا جادًا في إعادة البناء وإحكامه.

من آفات العمل الفردي:

الفردية هي: نزوع الفرد إلى التحرر من سلطان الجماعة.

والفردية في إدارة بعض الأعمال الدعوية والخيرية قد تتم - أحيانًا - في ظل الإدارة المؤسسية ؛ حيث تختزل المؤسسة كلها بمجالسها ولجانها وفروعها في رأي رجل واحد ؛ هو الذي يخطط ، وهو الذي يتخذ القرارات ، وهو الذي يرسم السياسات العامة ، ويمسك بالمؤسسة من جميع أبوابها ، ويدير مفاتيحها برؤيته الفردية التي تلغي عقول الآخرين ، وتزدري مَلَكاتهم ؛ حتى يصبح بقية الأفراد مجرّد أدوات صمَّاء للتنفيذ!

وها هنا بعض آفات الفردية في إدارة العمل الدعوي والخيري:

١- أنَّ العمل الفردي يتعرض عادةً للضعف والعجز بضعف الفرد وعجزه.

٢- يغلب على العمل الفردي التشتت ، والتخبط ، والتقلب ؛ فتارة تراه يقتنع بشيء ، وتارة أخرى تراه ينقلب إلى شيء آخر بدون وعي أو فقه.

٣- غالبًا ما ترى المدير المستفرد يضيق بالنصيحة والتوجيه.

٤- غالبًا ما ترى المدير المستفرد يضيق صدره بالرجال الأقوياء ، من أصحاب الرأي وذوي الشخصية القوية ؛ لأن المدير المستفرد لا يتسع صدره لرأي آخر ، ولا يرضى بمخالفة أحد له ، فمَن تحتَه من الموظفين ليسوا شركاء معه في الأمانة ، بل هم

أدوات لتنفيذ آرائه وسياساته !

٥- الأعمال والجمعيات التي تدار بطريقة فردية سرعان ما تتعرض أعمالها للرتابة ، وتفقد روح التجديد والابتكار ؛ لأن الفرد - مهما أوتي من ملكة إدارية أو علمية - لا بد أن يستنفد ما عنده من قدرات ، ويقف ما عنده من طموح.

٦- تضخم مركزية الفرد تؤدي إلى غياب العمل بروح الفريق الواحد ، وترى كل شخص يعمل في سرب مختلف ؛ ممَّا يؤدي إلى تمزق المؤسسة وتآكلها.

٧- الرؤية الأحادية لا تتمتع - غالبًا - بالدقة والموضوعية ، بل تدور باتجاه واحد ؛ مما يفقدها قوتها وسلامتها.

ولا شك أن بعض الأفراد يملك من القوة والنشاط والهمة العالية وسداد الرأي ما لا يملكه جمع من الناس ، ولكن هذا الفرد سوف يزداد قوة وهمة وسدادًا - بإذن الله - - حين يجتمع معه أصحابه من ذوي القوة والرأي ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب ت وهو الراشد الملهم إذا عرضت له الحاجة ، أو نزلت به النازلة جمع لها أهل بدر ي.

ثالثًا: إعداد الدراسات والبحوث الميدانية:

من المهم جدًا أن تبدأ المؤسسات الإسلامية العملَ الخيري في المنطقة بعد فهم صحيح وإدراك واعٍ للبيئة ؛ فالتصور الدقيق للواقع الفكري والاجتماعي والدعوي من أنجع السبل لسلامة التخطيط ووضوح الرؤية.

الأخطاء الشائعة في إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية:

بعض المؤسسات والجمعيات لا تعتني بالدراسات والأبحاث الميدانية ، وقد تعدها من الوقت المهدَر! ، وغالبًا ما تقع هذه المؤسسات والجمعيات في أحد الأمور الآتية:

١ - إعداد الدراسات والأبحاث بطريقة غير علمية ؛ كأن يُكلَّف أحد الدعاة بأخذ جولة سريعة عابرة في بعض المدن والقرى ، ويلتقي بعض الجمعيات والدعاة ، ثم يدون ملحوظاته على شكل دراسة. ولا شك في أن هذه الجولات لا تعطي معلومات وافية وشاملة ، بل تعطي انطباعات سريعة وغير دقيقة ، أو غير ناضجة ، وقد تتأثر بقناعات المرافقين في تلك الجولات.

ويتأكد تجنب هذه الطريقة بوجود طرق علمية مبنية على أدوات إحصائية ، تبنى بحسب حاجة العمل ونوعية المعلومة التي يتطلبها ، ثم يقوم على تحليلها مختصون عبر برامج إحصائية حاسوبية.

٢ - أن بعضهم يبدأ العمل بطريقة تقليدية ، وينظر بمنظار البيئة التي جاء منها ؛ دون اعتبار أو نظر في الظروف الفكرية والاجتماعية والنفسية للبيئة الجديدة.

ولك أن تتصور مقدار التخبط الذي يحدث في الأعمال والأنشطة التي تنفذ بهذه العقلية ! ولا شك في أن الأعمال التي قد تنجح في بيئة ما لظروف معينة ليس بالضرورة أن تنجح في بيئة أخرى مختلفة في ظروفها. ومن الفقه أن نميز بين البيئات ، وأن نعمل على استخدام الوسائل والطرائق المناسبة لها.

٣- أن بعضهم قد يستنسخ أعمال المؤسسات الأخرى بطريقة رتيبة ، وغير مدركة لأهداف الأنشطة ومراميها وأبعادها الدعوية !

إن الاستفادة من تجارب الآخرين مهمة ، ولكن لا بد أن تكون استفادة واعية ناضجة ؛ تدرس التجربة بمختلف أبعادها وملابساتها ؛ حتى تُطبَّق ببصيرةٍ تراعي خصائص البيئة ، وتحقق النجاح المطلوب.

إن العناية بإنشاء وحدات بحثية ملحقة بالمؤسسات الخيرية ، أو مراكز مستقلة مخصصة للأبحاث والدراسات ، من الأولويات المهمة لدى العمل الخيري ، والتي من شأنها أن تساعده على تحقيق إنجازاته وطموحاته.

واللافت للنظر أن تجد مَن يتخذون قرارات مصيرية في برامج وأنشطة ينفقون فيها جهودًا كبيرة ، وأموالًا طائلة ؛ دون تصور للواقع الذي يعملون فيه ، أو دون فحص للمعلومات والأخبار التي يحصلون عليها ! ومن المهم أن نملك العاطفة الحية التي تدفعنا إلى العمل المعطاء ، ولكن الأهم أن نضيف إلى ذلك عقلًا يستبصر الأمور ويدرك مآلاتها.

رابعًا: التخطيط:

التخطيط: هو وضع برنامج مستقبلي لتحقيق أهداف معينة ، عن طريق حصر الإمكانات وتوظيفها ؛ لوضع هذه الأهداف موضع التنفيذ خلال مدة محددة.

والتخطيط عملية إدارية أساسية للبناء المؤسسي ، وهو آية وضوح الرؤية واستقامة الطريق ؛ فبه تعرف المؤسسة: موقعها ، وإلى أين هي ذاهبة؟ ومن أي الطرق؟ ومتى سوف تصل لأهدافها؟! وبه تُنَسَّق جهود العاملين في المؤسسة ويؤلف بينها لتحقيق أهداف واضحة محددة متفق عليها. والالتزام بالتخطيط يعني: البعد عن العشوائية والارتجال في العمل المؤسسي ما أمكن. وغيابه يؤدي إلى التخبط والاضطراب في العمل ، والسير في طريق غير واضح المعالم.

والتخطيط الفعال هو التخطيط الذي يكون ثمرة جهد مشترك يقوم به أهل التجربة مع أهل الاختصاص ، وتشترك فيه جميع المستويات الإدارية في المؤسسة ؛ ابتداءً من الإدارة العليا ، وانتهاء بالإدارات الميدانية التنفيذية المختلفة. ولقد أثبتت الدراسات الإدارية أن التخطيط الفعال يوفر ثلاث ساعات أو أربعًا يوميًا عند التنفيذ.

وقد أثبتت التجربة الميدانية أن البعض يهوِّن من شأن التخطيط العلمي للبرامج الدعوية والتعليمية ونحوها ، إما بلسان الحال أو بلسان المقال ، بل قد يعدُّون ذلك لونًا من ألوان الترف المعرفي الذي لا ينفع الأمة! لذا يميل هذا النوع من المؤسسات إلى الفردية من جانب ، وإلى العشوائية من جانب آخر ، ويتسم بضعف الرؤية من جانب ثالث ؛ مما قد يؤدي إلى ضعف الثمرة وقلة بركتها.

إنَّ ثمة ظاهرةً لافتةً للنظر ، جديرةً بالعناية والاهتمام ، وهي أن بعض المؤسسات الخيرية تعاني من أُمِّية إدارية ، انعكست آثارها على المشاريع والأنشطة. ولهذا فإن من التحديات التي تواجه المؤسسات الخيرية: قدرتها على إعادة بناء نسيجها الإداري بناءً علميًا ؛ ليكون أكثر قوة وتماسكًا ، وأقدرَ على توظيف الطاقات واستيعاب المتغيرات المتلاحقة.

ومن أهم جوانب التخطيط:

١ - تحديد أهداف المؤسسة الرئيسة بدقة ، وتحديد الأهداف التفصيلية لكل قطاع من قطاعات المؤسسة. وإنَّ ضعف وضوح الأهداف عند بعض العاملين يؤدي - غالبًا - إلى الخلط والتخبط ، وتصبح المؤسسة عاجزة عن تحديد هويتها وطبيعتها ؛ وقد يؤدي ذلك إلى التردد ، والانتقال من مشروع إلى آخر بدون بصيرة أو فهم. والنتيجة المتوقعة تتمثل في: ضعف الإنتاجية وقصورها ، وتشتيت الجهود ، وضياع الأموال.

٢ - الاحتياجات الخيرية لأي منطقة من مناطق العمل كثيرة ، ومن الفقه الحرصُ على تحديد الأولويات ، والبدء بالأهم فالمهم ، وذلك من جوانب التخطيط الدعوي التي يكون انعكاسها على بقية الأعمال كبيرًا.

٣ - عند وضع الخطط الدعوية من المهم إدراك إمكانات المؤسسة البشرية والمادية القادرة على تحقيقها ؛ لأن بعض المؤسسات قد تختار أهدافًا طموحة ، لكنها قد لا تكون مناسبة لها ، أو لا تهيئ البيئة المناسبة لتحقيقها.

٤ - ينبغي أن تتميز الخطة بالمرونة ، بمعنى أن تكون قادرة على استيعاب المتغيرات ، ومؤهلة لاستثمار الفرص الطارئة. ولا تعني المرونة ضعف الرؤية أو الارتباك.

٥ - الخطة الناجحة هي التي تراعي الحاجات الآنية ، وتعتني كذلك بالحاجات المستقبلية. والعمل الخيري المؤثر لن تظهر نتائجه خلال مدة يسيرة ؛ ولهذا ينبغي أن

تتميز برامجه بالعمق وطول النفس.

من علامات الركود والرتابة في المؤسسات:

١ - انكفاؤها على قوالب إدارية جامدة مغلقة مقاومة للتطور ؛ ترسخ الأمية الإدارية ، وتؤدي إلى الفوضى والتخبط.

٢ - ضبابية الأهداف ، وعدم وضوح الرؤية الآنية والمستقبلية.

٣- الضيق بالتجديد والإبداع في الوسائل والبرامج ، وحصر الجهود في أعمال نمطية رتيبة.

٤ - العجز عن استيعاب المتغيرات السياسية والقانونية ؛ والتعامل مع الواقع الدولي والإقليمي بطريقة تؤكد الضعف والغياب عن الواقع.

٥- العجز عن التأقلم مع البيئات الاجتماعية والفكرية المختلفة بفاعلية ومرونة.

٦ - العجز عن استثمار التقنيات التي تيسر سبل العمل ، وتقلل من تكاليفه.

٧- ضعف برامج التنمية البشرية داخل المؤسسات.

كيف يحدث التغيير؟

يذكر الإداريون أن هناك نوعين من التغيير:

١ - التغيير العشوائي:

ويحدث هذا النوع دون تدخل ، أو اتباع خطة معينة ، ولا تُبذل فيه محاولة للوصول إلى نتائج محددة ، فهو تغيير غير إرادي!

٢ - التغيير المخطط:

حيث يُتحكم في مسار هذا النوع من التغيير ، ويُخطط لحدوثه ، فتُحدد أهدافه وسرعته ومجالاته وطرق تنفيذه.

ولهذا فإن تفاعل المؤسسة مع البيئة المحيطة ، واستثمارَها لجوانب النفع فيها ، وأخذَها بزمام المبادرة والتطوير ؛ من أهم مقومات التخطيط الناجح ، ومن أهم مقومات الإبداع والنمو. إننا في حاجة ماسة لخطوات جادة وجريئة ، وتكون كذلك خطوات واضحة ومدروسة ترفع من عقليتنا الإدارية ، وتحقق طموحاتنا الدعوية والتعليمية.

وينبغي التأكيد هنا أن التطوير والتغيير المطلوب في المؤسسات الخيرية ليس لمجرد التغيير ومجاراة الآخرين ، ولكنه تغيير مخطط يتلمس بحكمة جوانبَ القوة والتأثير ؛ فيزيد من فاعليتها ، ويؤلف بينها بانسجام وتكامل ، ويتلمس بصدق جوانب الضعف والنقص فيدرؤها بالتصحيح والعلاج. ويبدأ التطوير والتغيير بقناعات راسخة من الإدارة العليا في المؤسسة ، ثم بإشاعة ثقافة التطوير والإبداع في مناخ المؤسسة ، وبذلك تتوافق الأقسام وتتكامل في بنائها.

خامسًا: التخصص في العمل المؤسسي:

والمراد بالتخصص هنا: الاتجاه بقوة وتركيز إلى منطقة من مناطق العمل ، أو جانب من جوانب العمل الخيري.

إن الدخول في كل ميدان والاتجاه إلى كل بلد أدى إلى تشتت الأعمال في بعض المؤسسات الخيرية ، وإلى ضعفٍ في استثمار هذه الأعمال ، وهذا بلا شك انعكاس لضعف الرؤية وقصور التخطيط.

دواعي التخصص:

١ - أهمية إتقان العمل. وطريق الإتقان هو التخصص الذي يوحد الذهن ، ويضاعف عطاءه ، الأمر الذي لا يحصل بالتشتت.

٢ - محدودية الجهد والوقت الإنساني ، وعجز المرء عن تحقيق كثير من رغباته وطموحاته. ولذا كان من رحمة الله لأ بعباده أنه لا يكلف نفسًا إلا ما آتاها ، وإذا رام

المرء عمل كل شيء لم ينل شيئًا.

٣- ضعف الموارد المالية في كثير من المؤسسات.

٤- تفاوت الناس في القدرات والملكات والرغبات ، مما يجعل فروض الكفايات متفاوتة في لزومها لأناس دون آخرين.

٥- طبيعة العصر التي أوجدت مفهومَ: (نعمل شيئًا محددًا في زمن محدد) ، محلَّ مفهوم: (أعمل كل ما أشتهي في أي وقت) ؛ فلم يبقَ مكان لمن يريد حيازة كل شيء.

والتخصص المنشود في دائرة العمل الخيري نوعان:

أ- تخصص نوعي: وهو التخصص في مجال من مجالات العمل ؛ كالمجال الدعوي أو التعليمي أو الإغاثي ... وقد يكون أكثر تخصصًا في جزء من مجال ؛ كرعاية الأيتام ، أو بناء المساجد ، أو كفالة الدعاة ، أو دعوة الطلاب والمثقفين ، أو دعوة المرأة ، أو تعليم القرآن الكريم.

ب - تخصص جغرافي: وهو التخصص في المكان ؛ كالعمل في دول معينة ، أو قارة أو منطقة جغرافية. وقد يكون أكثر خصوصية ؛ كالعمل في مدينة معينة مثلًا.

وكلما وُجد التخصص كان الأمر أفضل في الإتقان والانطلاقة الثابتة المطردة الواعدة ؛ إذا توافرت شروط النجاح الأخرى وتخلفت موانعه.

إن دوافع عدم التخصص ، مهما تذرعت بالموضوعية ، فإنها تخفي كثرة الملل والسآمة ، وقلة الثبات والإنتاج ، وضعف الخبرة والبصيرة ، وضيق الأفق. كيف لا ؛ والواقع يشهد بأن التوسع غير المدروس يقلل الجودة ، ويبعثر الجهود ، ويضيع النتائج؟! كما يشهد بأن تخصص المؤسسات أمارة على نجاحها حين تصير مرجعًا في مجال عملها ، ودليلًا إليه ، ومستشارة فيه ، وسبّاقة إلى فروعه.

سادسًا: توطين العمل الخيري:

والمقصود بالتوطين: إيجاد مؤسسات خيرية محلية في الدول الإسلامية الفقيرة أو الدول التي توجد فيها أقليات مسلمة ، قادرة على القيام بأداء الواجب الشرعي دون الاعتماد على غيرها من المؤسسات الإسلامية الدولية.

ونقل الخبرة وتوطين العمل الخيري في دول العالم الإسلامي ضرورة ملحة ، ومرحلة إستراتيجية مهمة ، لا ينبغي التأخر عنها. وقد تأكد هذا المطلب بعد حصار العمل الخيري وتقييد حركته. صحيح أنَّ ذلك يتطلب جهدًا كبيرًا ونفسًا طويلًا ، لكنْ ينبغي السعي لتحقيقه وِفق رؤية مدروسة ومتدرجة.

فوائد توطين العمل الخيري:

لتوطين العمل الخيري في الدول الإسلامية الفقيرة أو دول الأقليات المسلمة فوائد كثيرة ، من أهمها:

١ - استغناء العمل الخيري والدعوي في دول العالم الإسلامي عن دعم ورعاية المؤسسات الإسلامية الدولية ، وقيامه بنفسه.

٢ - المؤسسات المحلية أقدر على تفهُّم الاحتياجات المحلية ، وممارسة الأنشطة الدعوية بحرية أكبر.

٣- التقليل من العوائق السياسية والأمنية الدولية والإقليمية المتعلقة بحركة الأموال وانتقال الدعاة.

٤ - توثيق أواصر الإخاء بين المؤسسات الإسلامية الدولية والمؤسسات المحلية من جهة ، وبناء الثقة بين المؤسسات المحلية ورموزها الدعوية ومجتمعاتهم من جهة أخرى.

من متطلبات توطين العمل الخيري:

١ - الحرص على بناء مؤسسات خيرية قوية ومتخصصة ، واستيفاء أسس النجاح قدرَ الإمكان ، وذلك بتكوين مجالس إدارة جماعية ، ووضع أنظمة ولوائح إدارية ، تُعين في استقامتها على الطريق الصحيح بإذن الله -.

٢ - العناية ببناء الرجال وإعداد القيادات الإدارية والعلمية والدعوية ؛ القادرة على تحمُّل المسؤولية ، والمؤهلة لأخذها بحقها ، فبناء الرجال هو أعظم ثروة يتركها أيّ مدير قيادي للمنظمة ، حتى يترك جيلًا من الموظفين والمديرين المخلصين المعتمدين على أنفسهم ، والذين يتحلون بالنشاط والمبادرة الذاتية والاعتمادية والمسؤولية العالية.

إننا بحاجة ماسة أن نتعامل مع القيادات المحلية بمنطق التقدير والثقة وتفويض الصلاحية ، وأن يكون ذلك وفق رؤية استشرافية بعيدة النظر.

٣ - رعاية طلاب المنح - النابهين منهم خصوصًا - الدارسين في الجامعات العربية والإسلامية ، فهم من البذور المستقبلية الواعدة لتوطين العمل الخيري والدعوي في بلدانهم.

٤ - عقد شراكات جادة بين المؤسسات الإسلامية الدولية والمؤسسات المحلية ؛ لتحقيق التواصل البنّاء وتبادل الخبرات والتجارب.

٥ - كثير من الدول لا تخلو من خلافات بين بعض الدعاة والجمعيات ، وينبغي أن يكون للمؤسسات الدولية دور جاد في التأليف وتقريب وجهات النظر وتوحيد الصفوف ، والتحذير من النزاعات والصراعات التي تفسد العمل وتذهب بحلاوة الدعوة.

٦ - إيجاد استثمارات وقفية في الدول الإسلامية تقوم على تمويل الأنشطة الخيرية المتنوعة.

سابعًا: التدريب ورفع مستوى الكفاءات الإدارية والدعوية:

إنَّ الناظر في كثير من الأوساط الدعوية والمؤسسات الخيرية يجد قصورًا في أمور ثلاثة ؛ هي:

الأول: قصورٌ في الطاقات المبدعة.

الثاني: قصورٌ في اكتشاف الطاقات ، ثم قصور في توظيف الطاقات توظيفًا مثمرًا ، يُسَخِّر ملكاتها ، ويوجِّه قدراتها.

الثالث: ضعفٌ قيادي وإداري في التأليف بين الطاقات الموجودة وجعلِها تنتظم في فرق عمل منسجمة ، تتكاتف لتحقيق أهداف المؤسسة.

والقيمة الحقيقية لأي مؤسسة ليست فقط في مواردها المالية ، أو قوتها الإدارية ، أو سعة انتشارها ، ولكن تتركز قوتها في رجالها ؛ فَهُم ثروة بنائها ، وهم الأعمدة التي تعين - حقًا - في استقرار المؤسسة وثباتها ؛ ولهذا كانت الدقة في حسن اختيارهم وتوظيفهم ، ثم العناية بتدريبهم ، ورفع قدراتهم ، وصقل طاقاتهم ؛ من أهم جوانب القوة والتميز ، ومن أهم أسس النمو والاستقرار المستقبلي.

تعريف التدريب وبيان أهميته:

التدريب هو: الجهود المنظمة والمخططة لتطوير معارف وخبرات واتجاهات المتدربين ، وذلك بجعلهم أكثر فاعلية في أداء مهامهم.

واللافت للنظر أن بعض المؤسسات الخيرية لم تقتنع بعدُ بأهمية التدريب ، وقد تظن أنه مجرد هدر للأموال والأوقات! ولا شك بأن هذا خطأ ؛ فلقد أثبتت الدراسات أن التعليم والتدريب يسهمان في رفع مستوى الإنتاج. وبناءً على ذلك ؛ فإن أي تقدم في العمل المؤسسي يعتمد بدرجة كبيرة - بعد توفيق الله تعالى - على التعليم والتدريب.

والمتابع لواقع المؤسسات الخيرية الإسلامية الدولية والمحلية يجد نسبة لافتة من العاملين فيها من غير المتخصصين في العمل الخيري الذي يمارسونه ؛ وذلك لندرة

الجامعات والمعاهد التي تعتني أصلًا بالعمل الدعوي والخيري في العالم الإسلامي ، ولحداثة عمرها الخيري في كثير من البيئات الإسلامية ، كما أن بعض المتخصصين منهم لم يكتسبوا خبرات ميدانية تستثمر تعليمهم.

إنَّ كثيرًا من العاملين في المؤسسات الخيرية يتميز بالصدق والحرص - والله حسيبهم - ، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هؤلاء الصادقون على قدر كافٍ من القدرة والكفاية العملية.

ولهذا فإن أولى أولويات المؤسسات الإسلامية في المرحلة القادمة ينبغي أن تكون بناءَ العاملين الأَكْفَاء القادرين على تحمل المسؤولية ، والعناية الفائقة بهم ، وتدريبهم ؛ لأداء مهامهم بكفاية وفاعلية ؛ تحقيقًا لقول الله 8 (~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)(القصص: ٢٦).

وها هنا قضية مهمة ؛ وهي أهمية إشاعة روح التنافس المحمود بين الموظفين ، ودفعهم للتسابق في الخيرات ؛ حتى يدركوا أن الموظف الذي لا ينمو ولا يتطور ، ولا يرتقي أداؤه مع مرور الوقت ؛ موظف عاجز ضعيف الأثر في أمته ، وغير مؤهل للحفاظ على تلك الوظيفة.

قبل التدريب:

من الملحوظات المهمة التي يجب الانتباه إليها قبل البدء في تدريب الموظفين:

١- وضع نظام متقن لتعيين الموظفين ؛ حتى تضمن المؤسسة استقطاب الكفاءات المتميزة للعمل فيها.

٢- إيجاد الحافز المستمر للتعلم ، وتنمية الرغبة في بناء الذات وتطويرها. وهذا الحافز لن يتحقق إلا إذا كانت بيئة المؤسسة بيئةً صحيةً تحرص على ذلك ، وتشجع على الإبداع ، وتعين على التميز.

٣- التدريب بدون تخطيط يعد هدرًا للموارد. ويتم تحليل الحاجات التدريبية في المؤسسة بمقارنة الأداء الفعلي بالأداء المرغوب فيه ، وتحديد حجم الفارق الذي يمكن معالجته بالتدريب.

متى يفقد التدريب أهميته؟

من خلال التجربة تبين أن هناك مؤسسات وأشخاصًا قد لا ينفعهم التدريب حقًا ، بل يتحول إلى عبء نفسي ومالي ، ومن هؤلاء:

١ - المؤسسات التي لم تقتنع أصلًا بجدوى التدريب لموظفيها ، ولكنها تفعل ذلك مجاراة للمؤسسات الأخرى ، أو إسكاتًا لموظفيها.

٢- الشخص الذي ضعف عنده الدافع للعمل والإنجاز: فالداعية الذي يضعف عنده الهم الدعوي ، وتقل غيرته على دين الله - لا ينفع معه التدريب ؛ لأن إتقانه للمهارات الدعوية لن يزيد من فاعليته وإنتاجه ، وهو في حاجة إلى إحياء الدافع الدعوي أولًا.

٣- عدم مناسبة الموظف لوظيفته: فحين يُكلَّف داعية بمتابعة مشروع هندسي - كما يحدث كثيرًا في بعض المؤسسات الخيرية - فإن التدريب لن ينفع ؛ لأن الداعية لا يملك المقومات الأساسية للإشراف الهندسي ، وتدريبه على ذلك تكليف بما لا يطاق ، وهدر للأموال والطاقات.

٤- الشخص المتعالي: فهذا الشخص بعُجبه يُضيِّع على نفسه وأُمَّته فرصًا عظيمة لمزيد من البناء والتطوير.

وهؤلاء - وأمثالهم - ينبغي معالجة مشكلاتهم أولًا ، ثم السعي لتدريبهم.

التدريب بين بيئتين:

التدريب في بعض المؤسسات قد يُنْظَر إليه أنه نوع من العقوبة ، مثير للإحباط وعدم الاطمئنان ، وذلك عندما تُشعِر إدارة المؤسسة الموظفَ بعجزه وضعف كفايته وقدرته ؛ ولهذا فهي تلزمه بالتدريب لمعالجته.

والتدريب في مؤسسات أخرى يُعَدُّ نوعًا من الثواب والتحفيز والبناء يحدو الموظف إلى التفاعل معه ، عندما تُشْعِرُه إدارته بأنها لحرصها عليه وتقديرها لجهوده حرصت على تدريبه ؛ وبذلك تكسب ولاءَ المتدرب ، وتستفيد من طاقاته وإبداعاته.

والمتوقع من مديري المؤسسات الخيرية أن يدركوا أيضًا أنه لا فائدة من التدريب إذا لم نُعطِ الموظفين بعد ذلك فرصة كافية لتطبيق ما تدربوا عليه ، بل إن التهاون في ذلك قد يؤدي إلى نتائج عكسية ، من أقلها سلبيةً: شعور الموظف بالإحباط!

من نتائج التقصير في التدريب:

لتقصير المؤسسات الخيرية في التدريب نتائج سلبية عديدة ؛ منها:

١- أن إهمال التدريب ، وضعفَ العناية ببناء الرجال ، أدى إلى ضعف الإنتاجية ، ورتابة كثير من الأعمال والبرامج الدعوية ، وغياب التجديد والإبداع في كثير من الوسائل الدعوية ، فضلًا عن الفوضى الإدارية.

٢- ندرة القيادات والطاقات المتميزة داخل بعض المؤسسات والجمعيات أدى إلى أن يُوسَّد الأمر إلى غير أهله في كثير من الأحيان. ولا تخفى النتائج السلبية التي تنتج عن هذا..!

٣- القصور في توطين العمل الخيري في الدول الإسلامية ودول الأقليات المسلمة ، واستمرار اعتماده على المؤسسات الإسلامية الدولية.

٤- عالجت بعض المؤسسات مشكلةَ ندرة القيادات وضعف الطاقات في البيئات الدعوية عن طريق استقطاب بعض القيادات والطاقات من بيئات أخرى.

وهذا لا بأس به في مرحلة مؤقتة ، وبخطة واضحة ، إلى أن يتم تدريب طاقات محلية مؤهلة لتحمل المسؤولية ؛ إذ هي أقدر من غيرها على التعامل مع بيئتها.

ثامنًا: الالتزام القانوني للمؤسسات الخيرية:

توجد لكل البلدان التي تعمل فيها المؤسسات الخيرية الإسلامية قوانين تنظم العمل الخيري ، وتضع له حدودًا ، وتفرض عليه أمورًا لا بد من الالتزام بها. ولكي تحصل الفائدة المرجوة من العمل ، ويستفاد من تلك القوانين ، ولكي تُجتنب المخاطر والمعوقات التي تهدد عمل المؤسسات الخيرية ؛ لا بد من مراعاة الأمور الآتية:

١ - التعرف على القوانين المحلية المتعلقة بالجانب الخيري.

٢ - اتخاذ مستشار قانوني للمؤسسة: وذلك في كل بلد تشرع بالعمل فيه ، وتكون مهمته ضمان سلامة الوضع القانوني للمؤسسة ، والإجابة عن الاستشارات القانونية التي تَرِدُ عليه ، وتقديم دورات قانونية متخصصة لمن يحتاج من موظفي المؤسسة.

٣- وضع دليل بالإجراءات اللازمة: وهي الإجراءات التي يلزم اتخاذها أو مراعاتها قبل الشروع في تنفيذ عمل ما ، مع أهمية المراجعة لهذه الإجراءات ، نظرًا للتغيرات القانونية والإدارية التي تحصل في كثير من البلدان بين فينة وأخرى.

٤ - القيام بتنفيذ الجوانب القانونية الرئيسة ، والتي تتمثل فيما يأتي:

أ- وضع نظام أساسي للمؤسسة يتضمن هوية المؤسسة ورسالتها في البلد الذي تعمل فيه ، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ، والأنظمة واللوائح التي توضح طريقة عملها وإدارتها ، مع بيان الهيكلة الإدارية للمكتب ، وصلاحيات الأمناء وأعضاء مجلس الإدارة ، ونحوها من الأمور المهمة ، مثل: حق المؤسسة في الاقتراض أو الاستثمار ... ونحو ذلك.

ب - أهمية أن تبقى الأنشطة التي تقيمها المؤسسة في بلد ما متوافقة مع نوع الترخيص الذي تحمله ؛ وذلك تلافيًا للاستشكالات التي قد يطرحها عدم قانونية الأنشطة الخارجة عن نطاق الترخيص.

ج - التأكد من صلاحية الإدارة المالية لمكاتب المؤسسة ، وتحقيقها الحد الأدنى من متطلبات القانون ؛ وذلك لكي تتأكد المؤسسة من تحقيق ضبط مالي وانضباط قانوني لا يعرضها للمساءلة.

د - كتابة عقود عمل مع العاملين في المؤسسة ؛ تكون متوافقة مع المتطلبات الدنيا لطبيعة العقود التي تنص عليها جهات الاختصاص في كل بلد. وتبرز أهمية هذه العقود في كونها من المتطلبات القانونية للمؤسسة ، وأنها مرجع التحاكم عند حصول مشكلات مع الموظفين.

هـ- القيام بتوصيف وظائف العاملين في المؤسسة من الناحية الإدارية.

و - القيام بتسجيل المؤسسة في مصلحة الضرائب والتأمين الاجتماعي ؛ إذ إن الإعفاءات الضريبية - الممنوحة للمؤسسات الخيرية - لا تشمل في كثير من البلدان الضرائب على رواتب الموظفين والتأمينات الاجتماعية ، ولكن لا بد من دراسة القوانين المتعلقة بالضرائب والتأمينات الاجتماعية بشكل جيد ؛ حتى تتمكن المؤسسة من وضع خطة تكفل تسجيل من تلزمه الضرائب من الموظفين لدى تلك المصالح بأقل كلفة ممكنة.

٥ - مراعاة العلاقة القانونية والمحاسبية بين المركز الرئيس والمكاتب الفرعية:

وذلك لأن طبيعة العلاقة بينهما تختلف بحسب نوع الترخيص ، والنظام الأساسي للفرع. ويجب على إدارة المكاتب الفرعية مراعاة القضايا التي تهتم بها الجهة المشرفة على المؤسسات الخيرية في بلد المركز الرئيسي. وتأتي في مقدمة هذه القضايا كيفية صرف المبالغ التي يتم تحويلها من المركز الرئيس إلى الفرع ؛ إذ من الأهمية بمكان أن

تُصرَف في خدمة أهداف المؤسسة ، وأن تقيد وتسجل وتصرف تبعًا للقوانين في بلد الفرع ، مع تحضير حسابات تفصيلية توضح تلك المصاريف لكل مشروع ، ثم القيام بتدقيقها من محاسب قانوني معترف به ؛ لتكتسب الصفة القانونية.

٦- الحرص على تعيين الموظفين - وبخاصة إذا كانوا من غير أهل البلد - بناءً على الأنظمة السائدة في البلد: فعلى المؤسسات الخيرية تجنب تعيين أي موظف - وخاصة في المناصب القيادية - مخالفًا لهذه الأنظمة ؛ مع الحرص على الالتزام بقوانين الإقامة والتنقل لهم.

٧- يجب الحرص على عدم التداخل بين العمل الخيري بأبوابه المختلفة والأنشطة السياسية ؛ لأن ذلك قد يسبب - في العاجل أو الآجل - إشكالات قانونية تؤثر على العمل الخيري. ويدخل في هذا السياق تعيين موظفين - خاصة في الإدارة العليا - لهم أنشطة سياسية أو ينتمون لأحزاب سياسية.

٨- التقويم المستمر للانضباط القانوني في المؤسسة.

تاسعًا: الانضباط المالي في المؤسسات الخيرية:

المال عصب الحياة وشريان العمل ، وقوام المؤسسات الخيرية. كما أنه أمانة كبيرة في أيدي القائمين على المؤسسة والعاملين فيها كل بحسبه ، كما أن الانضباط المالي في أي مؤسسة رمز لقوتها وسلامتها ؛ فاقتضى ذلك كله الدقة والضبط المالي للمؤسسة في جميع الجوانب المالية ؛ من جمعٍ واستثمار وصرف.

ويتأكد هذا لأمرين:

١ - أن حفظ المال وحسن التصرف فيه بدقة وضبط هو مقتضى أداء الأمانة التي أمر الله لأ الناس بأدائها ، وأوجبَ عليهم وضعَها في مواضعها الشرعية.

٢ - أن في ذلك رعايةً للأمانة التي وكَّلهم المحسنون على أدائها ، وأمروهم بصرفها في مصارفها الشرعية.

ولذا فإن من الضروري أن تضع المؤسسات الخيرية ضوابط محكمة تنظم القواعد المالية الداخلية ، وترتب العلاقات المالية ؛ سواء بين مكتب المؤسسة الرئيس والفروع المختلفة ، أم بين الفروع والعاملين فيها والمتعاملين معها.

ومن التنبيهات المهمة في هذا المقام:

١ - لا بد من اتباع نظام محاسبي دقيق وواضح في كل بلد للمؤسسة في عمل ، مع توفير كل الإمكانات البشرية والتقنية لإنجاحه ، كما يفضَّل أن يكون ذلك النظام متسقًا مع الأنظمة المحاسبية المتبعة في كل بلد ، وأن يوجد محاسب قانوني لكل مكتب من مكاتب المؤسسة.

وفي المؤسسات التي تتبع نظام صرف مركزي لا بد أن تقدم المكاتب الفرعية للمركز الرئيس تقارير محاسبية شهرية منتظمة ؛ للاطلاع عليها ، وتدقيقها ، وعرضها على المحاسب القانوني ؛ لكي يتسنى معالجة الخلل - إن وجد - في حينه.

٢- يجب الالتزام بالأنظمة والقوانين المالية السائدة في البلد الذي تعمل فيه المؤسسة - ما لم تكن حرامًا - ، سواء في الحوالات المالية أو صرف العملات ، أو الإنفاق على المشاريع ، أو البيع أو الشراء ... ونحوها. مع ضرورة الوضوح التام في هذه المعاملات ، والحرص الشديد على تدوينها وضبطها ، وحفظ الوثائق والمستندات المتعلقة بها.

وفي الدول التي تُلزم المؤسسات الخيرية برفع تقارير مالية دورية يجب الالتزام بذلك ، والتعامل مع الجهات المسؤولة بدقة وشفافية.

٣- ينبغي السعي الجاد للوصول إلى الاستقلالية المالية للمؤسسات الإسلامية ؛ من خلال الأوقاف الخيرية والاستثمارات التجارية ، فهذا أضمن في قوتها واستمرار أنشطتها.

وهناك عدد من الضوابط لهذا الجانب يلزم مراعاتها:

أ- أن يتولى إدارة المشاريع الاستثمارية ومتابعتها مَنْ جمع بين صفتَي الخبرة والأمانة ؛ تحقيقًا لقول الله 8 (~ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ)(القصص: ٢٦).

ب- أن يتولى القرارَ الاستثماري فريقٌ من أهل الخبرة والاختصاص ، وتجنُّب القرارات الفردية المتسرعة.

ج - استفراغ الجهد في إعداد الدراسات الاستثمارية ، مع الحرص على الاستثمارات المأمونة تجاريًا وذات العائد الربحي الأكبر ، والبعد ما أمكن عن جوانب المخاطرة.

د - البعد تمامًا عن الاستثمارات التي قد يختلط فيها الحلال بالحرام ، والتورع عن مواطن الشبهات ، مع التنبه إلى المسائل الدقيقة في المعاملات التجارية.

هـ - تقييم الاستثمارات التجارية سنويًا ؛ للنظر في مناسبة الاستمرار فيها من عدمه.

٤- الحرص على التخطيط المالي ، ووضع موازنات سنوية دقيقة للمكاتب الفرعية والمشروعات والأنشطة.

٥- يشرف على إعداد ومراجعة الموازنات والخطط المالية أهل القدرة والخبرة ؛ حيث إن من الأخطاء الشائعة أن بعض مؤسساتنا الإسلامية قد تكلف بذلك بعض الدعاة ممن لا يدركون كثيرًا من الفنون المحاسبية ؛ فيحدث الخلط والاضطراب.

٦- يتهاون بعض الموظفين - من حيث لا يشعر أحيانًا - في صرف الأموال الخيرية على الأنشطة والمشاريع ، ويحدث هدر غير متزن أحيانًا بحجة أنها لم تصرف إلا في الخير! وهذا خطأ ظاهر ، ومقتضى الأمانة يُلزمنا بصرف أقل التكاليف المالية المتيسرة لتحقيق أعلى المصالح الشرعية الممكنة.

آمال .....:

١- مستجدات المسائل الشرعية التي تطرأ على العمل الدعوي الخيري - خاصة في بعده الخارجي - كثيرة جدًا ، ومن الممكن أن يقوم من طلاب الدراسات العليا في قسمي الفقه والدعوة باستقرائها وبحثها وتأصيلها.

٢- العمل الخيري والتطوعي عِلْم من العلوم الدعوية المهمة التي لم تأخذ حظها من الدراسة والبحث ، وهو جدير بأن تخصص له كلية أو معهد ، يمكن أن يبدأ بقسم في إحدى كليات الدعوة أو العلوم الاجتماعية ، ثم ينمو تدريجيًا. وإلى أن يتحقق ذلك من الممكن أن تقوم كليات الدعوة وأقسام الثقافة الإسلامية بإضافة مواد خاصة في أصول العمل الخيري ومهاراته.

٣ - ينبغي لكل مؤسسة من مؤسسات العمل الخيري مراجعة لوائحها الإدارية وأطرها التنظيمية ، وأدائها الوظيفي ، بواسطة مؤسسة من مؤسسات التطوير الإداري المتخصصة ، أو خبير من خبراء الإدارة.

٤- العمل الخيري يحتاج إلى غطاء إعلامي يُبرِز إنجازاته المشرقة ، ويدفع الشبهات والأوهام التي قد يثيرها بعض المبطلين. ولئن قصرت المؤسسات الخيرية في لغتها الإعلامية في وقت سابق ، فإنه ينبغي تصحيح الوضع وإعطاء الإعلام عناية خاصة.

٥- لكثير من المؤسسات الإسلامية الخيرية تجارب وخبرات مهمة تراكمت خلال أكثر من عقدين من الزمان ، ومن المهم جدًا حث تلك المؤسسات على تدوين تجربتها في العمل الدعوي الخيري ؛ من أجل استثمار تلك التجارب وتوظيفها من المؤسسات الناشئة أو الأفراد العاملين في القطاع نفسه.

٦- تكوين مجلس للتنسيق بين المؤسسات الخيرية ، من أهدافه: تحقيق أواصر الأخوة والتعاون على البر والتقوى ، وتبادل الخبرات ، والتشاور ، وتنسيق البرامج.

٧- تأسيس مؤسسة دعوية تعنى برعاية طلاب المنح خصوصًا ، وتقدم لهم الخبرات والبرامج الخادمة للعمل الدعوي الخيري ، والتي قد لا يتضمنها منهج الدراسة الجامعية ، من أجل الارتقاء بآفاقهم الخيرية والدعوية.

٨- تأسيس إدارة قانونية أو تعيين مستشار قانوني في كل مؤسسة خيرية من أجل ضبط عمل المؤسسة والتأكد من التزامه بالقوانين المنظمة للعمل الخيري.

الفصل الرابع

العمل الدعوي المؤسسي في العائلة

المتأمل لحال كثير من الدعاة قديمًا وحديثًا تجد لديهم نشاطًا في عشيرته وأهل رحِمِه إلا ما ندر ممن اختل عنده فقه الأولويات ، والجمع بين الحُسنيين لذا كان من المستحسن أن ينطلق العامل وفق عمل منظم يرسم أهدافه وينفذها ليقطف ثمارها في الدنيا بلذة النجاح وفي الآخرة بالفلاح.

تعريف العمل المؤسسي في العائلة:

هو نظام يتجه نحو تحقيق الأهداف وفق علاقة مترابطة في وحدات إدارية ذات خطوط محددة ، وقيم تضمن الاستمرار والنمو.

أهمية العمل المؤسسي في العائلة:

١ - يحقق هذا البرنامج ضمان الاستمرارية في الأداء:

فكثير من الأعمال والبرامج التي يقوم بها العاملون في محيط عوائلهم لا تتجاوز ردود أفعال ، أو عواطف إيمانية ، أو تفرغ يتأتى بين حين لآخر ، أما العمل المؤسسي فهو عبارة عن: منظومة ونظام يُلزِم العامل بالعمل ويتابع استمراره ، ويحاسب على التقصير في أدائه فضلًا عن إهماله ، عبر لجان الاجتماعات ، وجداول عمل مسبقة التدوين.

٢ - يساعد على تقييم الأداء ومن ثم تقويمه:

فمن الطبيعي لكل عمل أن يصحبه كثير من الإخفاق وعقبات الفشل ، لكن العمل المؤسسي يراجع أعماله ليُقيِّمَها ، فيعرف نقاط القوة فينميها ويزيد في تفعيلها ، ونقاط الضعف فيصوب ما يناسب التصويب ، أو يعدل ، أو يستبدل ، وهكذا ... (شعاره أن الفشل خطوة نحو النجاح).

٣- زيادة اكتشاف الطاقات:

في المحيط العائلي الكبير وفي التجمعات الاجتماعية لا يمكن التعرف على الكوادر ومن ثم تطويرها. وبالعمل المؤسسي ستجد أنك بحاجة إلى العشرات من الشخصيات التي تناسب المهام المحتاجة ، مما يتيح له ميدان عمل وتجربة يخفق فيه عدد ، وتلمع فيه نجوم يزيدها ظلمة الليل بريقًا ولمعانًا.

٤ - تحقيق مفهوم العمل الجماعي ، وروح الفريق الواحد:

فرأي الواحد مهما كان ثاقبًا فهو أقل درجة من رأي الاثنين فضلًا عن الجماعة ، مما يضمن صوابًا في العمل ، وقبولًا لدى المتلقي ، وتَبَعَةٌ أقل ، ويكفي فيه البركة ، 7 8 (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ)(المائدة: ٢) ، و 7 8 (p o n)(الشورى: ٣٨). فكل قرار لم يصدر برأي جماعة تمَّ اتخاذه عبر اجتماع منظم فهو غالبًا مرتجل محفوف بالخطأ.

٥ - يوزع المهام والتكاليف:

وهذا أكبر معوق يشتكي منه كثير من العاملين وهو قلة المعين. بينما العمل المؤسسي يضع الوصف الوظيفي لكل عامل ، ويحدد له المهام ، ويمنحه الصلاحيات مصحوبًا بالمساندة والتحفيز المستمر.

نموذج مقترح:

(غني عن البيان أنَّ كل هذه الأنشطة تتم بما لا يخالف شرع الله لأ).

مهمات اللجنة الثقافية:

١ - إعداد مفكرة خاصة بالبيانات الأسرية لبيوت العائلة وتحديثها دوريًا.

٢ - خدمة العائلة إعلاميًا ، وتعزيز علاقتها بالأسر الأخرى.

٣- إصدار مطبوعة دورية تُعنَى بشؤون العائلة.

٤ - رعاية موقع العائلة على شبكة الإنترنت ، والعمل على تطويره ، وتحديث معلوماته.

٥ - إصدار مفكرة دورية لهواتف أفراد العائلة.

٦ - متابعة ما يخص شجرة العائلة ، وتحديثها دوريًا.

٧ - الترتيب لعمل برامج متنوعة خلال الملتقى السنوي العام.

٨ - التنسيق مع الأمانة لما يُرى مناسبةُ نشره من قرارات المجلس.

٩ - ترتيب بعض المناشط التي تخدم الجانب الثقافي للعائلة.

١٠ - تكريم المتفوقين والمتفوقات من الطلاب ، والموظفين ، وأصحاب الإنجازات المتميزة.

١١ - الاحتفاء بالمتزوجين والمتزوجات من أفراد العائلة.

١٢ - ترتيب رحلات خاصة بالشباب والبراعم من أبناء العائلة.

آليات العمل المؤسسي:

أولًا: وضع النظام واللوائح ومتابعة تنفيذها:

أ- رسم الأهداف بشكل دقيق وواقعي: فمن الضروري كتابة الأهداف ، وتحديدها بشكل واضح وفق الضوابط التالية:

- الواقعية في التطبيق.
- مراعاة الظروف الاجتماعية ونحوها.
- بعيدة النظر.
- تُعْنى باستمرار العمل لا قيامه فقط ، مثال: (التعارف المؤدي إلى صلة الرحم ، التكافل الاجتماعي بين العائلة ، نشر الخير بين أفراد العائلة).

ب- صياغة النظام الأساسي ، واللوائح التنفيذية:

فالنظام يحدد: اختيار مجلس الإدارة وتكوينه ، والهياكل ، وطرق اتخاذ القرار واجتماعاته. أما اللوائح التنفيذية ففيها تُحَدَّدُ: اللجان العاملة ، والوصف الوظيفي مع المهام المناطة بها ، والصلاحيات الممنوحة لها ، كاللجنة الثقافية ، والعلاقات العامة ، والزكاة ، والمالية ، وحبذا أن تُمْنَح هذه اللجان صلاحية إقامة لجان فرعية ، كلجنة الشباب والإعلام ونحوها ، ضمن اللجنة الثقافية.

ج- المتابعة المستمرة:

فالتنظير كثيرٌ مَن يحسنه ، لكن التنفيذ ومتابعة التنفيذ قلة من يتقنه. فالمتابعة المستمرة بالأساليب الآتية تضمن استمرار العمل العائلي: (المشاركة في المهام مع الآخرين إذا دعت الحاجة ، التحفيز للعاملين ، التواصل في تنفيذ المهام ، القدوة العملية فتقديم النموذج العامل الذي يحتذى به أكبر أسلوب للمتابعة).

ثانيًا: العناية الفائقة بالأفراد:

وهي على مراحل ست:

١ - تحديد الوصف للعامل.

٢ - البحث في الشخصيات ذات الصفات المناسبة.

٣ - حُسْنُ الاستقطاب والإقناع.

٤ - التدريب بشتى طرقه الفردية والجماعية.

٥ - التحفيز المستمر.

٦ - التركيز على الصف الثاني لكل عامل.

ثالثًا: وضوح الجانب المالي وأثره الملموس في العائلة:

المال عصب الحياة ، ووسيلة من أهم وسائل العمل العائلي لذا فإن من ركائز العمل المؤسسي في العائلة أن يتحلى بالآتي:

١ - الشفافية والوضوح في الواردات والمصروفات.

٢ - إيجاد الموارد المالية ، والتركيز على الدائم منها ولو قلَّ ، ومنها: (الاشتراك السنوي للموظفين ، التركيز على أهل اليسار في العائلة ، الاستثمار المنضبط شرعًا ، تفعيل الزكاة).

أسلوب إدارة العمل:

١ - الانطلاق من الخطط:

فالنشاط عندما تحدد برامجه المنبثقة من الأهداف الأساسية ، ويحدد زمن تنفيذها ، والتكلفة المالية ، والشخص المسئول يَنْظُمُ ، ويسهل التنفيذ ، ويقاس الأداء ، ويستقيم التقويم.

٢ - تنظيم العمل:

العمل المؤسسي من أولوياته: خط سير الإنتاج بطريقة انسيابية تُجَدَّدُ فيه الاجتماعات بشكل دوري لكل مجلس ، ولجنة ومكان الاجتماع ، وتُرْسَمُ جداول الأعمال من الأمين مسبقًا ، وتُعَدُّ الأوراق المطروحة للنقاش قبل الاجتماع ليتم استيعاب الأفكار ويتخذ القرار بكل سهولة وعلمية محكمة ، يدون خلالها الأمين القرارات ، ويتابع بعد الاجتماع المتابعاتِ التي تم تكليف الأفراد بها.

٣ - الرئيس القائد:

فلكل عمل رجاله فوجود الشخصيات التي تتمتع بالقيادة العائلية أمر ضروري ، والتي من أهمها:

أ- الجوانب الشخصية في القيادة ، كالتفكير السليم ، والحكمة ، وإدارة الأفراد ، ونحوها.

ب- التفاؤل ، فالعمل العائلي بحاجة كبيرة إلى المتفائلين لأنه يتعامل مع شريحة متفاوتة التفكير والطبقات لأن الأمر يعنيهم ، فهو يعمل باسمهم لذا ينبغي ألاَّ يتطرق له اليأس والإحباط.

ج- التحفيز المستمر للعمل والعاملين بأساليبه المختلفة.

د- القَبُول في العائلة علميًا ووظيفيًا ، ومكانته في العائلة ، ولباقته في التعامل والحديث.

هـ - الوضوح والشفافية.

ز- العناية بالأفراد في العائلة عمومًا ، وحضور المناسبات الاجتماعية والعاملين خصوصًا.

ح- التطوير الذاتي المستمر.

الفصل الخامس

السجلات في الجمعيات الخيرية

السجلات هي عماد إدارة الجمعية ، والهيئة الإدارية الحريصة هي التي تكون سجلاتها وملفاتها وأضابيرها كاملة وواضحة ونظيفة ومرتبة وتعكس صورة مشرقة عن كفاءة واهتمام أعضاء الهيئة الإدارية ، ومن المؤسف حقًا عدم اهتمام كثير من الجمعيات الخيرية بهذا الجانب خاصة الجمعيات الريفية التي تحتاج إلى بذل مزيد من الجهود من قبل الأعضاء والمرشدين الاجتماعيين في تنظيم الملفات والسجلات.

أولًا: السجلات و الملفات الإدارية:

من الصعب حصر جميع أنواع السجلات والملفات التي يمكن للجمعيات الخيرية اقتناؤها وذلك بسبب اختلاف أنواعها ومدى الحاجة إليها من جمعية إلى أخرى في ضوء نشاطها وخدماتها وفيما يلي بعض أنواع السجلات:

سجل الصادر والوارد: في هذا السجل تسجل المراسلات الواردة والصادرة ، وتعطى أرقامًا مسلسلة وبعد اتخاذ الإجراءات المناسبة تحفظ في أضابير [1] خاصة حيث تعطى هي الأخرى أرقامًا ورموزًا خاصة لسهولة الرجوع إليها عند اللزوم.

سجل الموظفين:

يجب أن تخصص الجمعية سجلًا للجهاز الوظيفي فيها بحيث يحتوي على بيانات ومعلومات عن كل الموظفين والمستخدمين من حيث أسمائهم وأعمارهم وحالتهم الاجتماعية ومؤهلاتهم وخبراتهم وتاريخ التحاقهم بالعمل وما إلى ذلك من بيانات ومعلومات أخرى هامة. ويخصص في هذا السجل صفحة أو أكثر حسب

---

(١) إضْبارة: مِلَفّ ؛ حزمة من الأوراق ضُمّ بعضُها إلى بعض. ج إضبارات وأضابيرُ.

الحاجة لكل موظف. كذلك يجهز ملف خاص لكل موظف يوضع فيه طلب العمل وشهادة الميلاد ونسخ مصدقة من شهاداته وغير ذلك من الأوراق التي تلزم وتحدد من قبل إدارة الجمعية ويسمى هذا بملف الموظف.

سجل العضوية: وهو للأعضاء العاملين ويشتمل على معلومات توضح اسم العضو، وتاريخ انتسابه ، وقيمة الاشتراك ، وتاريخ أدائه ، وأرقام الإيصالات المثبتة. وهذا السجل يساعد على حصر عدد الأعضاء المشتركين في الجمعية ، ومجموع المبالغ التي دفعوها والمبالغ المستحقة على المتخلفين منهم عن الدفع.

سجل دوام الموظفين: ويسمى هذا السجل أحيانًا دفتر الحضور والانصراف اليومي ويبين هذا السجل اسم الموظف ، وساعة قدومه للعمل ، وتوقيعه ، وكذلك ساعة مغادرته العمل وتوقيعه.

سجل اجتماعات الهيئة الإدارية: يستخدم هذا السجل لتدوين وقائع جلسات واجتماعات الهيئة الإدارية الدورية ، وأسماء الأعضاء الذين حضروا الاجتماع وتوقيعهم وترصد فيه القرارات التي اتخذها الأعضاء في جلستهم ، وهذا السجل في غاية الأهمية لأن كافة فعاليات ونشاطات الجمعية ترتبط به مباشرة ، وتتأثر بالقرارات المتخذة من قبل أعضاء هيئة الإدارة.

سجل اجتماعات الهيئة العامة:

يستخدم هذا السجل لرصد وقائع اجتماعات الهيئة العامة للجمعية.

سجل الأجازات:

يستخدم هذا السجل الذي يكون مصممًا خصيصًا لغاية تسجيل الأجازات التي يأخذها الموظف ، أو المستخدم بمختلف أنواعها.

سجل الدورات التدريبية:

الجمعية الخيرية التي تقوم بعقد الدورات التدريبية يجب أن يتوافر لديها سجل باسم سجل الدورات التدريبية ، أو سجل التدريب ، و يقسم هذا السجل إلى أقسام حسب نوع الدورات ، وتتضمن معلومات الدورة الواحدة اسم الدورة ، ومدتها ، ورسم الانتفاع ، وعدد المتدربين. ويفيد هذا السجل في حصر الأعداد التي تم تدريبها من المجتمع المحلي في مختلف المجالات التدريبية.

سجل الزوار:

يزور الجمعيات الخيرية من فترة إلى أخرى عدد من الضيوف والزوار والشخصيات البارزة التي تهتم بشؤون الجمعيات الخيرية ، وفي هذا السجل يكتب الزائر انطباعاته وملاحظاته التي خرج بها من زيارته.

سجل المرشد الاجتماعي:

لدى الجهات الرسمية والأهلية المشرفة على أعمال ونشاطات الجمعيات الخيرية مرشدين اجتماعيين وظيفتهم إرشاد وتوجيه أعضاء الجمعية إلى اتباع أفضل السبل في العمل الاجتماعي التطوعي ، وفي هذا السجل يدون كل مرشد ملاحظاته ، ونتائج زيارته و توصياته.

سجل المتطوعين:

هناك عدد من الجمعيات الخيرية التي يعاونا في أعمالها عدد من المتطوعين من خارج الهيئة العامة والإدارية ، وهذا السجل يوضح اسم المتطوع ، وتاريخ بدء تطوعه ، ونوع التطوع الذي قام به ، وساعات تطوعه.

سجل القرية:

أو يمكن تسميته بسجل المجتمع المحلي الذي تقع الجمعية فيه. وتنبع أهمية هذا السجل الذي تفتقر إليه معظم الجمعيات الخيرية من أن الجمعية كمؤسسة محلية يجب أن

يتوافر لديها عن مجتمعها المحلي بيانات ومعلومات وأرقام عن النواحي السكانية والاقتصادية والزراعية والسكنية والصحية والخدمية والمؤسسات العاملة فيه. ويشير واقع الجمعيات الخيرية خاصة الريفية منها إلى افتقارها للمعلومات والبيانات اللازمة عن مجتمعاتها المحلية.

فكثير من الجمعيات الخيرية التي تعمل على خدمة الأطفال مثلًا قد لا تعرف عدد الأطفال في القرية ، والجمعيات الخيرية التي تقدم خدمة للمعوقين قد لا تعرف عدد المعوقين ولا نوع إعاقتهم في المجتمع المحلي لهذا ننصح الجمعيات الخيرية بضرورة العمل على إيجاد سجل المجتمع المحلي لما له من أهمية في النواحي التالية:

- يعطي هذا السجل صورة عن أوضاع المجتمع المحلي.
- يصف حاجات المجتمع المحلي.
- يساعد الأعضاء في عملية التخطيط خاصة عند وضع الخطة السنوية لأعمال الجمعية.
- يساعد على توفير المعلومات للجهات التي تزور الجمعية.
- يساعد على تبرير تنفيذ عدد من المشروعات والبرامج لأن هذا السجل يعكس حقائق ومعلومات وبيانات صحيحة (هذا بطبيعة الحال إذا قام الأعضاء بجمع المعلومات بأنفسهم و تأكدوا من صحتها وواقعيتها).

السجل المالي والإداري:

يحتفظ بهذا السجل الشخصي المشرف على نشاطات الجمعية (مدير أو مديرة الجمعية) إن وُجد ، ويبين هذا السجل إيرادات الأنشطة ، وتحليل أرقام المستندات ، واسم المشترك ، والشهر الذي تم دفع القسط عنه ويتم التسجيل به فورًا حال قيام المشترك بالدفع.

استراحة داعية

وَنَكۡتُبُ ´ µ ¶

7 8 (إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ ´ µ ¶ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ) (يس: ١٢).

(إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ) أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال ، (وَنَكۡتُبُ ´ µ) من الخير والشر ، وهو أعمالهم التي عملوها وباشروها في حال حياتهم ، (¶) وهي آثار الخير وآثار الشر ، التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم ، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، فكل خير عمل به أحد من الناس ، بسبب عِلم العبد وتعليمه ونُصحه ، أو أمْرِه بالمعروف ، أو نهيه عن المنكر ، أو عِلمٍ أوْدَعه عند المتعلمين ، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته ، أو عمل خيرًا ، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان ، فاقتدى به غيره ، أو عمل مسجدًا ، أو محلًا من المحال التي يرتفق بها الناس ، وما أشبه ذلك ، فإنها من آثاره التي تكتب له ، وكذلك عمل الشر.

ولهذا: « **مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ** » (رواه مسلم).

وهذا الموضع ، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله لأ والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك ، ونزول درجة الداعي إلى الشر الإمام فيه ، وأنه أسفل الخليقة ، وأشدهم جرما ، وأعظمهم إثما[1].

---

(١) انظر:. تفسير السعدي ، ص: ٦٩٢.

حتى تكون من ذوي الهمة العالية:

حَاوِلْ جَسِيماتِ الأمورِ ولا تَقُلْ إن المحامـد والعُـــلَى أرزاقُ[1]
وارْغَبْ بنفسِك أنْ تكونَ مُقَصِّرًا عنْ غايةٍ فيها الطُّـلّابُ سُبَّاقُ

العلامات الدالة على علو همة الشخص:

- تحرّقه على ما مضى من أيامه.
- كثرة همومه ، وتألمه لحال المسلمين ، وما يجدون من ظلم وعنت.
- موالاته النصيحة ، وتقديم الحلول والاقتراحات ، التي تقوم بالإسلام والمسلمين وتعزهم ، لمن يأمل فيهم التغيير ، ويرجو منهم الإصلاح.
- طلبه للمعالي دائمًا فيما يفعله ، أو يتعلمه ، أو يصلحه.
- كثرة شكواه من ضيق الوقت ، وعدم قدرته على إنجاز ما يريده في اليوم والليلة: وليست هذه الشكوى من نمط ما نسمع من ترداد كثير من الناس لها ، ولكنها شكوى حقيقية نابعة من عمل دءوب يستغرق أوقات الشخص ، فيبث تلك الآهات الصادقة.

---

(١) أي لا تَحْتَجّ بالقدر على الكسل والتقصير.
قَالَ رَسُولُ الله ص: « **كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ** » (رواه مسلم).
يُحْتَمَلُ أَنَّ الْعَجْزَ هُنَا عَلَى ظَاهِرِهِ وَهُوَ عَدَمُ الْقُدْرَةِ ، وَقِيلَ هُوَ تَرْكُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ وَالتَّسْوِيفُ بِهِ وَتَأْخِيرُهُ عَنْ وَقْتِهِ ، وَيُحْتَمَلُ الْعَجْزُ عَنِ الطَّاعَاتِ وَيُحْتَمَلُ الْعُمُومُ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
وَالْكَيْسُ ضِدُّ الْعَجْزِ ، وَهُوَ النَّشَاطُ وَالْحِذْقُ بِالْأُمُورِ.
وَمَعْنى الحديث أَنَّ الْعَاجِزَ قَدْ قُدِّرَ عَجْزَهُ وَالْكَيِّسُ قَدْ قُدِّرَ كَيْسَهُ.
[انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٥).

- قوة عزمه وثبات رأيه وقلة تردده: فهو إذا قرر أمرًا راشدًا لا يسرع بنقضه بل يستمر فيه ، ويثبت عليه حتى يقضيه ويجنى ثمرته ، ولا شك أن كثرة التردد ونقض الأمر بعد إبرامه من علامات تدني الهمّة.

كن شعلة:

ذو الهمّة - إن حُطَّ - فنَفْسُه تأبى إلا عُلُوًّا ، كالشعلة من النار يُصَوِّبُها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا.

هل تعلم البرنامج اليومي للشيخ ابن باز /؟

كان الشيخ / يبدأ نشاطه قبيل صلاة الفجر ، ثم يصلي الفجر في مسجده ، فإذا انتهى من الصلاة وفرغ من أذكار الصباح ، يبدأ درسه إلى طلوع الشمس ، وأكثر ما يدرس الشيخ في كتاب (فتح الباري) و (فتاوى ابن تيمية) و (بلوغ المرام) و (الكتب الستة) و (شرح الطحاوية) وغيرها من العلوم النافعة. فإذا فرغ من الدرس صلى ركعتين وعاد إلى بيته ، ثمَّ يذهب إلى مكتبه ، فإذا وصل وجد المراجعين بانتظاره فيسلم عليهم ويستقبلهم ويعانق منهم القادم ، ويبدأ باستعراض المعاملات ، والإجابة على الأسئلة ، وحل المشاكل وتوجيه النصائح وإيجاد الحلول ، كما يتلقى المكالمات الهاتفية من الداخل والخارج حيث تتصل به الهيئات والجماعات والمؤسسات والأفراد من أنحاء العالم ، فيفتيهم ويرد عليهم الواحد تلو الآخر ، وهو في ذلك لا يكل ولا يمل.

ثمَّ يصلي الظهر جماعة ، ويعود إلى عمله ، وفي الثانية بعد الظهر يعود إلى منزله وقد سبقه ضيوفه ، فيتغدى معهم غداءً جماعيًا ، ثمَّ يصلي العصر ، وربما ألقى كلمة بعد الصلاة ثم يعود إلى المنزل ، ثم يصلي المغرب ويعود إلى منزله للقراءة والنظر في شؤون الناس حتى وقت العشاء ، ولا ينتهي مجلسه من الزوار والروّاد ، ولا يزال بين قراءة وإملاء وحديث نافع حتى وقت متأخر ، وقلَّ ما يتاح له الإخلاد إلى النوم قبل منتصف الليل.

حتى نستحيي من أنفسنا

داعية معاق لا يتحرك ولا يتكلم:

هذا مسلمٌ سويدي معاق لا يتحرك ولا يتكلم ، أسلم على يده العديد من السويديين وأثر في الكثيرين منهم. قد تسأل وكيف ذلك؟

كانت الحكومة السويدية تضع له من يخدمه وكان يتغير كل فترة ، وبما أن هذا المعاق لا يتحرك ولا يتكلم فقد وضعوا أمامه لوحة كبيرة فيها مربعات صغيرة ، وكل مربع مكتوب فيه كتابة معينة ، فمثلًا : أريد طعامًا ، شكرًا ، اتصل بصديقي ،وغيرها.

ووضعوا على رأسه مثل القبعة فيها عود طويل يشبه القلم لكن أطْوَل ، وإذا أراد شيئًا أشار بهذا العود على الكلمات التي يريد ، وكان هذا الشخص إذا جاءه في بيته مَن يخدمه وهم في الغالب غير مسلمين ، يطلب منهم من خلال هذه المربعات أن يتصلوا على صديقة ، ويكون بينه وبين صديقة تنسيق.

فيقوم الموظف بالاتصال على صديق المعاق ، فيرد الصديق : نعم ! فيخبره هذا المعاق: اسأله ما هو الإسلام ؟ مباشرة الخادم يقول: صديقك يسألك عن الإسلام.

فيرد الأخر: الإسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له ... الخ ، ثم يتكلم الخادم مع المعاق ويعيد عليه ما قاله صديقة عن الإسلام.

هذا المعاق طبعًا يعرف هذا الكلام عن الإسلام لكن يريد أن يعلم الخادم بطريقة غير مباشرة ، ثم يطلب منه أن يسأله عن الفرق بين الإسلام والنصرانية ؟ وما عاقبة المسلم وما عاقبة الكافر ، وهكذا ، لمدة نصف ساعة يوميًا.

وإذا انتهى دوام الموظف طلب منه المعاق أن يفتح الدرج ويأخذ معه كتابًا عن الإسلام ، انظر إلى الهمة كيف ترك له بصمة وأثرًا يدل على وجودة في هذه الحياة.